سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣

الفوائد العلمية من الدروس البازية

فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

(القسم الأول)

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩

راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله آل السليمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثاني

الرسالة العالمية

الفوائد العلمية

من الدروس البازية

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السليمان، عبد السلام بن عبد الله
الفوائد العلمية من الدروس البازية./ عبد السلم بن عبد الله السليمان . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
١٠ مج .- (سلسلة الفوائد العلمية)
ردمك ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)
٦-١٥٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الاسلام- مبادئ عامة ٢- الثقافة الاسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١١ ١٤٢٩/٦٠٩٥

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦٠٩٥
ردمك : ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)
٦-١٥٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(ج٢)

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الرسالة العالمية

الإدارة العامة
Head Office
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي
2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305
الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic
info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣

الفوائد العلمية

من الدروس البازية

فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

(القسم الأول)

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩

راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله السليمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثاني

طبع بإذن من سماحة المفتي العام للمملكة ومؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:
فقد اطلعت على المجموعة المسماة: سلسلة الفوائد العلمية
من الدروس البازية جمع الشيخ: عبد السلام بن عبد الله السليمان
فوجدتها مجموعة مفيدة حافلة بدرر من دروس الشيخ عبد العزيز بن باز
وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتب أجرها لمن تعلمها
ومن جمعها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

١٤٢٩/٧/٢٨هـ

تقـــريـــظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصـــحبه وبعد،

فقد اطلعت على المجموعة المسماة : سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع الشيخ : عبد السلام بن عبد الله السليمان فوجدتها مجموعة مفيدة حافلـــة بـــدرر مـــن دروس الشيخ عبد العزيز بن باز وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتـــب أجرها لمن تكلم بها ومن جمعها- وصلى الله وسلم على نبينـــا محمد وآله وصحبه.

كتبـــه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

١٤٢٩/٠٧/٢٨ هـ

مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده   وبعد:

فيطيب للجنة العلمية بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية أن تقدم بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع النافع الموسوم بـ(سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) وقد قام بجمعه وإعداده فضيلة أخينا الشيخ/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان وفقه الله وسدده .

وقد اشتمل هذا الجمع المبارك على فوائد جليلة ودرر بهية من دروس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز _ رحمه الله _ وتعليقاته النافعة .

نسأل الله تعالى أن يثيب من جمعها وأعدها ،كما نسأله سبحانه أن يضاعف الأجر والمثوبة لسماحة شيخنا / عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وأن يجعل هذه الفوائد من العلم النافع الذي يجري عليه أجره في قبره، وأن يجمعنا به والمعدّ والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه .

اللجنة العلمية

بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

مقدمه معالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

سماحة الشيخ العلامة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العليمة والإفتاء ورئيس رابطة العالم الإسلامي فقد تشرفت بمعرفته رحمه الله واستفدت من سماحته مدرساً في كلية الشريعة بالرياض حيث تلقيت عنه علم الفرائض في هذه الكلية واستفدت من دروسه ومحاضراته خارج الكلية منذ قدمت إلى الرياض لطلب العلم سنة ١٣٧٨ للهجرة، فهو العالم الفذ في علمه وفي عمله وفي أخلاقه وفي حبه للخير وأهله وفي سعيه الجاد في نشر العلم، يعرف ذلك القاصي والداني عنه ، ولقد تشرفت بالمشاركة في العمل تحت رئاسته عضواً للجنة الدائمة للإفتاء وفي هيئة كبار العلماء وفي المجمع الفقهي فاستفدت منه كثيراً، من توجيهاته العلمية وآراءه السديدة لأنه رحمه الله آية في الإلمام بمسائل الفقه وأقوال العلماء ومعرفة الأدلة واستحضارها، وحفظ الأحاديث ومعرفة متونها وأسانيدها ومخرجيها .ودرجاتها، فكان لا يأخذ من الأقوال إلا ما ترجح لديه بالدليل، ولا من الأدلة إلا ما صح عنده، كان لا يمل من قراءة الكتب النافعة، والاستزادة من العلم، وكان رجاعاً

إلى الحق لا يمنعه قول قاله بالأمس أن يرجع عنه إلى الصواب إذا تبين له اليوم، عملاً بوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان يحرص على البحث والمشورة حتى مع من هو أقل منه علماً وخبرة بحثاً عن الحق والأخذ به؛ لأن الحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذه، كان يحرص رحمه الله على نفع المسلمين بماله وجاهه وشفاعته، يحب المشاركة في المشاريع الخيرية، ويساعد المحتاجين، ويفتي السائلين شفهياً وتلفونياً وتحريرياً، لا يقتصر على عمله الرسمي فعمله دائم في البيت مع سعة صدر، وسماحة بال، وتيسر لقاء به، حيث يجلس لإستقبال الناس الساعات الطويلة من كل يوم ويفتح بابه لمن يريد الدخول واللقاء به دون مانع أو حائل مع قيامه بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية التي يلقيها في المسجد ويحضرها المئات من الطلاب والمستفيدين ومن خلال المحاضرات التي يلقيها في المساجد والمنتديات واللقاءات، فكان لا يتوقف، إذا طلب منه إلقاء محاضرة في أي مكان قريب أو بعيد أو طلب منه لقاء فقهي يجيب من خلاله على أسئلة الحضور حتى بواسطة المهاتفة من مكان بعيد وله مشاركات كبيرة في وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة في إلقاء الكلمات والنصائح والإجابة على الأسئلة، وله مواقف عظيمة و كثيرة في الرد على أهل الضلال وكشف شبهاتهم وتعرية باطلهم وبيان الحق، يظهر ذلك من ردوده المطبوعة والمسجلة على الأشرطة، ومن كتبه الكثيرة، وفي جانب

الأمر المعروف والنهي عن المنكر كان له دوره الفعال في القيام بهذا الأمر ومساندة ومساعدة القائمين عليه ونصيحة ولاة الأمور ونصيحة الرعية عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، ومهما قلت فإنني أراني مقصراً في وصف ما لهذا العالم الجليل من جهود عظيمة وما تحلى به من فضائل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد هيأ الله عز وجل لهذا الإمام الجليل من قام بجمع علمه ونشره في الآفاق حتى يكون من العلم الذي ينتفع به بعد وفاته يرحمه الله، وهذه المجموعة المعنونه بـ (سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) هي جزء من علم شيخنا الجليل يرحمه الله، التي قام بجمعها وإخراجها أخونا الشيخ عبدالسلام بن عبدالله السليمان جزاه الله خيرا، وقد حوت فوائد جليلة يدركها من طالعها وقرأ فيها.

رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه عما قدم خير الجزاء وأوفاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢١/١٠/١٤٢٩هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية.

وهي فوائد وشروح من دروس سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ألقاها عامي (١٣٩٨-١٣٩٩هـ) على كتاب «تيسير العزيز الحميد».

ولِما تميز به هذا الشرح - ولو لم يكتمل - حرصت على إخراجه ضمن السلسلة، لِما اشتمل عليه من الفوائد العلمية، حيث كانت منهجية الشيخ وطريقته في الشرح في تلك السنوات، تتميز بالإسهاب في شرح المسائل وكثرة الاستدلال من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وكذلك العناية التامة برواة الأخبار واستنباط الأحكام من الأدلة.

أسأل الله العلي القدير أن يكتب الأجر والمثوبة لشيخنا ـ رحمه الله ـ وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

ترجمة الشيخ سليمان بن عبد الله

هو الشيخ الحافظ والمحدِّث سليمان بن عبد الله ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ، أخذ العلم عن أبيه عبد الله، وعن الشيخ حسين والشيخ علي، وعن الشيخ حسين بن غنام، والشيخ عبد الله بن فاضل، وله إجازة من الشيخ محمد بن علي الشوكاني العلاّمة المعروف صاحب «نيل الأوطار».

ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠ هـ، وكان بارعاً في الحديث والتفسير والفقه، ويروى عنه أنه كان يقول: أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية، ولا غرابة في هذا فقد كان ـ رحمه الله ـ أحفظ علماء زمانه في الحديث ورجاله، وكان يعد من أكابر الحفاظ، وقد ضرب به المثل في زمانه بالذكاء، وحسن الخط، وقوة الحفظ.

تصدى لشرح كتاب «التوحيد» لجده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ولكنه لم يتمه، وله حاشية على شرحه لهذا الكتاب، وكتاب «الدلائل في حكم موالاة أهل الشرك» حازت على إعجاب طلبة العلم بعد أن تداولوها وحفظوها، ومن كتبه

المشهورة كتاب «أوثق عرى الإيمان»، ورسالة في عدد الجمعة، وله فتاوى كثيرة طبعت ضمن مجموع فتاوى أئمة الدعوة رحمهم الله، وقد استفاد منها أهل العلم وشهدوا له بالجودة والحفظ والذكاء وقوة الفهم، وأخذ عنه العلم الغفير من أهل الدرعية، وبرع من هؤلاء الشيخ محمد بن سلطان وغيره.

وقد كان ـ رحمه الله ـ من أوائل من قاوم الخرافات والعقائد الفاسدة في زمانه، فقد كانت نجد مرتعاً للأفكار التي تتناقض وأصول الدين الصحيحة، ولهذا تصدى ـ رحمه الله ـ لهذه المنكرات، ولم تكن تأخذه في الله لومة لائم، ولا غرابة في أن أكرمه الله بالشهادة، حينما وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا ابن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظةً له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً فمزقوا جسمه، وصعدت روحه إلى باريها بعد حياة بالعطاء والجهاد بالقول والعمل، وذلك في سنة ١٢٣٣هـ، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأجزل له المثوبة والأجر العظيم.

أهمية كتاب «تيسير العزيز الحميد»:

توفرت عدَّة أسباب جعلت هذا الكتاب يلقى صدى من القبول والاهتمام لدى المشتغلين في هذا الباب، ومن ذلك أنه كان أول كتاب يتصدى لشرح كتاب «التوحيد» الذي استوفى مصنفه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بيان جنس العبادة التي ينبغي إخلاصها لله تعالى، وذلك بالتنبيه على بعض أنواعها وبيان ما يضادها من الشرك بالله تعالى في العبادات والإرادات والألفاظ، ولم يُسهب ـ رحمه الله ـ في كتاب «التوحيد» بالتفصيل والبيان، وإنما اكتفى بالآيات القرآنية الكريمة التي ذكرها وما تبعها من الأحاديث والآثار دون التعرُّض لها بالتوضيح والشرح والتفصيل، فاكتفى بالتلويح دون التصريح، فجاء هذا الشرح الذي أجاد فيه الشارح ـ رحمه الله ـ وأفاد من خلال تفصيل مُجمَله، وتوضيح غريبه، وشرح آياته، والتعليق على أحاديثه، وغير ذلك من الفوائد التي ضمنها ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب؛ هذا من جانب.

ومن جانب آخر تبرز قيمة الكتاب من خلال وضوح المنهج

الذي سار عليه الشارح رحمه الله، والذي حذا فيه حذو الشُّرّاح القدماء، وهذا لا ينبغي إلا لمن كان ذا علم غزير، وثقافة واسعة في شتى العلوم المتعلقة بالحديث والتفسير والفقه واللغة، ففي جانب الحديث نراه لا يترك حديثاً إلا وأفاد القارئ بالوقوف على إسناده والكلام على رجاله جرحاً وتعديلاً وقول الحُفّاظ فيه، وذكر تخريجه وسرد طرقه والتعليق على متنه واستنباط الفوائد منه.

وتبرز ثقافته اللغوية ـ رحمه الله ـ من خلال تتبعه لأصول وجذور الكثير من الكلمات الواردة في المتن، لإظهار معناها مع بيان الوجوه الإعرابية التي تحتملها، إلى جانب تعريفها لغةً واصطلاحاً، وهذا من جملة ما جعل الكتاب في متناول الجميع بكافة مستوياتهم.

والأمر نفسه يقال فيما يتعلق بوقوفه على الكثير من الآيات الكريمة التي ساقها المصنف في متن الكتاب، فقلما يترك آية إلا ويتبعها بقول أهل التأويل والتفسير، أو بما فتح الله عليه والتعليق عليه.

ولم يخل شرحُه من أقوال من سبقوه في هذا المجال وخصوصاً

في جانب العقيدة، ولهذا قال رحمه الله: وحيث أطلقت شيخ الإسلام فالمراد به أبوالعباس ابن تيمية، والحافظ فالمراد به ابن حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري» وغيره رحمهما الله تعالى.

ويتلخص من ذلك كله أن شرحه ـ رحمه الله ـ لم يكن بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ، وإنما جاء شرحاً وافياً أبرز فيه من التوضيح والبيان والتفصيل ما يجب أن يطلب منه ويراد، ولهذا لم يغفل ـ رحمه الله ـ بعد شرحه لكثير من الآيات والأحاديث وبيان ما فيهما من الفوائد من تبيين مطابقة الآيات والأحاديث للتراجم التي وضعها المصنف، رحمهما الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصَلَّى الله وسَلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ وآلِه وصَحْبِه أَجمعينَ.

[القول في «بسم الله»]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

۞ وذكر ابنُ القيِّم لحذف العاملِ في «بسم الله» فوائدَ عديدةً:

منها: أنه موطنٌ لا ينبغي أن يتقدَّم فيه سوى ذكرِ الله تعالى، فلو ذكرتَ الفعلَ وهو لا يستغني عن فاعله، كان ذلك مناقضاً للمقصود، فكان في حذفه مُشاكَلةُ اللفظِ للمعنى ليكونَ المبدوءَ به اسمُ الله، كما تقول في الصلاة: اللهُ أكبر، ومعناه: من كلِّ شيءٍ، ولكن لا تقول هذا القدَرَ ليكون اللفظُ مطابقاً لمقصود الجَنانِ، وهو أن لا يكون في القلب إلا ذكرُ الله وحدَه، فكما تجرَّد ذِكرُه في قلب المصلي =

= تجرد ذكره في لسانه(١). [١]

[شرح١] تعبير اختصره الشارع بحذف المفضل عليه كـ: الله أكبر، والمعنى: مِن كل شيء. هذا من باب الأسرار، فالسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن يكون اللفظ محضاً لتكبير الله وتعظيمه، كما تمحض في قلبه الإخلاص له، وتعظيمه عند افتتاح الصلاة، هكذا «بسم الله»؛ فلو قال: أَقرأُ بسم الله، أو آكلُ بسم الله، بدأ بكلمة قبل بسم الله، ثم قال للناسي فيها أن يبدأ بسم الله قبل كل شيء، فلهذا حذف فصار حذفه أقرب حتى تكون «بسم الله» صالحة لكل شيء؛ عند الأكل، عند الشرب، عند الوضوء، نبدأ بالتعظيم.

هذا البحث لابن القيم في كتاب «بدائع الفوائد»، فيه فوائد مثل البستان فيه فوائد جمة في النحو وفي الفقه وفي الحديث، فهو كتاب جيد*.

---

* س: وهل جائز أن يقال: الله أكبر من كذا ومن كذا؟

ج: ليس فيه شيء، وإنما هو إيضاح للمعنى.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» ص١٤.

والطبعة المعتمدة في العزو إليها من «تيسير العزيز الحميد» هي طبعة دار ابن حزم، ط١، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

۞ ومنها: أنَّ الفعلَ إذا حُذِف صَحَّ الابتداءُ بالتسمية في كل عملٍ وقول وحركة، وليس فعلٌ أولى بها من فعلٍ، فكان الحذفُ أعمَّ مِن الذِّكرِ، فأيّ فعلٍ ذكرتَه كان المحذوفُ أعمَّ منه.

[الكلام على لفظ الجلالة «الله»]

«الله» علم على الرب تبارك وتعالى، ذكر سيبويه أنه أعرف المعارف، ويقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤] فأجرَى الأسماءَ الباقية كلَّها صفات له.

واختلفوا هل هو اسمٌ جامدٌ أو مشتق؟ على قولين =

= أصحُّهما أنه مشتق.

قال ابنُ جرير: فإنه على ما رُوِي لنا عن ابن عباس، قال: اللهُ ذو الأُلوهيَّة والعبوديَّة على خلقه أجمعين"(١). [٢]

۞ وذكر سِيبَوَيهِ عن الخليل أنَّ أصلَه «إلـهٌ» مثل فِعَالٍ، فأُدخِلَت الألفُ واللامُ بدلاً من الهمزة"(٢). [٣]

[شرح٢] مشتق لأن له أصلاً في المصادر والأفعال، وليس اسماً جامداً؛ لأن أصله مِن أله يأله إلاهةً، فهو مشتق من الألوهية، والتأله: التعبد، وسمي «الله» لأنه يُعبَد ﷻ ويُؤلَه ويُحَبُّ ويُخضَع له جل وعلا، فكما أن «الرحمن والرحيم» مشتقة فكذلك «الله» مشتق؛ لأن له أصلاً في تصريف الأفعال في لغة العرب، لكنه مختص بالله جل وعلا فلم يسمَّ به غيره سبحانه وتعالى.

[شرح٣] يعني: حذفت الهمزة من الإله، ثم أدغمت لام التعريف في لام الأصل فأصبح الله مشدداً، فالهمزة الأولى سقطت.

---

(١) ص١٥-١٤.

(٢) ص١٥.

۞ قال سيبويهِ: مثل «الناس» أصلُه «أُناس»، وقال الكِسائيُّ والفَرّاءُ: أصلُه «الإله»، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللامَ الأولى في الثانية، وعلى هذا فالصحيحُ أنه مشتقٌّ مِن أَلِهَ الرجل: إذا تَعبَّدَ، كما قرأ ابنُ عباس: «ويَذَرَكَ وإِلاهتَكَ»[1] [الأعراف:١٢٧] أي: عبادتَكَ، وأصلُه الإله، أي: المعبود، فحُذِفَت الهمزةُ التي هي فاء الكلمة، فالتَقَتِ اللامُ التي هي عَينُها مع اللام التي للتعريف، فأُدغِمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدةً مشدَّدةً، وفُخِّمت تعظيماً، فقيل: الله.

قال ابن القيم: القولُ الصحيحُ أن «الله» أصلُه «الإله» كما هو قولُ سيبويه وجمهور أصحابه إلا مَن شَذَّ منهم، وأن اسمَ الله تعالى هو الجامعُ لجميع معاني الأسماء الحُسنَى والصفاتِ العُلَى.

قال: وزعم السُّهَيليُّ وشيخه أبو بكر بن العربيّ: (أنَّ =

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٦)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٢٦٢).

= اسمَ الله غيرُ مشتقٍّ؛ لأن الاشتقاق يَستلزِم مادةً يُشتَقُّ منها، واسمُه تعالى قديمٌ، والقديم لا مادةَ له، فيستحيل الاشتقاقُ). ولا ريب أنه إنْ أُريدَ بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمدٌّ من أصلٍ آخرَ فهو باطلٌ، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق[1] لم يريدوا هذا المعنى، ولا أَ لَـمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دالٌّ على صفةٍ له تعالى، وهي الإلهيَّة، كسائر أسمائه الحسنى[2]. [٤]

[شرح٤] يعني: لا يلزم منها مادة قديمة المعنى أن هذا اللفظ له أصل وأساس في الاشتقاق والعمل وهو الإله، وليس المعنى أنه مسبوق بشيء ﷺ، فالله ليس قبله شيء جل وعلا، لكن المعنى أن هذا اللفظ له أصل في الاشتقاق وأن له معنى وليس بجامد، ولا يلزم من كون أن له معنى أن يكون قبله شيء، فقول السهيلي وشيخه لا وجه له.

فالرحمن ـ مثلاً ـ لا يلزم من كون لفظ الرحمن مشتقاً أن الرحمة =

---

(١) كسيبويه وغيره.

(٢) ص١٥.

....

= سابقة له، وكذلك العزيز مشتق من العِزَّة، فلا يلزم من ذلك أن العزة سابقة لله جلّ وعلا، وهكذا في بقية الأسماء كلها مشتقة فلا يلزم من الاشتقاق أن المادة التي اشتق منها سابقة له، وإنما المعنى أن هذه الأسماء لها معنى في لغة العرب ، ويكون لها أصل في لغة العرب واصطلاح العرب أخذت منه، وهذا ما يسمى الاشتقاق.

فالرحمن في أصل لغة العرب من الرحمة، وكذلك العزيز من العزة، والحكيم من الحكمة، والقدير من القدرة وهكذا، فليس معنى ذلك أن هذه الأسماء لها سوابق، وأنها مسبوقة بأشياء قبل الله ﷻ، ولكنها ألفاظ لها معانٍ، وكذلك الله لفظ له معنى وليس جامداً*.

---

* س: هل يجوز أن يقال: الله قديم؟

ج: نعم، جائز، ولكن ليس هو من الأسماء الحسنى، فالقديم معناه أن الله لم يسبقه شيء ﷻ، ولكن لا يعد من أسماء الله الحسنى؛ لأنه لم يرد فيها.

والقديم قسمان: قديم لا أول له، وهو قدم الله جل وعلا، وقديم له أولية مثل ما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ =

....

= ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] يعني: الذي مضى عليه زمن، والحاصل أن القديم ليس من الأسماء الحسنى؛ لأنه لم يرد في الأسماء الحسنى مثل: الأول والآخر إلى آخر ما ورد من أسمائه ﷻ.

س: هل اسم المحسن ورد؟

ج: كلا لم يرد، نعم هو المحسن سبحانه، ولكن لم يرد في الأسماء الحسنى اسم المحسن.

س: اسم عبد المحسن جائز؟

ج: لا مانع إن شاء الله تعالى، لأن المحسن هو الله سبحانه وتعالى، لكن لم يرد في الأسماء الحسنى فيما نعلم، ولو سمى عبد الرحمن وعبد الله وعبد الرحيم وعبد القدير أولى.

س: ورد في الحديث «إن الله تعالى محسن فأحسنوا»[(١)]؟

ج: لا نعرف مدى صحته.

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦/ ٤٢٦) من حديث سمرة.

۞ كالعَلِيم، والقَدِير، والغَفُور، والرَّحِيم، والسَّميع، والبَصِير، فإن هذه الأسماءَ مشتقَّة مِن مصادرِها بلا رَيْب، وهي قديمةٌ، والقديم لا مادةَ له، فما كان جوابُكم عن هذه الأسماء فهو جوابُ القائلينَ باشتقاق اسم الله تعالى.

ثم الجوابُ عن الجميع: أنّا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها مُلاقيةٌ لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولِّدةٌ منه تَوَلُّدَ الفرعِ من أصلِه[1]. [٥]

[شرح٥] نعم، ليس المعنى أنها متولدة تولد الفرع من أصله، كالدجاجة من البيضة، أو العَنَاق مِن العَنز، أو الحَمَل من الشاة وما أشبه ذلك، لا، بل هذه أشياء تتلاقى مع مصادرها، يعني: أن لها معاني مأخوذة من لغة العرب، وليس بالضرورة أن تكون فرعاً له أصل هو سابق له.

---

(١) ص١٥.

۞ وتسميةُ النُّحاة للمصدر والمشتقِّ منه: أصلاً وفرعاً، ليس معناه أن أحدَهما تَوَلَّد مِن الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدَهما يتضمَّن الآخر وزيادةً.

وذكر ابن القيِّم لهذا الاسم الشريف عَشرَ خصائصَ لفظيةٍ، ثم قال: وأمّا خصائصُه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به ﷺ: «لا أُحصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ»[1].

وكيف تُحصَى خصائصُ اسمٍ مُسمّاهُ كلُّ كمالٍ على الإطلاق، وكلُّ مدحٍ، وكلُّ حمدٍ، وكلُّ ثناءٍ، وكلُّ مجدٍ، وكلُّ جلالٍ، وكلُّ إكرامٍ، وكلُّ عزٍ، وكلُّ جمالٍ، وكلُّ خيرٍ، وإحسانٍ وجودٍ وبرٍّ وفضلٍ، فلَهُ ومنه، فما ذُكر هذا الاسم في قليل إلا كَثّرَه، ولا عندَ خوفٍ إلا أزاله، ولا عند كَرب إلا كشفَه، ولا عند هَمٍّ وغَمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلَّق به ضعيفٌ إلا أفاده القوةَ، ولا ذليلٌ إلا =

---

(١) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٨٦).

= أنالَه العِزَّ، ولا فقيرٌ إلا أصارَه غنيّاً[1]. [٦]

[شرح٦] هذا في الجملة مراده مع مراعاة ما شرع الله في هذه الأمور، من الخضوع لله، والذل له، والاعتصام به، والإيمان به، فهذه التي أشار إليها المؤلف لا تكون إلا مع مراعاة قيودها وشروطها، أما من ذكر اسم الله مع إعراضه عنه، وإعراضه عن القيام بحقه فلا تفيده، ولا يتحصل له فوائدها، وإنما هذه الفوائد لمن تعلَّق بالله وآمن به وأخلص له، فتحصل له فوائد عظيمة، أمن وعز وسؤدد وخير كثير، وتفريج هَمٍّ إلى غير ذلك، وأما من كان حظّه من ذلك مجرد كلام مع إعراض القلب، وغفلة القلب وقسوته وتلطخه بالسيئات، فهو كثيراً ما تفوته هذه الفوائد لعدم الاستقامة على الطريق السوي.

---

(١) ص١٥-١٦.

ﷺ ولا مستوحشٌ إلا آنسَه، ولا مغلوبٌ إلا أَيَّدَه ونصرَه، ولا مضطرٌّ إلا كشف ضُرَّه، ولا شريدٌ إلا آواه، فهو الاسم الذي تُكشَفُ به الكُرُبات، وتُستَنزَل به البركاتُ والدعوات، وتُقال به العَثراتُ، وتُستَدفع به السيئاتُ، وتُستَجلب به الحسناتُ.

وهو الاسمُ الذي به قامت السماواتُ والأرضُ، وبه أُنزِلت الكُتُب، وبه أُرسِلت الرسلُ، وبه شُرِعت الشرائعُ، وبه قامت الحدود، وبه شُرِعَ الجهاد، وبه انقسمت الخليقةُ إلى السعداء والأشقياء، وبه حَقَّتِ الحَاقَّةُ ووَقَعَت الواقِعَةُ، وبه وُضِعت الموازينُ القِسطُ، ونُصِب الصراطُ، وقام سوقُ الجنَّة والنار.

وبه عُبِد ربُّ العالمين وحُمِد، وبحقِّه بُعِثت الرسُل، وعنه السؤالُ في القبر، ويومَ البعث والنُّشور، وبه الخصامُ، وإليه المحاكمةُ، وبه المُوالاةُ والمعاداة، وبه سَعِدَ مَن عَرَفه وقام بحقِّه، وبه شَقِي مَن جهله وترك حقَّه، فهو سِرُّ الخَلقِ والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق والأمر به وإليه =

= ولأجله، فما وُجِد خَلقٌ ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مُبتدِئاً منه، منتهياً إليه، وذلك موجبُه ومقتضاه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] إلى آخر كلامه ﷺ.

[القول في «الرحمن الرحيم»]

«الرحمن الرحيم» قال ابن كثير: اسمانِ مشتقانِ من الرَّحمة على وجه المبالغة، و«رحمان» أشدُّ مبالغةً من «رحيم».

قال ابن عباس: وهما اسمانِ رقيقانِ أحدهما أرقُّ مِن الآخر؛ أي: أوسعُ رحمةً. وقال ابن المبارك: «الرحمن» إذا سُئل أَعطى، و«الرحيم» إذا لم يُسأَل يغضب.

قلت: كأن فيه إشارةً إلى معنى كلامِ ابن عباس، لأن رحمتَه تعالى تَغلِب غضبَه، وعلى هذا فالرحمن أوسعُ معنًى من الرحيم، كما يدل عليه زيادةُ البناء(١). [٧]

[شرح٧] منها «الرحمن» أوسع من «الرحيم»، فيه جواب آخر: أن =

---

(١) ص١٦.

....

= الرحمن يعمّ الخلق، والرحيم وصف خاصّ بتعلقه بمن آمن، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] فهو له تعلق بالمرحومين.

أما الرحمن فهو وصف عامّ لما يتعلق بالذات، وهذا هو معنى وصفه ﷻ بالرحمة العامة الرحمن، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، والرحيم له تعلق بالعباد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

فهو يشير بالصفة الثابتة المتعدية للمخلوقين منه ﷻ، بخلاف الرحمن أنه وصف ثابت قائم به جل وعلا، ووصف له لا يزال رحمن ﷻ في الدنيا والآخرة، وبرحمته قام الخلق من كافر ومسلم، وجرت الأرزاق، وحصلت الصحة إلى غير هذا، فكل خلقه برحمته ﷻ كافرهم ومسلمهم وحيوانهم، بخلاف الرحمة الخاصة التي خص الله بها أهل الإيمان وأهل التقوى فإنها من فضله وجوده الخاص. =

....

= ورحمته الخاصة قال فيها: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] غير العامة التي دل عليها معنى الرحمن، ودل عليها قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، والله أعلم.

۞ وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: «الرحمن» اسم عامٌّ في جميع أنواع الرحمةِ يختصُّ به الله تعالى، و«الرحيم» إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ونحوه(١). [٨]

[شرح٨] المعنى: أن حظهم وغيره من الرحمة أكمل؛ لأنهم شاركوا الناس في عموم النعم والصحة والأرزاق وغير ذلك، وزادوا عليهم أنه تفضل عليهم بالتوفيق والهداية لقبول ما جاء به الأنبياء، فصار حظهم من هذه الرحمة أكثر، وإلا فقد قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

لكن الناس لهم عموم الرحمة والرأفة، وأهل الإيمان لهم خصوصها، فقد وُفِّقوا لقَبول ما جاءت به رسله، ووفقوا لامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، فصار حظ المؤمن من هذه الرحمة أكثر وأبلغ وأكمل من حظ الناس وحظ الدواب.

---

(١) ص١٦.

۞ قال بعض السلف: ويُشكِل عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقولُه ﷺ في الحديث: «رحمن الدُّنيا والآخرةِ ورحيمهما»[١]. [٢] [٩]

[شرح٩] هذا الحديث فيه نظر، لا نعرف له صحة، فلينظر من خرجه وعلق عليه، ما أعرف له سنداً معروفاً، ولكن ينظر.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥١)، وانظر «الترغيب والترهيب» الأحاديث (٢٧١٦) و(٢٧١٧) و(٢٧١٨)، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار ابن كثير.

(٢) ص١٦.

❁ فالصوابُ ـ إن شاء الله تعالى ـ ما قاله ابنُ القيِّم: إن «الرحمن» دالٌّ على الصِّفة القائمة فيه سبحانه، و«الرحيم» دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فكان الأولُ للوصفِ، والثاني للفعلِ، فالأولُ دالٌّ على أن الرحمةَ صفتُه، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقَه برحمته.

وإذا أردتَ فَهمَ هذا فتأمَّل قولَه تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجئ قط: رحمنٌ بهم، فعُلِم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة، و«رحيم» هو الراحمُ برحمته، والرحمن الرحيم: نعتانِ لله تعالى، واعترِض بورود اسمِ الرحمنِ غيرِ تابعٍ لاسمٍ قبلَه قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فهو عَلَم، فكيف يُنعَت به؟»[1]. [١٠]

[شرح١٠] يعني: ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقد جاء لفظ الرحمن غير نعت، أو غير تابع للفظ الجلالة الله، ولا =

---

(١) ص١٦-١٧.

....

= منافاة، لأن هذا الوصف يأتي مستقلاً ويأتي تابعاً، كالعزيز والحكيم والرؤوف، فكونه جاء مستقلاً لا ينافي كونه تابعاً في آية أخرى.

الرحمن علم على الله جل وعلا، والرحيم كذلك، والعزيز والقدوس والسلام، فكل هذه أسماء لله، ومع هذا تأتي تابعة لأسماء أخرى؛ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] إلى آخر الأسماء.

۞ والجوابُ ما قاله ابنُ القيِّم: إنَّ أسماءَ الرَّبِّ تعالى هي أسماء ونعوتٌ، فإنها دالَّةٌ على صفات كمالِه، فلا تَنافيَ فيها بين العَلَمِيَّة والوَصفِيَّة، فـ «الرحمن» اسمه تعالى، ووصفُه تعالى لا ينافي اسميَّتَه، فمن حيث هو صفةٌ جرى تابعاً لاسم الله تعالى، ومن حيث هو اسمٌ وَرَد في القرآن غيرُ تابعٍ، بل ورود الاسمِ العلمِ.

ولما كان هذا الاسم مختصّاً به سبحانه حَسُنَ مجيئُه مفرداً غير تابعٍ كمجيء اسمِ الله، وهذا لا ينافي دلالتَه على صفةِ الرحمةِ كاسمِ الله، فإنه دالٌّ على صفة الأُلوهِيَّة، فلم يجئ قطُّ تابعاً لغيره، بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردةً بل تابعةً.

قلتُ: قولُه عن اسم الله: «ولم يجئْ قطُّ تابعاً لغيره» بل لقد جاءَ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم:١-٢] =

= على قراءة الجرِّ، وجواب ذلك من كلامه المتقدم، فيقال فيه ما قالَه في اسم الرحمن[1]. [١١]

[شرح١١] يعني: جاء هنا تابعاً لأنه وصف مشتق: «الله الذي...» والغالب أن يأتي مستقلاً، والأسماء كلها تابعة له، أعني للفظ الجلالة، وغالب النصوص أنه يأتي مستقلاً، ويأتي ما سواه تابعاً له من أسماء الله، وجاء في هذه السورة تابعاً لأنه مشتق وصف لله بالألوهية ﷻ.

***

---

(١) ص١٧.

۞ القسم الثالث: الشِّرك في توحيد الإلهيَّة والعبادة، قال القرطبيُّ: أصلُ الشِّركِ المُحرَّم اعتقادُ شريكٍ لله تعالى في الإلهيَّة، وهو الشركُ الأعظمُ، وهو شركُ الجاهلية، ويليه في الرُّتبة اعتقادُ شريكٍ لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجوداً ما غير الله تعالى يستقلُّ بإحداثِ فعلٍ وإيجادِه وإن لم يعتقد كونَه إلهاً. هذا كلام القرطبي.

وهو نوعان: أحدُهما: أن يجعل لله نِدّاً يدعوه كما يدعو الله، ويسألُه الشفاعةَ كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبُّه كما يحبُّ الله، ويخشاه كما يخشَى الله، وبالجملة فهو أن يجعل لله نِدًّا يَعبُدُه كما يعبُد الله، وهذا هو الشِّرك الأكبر، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦][1]. [١٢]

[شرح١٢] قوله: (كما يعبد الله) المقصود أنه يفعل العبادة كما يفعلها =

---

(١) ص١٦.

....

= لله عن خضوع، وعن ذل، وعن اعتقاد أن هذا العمل ينفعه، وأنه يؤثر، وما سمعنا أنه يعتقد في الولي مثل ما يعتقد في الله، فليس هذا هو المراد.

المراد الذي يعمل هذه الأشياء كما يفعلها مع الله بنية خضوعه وإيمانه بأن هذا الشيء يفيده وينفعه وما أشبه ذلك، ليس المراد أن العابد يكون في عبادته للمخلوق مثل ما يعتقد في الله، فإن المشركين ما قصدوا هذا، فالمشركون عبدوا المخلوقات ولكن ما قصدوا أنها مخلوقات مثل الله، بل قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفى، فليس مراد الشارع أن العابد لغير الله يكون باتخاذه معتقداً فيه مثل ما يعتقده في الله، بل مراده أن تُؤدَّى هذه العبادة على الوجه الذي يؤديها لله من خضوع، ومن ذل واستكانة وتأثر لهذا الشيء، لأنه لا يجعله على وجه الأفعال الحسية، وأما ما يفعله على وجه الأسباب الحسية كأن يقول: يا زيد ساعدني على هذا، يا أخي عاوني على عمارة بيتي، أو على إصلاح مزرعتي أو سيارتي لا يفعله على وجه العبادة والخضوع والذل ونحو ذلك من التقرب، وإنما يفعله على وجه العادة، أو على وجه الأسباب الحسية =

....

= من باب التعاون بين الناس في هذه الأشياء.

فهذا بخلاف الذي يأتي الصنم أو عند الولي ويدعوه، فإنه يدعوه دعاء عبادة، ودعاء خضوع وتأثر في قلبه، واعتقاد أن هذا الولي له شأن، وأن هذا الدعاء يؤثر في حال الداعي، ويكسبه فوائد من هذا الولي، فيشفع له عند الله، أويقربه عند الله، أو يشفي مريضه، أو يكون سبباً لصلاح مزرعته، وما أشبه ذلك.

فينبغي أن نفهم هذا، ولا يجوز أن يقال: إنهم يفعلون ذلك عن اعتقاد بأن هذا المدعو معبود من دون الله*.

---

* س: قول الله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] هل يدخل في هذا؟

ج: ليست داخلة في هذا، فالمقصود أنه يحبه كما يحب الله في ذله له وخضوعه له، واعتقاده فيه أنه ينفعه في شفاء المريض، أو قضاء الحاجة، أو رد الغائب أو ما أشبه ذلك، وليس معناه أنه يحبه كما يحب الله معتقداً أنه يخلق كما يخلق الله، ويرزق كما يرزق الله، لا، ولكن فيه جنس خضوع وذل واستفادة من هذه العبادة.

ولو أنه عبده على أنه شفيع عند الله، فإن هذا يكون كفراً وإن كان لا =

....

= يعتقد أنه لا يتصرف في كون أو أنه يرزق أو يخلق أو ما أشبه ذلك.

وهذا بخلاف الأسباب الحسية؛ فليست داخلة في هذا المعنى، ومن هذا قول الله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥] فهذه استغاثة مخلوق بمخلوق، وهي من باب الأسباب الحسية؛ لأن موسى قوي يستطيع أن ينتقم من هذا القبطي، وهذا هو وجه الفرق، كذلك إذا استغاث بفلان أن يمنعه من عبيده، أو يمنعه من خدمه الآخرين، أو يمنعه من زوجته إن آذته، أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من الأمور الحسية، وليس لها تعلق بالعبادة.

س: سؤال غير مسموع.

ج: هذا من الخوف الطبيعي الحسي، وليس بداخل في خوف السر، فالخوف الطبيعي الحسي مثل أن يستشعر أن هناك لصوصاً فيحرص على وضع الحرس، أو إغلاق الأبواب أو ما أشبه ذلك، ومثل أن يهم بفاحشة بامرأة فيستشعر أن لها أقارب في البيت، أو لها ولياً في البيت، أو حولها جيراناً يراقبونه فيحذر- هذه كلها أسباب حسية.

ومن هذا القبيل ما ذكره الله جل وعلا عن موسى ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١] خرج من مصر خائفاً يترقب، فهذا خوف طبيعي، يخاف عَسَس فرعون وجنوده ومراقبيه الذين يتبعون المجرمين وما أشبه ذلك. =

....

= والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف السر.

النوع الثاني: الخوف الذي يحمل على فعل محرم أو ترك واجب.

النوع الثالث: الخوف الطبيعي أو الحسي الذي لا يحمل على ترك واجب أو فعل محرم.

فالأول شرك، والثاني معصية، والثالث جائز، فخوف السر شرك بالله، والخوف الذي يحمل على ترك واجب أو فعل محرم، معصية، والخوف الذي لا يحمل على شيء من ذلك وهو الخوف الطبيعي كاتقاء الحر والبرد والحيات والسباع، والظلمة والسُّرّاق وأخذ الأسباب لذلك، فهذا خوف لا بأس به ولا حرج فيه، بل قد يؤجر عليه إذا كان له نية صالحة.

فالخوف الطبيعي والحسي غير الخوف السري الذي يعتقد صاحبه أن هذا الولي يؤثر فيه، (شاور به) على ما يقولون، يعني: أن عنده شيئاً من المغيَّبات حتى إنه ليعلم عدوه من صديقه في سره.

س: هل يفضي هذا الخوف الحسي إلى ثواب أو عقاب؟

ج: لا؛ لا يفضي إلى شيء، فالخوف الحسي لا حرج فيه، فالإنسان مأمور أن يتقي الشرور، ولكن قد يفضي إلى ثواب أو عقاب إذا حمله خوفه الحسي على ترك الواجبات وفعل المحرمات، وإذا حمله الخوف الحسي على =

....

= أداء ما أوجب الله عليه وعلى صيانة محارمه فقد يثاب على هذا الشيء؛ لأنه مأجور في صيانة محارمه، وفي حفظ أولاده، وفي حفظ ما أنعم الله به عليه، حتى يستعين به على طاعة الله، فيثاب عليه وإن كان خوفاً حسياً.

فهو مأمور ـ مثلاً ـ بأن يتقي المهالك ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] فإذا اتقى الأسد أو الذئب أو الحية أو العقرب، وأخذ بأسباب الوقاية طاعة لله بنية صالحة أُجِر على ذلك.

س: وردت هذه الآية ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ في آيات الإنفاق خاصة أم يصح الاستدلال بها عامة؟

ج: العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، نعم هي نزلت في الأنصار لما أرادوا أن يجلسوا في حروثهم حتى لا تضيع، ويتركوا الجهاد؛ لأن المسلمين كانوا قد كثروا والجهاد قد اتسع، فأنزل الله ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فذكر أن التهلكة هي أن يَدَعُوا الجهاد، ويجلسوا في المزارع(١)، ولكن عند العلماء قاعدة أن الاعتبار في النصوص بعموم ألفاظها لا بخصوص أسبابها، فإذا جاء النص في سبب من الأسباب فالعبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه.

فهذا عامّ، فليس لك أن تلقي بنفسك من الجبل وتقول: إذا كان مقدراً =

---

(١) انظر: الترمذي: تفسير القرآن (٢٩٧٢)، وأبو داود: الجهاد (٢٥١٢).

....

= لي أن أموت فسوف أموت، أو تلقي نفسك في بئر، أو تذبح نفسك بسكين، أو تأكل السم؛ لأنه معروف أن هذا يضر بك، وهذا مأخوذ من عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩].

س: هل يدخل في هذا الذي يشرب الدخان؟

ج: نعم؛ فالذي يشرب الدخان يلقي بيده إلى التهلكة، لا سيما إذا أكثر منه فإن التهلكة تكون أكثر، وقد أجمع الأطباء، وأجمع العارفون به أنه من أعظم المواد المضرة بالإنسان وبصحته، وذكر الأطباء أخيراً أنه يفضي إلى أمراض متعددة منها السرطان، نعوذ بالله منه، نسأل الله السلامة.

س: هل يدخل في الإلقاء إلى التهلكة من يقود السيارة بسرعة فيصدم أحداً؟

ج: هذا ليس ظالماً لنفسه فقط، بل هو مجرم وظالم، فإذا أسرع السرعة التي يخشى منها، أو تساهل في السير بالتحدث مع أصحابه وما يبالي، أو يقود وفيه شيء من النوم، كل هذا لا يجوز، بل يجب عليه أن يحذر من هذه الأشياء؛ لأنه لا يضر نفسه فقط ولكن يضر الناس أيضاً، ولا شك أن هذا من قبيل التهلكة، ومن الظلم للناس، ومن العدوان عليهم، فقد جمع بين أسباب الظلم وبين إلقاء نفسه في التهلكة. نسأل الله العافية. =

....

= س: سؤال عن الشرك.

ج: لا، شرك عام، عبادة الأصنام والأوثان والأشخاص ما هو خاص، المشركون عبدوا الأصنام، وعبدوا غير الأصنام، لا، هذه أقوال بعض المشركين، الشرك في الأصنام وغير الأصنام، قد عبدوا غير الأصنام، عبدوا الأشجار، ولا تسمى أصناماً وقد عبدوا أحجاراً، وهي ليست بصنم، الصنم منحوت على صورة تسمى صنم، فهم عبدوها وعبدوا غيرها، عبدوا العزى وليست صنماً، عبدوا اللات وليست صنماً، وإنما هي حجر منقوش، وعبدوا مناة وهي حجر فقط، وعبدوا أشياء كثيرة غير الأصنام، وعبدوا الكواكب وعبدوا غيرها.

س: ما حكم من يسافر إلى بلاد الكفار لدعوتهم؟

ج: النبي ﷺ اكتفى بمراسلة رؤسائهم، وهم يسمعون كل شيء في الإذاعة ولا يدعون شيئاً، هذه سياستهم يعرفون ما في الشرق الأوسط والشرق الأقصى.

ثم إن السفر إليهم خطر على المسلم، والرسول ﷺ لم يأمر الصحابة أن يسافروا إلى بلادهم أو يدخلوا ويتجولوا فيها، وإنما كتب إلى رؤسائهم؛ لأن الأمم تابعة للرؤساء، ثم أمر بالجهاد، فالجهاد هو الواجب، فيجاهد الناس أولاً ثم يبلغهم عند الجهاد، عسى الله أن يكتب لنا الجهاد. =

....

= س: ولكن هم يعتقدون أن الإسلام الآن أتاهم مشوهاً، حتى إنهم يأتون إلى السعودية فيرون ما يرون من كثرة المخالفين للإسلام فيقولون: الإسلام ما نفع أهله فكيف ينفعنا؟

ج: الإسلام لا يؤخذ من نفس أهله، وإنما يؤخذ من الأدلة التي تقام من كتاب الله الذي أنزل لعباده وسنة الرسول ﷺ وطريقته ومن أصحابه الذين حملوا سنته، فكم لله من داعية يخالف قوله فعله وفعله قوله، ولكن الراغب في الحق يسأل عما جاء به النبي ﷺ وعما بعث الله به رسوله، وعن الكتاب المنزل، ويتفقه في اللغة، ويتعلم ويصير حريصاً، ويسأل أهله عما يجهل.

ثم يجب على الدعاة أنفسهم أن يبذلوا وسعهم، ويجب عليهم أن يطبقوا أقوالهم وأعمالهم على ضوء الكتاب والسنة، وأن تكون أقوالهم لا تخالف أفعالهم، وأفعالهم لا تخالف أقوالهم؛ حتى يكونوا دعاة بالفعل والقول جميعاً، هذا هو الواجب عليهم، ولكن عدم قيامهم به لا يدل على أنه ليس بواجب، فعدم القيام نقص فيهم ويخشى عليهم من معرته وتبعته.

ثم أمر آخر ينبغي أن يعلم، أنه ليس من شرط الداعي أن يكون كاملاً في كل شيء، وإنما الواجب أن يبذل وسعه، وأن يجتهد في أن يكمل نفسه وأن يستقيم، ولكن ليس من شرطه ذلك، بل يجب على كل أحد أن =

....

= يدعوَ الله حسب علمه وطاقته وبصيرته وإن كان عنده نقص.

س: هل يجوز شرعاً إرسال أشخاص للدعوة إلى الله وهم تاركون للجانب العملي من الإسلام؟

ج: الواجب عند إرسال الدعاة أن يختار باعثهم الأخيار الذين يدعون إلى الله بأفعالهم وأقوالهم، ولا يكون سُبَّةً للمسلمين، بل يختار من الدعاة مهما أمكن الأخيار في أقوالهم وأفعالهم وعلمهم وسيرتهم، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فإذا لم يتيسر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فبعث الدعاة وإن كان فيهم نقص خير من عدم بعث الدعاة؛ لأنهم يرسلون إلى أناس فيهم الشر الكثير والبلاء العظيم، ولكن إذا تيسر أن يختار فلا شك أنه يختار الأخيار الذين هم دعاة بأقوالهم وأفعالهم، والله يكثرهم ويجعلنا منهم.

۞ وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨][١]. [١٣]

[شرح١٣] هذا يبين لنا فائدة عظيمة جداً جداً جداً؛ لأن بعض المشركين يشبهون، إذا قيل له: لماذا تدعو البدوي أو تدعو الحسين أو النبي ﷺ أو عبد القادر الجيلاني يقول: أنا لا أعتقد أنهم ينفعوني أو يضروني. يا سبحان الله! لقد قال قبلك المشركون مثل قولك؛ قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

فالذين قبلك مثل أبي جهل وأشباهه قصدوا أن هذه الآلهة تشفع لهم، فيحصل لهم مقصودهم من شفاء مريض، أو نصر على عدو أو ما أشبه ذلك، فأنت مثلهم؛ فإذا دعوت البدوي أو دعوت الحسين أو النبي محمداً ﷺ أو عبد القادر الجيلاني أو فلاناً أو فلاناً أو ابن عَلْوان أو الهادي أو المهدي، فقد أشركت بالله، وإن كنت لا =

---

(١) ص٢٦-٢٧.

....

= تعتقد أن الهادي أو البدوي أو الحسين يصرفون الكون، فالمشركون لم يقصدوا هذا.

بل نفس اعتقادك أن هذه الدعوة تنفعك، وأنه يشفع لك عند الله حتى تجاب دعوتك، وحتى يشفى مريضك، وحتى تسلم زراعتك، وحتى تسلم حيواناتك، فهذا كاف للقول بالشرك، فقصدك كقصد المشركين الأولين.

فالأولون لم يقصدوا أن آلهتهم تنفعهم من دون الله، أو تضرهم من دون الله، أو أنها تصرف الكون ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] فالمقصود أنهم معترفون بأن الله هو الضار النافع، المعطي المانع، القادر على كل شيء، ولكنهم يزعمون أن آلهتهم تشفع وتقرب فقط، هذا هو قصد أولئك، وهذا قصد المتأخرين.

بل زاد بعض المتأخرين شرّاً آخر، فظنوا أن آلهتهم تصرِّف الكون، حتى حكوا عن بعض المصريين أنهم يقولون: لا تخرج ذرة من مصر ولا تدخل ذرة في مصر إلا والبدوي يعلم ذلك، وذُكِر =

....

= عنهم أنه قِيل لبعضهم: ألا تدعو الله؟ قال: لا، الولي أعجل. يعني: أسرع إجابة، أي: أن ما عند الله يبطئ، أما هذا فأسرع، فندعو الأولياء لأنهم أسرع إجابة.

هكذا تلعب بهم الجن والشياطين، فقد يدعو أحدهم الله ولا يحصل له مطلوبه، وقد يدعو الولي فتقضيه الشياطين له، يطلب من الولي كذا وكذا فتأتي الشياطين له بمطلوبه، فيقع في الشرك والعياذ بالله*.

*** س: هل ندعو هؤلاء على أنهم مسلمون الإسلام الصادق أم ندعوهم على أنهم مشركون؟**

ج: تدعوهم على أن عملهم هذا شرك، وأن الواجب عليهم انتقالهم من العمى إلى توحيد الله، ويبين لهم أن هذه الأعمال شركية، وأن هذا كفر وضلال، والواجب على الداعية وعلى العلماء أن يوضحوا لهم ولا يحابوهم، فعليهم أن يوضحوا لهم أن هذا نفسه شرك صريح، وأن هذا فعل الجاهلية الأولى.

وأما الحكم على شخص معين فلان بن فلان أنه مشرك فهذا محل بحث عند العلماء، هل تبينت الحجة له؟ وهل بلغته أم لا؟ وهل شبه عليه؟ وهذا =

....

= بحث آخر، ولكن نفس أعمالهم شرك بلا شك.

س: وإذا حاول أحد أن يدعوهم فقالوا له: أنت وهابي، وأنت كذا وكذا.

ج: يكون قد أدى ما عليه والحمد لله، والرسول نفسه ﷺ بلغهم فقالوا له: أنت صابئ، وأنت شاعر، وأنت مجنون، ما ضره ﷺ.

س: قضية العذر بالجهل بالنسبة للحلال والحرام وبالنسبة للعقيدة، إذا ارتكب إنسان محرماً وهو لا يدري، لم يبلغه النهي أو الحديث وما إلى ذلك، وكان مستحلاً له، فما حكمه؟

ج: إذا كان مثله من عامة الناس يجهل يبلغ ولا يأثم بذلك، لكن يخشى عليه من جهة تساهله وعدم العناية بالسؤال، النبي ﷺ لما جاءه الرجل الذي لبس جبة وقد أحرم بعمرة لم يجبه حتى أوحى الله إليه، ثم قال له: «انزع الجُبَّةَ، واغسِل أثرَ الخَلُوق، واصنَع في عُمرَتِك كما تصنَع في حَجَّتِكَ»[1]، ولم يقل: عليك كذا وعليك كذا؛ لأنه جاهل، كذلك الذي صلى وعجل في الصلاة وقال له النبي ﷺ: «ارجِعْ فصَلِّ، فإنَّك لم تُصَلِّ»[2]، فعلها ثلاث مرات، وأعادها النبي ﷺ ثلاث مرات، ثم علَّمه ولم يأمره بإعادة الصلوات الماضية، في الأوقات الأخرى السابقة، بل أقره، ترك ذلك =

(١) أخرجه البخاري: العمرة (١٧٨٩)، ومسلم: الحج (١١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري: الأذان (٧٥٧)، ومسلم: الصلاة (٣٩٧).

= لأجل جهله.

فالحاصل أن الإنسان الذي جهل الحكم الشرعي لا يؤخذ بالماضي، ولكن يُعَلَّم في الوقت الحاضر ويؤمر وينهى ويرشد وينصح، فإذا كان بين المسلمين وبين أهل العلم ثم لا يسأل، فهو مؤاخذ بجريمته وعدم سؤاله وعدم عنايته بهذا الشيء الواجب عليه، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقد بعث الرسول، وأنت بين أهل العلم، وأنت بين أهل كتاب الله، فعليك أن تسأل.

ولكن إذا كان هناك مثله من الجهلة الأغبياء أو العامة الذين لا يحسنون فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن مثل هذه الأمور لا بد من تبليغه إياها إذا لم تكن من الأمور الظاهرة، وأما إذا كانت من الأمور الظاهرة؛ مثل الزنى، أو الخمر، أو ظلم الناس، أو العدوان عليهم في أموالهم، أو غير ذلك مما لا يخفى أنه محرم، فهذا ما لا يعذر به الجهلة؛ لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة، يعرفه العامي وغير العامي.

ولكن الأمور الدقيقة التي قد تخفى على العامي ينبغي ألا يؤاخذ بها حتى تقام عليه الحجة ويبلغ؛ مثل بعض مسائل الحج، وبعض مسائل الصيام التي قد تخفى على العامي.

س: ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يشربون الخمر.

ج: شرب بعضهم اعتقاداً منهم أنه يحل لمن استقام على دين الله واستقام =

....

= على الإيمان، ولكن استتابهم الصحابة واستتابهم عمر، وقالوا في حقهم: إن أقروا به أقيم عليهم الحد، وإن جحدوا تحريمه كفروا، فاعترفوا بعد ذلك، وعرفوا أنهم مخطئون فتابوا وتاب الله جل وعلا عليهم ، فقد تأولوا قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا﴾ [المائدة:٩٣].

فظنوا أنهم إذا اتقوا وآمنوا لم يكن عليهم حرج، ولا يمكن تقوى مع الخمر، فمن التقوى ترك الخمر، ومن التقوى ترك المعاصي، فلا يكون حرج على من اتقى الله إذا أخطأ في شيء أو جهل شيئاً قد يخفى على مثله.

وأما الأمور الظاهرة التي قد أبان الله حكمها فلا عذر لأحد في تعاطيها؛ كالزنى، والخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وأكل الربا، والغيبة والنميمة، وما أشبه ذلك من الأمور الظاهرة.

وأعظم من ذلك الشرك بالله؛ فإن الله فطر العباد على إنكاره، فلقد جاءت الآيات والنصوص بإنكاره؛ فلهذا ذهب جمع من أهل العلم إلى أنه لا عذر لأحد في الوقوع في الشرك، ولا يسمع قوله: إنه جاهل؛ لأن الله أوضح في كتابه العظيم وسنة نبيه الكريم أمر الشرك.

فهذا الجاهل إنما أُتي من جهة إعراضه، ومن جهة عدم سؤاله، ومن عدم تقصيه الحق، فهو قد ابتلي؛ فلهذا يحكم بكفره وشركه ولو زعم أنه جاهل؛ لأن هذه أمور معلومة من الدين بالضرورة، وقال آخرون: بل يعذر =

....

= بالجهالة في عدم تكفيره بعينه فلان بن فلان حتى تقام عليه الحجة، فيقال: عملك كفر، أو دعوتك البدوي كفر وضلال وشرك، ولكي نحكم عليه بالردة لا بد أن نبلغه هذا الشيء، فإن أصر وجب قتله مرتداً، وإن رجع إلى الحق فالحمد لله، ولكن اسم عمله كفر وشرك.

فسواء دعا البدوي أو الحسين أو المرسي أو فلاناً أو فلاناً كان هذا ولا شك كفر وضلال، أما أنت بنفسك يا فلان ابن فلان، يا زيد بن عمرو أو عمرو بن زيد، يا فلان بن فلان أنت كافر، فلا بد أن نقيم عليه الحجة ونبين له: قال الله كذا، قال الرسول كذا، حتى يفهم أن عمله هذا شرك، فإذا أصر ولم يستجب إلى الدعوة، ولم يتب حينئذ نحكم عليه بالردة والقتل.

س: هل بالنسبة للحلال والحرام يعذر بالجهل؟

ج: الأمر على إطلاقه في الحلال والحرام، ولأنه هناك من الأمور الدقيقة التي قد تخفى على من بين المسلمين، أما الذين في الغابات البعيدة والمحلات البعيدة والمجاهل التي لا يصل إليها القرآن ولا السنة فهذا يعتبر من أهل الفترة، فإذا كان في محل لا يبلغه الإسلام فهؤلاء لهم شأن أهل الفترات فيعاملون يوم القيامة معاملة أهل الفترة.

وأما المسلم بين المسلمين فلا، بل يؤخذ بالأمور الظاهرة ولا يعذر، فلو زنى وقال: ما أدري أن الزنى حرام، لا يسمع، بل يقام عليه الحد؛ لأن هذا أمر لا يخفى على المسلمين، وهكذا إذا شرب الخمر أو المسكر فلا يخفى =

....

= على المسلمين، كذلك إذا ضرب إنساناً يُقاد له منه حتى وإن قال مثلاً: ضربته وأحسب ضربه جائز لي.

وكذلك إذا قتله يقام عليه القصاص والدية، ولا يعذر بقوله: إني جاهل، ففي الأمور الظاهرة لا يعذر فيها بالجهالة، وأما الأمور الخفية فقد يعذر في بعضها بالجهالة، وهي محل اجتهاد للقاضي وولي الأمر.

س: إذا تعارض فعل سنة مع أمر الوالدين بتركها، فماذا يفعل وطاعة الوالدين واجبة وهذه سنة؟

ج: إذا كان لهم مصلحة في ذلك تترك السنة، فإذا كان لهم مصلحة كأن تدون لهم بعض الأشياء، أو تعينهم على إعاشتهم، أو أن يكون أحدهما مستوحشاً ويريد أن تجلس عنده تؤنس وحشته وما أشبه ذلك.

يقول شيخ الإسلام: إن طاعة الوالدين تجب إذا اشتملت على أمرين: أن يكون لهم فيها منفعة، وليس على الولد فيها مضرة، فإذا كانت لا منفعة لهم فيها أو عليه مضرة فلا تجب طاعتهم فيها، لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[(١)].

فإذا قالوا مثلاً: لا تطلب العلم، فهذه مضرة على الإنسان، فلا يطعهم في عدم طلب العلم، ويطلب العلم؛ لأنه واجب عليه أن يتعلم ويتفقه في =

(١) أخرجه ابن ماجه: الأحكام (٢٣٤٠).

....

= دينه، أو قالوا: لا تصل في الجماعة، وأي شيء يضرهم في ذلك، بل صل في الجماعة، ولكن لو قدر أن أباه مريض أو على خطر أو مثلاً عنده والدة مستوحشة ما تستطيع البقاء في البيت وحدَها لأسباب اضطرت إلى ذلك فهذا عذر له في ترك الجماعة وما أشبه ذلك.

فالحاصل أنه إذا أمروه بشيء أو نهوه عن شيء فإن كان معصية لله فلا طاعة لمخلوق في معصية، وإن كان غير معصية ينظر، فإن كان فيه منفعة ولا مضرة على الولد وجبت طاعتهم؛ لأن طاعتهم واجبة، أما إذا كان لا منفعة لهم فيه أو عليه مضرة فيه فلا، إنما الطاعة في المعروف.

فإذا كانوا أمروه بشيء يضره وإن كان غير معصية فهو في الجملة معصية إذا نظر فيه، مثل أمره أن لا يطلب العلم، أو لا يحضر حلقات العلم، أو لا يخرج إلى صلاة الجماعة، أو لا يزكي أو ما أشبه ذلك، فهذه في الحقيقة معصية، لأنه يلزمه التفقه في الدين، ويلزمه حضور الجماعة، إلى غير ذلك.

س: حديث: «ففيهما فجاهد»[١].

ج: هذا في جهاد التطوع.

س: وطلب العلم؟

ج: طلب العلم تطوع إذا كان قد استوفى المعلومات اللازمة له، وأما =

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد (٣٠٠٤)، ومسلم: البر والصلة (٢٥٤٩).

....

= إذا كان لم يتعلم بعد فطلب العلم واجب عليه في الجملة «مَن يردِ اللهُ به خيراً يفقهه في الدين»(١).

س: ماذا إذا أراد أن يجعل مثلاً ثوبه إلى نصف الساق لتطبيق السنة؟

ج: أولاً السنة من النصف إلى الكعب، وليست السنة خاصة بنصف الساق، فإزارته تبتدئ من نصف الساق إلى الكعب، هذا هو المحل، فإذا قالا له: أرخ إلى الكعب، يلزمه طاعتهم بالمعروف، وما تحت الكعب فهذا منكر: «ما أسفل الكعبين فهو في النار»(٢)، لكن إلى الكعب جائز والحمد لله فلا يخالف والديه.

س: أليست السُّنة نصف الساق؟

ج: السُّنة نصف الساق إلى الكعب لا فوقه ولا تحته، فما بين هذين الموضعين هو السنة نصف الساق إلى الكعب.

س: سؤال غير مسموع.

ج: ينبغي أن يقول: هذا كفر، وأما أن يكفره فلا، لأنه قد يكون له أعذار، فقد يكون له أسباب تمنع من كفره، فيقول: عملك هذا كفر، ثم ينظر في تكفيره بعينه، فالداعية يوضح أولاً، ولا يبادر فيقول: كافر؛ لأن =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٧١)، ومسلم: الزكاة (١٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: اللباس (٤٠٩٣)، وابن ماجه: اللباس (٣٥٧٣).

....

= هذا تنفير له، وفيه صدّ عن الحق وعن التفهم، فلا يعجل، وليوضح له، فإذا أصر يقول: أنت تكون بهذا كافر، إذا كان في الأمور التي قد تخفى، والمحكمة تنظر فيه وتحكم عليه بما يقتضيه الشرع.

س: سؤال يبدو أنه: رجل يرتكب بعض المحرمات (أظنه: يحلق لحيته) وهو يعمل الصالحات، فهل يوصف بأنه من المتقين؟

ج: يقال: مسلم أو مؤمن عاص، وأما أن يقال: من المتقين فمحل نظر، فالمتقون هم الذين اتقوا محارم الله، فيقال: مسلم عاص، أو مؤمن عاص، وهذا هو الأولى، وأما أن يقال: بر أو تقي أو مؤمن وهو يتعاطى المعاصي فلا، فهذا عند أهل السنة والجماعة نقص في الإيمان.

س: ولو كان يقصها قصاً؟

ج: القص معصية، والحلق أكبر.

س: ومن له قطعتان عوارض؟

ج: العوارض من اللحية.

س: الشخص الذي لا يشهد الصلاة، ولا يرى في أي نوع من أنواع الصلاة، كيف يكون الحكم عليه؟

ج: يقال له: ترك الصلاة كفر، فقد يكون يصلي في بيته، فتقول له: ترك الصلاة كفر، اتق الله، صل في المسجد، صل مع الجماعة، صلاة الجماعة =

....

= واجبة، ترك صلاة الجماعة نفاق، فاتق الله، أما أن تقول: أنت كافر رأساً، فلا؛ لأنه قد يكون له أعذار في ترك الجماعة، فقد يكون يصلي في بيته، فيكون عاصياً لله لا كافراً.

س: سؤال غير واضح عمن لا يصلي في المسجد جماعة!

ج: هذا نفاق، فتقول له مثل ما قال ابن مسعود: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق[(١)]، والنفاق قسمان:

نفاق عملي أصغر، ونفاق اعتقادي أكبر، وهذا من النفاق العملي، فلا يكون كفراً وردة، فتقول مثل ما قال الصحابة: منافق، قصدك بها النفاق الأصغر، فترك صلاة الجماعة بغير عذر نفاق، الكذب من النفاق، الغدر من النفاق، وما أشبه ذلك من باب التنفير، ولكن لا تحكم عليه بالكفر حتى تستبرئ، يعني: حتى تقيم عليه الحجة حتى تستبرئ لدينه.

ثم إن المسارعة إلى هذه الأشياء خطيرة؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: يا عدوَّ الله، وليس كذلك إلا حارَ عليه»[(٢)]، يعني: رجع عليه قوله، وهذا في «الصحيحين» عن أبي ذر وغيره، فدعوة الناس بالكفر خطيرة فالأولى التثبت فيها. =

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٦١).

....

= س: بعض الدعاة ينعت بعض الناس بالفسق والنفاق؟

ج: الداعي إلى الله يتجنب هذه الألفاظ إلا بعد التثبت، فالداعي إلى الله يسلك وسائل أفضل لا تنفر، حتى يقربهم من الخير ولا ينفرهم من الخير، إلا إذا أقام عليه الحجة بعد ذلك وعاند، فيقول: أنت بهذا فاسق، أنت بهذا منافق، أنت بذلك كذا، ولكن إذا أراد أن يدعوه إلى الله قال: يا أخي، هذا لا يجوز، الواجب عليك صلاة الجماعة، الواجب عليك توفير اللحية ... ولا يقول: يا فاسق ... فلا يبدأ بهذا الكلام، فينفره من الحق ويصير بينه وبينه نزاع ومضاربة.

س: ماذا في رجل دعوته إلى الصلاة فلم يجب، وتمادى في ذلك حتى إنه مات وإنه لا يصلي ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة؟

ج: إذا أصر تُبيِّن له أن هذا فسق وهذا نفاق، ولا تيأس، وإذا مات على هذا فله رب يحاسبه وأنت أديت ما عليك.

س: فهل تجب علي الصلاة على جنازته؟

ج: إن صليت عليه فلا بأس؛ لأنك تظن أنه يصلي في بيته، وإذا تجنبت الصلاة عليه لأنك تشك فيه فلا بأس، فأنت معذور إذا تركت الصلاة عليه.

س: حتى الجمعة ما كان يصليها؟

ج: ظاهره الكفر والعياذ بالله، فإذا تركت الصلاة عليه فهو الأحوط، إلا أنه قد يصلي الجمعة في محل آخر وأنت لا تدري، ولكن على كل حال =

....

= العمل بالظواهر ينفع.

س: المساجد قليلة، ونحن نعلم أن ليس هناك مسجد قريب إلا هذا المسجد، فهذا ظاهر.

ج: مثل هذا ينكر عليه ويغلظ عليه، ويؤدب من ولاة الأمور ولا يترك هكذا.

س: الجار إذا كان لا يصلي هل أجيب دعوته؟

ج: يستحق الهجر، فإذا رأيت مصلحة في الهجر فلا تجب دعوته ولا تسلم عليه؛ لعل الله يهديه، وإن رأيت المصلحة في أن تواصل الدعوة والكلام معه وأن هذا أولى من هجره فافعل الذي تراه مصلحة، لا الذي يوافق دنياك ولا هواك، ولكن الذي تراه مصلحة في الدين.

فإذا رأيت المصلحة في الدين تقتضي أنك تواصل الدعوة، وتواصل الكلام معه، وتقربه من الله فافعل، وإن رأيت الهجر أنفع فاهجره ولا تجب دعوته، ولا تتكلم معه بشيء، وإذا قال لك شيئاً فقل: أنا دعوتك ولا نفع فيك.

س: ما حكم رجل ينكر وجود الله؟

ج: يبلغ عنه ولاة الأمور لعله يقتل إن شاء الله.

س: مارأيك برجل مثلاً يتعبد في كنيسته بحسن نية، ورجل نشأ بين أب يهودي وأم نصرانية ولا يستطيع أن يعرف هذا الدين؟ =

....

= ج: إذا ما بلغه الدين فهو من أهل الفترة، ما بلغه القرآن ولا السنة فهو من أهل الفترة.

س: مَن هم أهل الفترة؟

ج: أهل الفترة من لم يبلغهم دعوة الرسول.

س: فما حكمهم؟

ج: يمتحنون يوم القيامة، يمتحنهم الله يوم القيامة، فمن لم يجب إلى ما أمر الله به يوم القيامة صار إلى النار، وهذا أحسن ما قيل فيهم.

۞ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة:٤] والآياتُ في النهي عن هذا الشِّرك وبيانِ بُطْلانِه كثيرةٌ جدّاً.

الثاني: الشِّركُ الأصغرُ؛ كيَسيرِ الرِّياءِ، والتصنُّعِ للمخلوقِ، وعدم الإخلاصِ لله تعالى في العبادة، بل يعمل لِـحَظِّ نفسِه تارةً، ولطلبِ الدنيا تارةً، ولطلبِ المنزِلَة والجاه عند الخَلقِ تارةً، فلله مِن عمله نصيبٌ، ولغيرِه منه نصيبٌ[1]. [١٤]

[شرح١٤] ومن هذا الحديث الصحيح: «مَن سمَّع سَمَّع الله به، ومَن رَاءَى رَاءَى الله به»[2]، والحديث الآخر: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغر» قالوا: وما الشركُ الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياءُ، يقول الله ﷻ لهم يومَ القيامة إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتُم تُراؤُون في الدّنيا، فانظُروا هل =

---

(١) ص٢٧.

(٢) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٩٩)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٨٦).

....

= تجدونَ عندهم جَزاءً»[١].

والحديث الآخر: «ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الشركُ الخفيُّ؛ أن يقومَ الرجلُ يصلِّي فيُزيِّنُ صلاتَه لما يَرَى مِن نظرِ الرجلِ إليه»[٢]. فكونه يرائي بقراءته، أو يرائي بصلاته، أو يرائي بأمره بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يرائي بالدعاء والاستغفار عند الناس، أو ما أشبه ذلك، من هذا الجنس، من هذا الرياء الذي هو الشرك الأصغر، نعوذ بالله.

وأما الرياء الأكبر والشرك الأكبر، فكونه يتبع الحق رياء، يصدق بمحمد في الظاهر، ويتبعه في الظاهر رياء، ولكنه لا يؤمن بمحمد كالمنافقين في الاعتقاد ـ نعوذ بالله ـ فهذه ردة، وهذا كفر أكبر ـ نعوذ بالله ـ وإنما تابع الحق رياء، ولا يعتقد أنه حق، كعمل المنافقين الذين قال فيهم جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]. =

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الزهد (٤٢٠٤)، وأحمد (٣/ ٣٠).

....

= هؤلاء مراؤون رياء أكبر؛ يعني: كفراً أكبر ـ نعوذ بالله ـ بخلاف ما يعرض للمسلم الذي يؤمن بالله ويوحده ويعلم أنه حق، وأن نبيه حق عليه الصلاة والسلام، ولكن يعرض له في بعض الأعمال نوع من مراءاة الناس ليثنوا عليه أو ليمدحوه أو ليعطوه شيئاً، هذا هو الرياء العارض، الرياء العملي*.

* س: قول أبي موسى الأشعري ﷺ للنبي ﷺ: «أما إني لو علمت بمكانك لحبَّرته لك تحبيراً»[1]؟

ج: الظاهر أنه غير داخل في هذا؛ لأن القصد ليس قصد المراءاة، ولكن قصده أن يرتاح لذلك النبي ﷺ ويأنس به ويتلذذ بهذا الشيء، لا من قصد الحظ العاجل، هذا هو المحمل الذي يريده أبو موسى ﷺ، وتحسين الصوت ليستفيد الناس، ولتخشع قلوبهم، ولترق قلوبهم، ليس من قصد الرياء، بل هذا مطلوب، بخلاف من يحسن صوته ليمدح أو يثنى عليه، أو يقرأ أصلاً قراءة ليمدح أو يثنى عليه، بخلاف ما إذا كان أراد بذلك أن المستمعين يرتاحون لهذا الشيء ويتلذذون ويخشعون في سماعه فيستفيدون أكثر، فهو في هذا مأجور.

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٢).

۞ ويَتبعُ هذا النوعَ الشركُ بالله في الألفاظ؛ كالحَلِف بغيرِ الله، وقولُ ما شاءَ اللهُ وشئتَ، وما لي إلا الله وأنتَ، وأنا في حَسْبِ الله وحَسْبِكَ ونحوه، وقد يكون ذلك شِركاً أكبرَ بحسب حالِ قائله ومقصده، هذا حاصلُ كلامِ ابن القيم وغيره[1]. [١٥]

[شرح١٥] من هذا قول الحديث: «لا تقولوا: ما شاءَ الله وشاءَ فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء اللهُ ثم شاء فلانٌ»[2]. من هذا حديث الثلاثة الأبرص والأقرع والأعمى، الذين جاءهم الملَك وقال: أنا رجل غريب ولا أبلغ إلا بالله ثم بك[3].

قال: بالله ثم بك، هذا هو الطريق السويّ، وهذا هو الحق، بخلاف ما إذا قال: أنا بالله وبك، إلا بالله وبك، فهذا من نوع الشرك الأصغر؛ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع، مطلق التشريك، والله جل وعلا لا شريك له في تصرفاته ﷻ، وإن كان العبد لا =

---

(١) ص٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود: الأدب (٤٩٨٠)، وأحمد (٥/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

....

= يعتقد هذا، ولكن هذه الألفاظ ينبغي التأدب فيها، فيؤتى بالعبارة التي تليق بالله ﷻ، ويكون العبد متأخراً متراخياً.

ولأن (ثم) للترتيب والتراخي، فينبغي أن توجد هنا؛ لأن العبد لا يدنو من الله ولا يقرب منه ﷻ، بل الله مستقل بكل شيء وله التصرف الكامل، والعبد ضعيف وقدرته محدودة، فالإتيان بـ(ثم) هو المناسب في هذا المقام في هذه الألفاظ، ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، هذا من الله وفلان، وما أشبه ذلك، فهذا فيه نوع من المساواة، نوع من التشريك المطلق، وهذا لا يليق بالعبد مع ربه ﷻ، فلهذا جاءت النصوص بـ(ثم) لبيان انفصال العبد عن الله وأنه لا يساويه، بل بينه وبينه مسافة ﷻ.

لكن قد يقع شرك وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن العبد له تصرف في الكون، فهذا يكون شركاً أكبر بسبب الاعتقاد، قال: أنا بالله وبك؛ يعتقد أن هذا الولي له تصرف في الكون، وأن الله جعل له تصرفاً في الكون، فهذا كفر أكبر وشرك أكبر، أو قال: هذا من الله ومنك؛ يعتقد أن له تصرفاً في الكون، وأن له قدرة واستقلالاً في =

....

= هذه الأشياء، ولكن قد أتى بهذه الألفاظ من باب التأدب، وإلا فهو يعتقد في وليه أنه يتصرف، فهذا يكون شركاً أكبر بسبب العقيدة لا بسبب اللفظ.

وهكذا الحَلِف بغير الله، إذا قال: بالنبي أو بعبد القادر أو بالحسين أو بعليّ، وهو يعتقد أن هؤلاء لهم من العظمة مثل عظمة الله، أو أن تصرفهم متساوٍ مع الله، أو ما أشبه ذلك، يكون حلفه بهم حلفاً بغير الله كفراً أكبر لعقيدته الخبيثة.

وأما إذا كان يقولها باللسان، ويعلم أنهم ليس لهم استقلال ولا تصرف في الكون، وأنهم من عبيد الله، وأنهم ليس لهم في تصرف ملك الله نصيب، وأنهم لا يصلحون لأن يعبدوا من دون الله، وإنما قال هذا عادة لقومه، أو جرياً على لسانه من باب تعظيم الخاص الذي يليق بالمخلوق أو ما أشبه ذلك، فهذا يكون من باب الشرك الأصغر.

وهكذا الحلف بالكعبة، وبالأمانة، وبرأس فلان، وحياة فلان، وشرف فلان، فهذه بلايا تقع على ألسنة الناس، ولا سيما في هذا =

....

= الوقت في هذا العصر، في الإذاعات وفي المقالات وفي التلفاز وفي كل مكان.

كل هذه الألفاظ تقع من الجهلة من بعض الذين يذيعون ويتحدثون، ومن بعض الجهلة هنا المقلدة لغيرهم، ومن بعض المصريين وغير المصريين، تقع مثل هذه الكلمات من أناس اعتادوها وتربوا على هذا الشرك الخاص، وربما عاش أكثرهم على الشرك الأكبر، فلا يستغرب أن يقع منهم هذا الشرك*.

* س: ما حكم قوله: بذمتي؟

ج: لا أعلم فيها شيئاً، فهذه ليست من باب الحلف؛ يعني: أؤكد هذا في ذمتي وأتحمله في ذمتي.

۞ وقد استوفَى المصنِّفُ ـ رحمه الله ـ بيانَ جنسِ العبادةِ التي يجبُ إخلاصُها لله بالتنبيه على بعضِ أنواعِها، وبيانَ ما يضادّها مِن الشركِ بالله تعالى في العبادات والإرادات والألفاظ؛ كما سيمرُّ بك إن شاء الله تعالى مفصَّلاً في هذا الكتاب، فالله تعالى يرحمه ويرضَى عنه(1). [١٦]

[شرح١٦] الحقيقة أن هذا الكتاب لا نعرف أنه سُبِق إلى مثله، وفي جمعه ما ينبغي أن يعلم من التوحيد وبيان الشرك، وبيان ما قد يظن أنه جائز وليس بجائز، فقد اعتنى في هذا الكتاب بأشياء كثيرة رحمه الله، ولا نعرف أن المؤلف سُبِق إلى مثل هذا، فالله وفقه رحمه الله وقدس روحه، ونفع الله به العباد نفعاً كثيراً من يوم أن ألفه المؤلف إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله ﷻ.

وهذا من فضل الله ورحمته وإحسانه على هذا الرجل جزاه الله خيراً، وعلى الأمة في هذه الجزيرة وغيرها من حيث نبهوا على ما فيه، وأرشدوا إلى ما ينبغي أن يعتقد، وكان هذا الكتاب على ما فيه من الآيات العظيمة والأحاديث الصحيحة والآثار، كان نبراساً =

---

(١) ص٢٧.

....

= لدعاة الحق، وسبيلاً لمن أراد أن يعرف الحق بدليل في باب التوحيد وباب العقيدة، فجزاه الله خيراً، ورفع درجاته في المهديين*.

---

* س: هل قرأتم كتاب «التوحيد» لمحمد قطب؟

ج: ما أتذكر ذلك، لكن ذكر لي بعض الإخوة عنه خللاً في بعض المنهج.

كتاب المقريزي في التوحيد «تجريد التوحيد» يشبه شيئاً من أبواب المؤلف، ولعل المؤلف اطلع عليه واستفاد منه، ونسج على منواله في هذه الأبواب، ولكن ليس مثله من كل وجه، وهذا ما اطلعت عليه من سنوات كثيرة، ويغلب على ظني أنه المقريزي، لكن ما أدري أطبع أم لم يطبع، وفي الجملة لا بأس به، فلا يخلو من أشياء غلط فيها رحمه الله، ولكن كتابه فيه أشياء كثيرة حول العقيدة طيبة، ولكن أنا ما قرأته، وإنما قرأت بعض الشيء.

۞ فإن قلت: هل أتى المصنِّفُ ـ رحمه الله ـ بخُطبَة تُنبِئ عن مَقصَده كما صنَع غيرُه؟ قيل: كأنه ـ والله أعلم ـ اكتفى بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده، فإنه صدَّره بقوله: «كتاب التوحيد» وبالآيات التي ذكرها وما يتبعُها، مما يدلُّ على مقصوده.

فكأنه قال: قَصَدت جمعَ أنواع توحيدِ الإلهيَّة التي وقع أكثرُ الناسِ بالإشراك فيها، وهم لا يشعرون، وبيانَ شيءٍ مما يضادُّ ذلك من أنواع الشرك، فاكتفَى بالتلويح عن التصريح، والألف واللام في «التوحيد» للعَهدِ الذِّهنيِّ[1]. [١٧]

[شرح١٧] كما فعل البخاري رحمه الله، فإن البخاري لم يجعل لكتابه خطبة، وإنما سمى، ثم ذكر باب الوحي وذكر حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ثم ذكر ما يتعلق بالوحي ولم يجعل ترجمة، واكتفى بما يظهر من مقدمة كتابه من حديث: الأعمال بالنيات، وبدء الوحي، بأنه سوف يذكر ما صح لديه من الأحاديث فيما أوحى الله =

(١) ص٢٧.

....

= إلى نبيه عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود أن البخاري رحمه الله لم يجعل خطبة فيما ثبت عنه رحمه الله، وإنما بدأ بالتسمية، واكتفى بما فيها من الثناء على الله جل وعلا، واكتفى بما يكتبه من الأحاديث على بيان مقصده، وأن مقصوده جمع الأحاديث، فالخطبة جعلها أحسن، وإن تركت فلا حرج*.

---

* س: يقول: الألف واللام في التوحيد للعهد الذهني.

ج: للذي في ذهن الطالب والقارئ؛ فالعهد الذهني الذي في ذهن الطالب مثلاً: جاء الرجل أعطانا كذا وكذا، فأنت تخاطب إنساناً، والرجل لم تصرح به؛ لأنك تقصد الرجل الذي في ذهنكما وبينكما معروف، عبد الله ابن فلان، جاء الرجل أعطاني كذا وكذا وأعطيته كذا وكذا، فهو معروف عندك وعند صاحبك.

هذا هو معنى العهد الذهني، وقد يأتي العهد الذكري: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل:١٥-١٦] فالعهد الذكري الذي مضى قريباً، وهو هنا «الرسول» القريب، والعهد الذهني هو الذي في ذهن المخاطِب والمخاطَب معروف، ولا يجب التصريح به، فالمخاطب به هو التوحيد، والمخاطب بهذا أهل الإسلام، والتوحيد عندهم معروف؛ =

....

= فتوحيد الله جل وعلا في ذهن كل مسلم.

وهذا الكتاب وضع لبيان توحيد الله؛ توحيد العبادة وما يضاده من الشرك الأكبر، أو يضاد كماله كالشرك الأصغر، أو يقدح فيه، أو يدع أو يسخر بأهله من المعاصي، وذكر فيه أيضاً جملة من الوسائل والذرائع التي تصلح الشيء وتقرب منه، هذا موضوع هذا الكتاب.

وذكر فيه ـ رحمه الله ـ ما يتعلق بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ضمناً، وفي بعض الأبواب من باب تكميل المطلوب، فمقصوده الأول بيان توحيد العبادة الذي وقع فيه الشرك من أغلب الناس.

وأما توحيد الربوبية والأسماء والصفات فالأغلب من الناس عدم الشرك به، وإنما وقع من بعض المبتدعة أخيراً في توحيد الأسماء والصفات، وإلا فالأصل أن الكفرة يؤمنون بتوحيد الربوبية، وأن الله ربهم، وأنه كامل في أسمائه وصفاته، هذا محل إجماع بين الكفرة إلا النادر والشاذ من المجوس وأشباههم ، وإلا فغالب الكفرة معترف بأن لهم رباً مدبراً خالقاً رازقاً متصرفاً في الكون ، هذا حال غالب الكفرة.

ولكن وقع منهم الشرك في الآلهة التي جعلوها شفعاء، وجعلوها وسائط كما فعلت العرب وغير العرب،كل طائفة وكل أمة من الأمم لها وسائط توسطها فيما تريد من ربها، فجاءت الرسل بإنكار هذه الوسائط، =

....

= وبيان أن العبادة حق الله وحده، وأنه يدعى بدون واسطة، ويرجى بدون واسطة، ويتقرب إليه بدون واسطة، وأن الواسطة لا تكون في العبادة، إنما تكون في التبليغ والبيان، فالرسل واسطة في البلاغ والبيان لا في أن يعبدوا من دون الله، لا.

فالرسل والعلماء واسطة في البلاغ والبيان، هكذا، وأما العبادة فليس لله واسطة، بل يجب أن يعبد وحده من دون واسطة، فالرسل بعثوا لهذا الأمر ليبينوا أن الواسطة في العبادة باطلة، وإنما الواسطة في البلاغ والبيان من طريق الرسل ومن طريق أتباعهم من علماء الحق.

۞ قوله: وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. يجوز في (قول الله) الرفعُ والجرُّ، وهكذا حكمُ ما يمرُّ بك من هذا البابِ[1]. [١٨]

[شرح١٨] يعني: كتاب التوحيدِ، باب قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ التوحيد بالجر، ويجوز: قوله، بالرفع؛ فيكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهذا قولُ الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولكن الجر أظهر: كتاب التوحيدِ، باب قولِ الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

---

(١) ص٢٧.

۞ قال شيخ الإسلام: العبادةُ هي طاعةُ الله بامتثالِ ما أمرَ به على أَلسِنَة الرُّسُل. وقال أيضاً: العبادة اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطِنَة والظاهرة[1]. [١٩]

[شرح١٩] والذي عرفناه من هذين التعريفين: العبادة هي طاعة الله ورسوله، وهي امتثال أوامره وترك نواهيه، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فكل هذه العبارات متقاربة؛ فالمقصود أن العبادة التي أمر بها هي التوجه إليه بفعل ما أمر، وترك ما نهى على وجه الإخلاص له، والمحبة له والتعظيم، لا لمجرد العادة، ولهذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله:

وعبادَةُ الرحمَنِ غايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عابِدِهِ هُما قُطبانِ
وعليهما فَلَكُ العبادةِ دائرٌ ... ما دارَ حتى قامتِ القُطبانِ
ومدارُهُ بالأمرِ أمر رسولِهِ ... لا بالهوَى والنَّفْسِ والشَّيطانِ

فالمقصود أن العبادة هي التوجه إلى الله بما شرع من أعمال وأقوال ظاهرة وباطنة، فإذا صرف هذا لغيره أو بعضه لغيره صار عبداً لغيره.

---

(١) ص٢٧.

۞ قال ابنُ القيِّم: ومدارها على خمسَ عشرةَ قاعدةً مَن كمَّلها كمَّل مراتبَ العبوديَّة، وبيانُ ذلك أن العبادةَ منقسمةٌ على القلب واللسانِ والجوارِحِ، والأحكامُ التي للربوبية خمسةٌ؛ واجبٌ، ومستحبٌّ، وحرامٌ، ومكروهٌ، ومباحٌ، وهنَّ لكلِّ واحدٍ من القلب واللسانِ والجوارِحِ[1]. [٢٠]

[شرح٢٠] ومن هذا يخرج خمسة عشر؛ ثلاثة في خمسة بخمسة عشر؛ واجب يتعلق بالثلاثة بالقلب واللسان والعمل، وحرام يتعلق بالقلب واللسان والعمل، ومكروه كذلك، ومندوب كذلك، ومباح كذلك، فهذه الخمسة من واجب، ومحرم، ومكروه، ومندوب، ومباح، هذه عبادات الاعتقاد، فالواجب أداؤه في اعتقاد ذلك؛ لأنه واجب ولأنه قربة إلى الله ﷻ، وهكذا المندوب، وهذا واضح في أنه عبادة يؤديها على وجه قربة إلى الله، وأما الحرام والمكروه والمباح كيف يكون عبادة؟

هو عبادة باعتقاد تحريم ما حرم الله، وباعتقاد كراهة ما كرهه الله، وباعتقاد إباحة ما أباحه الله، فهذه عبادة، فهو يعتقد أن الله =

---

(١) ص٢٨.

....

= حرم الزنى، وحرم الخمر، ويعتقد أن ترك الرواتب شيء مكروه، وترك الوتر شيء مكروه، وتضييع الأوقات بغير فائدة شيء مكروه، وما أشبه ذلك، فهذه الأشياء عبادة يتقرب بها إلى الله جل وعلا.

كذلك اعتقاده أن الله أباح لعباده ما أباح من النكاح الشرعي، ومن أمور الشعيرة من الإبل والغنم والبقر، وما أشبه ذلك مما أباح الله اتخاذه، وأن هذا أباحه الله لعباده عبادة أيضاً، وهذا يكون بالقلب في اعتقاد ذلك، ويكون باللسان بالنطق بذلك، ويكون بالعمل بتعاطي ذلك عند الحاجة إليه، هذه خمسة عشر يستقي بها العبد العبادات؛ خمسة في ثلاثة بخمسة عشر؛ قلب ولسان وعمل مضروب في واجب ومحرم ومكروه ومندوب ومباح.

۞ وقال القرطبيُّ: أصلُ العبادةِ التذلُّلُ والخضوعُ، وسُمِّيَت وظائفُ الشرع على المكلفين عباداتٌ؛ لأنهم يلتزِمونها ويفعلُونها خاضعين متذللينَ لله تعالى(١). [٢١]

[شرح٢١] والعبادة أصلها الخضوع والذل في لغة العرب، والتعبد: التذلل والخضوع، ومنه قولهم: طريق معبد: مذلل قد ظهرت فيه آثار الأقدام، وبعير معبَّد: قد شُدّ ورُحل وليس بصعب، فالتكاليف التي أمر الله بها وشرعها سمِّيت عبادات؛ لأنهم يؤدونها بذلٍّ لله وخضوع لهُ واعتراف بأنهم عبيده سبحانه، ولهذا قيل: عبادات؛ فالصلاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة، والجهاد عبادة.

وكل ما أدوه من الطاعات وترك المعاصي فيسمى عبادة؛ لأنه يؤدى بذلٍّ وخضوع منهم، وهذا واجب عليهم أن يخضعوا لله، وأن يذلوا لعظمته، ويعترفوا بأنهم عبيده، وأنهم تحت تصرفه ﷻ، فهم أذلاء بالنسبة إليه، عبيد مأمورون منهيون، وعزهم ونجاتهم وسعادتهم في هذا الذل وفي هذا الخضوع، فإذا استكبروا صار شقاء لهم، ومن أسباب هلاكهم في الدنيا والآخرة. =

---

(١) ص٢٨.

....

= فالحاصل أن العبادات سميت عبادات؛ لأنها تؤدى بالخضوع والذل لله، ولهذا قيل لجميع ما شرعه الله: عبادات، وقيل للعبد وللإنسان: عبد؛ لأنه خاضع لله، ذليل لله، مملوك لله، يؤدي حق الله في ذل وخضوع، والخضوع للمخلوقين نقص، والخضوع لله عز وشرف.

۞ وقال ابنُ كثيرٍ: العبادةُ في اللغة من الذِّلَّة، يقال: طريق مُعَبَّد وبعيرٌ[1] مُعَبَّدٌ؛ أي: مذلَّل.

وفي الشرع: عبارةٌ عما يجمعُ كمالَ المحبة والخضوع والخوفِ، وهكذا ذَكَر غيرُهم من العلماء[2]. [٢٢]

[شرح٢٢] يعني: كمالها أن تصدر عن خضوع وذل ورغبة ورهبة وحب للمعبود، فإذا كانت العبادة هكذا وقعت موقعها، وإذا أداها الإنسان على غير خضوع، وعلى غير ذل ولا محبة، صارت عادة لا عبادة، ولهذا تقدم قول ابن القيم رحمه الله:

وعبــادَةُ الــرحمنِ غايَــةُ حُبِّــهِ   مــعَ ذُلِّ عابِــدِهِ همــا قُطبــانِ

فلا بد من محبة الله ﷻ، ولا بد من الخضوع له وخوفه ورجائه ﷻ والرغبة إليه، قال جل وعلا للرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) في الأصول المطبوعة: «وغير»، وما أثبت من «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٤) ط١، ١٤١٨هـ، دار طيبة.

(٢) ص٢٨.

۞ ومعنى الآية: أن اللهَ تعالى أخبرَ أنَّه ما خَلَق الإنسَ والجنَّ إلا لعبادتِه، فهذا هو الحكمةُ في خَلقِهم، ولم يُرِد منهم ما تُرِيدُه السادةُ من عبيدِها من الإعانةِ لهم بالرزقِ والإطعامِ، بل هو الرازِقُ ذو القوَّة المتين، الذي يُطعِم ولا يُطعَم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤][(١)]. [٢٣]

[شرح٢٣] ولهذا قال قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ سبحانه وتعالى.

ولم يخلقهم ﷻ لحاجة به إليهم؛ لا ليعز بهم من ذلة، ولا ليتكثَّر بهم من قِلَّة، ولا لحاجة به إليهم يعينوه على مخلوقاته لأنه عاجز، بل خلقهم لمصلحتهم، خلقهم ليوفقهم وليعينهم، وليكلفهم بما فيه نجاتهم وسعادتهم، ليس لحاجة به إليهم ﷻ ، فهو خلقهم ليطيعوه =

---

(١) ص٢٨.

....

= ويعظموه، وهذه الطاعة والتعظيم والخوف والرجاء من مصلحتهم هم، فإذا أطاعوه واستقاموا على هذه الأمور التي خُلِقوا لأجلها، صاروا إلى الكرامة والسعادة يوم القيامة والنجاة من النار، وإذا أبوا واستكبروا صاروا إلى النار، نعوذ بالله من ذلك.

فهم خُلِقوا لأمر ينفعهم ويصلحهم في الدنيا والآخرة، خُلِقوا ليطيعوا ربهم وليعبدوه ويعظموه، ويؤثروا فضله وعظمته وعلمه وقدرته ﷻ.

وفي الآية الأخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢] سبحانه وتعالى، فهو خلقهم لهذه الأمور؛ ليعظموه ويطيعوه ويعترفوا بأنه ربهم وإلههم وخالقهم، وأنه قادر على كل شيء، وأنه العالم بكل شيء ﷻ *.

* س: كيف يقال في حق الله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ويقال في حق غيره: هذا رجل متين؟

ج: هذه الأشياء مشتركة، فيقال: هذا رجل قوي، وكذا: الله ذو قوة، =

....

= ولكن بلا مشاكلة، فلكلٍّ ما يناسبه؛ فلله قوة تناسبه، وللمخلوق له ما يناسبه.

س: لكن متين هذه بمعنى القوي الشديد.

ج: كلٌّ له وصفه، فالمخلوقين بمتانتهم لهم وصفهم، وهو في حق الله على وجه يليق به، وهذا لا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، فوصف الله بالمتين وصف يليق به لا يعلم كيفيته إلا الله جل وعلا بخلاف المخلوقين، فوصفهم يليق بهم من متانة من جهة الجسم وغير الجسم، والقوة أو المتانة من جهة العظام، وكبر العظام وقوتها وصلابتها أو غير ذلك

س: يقال: رجل عظيم.

ج: كذلك، عظيم، قوي، سميع، بصير... فلهم ما يليق بهم، والله له ما يليق به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فهذه أسماء مشتركة، يسمونها متواطئة ـ أي: تجتمع في معنى واحد ـ في جنس القدرات؛ في جنس القوة، في جنس العظمة، وينفرد الرب عز وعلا بما يليق به، وينفرد المخلوقون بما يليق بهم.

فالمخلوق سميع والله سميع، والله بصير والمخلوق بصير، والله عظيم وبعض المخلوقين عظيم، ولكن ليست عظمة الله مثل عظمة المخلوقين، وليس سمعه كسمعهم، ولا بصره كبصرهم، ولا قوته كقوتهم وهكذا، فلله ما يليق به من الصفات، ولسائر المخلوقين ما يليق بهم.

۞ وعبادتُه هي طاعتُه بفعلِ المأمورِ وتَركِ المحظورِ، وذلك هو حقيقةُ دين الإسلامِ؛ لأن معنى الإسلامِ هو الاستسلامُ لله المتضمِّنُ غايةَ الانقياد في غاية الذُّلِّ والخضوعِ[1]. [٢٤]

[شرح٢٤] وبهذا سمي الدين إسلاماً؛ لأنه انقياد لله وذُلٌّ لعظمته، فلهذا قيل دين الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] لأنه الانقياد لله ﷻ بفعل المأمور وترك المحظور، يقال: أسلم فلان لفلان: انقاد له، وهم مسلمون: منقادون ذليلون خاضعون، فسمي دين الله إسلاماً لما تضمنه من الذُّلِّ لله والانقياد لأمره ونهيه.

---

(١) ص٢٨.

۞ قال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ في الآية: إلا لآمُرَهم أن يعبُدوني، وأدعُوَهُم إلى عبادتي.

وقال مجاهدٌ: إلا لآمُرَهم وأنهاهُم. واختاره الزَّجّاجُ وشيخُ الإسلام.

قال: ويدلُّ على هذا قولُه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] قال الشافعيُّ: لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى.

وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧] أي: لولا عبادتُكم إيّاه.

وقد قال في القرآنِ في غيرِ موضعٍ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١] فقد أمرهم بما خُلِقوا له، وأرسل الرسُلَ إلى الجنِّ والإنسِ بذلك.

وهذا المعنَى هو الذي قُصِد بالآية قطعاً، وهو الذي يفهمُه جماهيرُ المسلمين ويحتجُّون بالآية عليه، ويُقِرُّون أن اللهَ إنما خلقَهم ليعبُدوه العبادةَ الشرعيةَ، وهي طاعتُه وطاعةُ رسُلِه، لا ليضيِّعُوا حقَّه الذي خَلَقهم له. =

= قال: وهذه الآيةُ تشبه قولَه تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤].

ثم قد يُطاع وقد يُعصَى، وكذلك ما خَلَقهم إلا للعبادة، ثم قد يعبُدُون وقد لا يعبُدُون، وهو سبحانه لم يقل: إنه فَعَلَ الأولَ وهو خَلَقهم ليفعلَ بهم كلَّهم الثاني، وهو عبادتُه، ولكن ذَكَر الأولَ ليفعلُوا هم الثاني فيكونوا همُ الفاعلينَ له، فيحصُل لهم بفعله سعادتُهم، ويحصُل ما يحبُّه ويرضاه منهم ولهم. انتهى[1]. [٢٥]

[شرح٢٥] والمعنى في هذا أنه ﷻ خلق العباد، فقد يعبدون وقد لا يعبدون، كما أرسل الرسل ليطاعوا، فقد يطاعون وقد لا يطاعون، وكذلك أمرهم بصيام رمضان، وشرع لهم ما شرع ليكملوا العدة وليكبروا الله، ثم قد يكملون وقد لا يكملون، فقد يعصون وقد لا =

---

(١) ص٢٨-٢٩.

....

= يكبرون الله جل وعلا.

فالمقصود أنه فعل هذه الأشياء لهذه الحكم؛ الحكمة من خلق الجن والإنس أن يعبدوا الله ويطيعوه ويعظموه، والحكمة من إرسال الرسل أن يطاعوا حتى يحصل السعادة للعباد، فإن لم يفعلوا قامت عليهم الحجة، وهكذا شرع لهم ما شرع من الصيام؛ ليكملوا العدة، وليكبروا الله على ما هداهم ويشكروه، ثم قد يشكرون وقد يكفرون، وقد يكملون وقد لا يفعلون ذلك، ولم يقل: إنه فعل الأول وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني وهو عبادته؛ لأنه قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ما قال: إلا لأجعلكم عابدين، بل قال: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ فنسب العبادة إليه، فهذه الحكمة في خلقهم ليعبدوا الله ويعظموه ويطيعوه، فمن هداه الله منهم امتثل، ومن سبقت له الشقاوة لم يمتثل، وصار مع العاصين ومع المشركين، نسأل الله السلامة.

كذلك الرسل أُرسلوا ليطاعوا، فأكثر الخلق لم يطيعوهم، بل عصوهم وخالفوهم وحاربوهم، بل قتلوا بعضهم، وهذا يبين لك =

....

= أن الحكمة في خلقهم هذا المعنى هو ليعبدوا الله، ولكن ليس المعنى أنهم كلهم يفعلونه، بل قد يفعلون وقد لا يفعلون، فالسعداء الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ووفقهم سبحانه وهداهم، واستقاموا وعبدوا، وأكثر الخلق أعرضوا وانحرفوا، نسأل الله السلامة*.

---

* س: هل صحيح أن بني إسرائيل قتلوا في يوم سبعين نبياً، منهم زكريا ويحيى؟

ج: مشهور في الأخبار، ولكن لا أذكر فيه شيئاً صحيحاً عن النبي ﷺ، وإنما هو في أخبار بني إسرائيل، لكن كلام الله يكفي، فهم يقتلون الأنبياء بغير حق؛ يعني: هم قتلوا الأنبياء وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، أما العدد فالله أعلم.

۞ والآيةُ دالَّةٌ على وجوب اختصاصِ الخالق تعالى بالعبادةِ؛ لأنه سبحانه:

١- هو ابتَدأكَ بخَلقِكَ والإنعامِ عليكَ بقدرته ومشيئتهِ ورحمته من غير سببٍ منكَ أصلاً، وما فعلَه بك لا يقدِرُ عليه غيرُه، ثم إذا احتجتَ إليه في جلبِ رزقٍ أو دفعِ ضُرٍّ، فهو الذي يأتي بالرزقِ لا يأتي به غيرُه، وهو الذي يدفعُ الضُّرَّ لا يدفعُه غيرُه، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢٠-٢١].

٢- وهو سبحانه ينعِمُ عليك ويحسِنُ إليك بنفسه، فإن ذلك موجبُ ما تسمَّى به ووصفَ به نفسَه.

إذ هو الرحمنُ الرحيمُ الودودُ المجيدُ، وهو قادرٌ بنفسِه، وقدرتُه من لوازمِ ذاته، وكذلك رحمتُه وعلمُه وحكمتُه لا يحتاج إلى خلقه بوجهٍ من الوجوه، بل هو الغنيُّ عن العالمين ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ =

= [النمل:٤٠].

فالربُّ سبحانه غنيٌّ بنفسِه، وما يستحِقُّه من صفات الكمالِ ثابتٌ له بنفسِه، واجبٌ له من لوازم ذاتِه، لا يفتقِرُ في شيءٍ من ذلك إلى غيره، فَفِعلُه وإحسانُه وجُودُه من كمالِه، لا يفعل شيئاً لحاجةٍ إلى غيرِه بوجهٍ من الوجوه، بل كلُّ ما يريده فَعَلَه فإنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧، البروج:١٦]، وهو سبحانه ﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق:٣]، فكلُّ ما يَطلُبه فهو يبلُغه ويناله ويَصِلُ إليه وحدَه، ولا يعينُه أحدٌ، ولا يعوقُه أحدٌ، لا يحتاجُ في شيءٍ من أمورِه إلى مُعينٍ، وما له من المخلوقين ﴿مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ:٢٢] وليس ﴿لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾ [الإسراء:١١١]. قاله شيخ الإسلام[1].

قال: وقولُه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ الآية [النحل:٣٦]، قالوا: الطاغوتُ مشتقٌّ من الطُّغيانِ، وهو مجاوزة الحدِّ، وقد فسَّره =

(١) قال سماحة الشيخ: يعني: قال هذا البحث. اهـ. وانظر: «مجموع الفتاوى» ١/٣٧-٣٨.

= السلفُ ببعض أفرادِه.

قال عمرُ بن الخطاب ﷺ: الطاغوتُ: الشيطانُ.

وقال جابر ﷺ: الطواغيتُ: كُهّانٌ كانت تَنزِلُ عليهم الشياطين. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: الطاغوتُ: الشيطانُ في صورةِ الإنسانِ، يتحاكمون إليه، وهو صاحبُ أمرِهم.

وقال مالكٌ: الطاغوتُ: كلُّ ما عُبِد من دون الله.

قلت: وهو صحيحٌ، لكن لا بُدَّ فيه مِن استثناءِ مَن لا يرضَى بعبادتِه[1]. [٢٦]

[شرح٢٦] يعني: يقول: المعنى صحيح لكنه عام. ومراد مالك رحمه الله: من يرضى بعبادة الجمادات وأشباهها، وليس مراد مالك ـ رحمه الله ـ أنه يدخل في ذلك الأنبياء والرسل والأولياء الذين لا يرضون بالشرك، فهو غير داخل عند الجميع، وإنما أراد بهذا ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ بذلك، أو ليس بعاقل كالأصنام والأشجار =

---

(١) ص٢٩.

....

= والأحجار والكواكب، تسمى طواغيت.

فما عُبِد من دون الله فهو طاغوت، لكن إذا كان لا يرضى بهذا فالطاغوت الشيطان إذا دعا إلى ذلك وزين عبادته من دون الله، فشيطانه هو طاغوته الذي زين له الباطل، وتسمى الأوثان طواغيت، ويسمى الكهان طواغيت، وتسمى الكواكب المعبودة من دون الله طواغيت.

وقد ذكر لك أنهم قالوا: إنه مشتق من الطغيان، والذي قاله أهل اللغة؛ أنه مشتق من الطغيان، وهو تجاوز الحد، وقد طغى الماء إذا جاوز حدوده، وطغى فلان إذا جاوز حده الذي ينبغي له، فالطغيان تجاوز الحدود في عمل الإنسان، أو في عقيدته أو في قوله، وسمي المعبود من دون الله وهو أحق أن يشبه بالطاغوت؛ لأنه جاوز حده؛ لأن حد الناس أن يكونوا كلهم عبيد الله، وكلهم في حكم العبيد لله، ليسوا بآلهة معبودة مع الله جل وعلا، فكلهم يجب عليه أن يكون متقيداً بشرع الله إذا خرج عن ذلك صار طاغوتاً بهذا المعنى. =

....

= لكن إذا كان لم يرض بذلك، وإنما أخرجه الناس وعبدوه من دون الله، فهذا ليس هو الطاغوت، وإنما الطاغوت الشيطان الذي زين ذلك، والذين فعلوا ذلك هم طواغيت لخروجهم عن حد الله، وأنبأ أنه يبرأ إلى الله منهم؛ الرسول والملك والنبي والرجل الصالح والجني الصالح وما أشبه ذلك، كلهم يبرؤون مِن عَمَل مَن عَمِل بهم ما عمل من الشرك، وكلهم لا يرضون بذلك ويبرؤون إلى الله منه. ويدخل في هذا فرعون الطاغوت الداعي إلى هذا*.

*** س: بعض المتكلمين إذا تكلم خصوصاً عن آلات اللهو وآلات الطرب يقول: وهذه الأوثان عبدت من دون الله، يقصد التلفاز وغيره. هل هذه العبارة صحيحة؟**

ج: يروى عن علي هذا المعنى في ما يفعله الناس من آلات الملاهي، يروى من باب الزجر ومن باب التحذير، لكن المقصود بالتماثيل، والمقصود بالطواغيت حقيقة هي المعبودة من دون الله مثل ما قال إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٢-٥٣].

فهذه الأصنام تماثيل؛ لأنها تصور على صورة ملك من الملائكة أو =

....

= ملك من الملوك، أو صورة عابد، أو صورة صنم مشهور عندهم على صورة أسد أو على صورة نمر، أو على غير ذلك. فالحاصل أن الأصنام في الأصل شيء ينحت ويصور على ما يعظمونه على صورة ملك أو نبي أو ملك من الملوك أو كذا أو كذا مما يعظمون.

س: والشطرنج؟

ج: يروى عن علي أنه قال في الشطرنج: ما هذه التماثيل التي نراكم عليها عاكفين؟ ولعلها الآن في الملاهي، وشبههم بعباد الأصنام وأشباههم لعكوفهم عليها، وأُنسِهم بهذا اللهو وشغلهم به عن الحق، وهذا من باب التنفير.

س: هل قول علي هذا صحيح؟

ج: ما أتذكر هذا، هو مروي ولكن ما أتذكر حاله[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ١/ ٢١٢.

۞ وقال ابنُ القيِّم: الطاغوتُ ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ، فطاغوتُ كلِّ قومٍ مَن يتحاكمون إليه غيرَ الله ورسولِه، أو يعبدونه مِن دون الله، أو يتبعُونَه على غيرِ بصيرةٍ من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعةٌ لله.

فهذه طواغيت العالَمِ، إذا تأمَّلتَها وتأمَّلتَ أحوالَ الناسِ معها رأيتَ أكثَرَهم ممن أعرضَ عن عبادةِ الله إلى عبادةِ الطاغوتِ، وعن طاعته ومتابعة رسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته[1].»[2] [٢٧]

[شرح٢٧] هذا المعنى ما تجاوز به العبد حده يعني: ما حدَّه الله له، سواء كان المتجاوز معبوداً كفرعون وأشباهه، أو متبوعاً في غير شريعة الله، أو مطاعاً فيما يحكم به بين الناس بغير الحق، هذا حدٌّ جامع يجمع بين الطواغيت، فيدخل في ذلك المعبود من دون الله، والحاكم بغير شريعة الله، والمتبوع في غير الحق؛ لرياسته في قبيلة، أو لكونه عالماً، أو لكونه ملكاً، أو ما أشبه ذلك. =

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٤٨)، ط. دار الحديث ١٤٢٥هـ.

(٢) ص٣٠.

....

= فإذا تبعوه في الباطل، ولم ينظروا في الدليل، فقد جعلوه طاغوتاً، فهو لهم طاغوت، لكن إذا كان لم يرض بذلك، ولم يدع إليه فهم الآثمون؛ إذ هم الذين جعلوه طاغوتاً وهو ليس بطاغوت بنفسه؛ لأنه لا يرضى بذلك، ولا يقرهم على هذا الباطل لو كان حياً.

هم يكونون طواغيت بالحدِّ هذا لأنهم جاوزوا حدودهم، جاوزوا الحد الذي حد لهم أن يستقيموا على شرع الله، وأن يعبدوا الله، فإذا جاوزوه بعبادة غيره، أو تحكيم غير شريعته، كانوا هم الطواغيت، وهم المسؤولون، لكن هم مع ذلك عملوا الطاغوت أيضاً وحكموه، وهو الشيطان الذي دعاهم إلى هذا الشيء، الشيطان طاغوت أيضاً.

❁ وأما معنى الآيةِ فأخبرَ تعالى أنه بعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٣٦]، أي: في كلِّ طائفةٍ وقَرنٍ من الناس ﴿رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦] بهذه الكلمة: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] أي: اعبدوا اللهَ وحدَه واتركُوا عبادةَ ما سواه، فلهذا خُلِقَت الخليقةُ، وأُرسِلت الرُّسُل، وأُنزِلت الكُتُب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد:٣٦].

وهذه الآيةُ هي معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» فإنها تضمَّنت النفيَ والإثباتَ كما تضمَّنته «لا إلهَ إلا اللهُ» ففي قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ الإثباتُ، وفي قوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النفيُ.

فدلَّت الآيةُ على أنه لا بُدَّ في الإسلام من النفي والإثباتِ، فيُثبِت العبادةَ لله وحدَه، وينفي عبادةَ ما سواه، وهو التوحيدُ =

= الذي تضمَّنته سورةُ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وهو معنى قولِه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]»(١). [٢٨]

[شرح٢٨] معنى الكفر بالطاغوت هو معنى «لا إله» لأن «لا إله» تقتضي إنكار عبادة غير الله، وإبطالها واعتقاد بطلانها بالقلب، والبراءة من ذلك ومن فاعله، ويؤمن بالله معناه «لا إله إلا الله» يؤمن بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بالحق دون كل ما سواه ﷻ، فهذا يتضمن أيضاً معنى «لا إله إلا الله» وهذه الحكمة في إرسال الرسل كما هي الحكمة في خلق الخليقة.

فالخلق خُلِقوا ليعبدوا الله وحده، ويطيعوا أمره، ويستقيموا على شريعته، والرسل بعثوا لهذا الأمر للدعوة إليه، وتقريره وإيضاحه، وضرب الأمثال له، وبيان حق أهله الذين استقاموا عليه، وبيان عقوبات من خالف ذلك في الدنيا والآخرة، وبيان صفات هؤلاء، وبيان صفات هؤلاء، هكذا جاءت الرسل، وهكذا =

---

(١) ص٣٠.

....

= جاءت الكتب.

فالرسل أرسلوا لهذا الغرض، والخلق خلقوا لهذا الغرض، خلقوا ليعبدوا الله ويطيعوه، فيكون لهم الثواب العظيم، والعاقبة الحميدة، والله غني عنهم وعن أعمالهم ﷻ، وأُرسِلت الرسل؛ ليدعوا الناس إلى هذا الخير الذي خلقوا له، وليوضحوا لهم أنهم خلقوا لهذا، ولم يخلقوا من أجل أن يأكلوا ويشربوا، أو يبنوا القصور، أو يغرسوا الأشجار، أو يشقوا الأنهار، أو ما أشبه ذلك.

وإن كانت هذه لهم، يسرها الله لهم، وأباحها لهم، ليستعينوا بها على طاعته، لكن لم يخلقوا لها وإنما خلقت لهم هي؛ ليستعينوا بها على طاعته وعبادته جل وعلا، وإنما خلقوا هم ليعبدوا الله ويعظموه، سواء في البر أو في البحر أو في الجو أو في الأرض أو في أي مكان، وسواء في البناء أو في الصحراء أو في أي مكان، ولكن الله يسر لهم ما يعينهم على اتقاء الحر والبرد والشمس والمطر وغير ذلك، وما يعينهم على قوام حياتهم من الأكل والشرب ونحو ذلك.

فالله خلق الخلق ليعبدوه، وخلق لهم ما في الأرض ليستعينوا به =

....

= على طاعته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، ويسر لهم الأرزاق؛ ليقيم الحجة، ويقطع المعذرة بإرسال الرسل وإيجاد ما يعينهم على طاعة الله ﷻ.

فأكثر الخلق أعرض عن هذا وتبع هواه وشيطانه، هذا حال أكثر الخلق كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] والقليلون هم الذين أجابوا الرسل، وانقادوا للحق الذي خالف أهواءهم، واستقاموا عليه، ووالوا عليه، وعادوا عليه، هؤلاء هم الأقلون كما قال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠]، وقال في بعض قصص الأنبياء: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٨-٩].

فأكثر الخلق إنما يستجيب لهواه، وما تميل له نفسه من عمل أو =

....

= أكل أو شرب أو صداقة أو بغضاء أو غير ذلك، هذا حال أكثر الخلق إلا من آمن بالله وما جاءت به الرسل، فآثر ما أمر الله به ورسوله على هوى نفسه، وعلى ميل نفسه، وعلى شهوته، وهم الأقلون، وهم الأخيار من عباد الله، وهم الصفوة من الجن والإنس.

۞ قال ابنُ القيِّم: وطريقةُ القرآن في مثلِ هذا أن يَقرِنَ النفيَ بالإثباتِ، فينفي عبادةَ ما سوى الله ويُثبتَ عبادتَه، وهذا هو حقيقةُ التوحيد، والنفيُ المحضُ ليس بتوحيدٍ، وكذلك الإثباتُ بدون النفي، فلا يكون التوحيدُ إلا متضمِّناً للنفي والإثباتِ، وهذا حقيقة «لا إله إلا الله». انتهى[١].[٢] [٢٩]

[شرح٢٩] وهو كلام موجز واضح، فالتوحيد والإخلاص لله إنما يكون بالنفي والإثبات، النفي «لا إله» للألوهية لغير الله، ونفي الشريك، وإثبات العبادة لله وحده ﷻ، فالنفي المحض ليس بتوحيد بل تعطيل وإلحاد، إذا قال: لا إله، وسكت، فهذا معناه الإلحاد والتعطيل، وإنكار وجود الله ﷻ، وهذا كفر وضلال.

والإثبات المحض كذلك، الله إله لا يكفي، والإله هو ﷻ لكن هناك آلهة كثيرة تعبد من دون الله، فلا يكفي قولنا: الله إله، أو ربنا إله، لا يكفي، فهو إله بلا شك، لكن هل هناك إله معه، هذا هو محل البحث، فلا يكفي هذا إلا بالنفي، ولا يستقيم التوحيد إلا =

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٤١)، ط١. مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ..

(٢) ص٣٠.

....

= بالنفي بأن تقول: «لا إله إلا الله»، فبهذا يستقيم التوحيد، تثبت الإلهية لله وحده، وتنفيها عمن سواه وإن كانت موجودة.

وبهذا يعلم بطلان قول من قال: معنى «لا إله» يعني: لا إله موجود ـ قدم خبر موجود ـ وهذا خطأ، فالآلهة موجودة تعبد من دون الله في كل زمان، ولكنها ليست آلهة حق، وإذا قيد وجوده بحق استقام المعنى، لا إله موجود بحق إلا الله ﷻ.

فالمقصود أن التفسير بالموجود فقط من غير تقييد، لا يستقيم؛ لأن الآلهة موجودة في عهد النبي وقبل النبي ﷺ وبعده، الآلهة موجودة الآن أصنام تعبد، وأوثان تعبد، وأشخاص يعبدون، أموات وأحياء، لكن المقصود نفي أحقيتها، وبيان أنها عُبِدت بالباطل كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

هذا هو معنى لا إله إلا الله، فالآلهة موجودة في كل مكان إلا ما شاء ربك، موجودة تعبد من دون الله، من حيوانات، ومن جمادات، ومن أموات، ومن أحياء، وطائفة تعبد القبور ومن فيها، =

....

= وطائفة تعبد الكواكب، وطائفة تعبد الأصنام، وطوائف تعبد أشياء أخرى، حتى وجد طائفة تعبد الشيطان الآن، جعلوه إلهاً يعبدونه، أعوذ بالله من ذلك.

فالحاصل أن الآلهة موجودة، فالدين والإسلام، والإيمان بأنه لا إله بحق إلا الله، يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وما عبده الناس قديماً وحديثاً كله معبود بالباطل من دون الله، وهذا هو معنى الآية الكريمة في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وكذلك في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠].

فالمقصود أن الآيتين تبينان أن المعبود بالحق هو الله وحده، وما سواه معبود بالباطل، وهكذا بقية الآيات*.

---

* س: من قال: إن معنى (لا إله إلا الله) الاستفادة من قدرة الله، وأنه قادر على الاختراع أيكون موحداً؟

ج: لا يكون موحداً لأن المشركين قد أقروا بهذا، أقروا بأن الله =

....

= متصرف وقادر على الاختراع، ولكن أشركوا به، جعلوا معه اللات والعزى وأشباهها آلهة تعبد مع الله، ويعتقدون فيها الشفاعة إلى غير ذلك.

وهذا معنى كلام كثير من المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام: لا قادر على الاختراع إلا الله، لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، ما خرجوا بهذا عن توحيد المشركين، كذلك: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] لأن من صفة الإله أنه يحكم بشرعه وما أنزل على رسله، ولهذا يقال: توحيد المتابعة؛ متابعة الرسل، فالحاصل أن الحكم لله وحده ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

فمن جعل حاكماً مع الله فقد أشرك بالله، لكن إن كان الحاكم بالاعتقاد أنه يجوز أو يستحسن هذا كفر أكبر والعياذ بالله، أما إذا فعل بهواه بعض الأحيان لرشوة، هذه معصية كبرى عظيمة، ولا يكون كافراً عند أهل العلم، بل يكون ضعيف الإيمان عاصياً فاعلاً كبيرة؛ لأنه يعتقد أنه مجرم، وأنه ظالم، ولكنه حكم لفلان، أو وثق شهوده بالباطل بالرشوة، فهذا يكون عاصياً وضعيف الإيمان، وجديراً بالعزل والعقوبة.

ولكن لا يكون مثل من استحل ذلك، أو استحسن ذلك، فذاك كافر مرتد، وهذا عاص فاعل كبيرة، نسأل الله العافية.

س: إذا كان الإنسان بوظيفة مثلاً وأُلزِم بحلق لحيته، وهو يعرف أن ذلك محرم فحلقها، فهل يصير بهذا قد أشرك في المتابعة؟ =

....

= ج: هذه معصية من باب «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١) لكن إذا اعتقد أنه يجوز أن يطاع المخلوق في معاصي الله، وأنه لا بأس بطاعة الملك أو غير الملك أو الشيخ فيما يخالف شرع الله وأنه يشرع، فهذه ردة، أما إذا أطاعه لهواه لأجل مال أو لأجل كذا أو لأجل منزلة، وهو يعلم أن هذا محرم، فهذه معصية.

هذا هو الفرق بينهما، ففعل المعاصي على حالين: إذا فعلها ويعلم أنها معاصٍ فهو عاص، وإذا فعلها وهو يعتقد حلَّها، وهي مما يعرف من الدين بالضرورة أن الله حرم ذلك، فأحل الزنى أو أحل الخمر فهذه ردة عن الإسلام، أما إذا كانت مسألة اختلاف وليس فيها دليل واضح، فليست من هذا الباب، بل هي محل نظر.

س: يدخل في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]؟

ج: يدخل فيه إذا استحله، إذا استحل ذلك وظهر به، هذا إذا كانت معصية فقط، إذا يعتقد أنها معصية كما يفعل أهل الكبائر وأهل المعاصي.

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٣١).

۞ ويَدخل في الكفر بالطاغوتِ بُغضُه وكراهتُه، وعدمُ الرضا بعبادته بوجهٍ من الوجوه.

ودلت الآية على:

١- أن الحكمةَ في إرسال الرُّسُلِ هو عبادةُ الله وحدَه، وتَركُ عبادةِ ما سواه.

٢- وأن أصلَ دينِ الأنبياءِ واحدٌ، وهو الإخلاصُ في العبادةِ لله وإن اختلفت شرائعُهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

٣- وأنَّه لا بدَّ في الإيمانِ من العَمَل ردّاً على المرجِئَةِ[1]. [٣٠]

[شرح٣٠] المرجئة الإيمان عندهم قول وتصديق؛ تصديق بالقلب وقول باللسان، والعمل ليس عندهم من الإيمان وإن أوجبوا العمل، ولكن لا يسمونه إيماناً، وهذا من أغلاطهم، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يشمل الثلاث: العقيدة، والقول، =

(١) ص٣٠.

....

= والعمل، وأنه يزيد وينقص، كذلك رد على من يقول: إن الإيمان مجرد قول كبعض المرجئة وكالكرّامية وأشباههم، أو مجرد معرفة، كما يقوله طوائف أيضاً *.

---

* س: هل ثبت أن الحنفية يقولون بالإرجاء؟

ج: المشهور أنهم مرجئة الفقهاء لا يسمون العمل إيماناً، وإن كانوا يرون وجوب العمل، لكن ما يسمى عندهم إيماناً، يقولون: إن قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف:٣٠] يدل على ذلك؛ لأن في العطف المغايرة، إذاً فالعمل غير الإيمان. وهذا غلط عند أهل السنة: لأنه يعطف على غيره، وإن كان جزءاً منه للمغايرة، ويعطف على غيره لكونه ليس منه، بل شيء آخر كجاء زيد وعمرو، فيعطف الخاص على العام ليعلم أنه داخل فيه، وأنه ينص عليه من باب الإيضاح لأهميته، مثل:

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] الصلاة الوسطى من الصلوات ولكن لأهميتها ذكرها، مثل: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] «كونوا مع الصادقين» من التقوى أيضاً.

كذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٢٧٧] وإقام الزكاة وإيتاء الزكاة من العمل ومن الإيمان ولكن للتنبيه، كذلك قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] =

....

= معطوف على الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو داخل في العمل التواصي بالحق عمل، والتواصي بالصبر عمل، ولكن لعظم أهميتهما نبه عليهما وفي آية أخرى لم يذكرا لأنهما داخلان في الإيمان وفي العمل.

س: هناك من يعتقد أن أبا حنيفة لم يخالف أهل السنة في مسألة الإيمان.

ج: بعض أهل العلم يقولون: الخلاف لفظي، وأن ما سماه إيماناً هو واجب عليه، من حيث اللفظ، وإلا فهو يوجب ما أوجب الله، ويحرم ما حرم الله، فيكون الخلاف لفظياً، والتحقيق ليس بلفظي وله شأن.

فإن أهل السنة والجماعة يسمون هذا العمل إيماناً، والصلاة تسمى إيماناً، والتواصي بالصبر يسمى إيماناً، والتواصي بالحق يسمى إيماناً، يعني: الإيمان العملي، بحيث يكون ناقص الإيمان إذا ضيع ذلك، وأنه يلزم على ذلك أن من ترك العمل صادق الإيمان كامل الإيمان، ولا يستقيم هذا.

س: لكن أبو حنيفة لا يقول بهذا.

ج: نعم، لا يقول بهذا، لكنه لا يسمي العمل إيماناً.

س: إذاً الخلاف لفظي.

ج: لا، لا يستقيم أن يكون الخلاف لفظياً، لأن الله وعد المؤمن الجنة، فإذا كان عمله من الإيمان، فمعنى ذلك أن المؤمن الذي صدق بقوله وقلبه ولم يأت بالعمل مؤمن يستحق الجنة، وأهل السنة والجماعة يقولون: لا، ما يستحق الجنة إلا بالأمور الثلاثة يكون مؤمناً بالقلب، مؤمناً بالقول، مؤمناً =

....

= بالعمل، يعني: مؤدياً للواجبات.

س: وفي الحديث، أي: من حيث التوثيق؟

ج: أكثر أهل العلم لا يوثقونه من جهة الحفظ، وإن عني بالقياس والمسائل، وبعض أهل العلم يمشيه في الرواية، لكن المشهور كما قلت: إنه ليس بذاك في روايته، فهو متكلَّم فيه من جهة الحفظ لا من جهة العدالة.

س: ابن حبان ذكره في كتاب «المجروحين»؟

ج: أما ابن حجر فقال في «التقريب»: فقيه مشهور، وأعرض عن البحث في التعديل والتضعيف.

۞ قال: وقولُه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ...﴾ الآية [الإسراء:٢٣] هكذا ثبت في بعض الأصول، لم يذكر الآية بكمالها.

قال مجاهدٌ: ﴿وَقَضَىٰ﴾ يعني: وَصَّى، وكذلك قرأ أُبيُّ بن كعب، وابنُ مسعود، وابنُ عباس، وغيرُهم.

وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: يعني: أَمَر.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ «أنْ» هي المصدريةُ، وهي في محلِّ جرٍّ بالباء، والمعنى: أن تعبدُوه، ولا تعبدُوا غيرَه ممن لا يملِكُ ضَرّاً ولا نفعاً؛ بل هو:

١- إما فقيرٌ محتاجٌ إلى رحمةِ ربِّه، يرجُوها كما ترجُونها.

٢- وإما جمادٌ لا يستجيبُ لمن دعاهُ(١). [٣١]

[شرح٣١] وإما ميت ليس له تصرف ولا حراك في شيء؛ فمدعوُّوهم بين فقير لا يستطيع شيئاً ـ وكل إنسان عاجز يدعو =

---

(١) ص٣١.

....

= رحمة ربه ويرجوه ويخافه – وإما ميت لا إحساس له ولا شعور له في داعيه ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾ [فاطر:١٤].

وإما جماد كالصنم والشجر والحجر والكوكب وأشباه ذلك، فهذه هي معبوداتهم؛ إما جمادات وإما أموات وإما أحياء لا يملكون شيئاً، وكل إنسان وكل حي هو عاجز لا يملك إلا ما ملَّكه الله إياه، فهو في قبضة الله تعالى أو بتدبيره وتصرفه، ليس له ملك في نفسه، بل هو مدَبَّر مصرَّف تحت يد الله ﷻ فكيف يُدعَى من دون الله.

قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني: أمر وأوصى كما قال المفسرون، وإنما قالوا هذا لئلا يظن ظان أن ﴿وَقَضَىٰ﴾ بمعنى قدر وأنه قضى في قدره السابق أن لا تعبدوا إلا إياه، فإن هذا التفسير باطل، ولو كان قضى أن لا يعبد إلا إياه سبحانه ما خالف الناس ذلك؛ فإن القضاء والقدر ماض في العباد، فلو قدر ـ سبحانه ـ وقضى أن جميع العباد يعبدونه ما بقي مشرك في الأرض ولا كافر، وصار الناس كلهم على التوحيد. =

....

= والواقع يخالف ذلك؛ فعلم أن المراد بالقضاء هو الأمر بالوصية كما في الآيات الأخرى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] إلى غير ذلك، فقضى هنا بمعنى الأمر والوصية، والتوجيه إلى هذا الخير العظيم، وليس بمعنى القضاء الذي بمعنى التقدير السابق والكتاب السابق أن لا تعبدوا إلا إياه، وإلا لكان هذا باطل من أبطل الباطل.

۞ وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي: وقضى أن تُحسِنُوا بالوالدينِ إحساناً، كما قضَى بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وعَطفُ حَقِّهما على حقِّ الله تعالى دليلٌ على تأكُّد حقِّهما، وأنه أَوجَبُ الحقوقِ بعد حقِّ الله، وهذا كثيرٌ في القرآن، يَقرِن بين حقِّه ﷻ وبين حقِّ الوالدين؛ كقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] ولم يخصَّ تعالى نوعاً من أنواع الإحسانِ؛ لِيَعُمَّ أنواعَ الإحسانِ.

وقد تواترت النصوصُ عن النبيِّ ﷺ بالأمر بِبِرِّ الوالدين، والحثِّ على ذلك، وتحريمِ عقوقِهما كما في القرآن.

ففي «صحيح البخاري» عن ابنِ مسعود، قال: سألتُ النبيَّ، ﷺ: أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاةُ على وَقتِها» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «بِرُّ الوالدين» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله» حدَّثني بهنَّ، ولوِ استَزَدتُه =

= لَزادَني(١).(٢) [٣٢]

[شرح٣٢] قد خرج مسلم أيضاً هذا الحديث فهو في «الصحيحين»، وهو موافق لما في الآية الكريمة من وجوب حق الله، ثم حق الوالدين، فالصلاة من حق الله تابعة للتوحيد، فحق الله مقدم، ثم حق الوالدين بعد ذلك؛ ولكن لعظم حقهما، وكونهما السبب في وجوده بإيجاد الله له ﷻ، وعظيم ما يقومان به من خدمة وإحسان، جعل الله حقهما كبيراً وعظيماً ومقروناً بحقه ﷻ، وجعل الشرك مقروناً بالعقوق؛ لعظم شأن العقوق وخطره، وأيضاً لفساده، وكونه مقابلة الإحسان بالإساءة جعل الله العقوق من الشرك، كما في حديث أبي بَكْرَةَ الثقفيِّ: «ألا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين»(٣).

فالمقصود أن البر بالوالدين من آكد الفروض، وعقوقَهما من أكبر الكبائر، ومن المؤلم المحزن في هذا العصر قلة العناية بهذا الواجب، وكثرة من يؤذي الوالدين، ويتعدى عليهما، ويسيء إليهما =

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧٠)، ومسلم: الإيمان (٨٥).

(٢) ص٣١.

(٣) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

....

= في المقال والفعال، وهذا كله من قلة العلم، ومن قلة البصيرة، ومن ضعف الإيمان أو عدم الإيمان.

وقد يكون من سببه أيضاً جهل الوالدين، وسوء تصرفهما، وعدم صبر الولد على ذلك، فالمقصود أنه قد يترتب من الأمرين من جهل هذا وجهل هذا، أو من سوء تصرف هذا وسوء تصرف هذا، قد يترتب منهما العقوق، فالواجب العناية بهذا الأمر، وتوجيه الناس إليه، وإرشادهم إليه، وتحذيرهم من العقوق الذي يضرهم ويضر مجتمعهم، والله المستعان.

۞ وعن أبي بَكْرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى، يا رسولَ الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين» وكان مُتَّكِئاً فجلسَ، فقال: «ألَا وقولُ الزُّورِ، ألا وشهادةُ الزُّورِ» فما زالَ يُكرِّرُها، حتى قلنا: ليتَه سَكَت. رواه البخاري ومسلم[1].[2] [٣٣]

[شرح٣٣] لماذا جاء في الحديث (حتى قلنا: ليته سكت)؟ أتراهم لا يحبون أن يكرر، حتى قالوا: ليته سكت؟ بل من شدة المعصية، (ليته سكت) إشفاقاً عليه من التعب، وإبقاء عليه لما رأوا شدة غضبه وتكراره، فقالوا: ليته سكت، لئلا يتضرر ﷺ من كثرة تكراره لهذا الكلام، وتحمسه له، وحرصه على تبليغه للناس لا كراهة لكلامه، ولا كراهة لتكراره، ولكن من باب الإبقاء والعطف ومحبة ألا يتألم بشيء، عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

(٢) ص٣١.

۞ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله، مَن أحقُّ الناسِ بحُسنِ صَحابَتي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «أَبوكَ». أخرجاه(١).

وعن عبدِ الله بنِ عَمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الوالدينِ، وسَخَطُه في سَخَط الوالدينِ».

رواه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم(٢).

وعن أبي أُسَيدٍ الساعديِّ، قال: بَيْنا نحن جلوسٌ عندَ النبيِّ ﷺ، إذ جاء رجلٌ مِن بني سَلِمةَ، فقال: يا رسولَ الله، هل بَقِيَ مِن بِرِّ أَبَوَيَّ شيءٌ أَبَرُّهُما به بعدَ موتِهما؟(٣) [٣٤]

[شرح٣٤] أبر من باب فرح، بر يبر إذ برر يبر فيدغم، من باب فرح =

---

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧١)، ومسلم: البر والصلة (٢٥٤٨).

(٢) الترمذي: البر والصلة (١٨٩٩)، وابن حبان في «صحيحه»: البر والإحسان (٤٢٩)، والحاكم: البر والصلة (١/ ١٥١-١٥٢)، وعندهم: الوالد بدل الوالدين في الموضعين.

(٣) ص٣٢.

....

= يفرح وعلم يعلم، القاعدة أن الماضي إذا أتى فعل فالمضارع يفعل بالفتحه، إلا في ألفاظ معدودة.

۞ فقال: «نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عَهدِهما مِن بعدِهما، وصِلَةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقِهما».

رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»[1].

والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ، قد أفردها العلماءُ بالتصنيف، وذكر البخاريُّ منها شطراً صالحاً في كتاب «الأدب المفرد»[2]. [٣٥]

[شرح٣٥] وهذا الحديث الجليل عن أبي أُسَيدٍ الساعدي، فيه بيان حق الوالدين بعد وفاتهما.

وقوله: (الصلاة عليهما) يدخل فيها صلاة الجنازة، ويدخل فيها الدعاء، فإنه يسمى صلاة، ومنه الاستغفار، وكذلك من حقهما بعد وفاتهما الإكثار من الدعاء لهما بالمغفرة، والرحمة، ورفع الدرجات، ونحو ذلك. =

---

(١) أبو داود: الأدب (٥١٤٢)، وابن ماجه: الأدب (٣٦٦٤)، وابن حبان (٤١٨).

(٢) ص٣٢.

....

= ولهذا في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابنُ آدمَ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَع به، أو وَلَدٍ صالح يدعُو لَه»[1]، فمن أعظم نفع الولد الصالح أن يدعو لوالديه، ويستغفر لهما، وإذا تصدق عليهما فكذلك، لكن ليس كل أحد يستطيع الصدقة، أما الدعاء فميسور لكل أحد، للفقير والغني.

ومن حقهما كذلك (إنفاذ عهدهما من بعدهما) هذا أمر ثان، وإنفاذ وصاياهما، إذا أوصيا بشيء فمن حقهما وبرهما إنفاذ هذه الوصايا، لكن بشرط أن تكون غير مخالفة للشرع، بل على طريقة الشرع؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولو كان والداً.

فإذا أوصى بوصايا تخالف الشرع لم تنفذ، وإذا أوصى بوصايا، والأم كذلك أوصت بوصايا، وهي موافقة للشرع، نفذت، هذا من حقهما.

كذلك من حقهما صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وصلة أرحامهما، من عم، وأب لأبيك، وجد، وعمات، وما أشبه ذلك، =

(١) أخرجه مسلم: الوصية (١٦٣١).

....

= أي: أقارب والديك.

والرابع إكرام صديقهما، إن كان لهما أصدقاء في حياتهم، فمن برهما إكرام أصدقائهما، والإحسان إليهم، بمواساة الفقير، بزيارته، وبالدعاء له، وبالهدية له، وكف الأذى عنه، وما أشبه ذلك.

هذا من إكرام صديق الوالد، وثبت عن ابن عمر ﷺ: أنه كان في طريقه في بعض أسفاره إلى الحجاز، وكان معه حمار يستريح عليه إذا تعب من ركوب البعير، فقابله أعرابي، وسلم عليه، قال: أنت ابن فلان، قال: نعم، فأمر له بالحمار، وبعمامة كانت عليه، فأعطاهما إياه، وقال: إن والد هذا كان صديقاً لعمر، فقال بعض الحاضرين: لو أعطيته دون ذلك؛ لأن الأعراب يكفيهم الشيء اليسير، فقال: لا، إن والده كان صديقاً لأبي، فأردت أن أكرمه بهذا الشيء[1]. فالمقصود أن إكرام أصدقاء الوالد من بر الوالد*.

---

* س: كيف يجمع بين صلة الرحم مع العصاة وبين الحب في الله والبغض في الله؟ =

---

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٥٢) (١١) و(١٣).

....

= ج: لا منافاة بين الحب في الله والبغض في الله، وصلة الرحم، أسماء بنت أبي بكر كانت أمها كافرة، وهي تريد مساعدتها، فاستشارت النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليَّ، وهي راغبةٌ، وهي لا تزال على الشرك، أفأصِلُها؟ قال النبي ﷺ: «صِلِيها»(١)، فوصل الرحم قد يكون من أسباب إسلام الوالد إذا كان كافراً، ومن باب تأليفه على الخير.

كذلك ورد في القرآن الكريم، يقول جل وعلا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وكان عمر يهدي إلى أخ له مشرك في مكة(٢).

والحاصل أن صلة الأقارب والإحسان إليهم، وهم ليسوا حرباً لنا، وفي حال أمن ومعاهدة وصلح أو ذمة، لا تنافي بغضهم في الله، وهذا بإجماع المسلمين.

وليس هناك نزاع بحمد الله أن يصل المؤمن أرحامه ويواسيهم ويحسن إليهم، ولو كانوا كفاراً، وفي هذا من الفوائد: صلة الرحم، والدعوة إلى الهدى، والصلاة، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فإذا =

---

(١) أخرجه البخاري: الجزية والموادعة (٣١٨٣)، ومسلم: الزكاة (١٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: الهبة وفضلها (٢٦١٩)، ومسلم: اللباس والزينة (٢٠٦٨).

....

= أحسنت إلى الناس، كان هذا من أسباب رجوعهم عن الباطل الذي تدعوهم إلى تركه، سواء أكان كفراً أم معصية، وإذا أسأت إليهم وقاطعتهم فهو من أسباب بقائهم على ما هم عليه من الباطل إلا من شاء الله.

فالمقصود أن في الإحسان خيراً كثيراً، ولهذا جاءت الشريعة بالإحسان مع العدو، ومع الصديق، ولا يخفى قول النبي ﷺ للرجل الذي قال: يا رسولَ الله، إن لي قرابةً أَصِلُهم ويقطعونني، وأُحسِنُ إليهم ويسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم ويجهلون عليَّ، قال: «لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهم الـمَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم، ما دمت على ذلك»[1] أي: معين، وهكذا يقول ﷺ: «ليسَ الواصلُ بالمكافىء، ولكنِ الواصلُ إذا قُطِعت رحمُه وصلَها»[2]، فالقطيعة معصية منهم، ومع هذا يقابلها بالإحسان.

س: إذا كان أهل رَحِمه على معصية ويخوضون في الباطل؟

ج: لا يلزم من وصلهم الاستماع للباطل، فيصلهم ولا يجلس معهم على الباطل، فيصلهم من بعيد، ويرسل لهم الدراهم والكسوة، ولو كان - يعني منهم - شيء من الباطل فلا يلزم أن يجلس معهم على الباطل. =

---

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٩١).

....

= فعلى المسلم أن لا يقطع رحمه ويقطع الصلة وإن كانوا عصاة، بل ينصحهم، ويدعوهم إلى الله جل وعلا، ويرغبهم بالخير، فيصلهم بالمال، ولا يقطعه، أو بغير المال مما ينفعهم، أو الشفاعة لهم، أو رد الظلامة عنهم، وما أشبه ذلك.

س: قد يكون لي مثلاً إخوان فقراء، ولكنهم رجال يشربون الدخان ويشربون التنباك؟

ج: صلهم، وادعهم إلى الله، وواسهم بما عندك من المال، ومن الزكاة، وادعهم إلى الله، فقل: هذا منكر، وهذا لا يجوز، يا إخواني هذا يضركم، وأحسن إليهم حتى تجمع بين المصلحتين.

س: قد يصرفون هذا الذي أعطيتهم إياه على شرب الدخان؟

ج: لا عليك منهم، إذا أعطيتهم إياه فقد فعلت الخير، وأمرهم بينهم وبين الله، لكن لا تعينهم أنت وتأت لهم بالدخان تشتريه لهم. وأمر الكافر أعظم من شارب الدخان.

❁ قال: وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ الآيات [الأنعام].

قال ابنُ كثير: يقولُ الله تعالى لنبيِّه ورسولِه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاءِ المشركينَ الذين عبدوا غيرَ الله، =

= وحَرَّموا ما رزقَهم اللهُ، وقتلُوا أولادَهم، وكلُّ ذلك فعلوه بآرائِهم الفاسدةِ، وتسويلِ الشيطانِ لهم: ﴿تَعَالَوْاْ﴾ أي: هَلُمُّوا وأَقبِلُوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أَقصُصْ عليكم، وأُخبِركم بما حرَّم ربُّكم عليكم حقّاً لا تخرُّصاً، ولا ظَنًّا، بل وحياً مِن الله، وأمراً مِن عِنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قال: وكأنَّ في الكلامِ محذوفاً دلَّ عليه السياقُ، وتقديرُه: وصّاكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، ولهذا قال في آخرِ الآيةِ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥١] [١].

قلتُ: ابتدأَ تعالى هذه الآياتِ المحكماتِ بتحريمِ الشركِ والنهيِ عنه[٢]. [٣٦]

[شرح٣٦] هذا قول لبعض العلماء.

والقول الثاني أن «لا» هنا زائدة؛ كما جاءت في مواضع كثيرة، والمعنى: أتلو ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئاً، =

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) ص٣٢-٣٣.

....

= فـ «لا» هنا صلة.

وفي الآية الأخرى ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩] أي: ليعلم أهل الكتاب، فقد تأتي في الكلام زيادةً وصلةً لظهور المعنى، فإذا روعي هذا، وأنها صلة في الكلام كما في مواضع أخرى، فالمعنى: حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً.

أما إذا بقيت «لا» على حالها، فهذا يحتاج إلى تقدير: وصاكم بألا تشركوا شيئاً، فالتقدير: وصاكم، ولكن مهما أمكن الاستغناء عن الحذف فهو أولى، ثم صار الكلام على الحذف واستقام أمر الكلام بدون حذف، فهو أولى عند أهل العلم وعند أهل العربية.

وهذا مستقيم من دون حذف: «قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئاً» أي: أنها صلة قد تزاد في مواضع؛ لظهور المعنى في لغة العرب، ومن هذا قوله تعالى في آخر سورة الحديد ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩] أي: ليعلم أهل الكتاب.

۞ فحرم علينا أن نشرك به شيئاً، فشَمِلَ[١] ذلك كلَّ مُشرَكٍ به، وكلَّ مُشرَكٍ فيه من أنواع العبادةِ، فإن «شيئاً» من النكرات، فيعمُّ جميعَ الأشياء، وما أباح تعالى لعبادهِ أن يشركوا به شيئاً، فإن ذلك أظلمُ الظُّلمِ، وأقبحُ القبيح.

ولفظُ «الشرك» يدلّ على أن المشركينَ كانوا يعبدون اللهَ، ولكن يشركون به غيرَه من الأوثانِ والصالحينَ والأصنامِ، فكانت الدعوةُ واقعةً على تَركِ عبادةِ ما سوى الله وإفرادِ الله بالعبادة[٢]. [٣٧]

[شرح٣٧] ولا شك أن لهم أنواعاً من العبادة، فيحجون، ويتصدقون، ويقدرون قدر الله في حال الشدائد، ويخلصون له العبادة، فلهم أنواع من العبادة، لكنهم لا يمحضونها لله، بل يفعلونها لله، ويفعلون مع ذلك الشرك بغيره، والعبادة لغيره، فلهذا سموا مشركين؛ لكونهم شركوا في العبادة غير الله ﷻ، وإلا فهم بلا شك يقع لهم عبادات: من حجهم، وصدقاتهم، وغير هذا من الطاعات =

---

(١) قال سماحة الشيخ: شَمِل ـ بالكسر ـ أفصح، وقد يجوز شمَل بالفتح.

(٢) ص٣٣.

....

= التي يفعلونها لله ﷻ، وهكذا يفعلون وقت الشدائد من إخلاص العبادة لله وحده كل هذا واقع.

وكل إنسان يجد من ضميره ومن إحساسه شيئاً من الأهواء في عبادة من هو فوقه، ومن هو أعظم منه ومن هو أعلى منه، ومن هو صبٌّ فيه، وإن اختلفت عقائدهم في هذا الإله، في هذا القاهر: هل هو يسمى الله؟ أو غير ذلك؟ لكن كل إنسان مفطور في أصل خلقته على أن له رباً وخالقاً ومدبراً، لكنهم في معرفته وتفاصيل عبادته أنواع لا تحصى، والله المستعان.

والرسل هي التي دلت على ذلك، أن لها معبوداً، وخالقاً، ومربياً، ومدبراً، فجاءت الرسل تبين هذا الإله، وهذا المعبود، وهذا الخالق، وتوضحه بأسمائه وصفاته، وتوضح جهته التي يسأل منها، ويدعى، وأنه من جهة العلو ﷻ، فالرسل جاءت بإيضاح هذا الأمر، وبيانه أكمل إيضاح، وأعظم بيان.

۞ وكانت «لا إلهَ إلا اللهُ» مُتضمِّنةً لهذا المعنى، فدعاهم النبيُّ ﷺ إلى الإقرارِ بها نُطقاً وعملاً واعتقاداً، ولهذا إذا سُئِلوا عما يقولُ لهم؟

قالوا: يقول: اعبُدُوا الله، ولا تُشرِكوا به شيئاً، واترُكُوا ما يقولُ آباؤُكم، كما قاله أبو سفيان[1].[2] [٣٨]

[شرح٣٨] لما سأله هرقل عما يقوله محمد، قال مثل هذا الكلام، يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصلة، والصدق، والعفاف.

(١) انظر ما أخرجه البخاري: بدء الوحي (٧).

(٢) ص٣٣.

۞ وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١].

قال القُرطبيُّ: الإحسانُ إلى الوالدين بِرُّهما، وحِفظُهما، وصيانتُهما، وامتثالُ أمرِهما، وإزالةُ الرِّقِّ عنهما، وتركُ السلطنة عليهما، و«إحساناً» نصب على المصدرية، وناصِبُه فعلٌ مُضمَرٌ مِن لفظه، تقديره: وأحسنوا بالوالدينِ إحساناً[١].[٢] [٣٩]

[شرح٣٩] تقدم الكلام في الإحسان للوالدين، وهو يشمل أنواع الإحسان مما تقدم، من بر، وصلة، وإحسان، وكف أذى، وترك السلطنة عليهما، وطاعتهما في المعروف، وجمع ما يكون فيه خير لهما، وإحسان لهما، وكف سائر الشر عنهما، فإن كلمة البر كلمة جامعة.

لكنه مقيد بالمعروف، مثل ما تقدم من طاعة ولاة الأمور، وطاعة الوالدين، وطاعة الأزواج، كل ذلك وما أشبهه مما جاء في النصوص، مقيد بالمعروف «إنما الطاعة في المعروف»[٣] كما قال

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣٢).

(٢) ص٣٣.

(٣) أخرجه البخاري: الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠).

....

= النبي ﷺ، فليس لأحد أن يطاع في المعاصي مهما كان فضله، ومهما كانت منزلته، ومهما كان سلطانه، فلا يطاع أحد في معاصي الله جل وعلا: «إنَّما الطاعةُ في المعروفِ».

۞ وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

الإملاقُ: الفقر، أي: لا تَئِدُوا بناتِكم خشيةَ العَيلَةِ والفقرِ، فإني رازِقُكم وإيّاهم، وكان منهم مَن يفعلُ ذلك بالإناثِ والذكورِ؛ خشيةَ الفقرِ، ذكره القرطبي(١).

وفي «الصحيحين» عن ابنِ مسعودٍ، قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ الله؟ قال: «أنْ تجعلَ لله نِدّاً، وهو خَلَقَكَ» قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أنْ تقتلَ ولدَك خشيةَ أن يَطعَمَ معك» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تُزانيَ حَليلةَ جارِكَ» ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨](٢).(٣) [٤٠]

[شرح٤٠] يبين هذا الحديث أن الشرك أعظم الذنوب، ولهذا لـما =

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٧٦١).

(٣) ص٣٣.

....

= سئل، عليه الصلاة والسلام: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً، وهو خلقك»، وهذا يبين أن الشرك أعظم الذنوب.

واتخاذ الند معناه المثل والنظير، يقال: فلان ند فلان، أي: نظيره ومثيله، فكل من اتخذ مع الله إلهاً يعبده بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو التوكل أو الصلاة أو ما أشبه ذلك، فقد جعله لله نداً، وإن لم يسمه نداً.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وذمَّ من يفعل هذا بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فكل من اتخذ مخلوقاً مع الله جماداً أو حيواناً، ملكاً أو نبياً أو غير ذلك، يدعوه مع الله، ويستغيث به، أو ينذر له، أو يصلي له، أو يسجد له، أو يخصه بشيء من العبادة، فقد اتخذه بهذا نداً لله ﷻ، وجعله إلهاً مع الله، وإن سماه بغير هذه الأسماء، سواء سماه سيداً، أو سماه ولياً، أو سماه غير ذلك من الأسماء التي تسميها الأمم.

فالاختلاف في الأسماء لا يضر، ولا يغير المعنى، إذ الاعتبار =

....

= بالمعاني، لا بالأسماء، فمهما سمى الناس هذه الآلهة، فهي آلهة مع الله، وعبادتها شرك بالله ﷻ، واتخاذ للأنداد معه ﷻ، فليسموها ما سموها، فلا يتغير المعنى أبداً، إنما الاعتبار بالحقائق والمعاني، لا بالألفاظ التي تتغير باصطلاحات الناس وعرفهم.

ولهذا في حديث أبي بكرة في «الصحيحين» يقول ﷺ: «ألا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله، كررها ثلاثاً، ثم قال: «الإشراكُ بالله»[1] وجعله أكبر الكبائر، ثم جعل بعده العقوق، ثم شهادة الزور، فدل ذلك على أن الشرك أعظم الكبائر، ثم تتفاوت الكبائر بعد هذا: كالعقوق، وشهادة الزور، وقتل النفس بغير حق، والزنى، كلها من أكبر الكبائر، والعياذ بالله.

وكان في المشركين من يقتل الأولاد جميعاً خشية الفقر والعالة والحاجة، وبعضهم يخص البنات فقط، فيقتل البنت خشية العار والفتنة بها بعد كبرها، وهذا كله منكر، وكله من خصال الجاهلية المذمومة، التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير منها؛ فالله هو =

---

(١) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

....

= الرزاق لعباده، وهو ـ سبحانه ـ الذي عليه أرزاقهم جميعاً، وهو ـ سبحانه ـ المعين لمن صدق في كفالة البنات وصيانة البنات، وهو معين ـ سبحانه ـ لهم على مهمتهم العظيمة في صيانة بناتهم، وحفظ بناتهم عما حرم الله ﷻ، كما أن عليهم أن يحفظوا أولادهم أيضاً، عما حرم الله بكل جهد وبكل استطاعة، والله يعين الصادقين ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

أما قتلهم فلا محل له، وهو منكر وظلم وعدوان، وأما أن تزاني حليلة جارك، قال الشراح من أهل العلم: معنى ذلك أن يراودها وأن يسعى في إفسادها على زوجها، من المزاناة، وهو أشد من كونه يزني ثم يذهب ويتركها؛ لأن الزنى بها مرة أسهل من مزاناته بها، واتخاذها صاحبة له وخدناً له، يفعل بها متى شاء؛ فإن في هذا إفسادها على زوجها، وذهاب عفتها، وهذا أكبر وأشد وأنكر في المصيبة نعوذ بالله، ثم إذا كان مع زوجة الجار كان أيضاً أعظم في الإثم؛ لأن حق الجار الإحسان والمراعاة، وهذا عامله بضد ذلك من خيانته في أهله، وإفساد أهله عليه نعوذ بالله.

۞ ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١]، قال ابنُ عطية: نهيٌ عامٌّ عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي، و﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾ حالتان تستوفيان أقسامَ ما جعلت له من الأشياء.

وفي «التفسير» المنسوبِ إلى أبي علي الطبريِّ من الحنفية ـ وهو تفسيرٌ عظيم ـ ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ أي: القبائحَ، وعن ابنِ عباس، والضحاكِ، والسُّديِّ، أن مِن الكفار مَن كان لا يرى بالزنى بأساً إذا كان سِرّاً[1]. [٤١]

[شرح٤١] ولا يستغرب عليهم ذلك؛ لأنهم لا شرع عندهم ولا إيمان لهم ولا بصيرة؛ فلهذا يستحسنون ما يناسب أهواءهم؛ ولهذا كان بعضهم لا يرى به بأساً سراً؛ كما هو الحال الآن لكثير من الكفرة والعياذ بالله، ويمنعونه علانية لئلا يفضح ولئلا يتكلم فيه.

أما الآن فالأمر أشد علانية، كانوا في الجاهلية يدعون له سرّاً، وأما اليوم فيجعلون له محلات، كفار اليوم أشد من الكفار الأولين =

---

(١) ص٣٣.

....

= بأضعاف مضاعفة من جهة إعلانهم الفواحش، والكفر بالله ـ جل وعلا ـ في الشدة والرخاء، ومن جهة إعلانهم الفواحش كذلك، ومن جهة الدعوة إليها، وتحبيبها وتسهيلها للناس، وأخذ المال عليها إلى غير ذلك، نسأل الله العافية.

۞ وقيل: «الظاهر» ما بينكَ وبين الخَلقِ، و«الباطن» ما بينَكَ وبينَ الله، انتهى.

وفي «الصحيحين» عن ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «لا أحدَ أغيرُ مِن الله، مِن أَجْلِ ذلكَ حرَّم الفواحشَ ما ظَهَر منها وما بَطَن»[1].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، قال ابنُ كثير: هذا مما نَصَّ تعالى على النهي عنه تأكيداً، وإلا فهو داخلٌ في النهي عن الفواحشِ[2]. [٤٢]

[شرح٤٢] هذا تخصيص بعد تعميم، والقتل بغير حق من أقبح الفواحش، ولكن لما كان القتل عظيماً نبه عليه مرة أخرى بخصوصه في آيات كثيرات، فنهى عن القتل بخصوصه؛ لعظم الجريمة، ولما يترتب عليها من الفساد بين الأمم والتقاتل والفتن، ونص عليها بعد التعميم؛ ليعلم الناس عظم الجريمة ويحذروها.

---

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٦٣٤)، ومسلم: التوبة (٢٧٦٠).

(٢) ص٣٣-٣٤.

۞ وفي «الصحيحين» عن ابنِ مسعود مرفوعاً: «لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ الله، إلا بإحدى ثلاثٍ: الثيِّبُ الزاني، والنَّفْسُ بالنفسِ، والتاركُ لدينِه المفارِقُ للجماعةِ»[1].

وعن ابنِ عَمرٍو مرفوعاً: «مَن قتلَ مُعاهَداً لم يَرَحِ رائحةَ الجنَّةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ مِن مَسيرةِ أربعينَ عاماً»[2]. رواه البخاري.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، قال ابن عطية: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى هذه المحرماتِ، و«الوصية»: هي الأمرُ المؤكَّدُ المقرَّر.

وقولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تَرَجٍّ بالإضافة إلينا، أي: مَن سَمِعَ هذه الوصيةَ يُرجَى وقوعُ أثرِ العقلِ بعدَها.

قلت: هذا غيرُ صحيحٍ، والصواب أن «لعلَّ» هنا للتعليل، أي: أنَّ اللهَ وَصّانا بهذه الوصايا لنَعقِلَها عنه، =

(١) أخرجه البخاري: الديات (٦٨٧٨)، ومسلم: القسامة والمحاربين (١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري: الديات (٦٩١٤).

= ونعملَ بها، كما قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة:٥].

وفي «تفسير الطبريّ الحنفيّ» ذَكَر أولاً ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾ ؛ لأنهم إذا عَقَلوا تذكَّروا، فإذا تذكَّروا، خافوا، واتَّقَوا المهالكَ(١). [٤٣]

[شرح٤٣] هذا كلام حسن؛ لأن التعقل وسيلة التذكر لما يجب، والتذكر وسيلة العمل؛ ولهذا جاءت الآيات هكذا ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ، ثم بعدها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، ثم بعدها ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ والترجي من الله لا يليق به ﷻ؛ لأنه ـ سبحانه ـ لا يرجو أحداً، ولا يخاف أحداً، فهو المالك لعباده، والقاهر فوق عباده ﷻ، وبيده قلوبهم وتصرفاتهم، جل وعلا.

لكن قول ابن عطية ـ تَرَجٍّ بالإضافة إلينا ـ ما يرد على هـذا؛ لأن ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ يعني: لعلكم إذا سمعتم هذا الأمر والنهي، وهذه الوصايا لعلكم أنتم تعملون بها لكم فتعقلون وصايا الله، ولكن السياق يأبى أن هذا في حق الله ﷻ، بل المعنى فعلنا ووصينا =

---

(١) ص٣٤.

....

= ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أي: لتعقلوا فالتعليل بالنسبة إلى الله جل وعلا هو الواجب.

ولهذا قال الشارح هذا خطأ، والصواب أنه للتعليل مستقيم بهذا السياق في وصف الله ﷻ في بيان هذه الأشياء، ثم عللها ﷻ بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعني: وصيناكم وأمرناكم ونهيناكم لتعقلوا عنا الأمر والنهي؛ لتعقلوا وتفهموا وتذكروا وتتقوا حسب سياق الآيات كلها؛ فهو راجع إلى الله لا إلى العباد؛ ولهذا لا يناسب فيه هذا المقام أن يقال: للترجي؛ ولكن للتعليل، أمرته بكذا لعله يعقل ويفهم، والله أمرنا بهذه الأشياء، ونهانا عن هذه الأشياء لنعقلها عنه ونفهمها، ثم نتذكر ونعمل بما فيه رضاه وبما فيه نجاتنا وسلامتنا*.

---

* س: أين هو تفسير الطبري الحنفي؟

ج: لعله موجود ولكن ما سمعت عنه.

س: المعاهد هو الذمي؟

ج: المعاهد يشمل الذمي ويشمل المستأمن. =

....

= س: أي ذمي؟

ج: المعاهد قد يكون ذمياً بالجزية، وقد يكون مستأمناً بدون جزية مثل عهد أهل مكة بعد صلح الحديبية، سماهم معاهدين في هدنة، يقال: ذمي ولكن لا يخرج الجزية.

س: تفسير الصنعاني صاحب «المصنف»؟

ج: الصنعاني صاحب «السبل»، ولم أقرأ تفسيره.

س: من هو التارك لدينه المفارق للجماعة؟

ج: هو «المرتد» ويعني ذلك أن من شأن المرتد أنه يخالف الجماعة بعقيدته وإن كان معهم في الوطن، ومفارقة الجماعة يعني: الإتيان بناقض من نواقض الإسلام، هذا يسمى مفارقاً للجماعة فيقتل؛ لقول النبي ﷺ: «من فارق دينه فاقتلوه»[1]؛ لأنه باعتقاده الباطل فارق الجماعة وإن كان معهم في الحجرة أو البيت أو البلد، فهو وصفٌ لازم.

س: هل هزُّ الرأس أو هزُّ الجسم عند قراءة القرآن مأثور عن السلف الصالح؟

ج: ما سمعت فيه شيئاً عن السلف، يقال عنه: إنه من عمل اليهود كما ذكر بعض أهل العلم، ولكن ما أعرف صحة هذا، والأولى أن هذا =

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠١٧).

....

= إقبال على الخشوع والتأمل والتدبر؛ حتى يستفيد الإنسان من كلام الله ﷻ فيحضر قلبه ويخشع؛ أما الحركة فما سمعت عنها شيئاً، ولا أذكر فيها شيئاً، إلا أنه قد ذكر بعض أهل العلم أنه من عمل اليهود، ولكن لا أعلم صحة القول.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام:١٥٢] .

قال ابنُ عطية: هذا نَهيٌ عن القُربِ الذي يَعُمُّ وجوهَ التصرُّف، وفيه سَدُّ الذريعة، ثم استثنى ما يَحسُنُ، وهو التشميرُ والسَّعيُ في نَمائِه.

قال مجاهد: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ التجارةُ فيه، فمن كان مِن الناظرين له مالٌ يعيشُ به، فالأحسنُ إذا ثَمَّرَ مالَ اليتيمِ ألا يأخذَ منه نفقةً ولا أُجرةً ولا غيرَهما، ومَن كان من الناظرين لا مالَ له، ولا يتَّفِق له نظرٌ إلا بأن ينفقَ على نفسِه من رِبحِ نظرِه، وإلّا إذا دعت الضرورةُ إلى تَركِ مالِ اليتيمِ دون نظرٍ، فالأحسنُ أن ينظرَ ويأكلَ بالمعروف، قاله ابنُ زيد[1]. [٤٤]

[شرح٤٤] قال الله جل وعلا: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:٦]، فالله جل وعلا جاء في هذه =

---

(١) ص٣٤.

....

= الآية بالمراد بالتي هي أحسن.

وولي اليتيم قد يكون غنياً، فينبغي التعفف عن مال اليتيم، وأن يتبرع بعمله فيه، وأن يعمل في بيعه وشرائه لتنميته لليتيم حتى ينفعه ويكثر هذا المال، أما إذا كان الولي فقيراً، ولا يستطيع العمل في مال اليتيم إلا بأن يجد مالاً ينفقه على عائلته، فليأكل بالمعروف، وليتجر في مال اليتيم، وليأخذ بالأصلح، وهو العمل في مال اليتيم وينمي فيه، ومع هذا يأكل بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير.

۞ وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢]. قال مالكٌ وغيرُه: هو الرشدُ، وزوالُ السَّفَهِ مع البلوغ(١). [٤٥]

[شرح٤٥] هذا معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢] حتى يبلغ الحُلُمَ، وحتى يكون رشيداً في التصرف، كما ورد في الآية الآتية في سورة النساء: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ﴾ الآية [النساء:٦].

---

(١) ص٣٤.

❁ قال ابنُ عطية: وهو أصحُّ الأقوالِ، وأَليقُها بهذا الموضع.

قلت: وقد روي نحوُه عن زيدِ بنِ أسلَمَ، والشعبيِّ، وربيعةَ، وغيرِهم، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء:٦] فاشترطَ تعالى للدفع إليهم ثلاثةَ شروطٍ:

الأول: ابتلاؤُهم، وهو اختبارُهم، وامتحانُهم بما يظهرُ به معرفتُهم لمصالح أنفسِهم وتدبيرِ أموالهم.

والثاني: البلوغُ.

والثالث: الرُّشدُ.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابنُ كثير: يأمرُ تعالى بإقامةِ العدلِ في الأخذِ والإعطاءِ؛ كما تَوعَّدَ عليه في قوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾، وقد أهلكَ اللهُ أُمةً مِن الأمم كانوا يَبخَسُون المكيالَ =

= والميزانَ، وقال غيرُه: القِسطُ: العَدلُ[1]. [٤٦]

[شرح٤٦] يريد بالأمة التي هلكت لبخسها المكيال والميزان قوم شعيب، وهم لم يهلكوا فقط لبخسهم المكيال والميزان، ولكن فوق ذلك كفر بالله.

(١) ص ٣٤-٣٥.

۞ وقد روَى الترمذيُّ وغيرُه بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ لأصحابِ الكيلِ والميزانِ: «إنَّكُم وُلِّيتُم أمراً هلكَت فيه الأممُ السالفةُ قبلَكُم»[1].

وقد رُوي عن ابنِ عباس موقوفاً بإسنادٍ صحيح.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابن كثير: أي: مَن اجتهدَ في أداءِ الحقِّ وأَخذِه، فإن أخطأَ بعدَ استفراغِ وُسعِه وبَذلِ جهدِه، فلا حرجَ عليه[2]. [٤٧]

[شرح٤٧] قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، والمقصود أن الواجب على المسلم أن يبذل وسعه في أداء الحق الذي عليه، والحذر من أخذ أموال الناس بالباطل، كما أن عليه أن يبذل وسعه في أداء الواجبات الأخرى والبعد عن المحرمات، فإذا غلبه شيء بعد استفراغ الوسع والاجتهاد والنية الصالحة، في نظر ذلك الشيء الذي قصده وأراده ولم يقصر فلا حرج عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي: البيوع (١٢١٧).

(٢) ص٣٥.

۞ وقد روى ابنُ مَردَوَيْه، عن سعيد بن المسَيّب مرفوعاً: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] فقال: «مَن أوفَى على يدِه في الكيلِ والميزانِ، والله يعلَم صحَّةَ نيَّته بالوفاءِ فيهما، لم يُؤاخَذْ» وذلك تأويل ﴿وُسْعَهَا﴾. قال: هذا مرسل غريب(١).

قلت: وفيه رَدٌّ على القائلين بجوازِ تكليفِ ما لا يُطاق.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام:١٥٢] هذا أمرٌ بالعدلِ في القول والفعلِ على القريبِ والبعيد.

قال الحنفيُّ: العدلُ في القولِ في حقِّ الوليِّ والعدوِّ، لا يتغيرُ بالرضا والغضبِ، بل يكون على الحقِّ والصدقِ، وإن كان ذا قُربَى، فلا يميلُ إلى الحبيبِ ولا إلى القريبِ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]. قال ابنُ جرير: =

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤).

= يقول: وبوصيةِ الله التي وصّاكُم بها فأَوفُوا وانقادُوا لذلك، بأن تطيعُوه فيما أمرَ به ونهاكُم عنه، وتعملُوا بكتابِه وسُنَّة رسولِه، وذلك هو الوفاءُ بعهدِ الله، وكذا قال غيرُه.

قلت: وهو حَسَنٌ، ولكن الظاهر أن الآيةَ فيما هو أخصّ؛ كالبيعةِ، والذِّمَّة، والأمانِ، والنَّذرِ، ونحو ذلك.(1) [٤٨]

[شرح٤٨] قال بعضهم: بعض عهد الله، فهذه الآية العامة أجمل وأشمل، وهو غالباً يساوي عهد الله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] أي: ما عهد الله لعباده من الأوامر والنواهي، فعليهم أن يفوا بهذا العهد، فيستقيموا على فعل الأوامر وعلى ترك النواهي، وأن يقفوا عند الحدود تعظيماً لله وطاعة له، ومما يكون في ذلك عدم الغدر بالبيعة، والوفاء بالنذور والأيمان، هذا من جملة العهد وليس المراد وحده، ولكن يخصص أولاً فيما تقدم من النهي عن الفواحش، وقتل النفس بغير حق، والإحسان للوالدين.

ومن هذا الباب أكل مال اليتامى إلا بالحق، وصون اللسان =

---

(1) ص٣٥.

....

= ثم عمم: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾ [الأنعام:١٥٢] بما عهد إليكم في هذه الأمور لا في هذه الأشياء وحدها، بل في هذه الأمور عليكم أن توفوا بعهد الله، بأداء ما وصل إليكم على يد الرسل، فعليكم أن توفوا بذلك، والمعنى أن تؤدوا الواجبات، وأن تدعوا المحرمات، وأن تقفوا عند الحدود التي حدها لكم مولاكم، وبذلك تحصل لكم السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

۞ وهذه الآيةُ كقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل:٩١] هذا هو المقصودُ بالآية، وإن كانت شاملةً لما قالوا بطريقِ العمومِ.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢]، يقول تعالى: هذا وصّاكُم وأمركُم به، وأكَّد عليكُم فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢]، أي: تتعظون، وتنتهون عما كنتم فيه[1]. [٤٩]

[شرح٤٩] من فعل بما وصى ربُّه سعد كل السعادة، ومن ضيع هلك، والله المستعان، ونسأل الله السلامة!

* * *

(١) ص٣٥-٣٦.

۞ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: ولنذكُر في الصراطِ المستقيمِ قولاً وَجِيزاً، فإنَّ الناسَ قد تنوَّعت عباراتُهم عنه، وتَرجَمتُهم عنه بحَسَبِ صفاتِه ومتعلَّقاته، وحقيقتُه شيءٌ واحد، وهو طريقُ الله الذي نصبَه لعبادِه مُوصِلاً لهم إليه(١). [٥٠]

[شرح٥٠] صراط الله المستقيم شيء واحد، كلمة واحدة تجمعه، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده، وجعله الموصل إليه لمن استقام عليه، وهو فعل الأوامر وترك النواهي، هذا صراط الله، من استقام عليه وصل إلى النجاة، ومن حاد عنه صار إلى الهلاك.

---

(١) ص٣٧.

۞ ولا طريقَ إليه سواه، بل الطُّرقُ كلُّها مسدودةٌ على الخلقِ إلا طريقَه الذي نصبَه على ألسنِ رسلِه[1]. [٥١]

[شرح٥١] وبهذا يعلم أن من يقول: إن الأديان كلها موصلة، أو إن اليهودية موصلة، أو النصرانية موصلة، أن هذا من أبعد الناس عن الهدى، وأنه من أضل الناس عن الحق، وأنه كافر بالله، فلا طريق للناس أبداً إلى الله وقرابته، وإلى الجنة والنجاة من النار إلا طريق محمد، عليه الصلاة والسلام.

ومن زعم أن هناك طرقاً أخرى يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو بوذية، أو قاديانية أو غير ذلك، أي طرق زعموها فهي طرق باطلة، واعتقادها ضلال وكفر بالله، وردة عن الإسلام، ومن زعم أنه يسع أحداً من هذه الأمة الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، وهكذا الأنبياء الآخرون، فهذا ضال مضل وكافر، جاء به الرسول ﷺ.

فالطريق الوحيد هو طريق الله الذي جاء به محمد ﷺ، فهو صراط الله المستقيم ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ =

---

(١) ص٣٧.

....

= ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، نسأل الله العافية*.

*** س: هل يظهر من القرآن أن الـخَضِر أخذ عن موسى، إلا أن الله ﷻ علمه شيئاً لم يعلمه موسى؟**

ج: ظاهر السياق القرآني أنه مستقل، مثل ما قال الخضر نفسه لموسى كما في «الصحيحين»[1]: إنك على علم من علم الله علَّمك الله إياه لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله عَلَّمنيه لا تعلمه أنت. هكذا قال الخضر لموسى.

وكذلك يقول: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ [الكهف:٨٢]، فهو أمرٌ من الله جل وعلا، فالصحيح أنه نبيٌّ يوحى إليه، وليس كما قيل: إنه رجل صالح فقط. ولهذا قال الله لموسى لما سأله رجل: هل هناك في الأرض أعلم منك؟ قال له: بلى، عبدي الخضر.

---

(١) البخاري: التفسير (٤٧٢٥)، ومسلم: الفضائل (٢٣٨٠).

۞ وجعلَه مُوصِلاً لعبادِه إليه، وهو إفرادُه بالعبوديةِ وإفرادُ رسولِه بالطاعة، فلا يُشرَك به أحدٌ في عبوديَّته، ولا يُشرَك برسولِه أحدٌ في طاعتِه، فيُجرّد التوحيد(1). [٥٢]

[شرح٥٢] فالعبادة لله وحده، والطاعة والاتباع للرسول ﷺ، فطاعته واتباعه طاعة لله ﷻ؛ لأنه مبعوث من الله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فإن من طاعة الرسول معنى طاعة الله والرسول، فإن طاعة الرسول طاعة للمرسل، فالله أرسله إلينا لنطيعه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤].

فطاعتنا الرسول طاعة للذي أرسله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فلا مطاع مُحكَّم إلا محمد عليه الصلاة والسلام، ولا إله يعبد بحق إلا الله وحده ﷻ.

هذا هو الطريق، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فالله هو المعبود بحق، والرسول هو المتبع بحق، فمن نصب شخصاً آخر يحل ما أحل، ويحرم ما حرم غير =

---

(١) ص٣٧.

....

= الرسول ﷺ فقد جعله رسولاً، وجعل له شريعة خاصة، فيكون كافراً والعياذ بالله*.

*** س: إذا عمل إنسان عملاً مخالفاً للشرع وهو يعلم أنه محرم، ولكن ألزم بهذا الشيء؟**

ج: هذا فيه تفصيل، فقد يكون فعله اتباعاً لهواه، فهذه معصية، وعليه التوبة إلى الله، وذلك كأن يزني، وهو يعلم أن الزنى محرم، ويشرب الخمر، وهو يعلم أن شرب الخمر محرم، ويغتاب بعض الناس، ويعلم أن الغيبة محرمة، ويرابي، ويعلم أن الربا محرم، فهذه كبائر ومعاصٍ عليه التوبة إلى الله منها، وهو باقٍ على إسلامه خلافاً لرأي الخوارج المكفرين له.

فأهل السنة لا يكفرونه بهذا، والخوارج تكفره بهذا، فتجعله كافراً مرتداً، والمعتزلة لا تقول: إنه كافر، لكن تقول: هو بمنزلة بين المنزلتين، ولكنه في الآخرة مخلد في النار كرأي الخوارج، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: هو ناقص الإيمان، أو ضعيف الإيمان، ولا يكون كافراً إلا إذا استحل هذا المحرم المعروف.

وأما إذا أكره على ذلك فالإكراه له أحكام، فإذا أكره على شيء من المحرمات فإن كان إكراهاً صحيحاً بالضرب والإيلام أو بالوعيد، ويظن أنه قادر على إيقاعه به، فهو معذور، حتى في الكفر ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ =

....

= ﴿بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

فمن أكره على أن يسب محمداً، أو يشرك بالله، أو أي كلمة، إكراهاً صحيحاً؛ فهو معذور ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ هذه هي الشريطه؛ أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، ثابتاً على الحق، وإنما فعل ما فعل متابعة للمكره للتخلص من شره.

وهكذا بقية المعاصي من باب أولى، فإذا كان هذا في الشرك ففي المعاصي من باب أولى، أما مجرد التساهل، كأن يقال: افعل كذا وافعل كذا من الشرك، فليس من الإكراه، ولا يسمى إكراهاً أن يفعل المعاصي من جهة: افعل واترك، بل الإكراه يكون بالضرب والإيلام أو التهديد به من قادر يظن أن يفعل ما يهدد به، فبعض الناس يبرق ويرعد وما عنده شيء، فالإكراه أن يهدده ويظن أنه قادر على إيقاع تهديده أو يضربه ويؤذيه ويقيده.

س: ماذا إذا أتى المحرم راغباً؛ كأن يعلم أن تلك الشركة لا يعمل فيها أحد إلا وهو حالق اللحية؟

ج: هذه معصية؛ إذا كان يعلم أنه محرم وفعله لأجل حظ عاجل فهذه معصية، كأن يزني أو يشرب الخمر ويعلم أن هذا محرم، ولكن غلبه هواه.

س: الإكراه يكون بالقول والفعل أم بالقول فقط؟

ج: بالقول والفعل جميعاً، فلو قال: اشرب الخمر، وسقاه إياه بالإكراه فهذا فعل.

۞ ويجرّدُ متابعة الرسولِ ﷺ، وهذا معنى قولِ بعضِ العارفين: إن السعادةَ كلَّها والفلاحَ كلَّه مجموعٌ في شيئين: صدقِ محبَّةٍ، وحُسنِ معاملةٍ[1]. [٥٣]

[شرح٥٣] صدق محبةٍ لله جل وعلا، وصدق المحبة لله تقتضي العبادة، فالمحب لمن يحب مطيع كما قال الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنتَ تزعُمُ حبَّهُ   هذا لَعَمرِي في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ   إن المحِبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

المقصود أن صدق المحبة تقتضي المتابعة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١] فصدق المحبة يتضمن ذلك، ويقتضي ذلك من المتابعة للرسول ﷺ في توحيد الله، والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وحسن المعاملة.

فإذا فعل المحب ما ينبغي، وترك ما ينبغي، فهذا يدل على أنه صادق، فإذا ادعى المحبة، أو ادعى المتابعة، أو ادعى أنه حريص =

---

(١) ص٤٧.

....

= على الخير، أو ادعى أنه يحب الله ورسوله، ولكن معاملته غير طيبة، بل هو يقارف المحرمات، ويؤذي الناس، ويغش الناس في المعاملات، فهذا يقال له: أنت بين أمرين: إما أن تكون كذاباً ومنافقاً، وإما أن تكون ضعيف الإيمان، أو ناقص الإيمان، ولهذا لا يمنعك إيمانك من تعاطي هذه المعاصي.

وأما ما يقوله بعض الناس: إن الدين حسن المعاملة، أو الدين المعاملة، فليس بحديث، فهذا لا أصل له، ولكن هو صحيح من حيث المعني، وليس بحديث*.

---

* س: المحبة الشِّركية التي تخرج صاحبها عن الملة والعياذ بالله، ما تعريفها؟

ج: كما تقدم المحبة الشركية هي المحبة مع الله، هي محبة الأنداد مع الله، أن يحب محبة خاصة تقتضي دعوة المحبوب، أو اعتقاد تصرفه في الكون، أو أن له تصرفاً في أمور العباد، أو يستحق أن ينذر له، أو أن يطاع في معصية الله، أو ما أشبه ذلك، يعني: محبة تقتضي خلاف ما شرع الله، ويقال لها المحبة مع الله، فالمحبة أنواع:

النوع الأول: المحبة لله. =

....

= النوع الثاني: المحبة في الله.

النوع الثالث: المحبة مع الله.

فالمحبة لله لا بد منها، فهي من أهم العبادات بل لا تنفع العبادة إلا بها، والمحبة في الله هي محبة المسلمين والإخوان في الله والأنبياء والرسل، والمحبة مع الله هي المحبة الشركية، وهي التي تقتضي إيجاد ندٍّ لله: في الدعاء، في الخوف، في الرجاء، في الصلاة، في الصوم، في غير هذا من العبادات، وهي محبة الأنداد ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] حباً اقتضى أن يعبدوهم معه، فينذروا لهم، ويذبحوا لهم، ويصرفوا لهم شيئاً من العبادات، أو يعتقدوا فيهم نوعاً من السر خلاف الأسباب الطبيعية، نسأل الله العافية.

س: لو أن إنساناً أمرته زوجته وهو يحبها أن يشتري لها تلفزيوناً أو ولده، فأطاعها أو أطاعه بدافع المحبة لزوجته أو ولده، هل يدخل بذلك في باب المحبة الشركية؟

ج: هذا من باب المعاصي، فحب الزوجة أو الولد من الحب الطبيعي، ولكن هذا الحب الطبيعي إذا حمل على المعصية حرم؛ فحبه لولده مثلاً دعاه إلى أن يعطيه أموالاً يفعل بها ما لا ينبغي، كشراء الخمر، أو شراء التلفزيون، أو شراء الدخان، ومثل ذلك حبه للزوجة جعله يتساهل في خروجها كاشفة سافرة أو متعطرة، أو دعاه إلى التساهل معها في شراء التلفزيون، أو =

....

= شرب الخمر، أو التدخين، أو ما أشبه ذلك من المعاصي، فهذا حب طبيعي حمله على المعصية، فيحرم.

س: ألا يدخل في الشرك؟

ج: لا، لا يدخل في الشرك، فهذا مثل حب السلطان، فحب السلطان أو الخوف منه قد يحمله على أن يطيعه في المعاصي.

س: إذا كان والد الشخص يشرب الدخان والابن صالح، ثم أمره الوالد أن يشتري له دخاناً، فهل تجب طاعته؟

ج: طاعة الوالد إنما تكون في المعروف، فإذا أمره بمعصية يقول: يا أبت، أنا أحب لك كل خير، وبرك واجب علي، لكن الرسول ﷺ فوق الجميع وقد قال: «إنما الطاعة في المعروف»[1]، وهذا يا والدي ليس من المعروف، بل هذا مما يضرك في الدنيا والآخرة، ولا أستطيع أن أؤمن هذا الشيء لك؛ لأنه تأمينه لك معناه معصية للرسول، فلا يجوز أن أطيعك في شيء يكون معصية للرسول.

وهكذا، فيجب أن ينصحه بأسلوب طيب، ولا يطيعه في هذا، لكن يكون بالأساليب الحسنة مثل ما قال الله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] والشرك أشد من ذلك، فالله قال مع المشركين: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ =

(١) أخرجه البخاري: الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠).

....

= عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥].

فلو جاهداك وقالا: أشرك بالله، أو اعبد المسيح، أو اعبد كذا، أو اعبد البدوي، فمع هذا كله عليه أن يصاحبهما في الدنيا معروفاً، وعليه أن يرفق بهما وينصح لهما، ويتكلم معهما بالكلام الطيب، ويوجههما إلى الخير، ويبين لهما أن هذا منكر، وأن هذا شرك، أو أن هذا معصية على حسب الأحوال، بالأسلوب الذي يرجى فيه النفع من غير عنف ولا شدة على والده ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣].

س: أب صالح وله أولاد والعياذ بالله غير صالحين؟

ج: يبتعد عنهم، فأرض الله واسعة، فلينتقل إلى محل آخر، فإنسان لا يستطيع أن يحكم عليهم فليبعدهم حتى يستريح من شرهم، فإن هداهم الله وإلا فالنار لها ملؤها.

۞ وهذا كُلُّه مضمونُ شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، فأيُّ شيءٍ فُسِرَّ به الصراطُ المستقيمُ، فهو داخلٌ في هذين الأصلينِ، ونكتةُ ذلك أن تحبَّه بقلبك كلِّه، وتُرضِيه بجُهدِكَ كلِّه؛ فلا يكون في قلبكَ موضعٌ إلا معمورٌ بحبِّه، ولا يكون لك إرادةٌ إلا متعلقةً بمرضاتِه، فالأولُ يحصُل بتحقيق شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، والثاني يحصُل بتحقيقِ شهادةِ أن محمداً رسولُ الله(١). [٥٤]

[شرح٥٤] الأول: وهو أن يكون القلب معموراً بحب الله ﷻ، وهذا يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإذا تأمل أن هذا المعبود بحق هو الله سبحانه الذي أحسن إليه، وأعطاه ما أعطاه من الخيرات، وصرف عنه الشرور، وأعطاه العقل والسمع والبصر والصحة، وأعطاه النعم الكثيرة إذا تأمَّل في نعم الله وإحسانه إليه.

وأعظم هذه النعم أن هداه إلى الإسلام وعرفه بالإسلام، وجعله على بصيرة في الإسلام، فهذا يوجب حبه الكامل ﷻ، =

---

(١) ص٣٧.

....

= فيحبه الحب الكامل بكل قلبه، فلا يبقى في قلبه موضع إلا معموراً بحبه ﷻ على إحسانه وإنعامه، وعلى أنه مستحق للتعظيم والعبادة جل وعلا.

وأما إرضاؤه بجهده كله، فيكون ويتحقق بصرفه جميع قواه في جميع طاعته، واتباع منهج شريعته، وهذا يحصل باتباع الرسول ﷺ، والاستقامة على شريعته، وأن تكون إرادة العبد تابعة لما جاء به الرسول ﷺ.

وبهذا يكون أرضى الله بمتابعة الرسول ﷺ، وأحبه بكل قلبه في إحسانه في العمل، وإخلاصه في العمل، وصدقه في العمل، فيكون القلب معموراً بهذا الحب العظيم الذي ينبعث منه المسارعة إلى الخيرات، والكف عن السيئات، والوقوف عند الحدود تعظيماً لهذا المحبوب، وتقديراً لإنعامه وإحسانه وفضله جلَّ وعلا، وملاحظة لكونه مستحقّاً لأن يعبد من دون أيّ شيء من خلقه، وهذا كله يحصل بتحقيق الشهادتين.

۞ وهذا هو الهُدَى ودينُ الحقِّ، وهو معرفةُ الحقِّ والعملِ به، وهو معرفةُ ما بَعَث اللهُ به رسولَه والقيامُ به، فقل ما شئتَ مِن العباراتِ التي هذا آخِيَتُها وقُطْبُ رَحَاها.

قال: وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦] هكذا أُثبتَ في نسخةٍ بخطِ شيخنا، ولم يذكرِ الآية[1]. [٥٥]

[شرح٥٥] قوله: (شيخنا) يعني: الشيخ محمداً رحمه الله؛ لأن الشارح أحد تلاميذه، فهو حفيده وتلميذه رحمهما الله، وأهل العلم قد يقولون: شيخنا، وإن كانوا لم يلقوه، فيقولون: شيخنا لما انتفعوا به من علومه، وإن كانوا ما لقوه.

---

(١) ص٣٧-٣٨.

۞ قال ابنُ كثيرٍ: يأمرُ تعالى عبادَه بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له؛ فإنه الخالقُ الرازقُ المُنعِمُ المتفضِّلُ على خلقِه في جميع الحالاتِ، فهو المستحقُّ منهم أن يوحِّدُوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته.

قلت: هذا أولُ أمرٍ في القرآن، وهو الأمرُ بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، والنهي عن الشركِ، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١](1). [٥٦]

[شرح٥٦] قوله: (في القرآن) يعني: المصحف، والمصحف على ترتيب الصحابة، فأول أمر يمر بك في القرآن الأمر بعبادة الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ الآية [البقرة:٢١]، هذا أول أمر في القرآن من حيث هذه الحيثية، أما من حيث النزول فأول أمر ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١].

هذا أول ما نزل، لكن مراد الشارح أول أمر في القرآن من جهة =

---

(١) ص٣٨.

....

= المصحف، من حيث إن القارئ إذا قرأ فيه فأول أمر يمر به بعد الفاتحة، وبعد قراءة أول البقرة، هو ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وأول فعل يمر به في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالمقصود من هذا بيان عظم شأن هذا الأمر.

۞ وتأمَّل كيف أَمرَ تعالى بعبادتِه ـ أي: فِعلِها خالصةً له ـ ولم يَخصَّ بذلك نوعاً من أنواع العبادةِ؛ لا دعاءً، ولا صلاةً، ولا غيرَهما؛ ليَعُمَّ جميعَ أنواع العبادةِ، ونهى عن الشركِ به، ولم يَخصَّ أيضاً نوعاً من أنواع العبادةِ بجوازِ الشركِ فيه(١). [٥٧]

[شرح٥٧] ولهذا قال: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] (شيئاً) نكرة تعمّ كل شيء، فقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٣٦] تقتضي توحيده وإفراده في العبادة، لكن أكد هذا المقام لعظم شأنه بقوله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ فنهى عن الشرك تأكيداً لمقام التوحيد، وأن التوحيد لا بد فيه من الإخلاص لله في جميع العبادات.

فلا تسامح في شيء من العبادة كالشرك به في الصلاة أو الصوم أو الذبح أو الخوف أو الرجاء، بل جميع أنواع العبادات كلها يجب أن تكون لله وحده وليس لأحد فيها شركة كائناً من كان.

---

(١) ص٣٨.

۞ وفي هذه الآيةِ واللواتي قبلَها دليلٌ على أنَّ العبادةَ هي التوحيدُ، لأن الخصومةَ فيه، وإلا فكان المشركون يعبدون اللهَ ويعبدون غيرَه، فأُمِروا بالتوحيد، وهو عبادةُ الله وحدَه، وتَركُ عبادة ما سواه(١). [٥٨]

[شرح٥٨] قوله: «الخصومة فيه» المقصود الخصومة بين الأنبياء وأممهم في توحيد العبادة لله، فليس المقصود الخصومة في الله ربهم، فهم يعرفون ربهم، فالخصومة كانت في تخصيص الله بالعبادة؛ لأنهم كانوا يعبدون الله، ويحجون، ويتصدقون، ويبرون والديهم، ويدعون الله في الشدة، ويخلصون له العبادة، وتلك أنواع من العبادة، ولكن المعنى في التشريك.

---

(١) ص٣٨.

۞ وفيهنَّ دليلٌ على أن التوحيدَ أوَّلُ واجبٍ على المكلَّف، وهو الكفرُ بالطاغوتِ، والإيمانِ بالله المستلزمِ لعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ مَن عَبَدَ غيرَ الله بنوعٍ من أنواع العبادةِ فقد أشركَ، سواء كان المعبودُ ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو صنماً.

قال ابنُ مسعود: مَن أراد أن ينظرَ إلى وصيَّة محمدٍ ﷺ التي عليها خاتَمُهُ فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣][1].

ابنُ مسعودٍ: هو عبدُ الله بنُ مسعود بنِ غافِلٍ ـ بمُعجَمةٍ وفاءٍ ـ بنِ حبيبٍ الهُذَليّ، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليلٌ من السابقين الأولين، وأهلِ بدرٍ، وبيعةِ الرِّضوان، ومن كبارِ العلماء من الصحابة، أَمَّرَهُ عمرُ على الكوفةِ، ومات سنة اثنتين وثلاثين. =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٠٥٦)، والطبراني في «الأوسط» (١١٨٦) وفي «الكبير» (١٠٠٦٠).

= وهذا الأثرُ رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والطبرانيُّ بنحوه، ورواه أبو عُبيد وعَبدُ بنُ حُميدٍ، عن الربيع بن خُثَيم(١).

قال بعضُهم ما معناه: أي: مَن أرادَ أن ينظرَ إلى الوصيةِ التي كأنَّها كُتِبَت وخُتِمَ عليها ثم طُوِيَت، فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل؛ تشبيهاً لها بالكتابِ الذي كُتِب، ثم خُتِم عليه فلم يُـزَد فيه، ولم يُنقَص؛ لأن النبيَّ ﷺ كَتبَها وختمَ عليها، وأوصى بها، فإن النبيَّ ﷺ لم يوصِ إلا بكتابِ الله، كما قال ـ فيما رواه مسلم ـ: «وإنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لن تَضِلُّوا: كتابَ الله»(٢).

قلت: وقد روى عُبادةُ بنُ الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم يبايعُني على هؤلاءِ الآياتِ الثلاث؟» ثم تلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] حتى فرغ من ثلاثِ آياتٍ، ثم قال: «مَن وَفَى بهنَّ فأجرُه =

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم: الحج (١٢١٨).

= على الله، ومَن انتقصَ منهنَّ شيئاً فأدركَه اللهُ في الدُّنيا كانت عقوبتُه، ومَن أخَّره إلى الآخرةِ كان أمرُه إلى الله، إن شاءَ أخذَهُ، وإن شاءَ عفا عنه» رواه ابنُ أبي حاتم والحاكمُ وصحَّحه[1]، فهذا يدلُّ على أن النبيَّ ﷺ يعتني بهنَّ، ويبالغُ في الحثِّ على العملِ بهنَّ[2]. [٥٩]

[شرح٥٩] وهذه الآيات مثل ما تقدم قد اشتملت على أوامر ونواه، ثم قال بعدها الرب: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فدل على عظم شأنها وأنها مشتملة على صراط الله المستقيم، إذ صراط الله هو اتباع الأوامر وترك النواهي.

والآيات ذكر فيها جملة من الأوامر وجملة من النواهي، فصراط الله سبحانه المستقيم، هو الأخذ بالأوامر وترك النواهي عن إخلاص، وعن إيمان، وعن رغبة ورهبة، هذا هو صراط الله =

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٠٧٧)، والحاكم في «المستدرك»: التفسير (٢/ ٣١٨). وانظر «مسند أحمد» (٥/ ٣١٤).

(٢) ص٣٨-٣٩.

....

= المستقيم، وأعظم من ذلك توحيده، والإخلاص له، وترك الإشراك به، ثم تطيع الأوامر الأخرى التابعة للتوحيد، وتترك النواهي التابعة للشرك.

فالمعاصي فروع الشرك والكفر، والطاعات فروع التوحيد والإيمان، فصراط الله المستقيم، وتوحيد الله، والإخلاص له، وترك النواهي، وفعل الأوامر، فعل أوامر الله كالصلاة وما بعدها، وترك نواهي الله من العقوق والقطيعة والقتل واليمين الغموس ونحو ذلك مما جاءت به النصوص، وهذا هو صراط الله المستقيم، أوامر تنفذ، ونواهٍ تترك عن إيمان صادق، وعن إخلاص لله، وعن متابعة صادقة للرسول عليه الصلاة والسلام، هذا هو صراط الله المستقيم، من سار عليه نجا، ومن تخلف عن ذلك هلك.

وفي «الصحيح» عن عبد الله بن أبي أَوفَى أنه سئل: هل أوصى رسول الله؟ قال: نعم، أوصى بكتاب الله[1] .

فالنبي ﷺ أوصى بكتاب الله، ووصيته التي كأنها ختمت لو =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٤٠)، ومسلم: الوصية (١٦٣٤).

....

= وقعت لم تخرج عن هذا، فإنه إنما يوصي بكتاب الله، وما دلَّ عليه كتاب الله، وما يرضي الله ﷻ، وقد هَمَّ أن يوصي وقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً» فاختلفوا وكثر اللغط، عندها قال بعضهم لبعض: إن الرسول ﷺ قد شغله المرض، وقال بعضهم: ائتوه بكتاب، فلما رآهم اختلفوا أمر بإخراجهم وقال: «ما ينبغي عند نبي تنازع»[(١)].

ثم أفاق من ذلك المرض ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يقدر له أن يكتب هذا الكتاب لحكمة بالغة، فلم يطلب الكتاب بعد ذلك، ولم يكتب الكتاب بعد ذلك، وفي كتاب الله ما يكفي، وفي سنته التي رواها عنه أصحابه وحفظوها عنه ما يشفي ويكفي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه وصَّى في آخر حياته ﷺ بالصلاة وبالعناية بملك اليمين[(٢)] وبإخراج المشركين من الجزيرة وبإجازة الوفد كما كان يجيزهم ﷺ[(٣)] =

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣١)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الجنائز (١٦٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٥٣)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧).

....

= وأوصى بكتاب الله ﷻ[١].

فالنبي أوصى بالقرآن العظيم فهو طريق السعادة وهو حبل الله المتين، فالمقصود أنه أوصى بأشياء في آخر حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعند خروج روحه، ومن ذلك أنه أوصى بالحذر من التأسي باليهود والنصارى واتخاذ المساجد على القبور، فقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[٢].

وهنا شيء يجب التنبيه عليه، وهو أن كلام ابن مسعود هذا له أسباب، كما تقدم اختلافهم فيه، فهل أتوا بكتاب يوصي فيه أم لا؟ وجاء في الحديث الصحيح أن ابن عباس قال: إن الرزِيَّة كُلَّ الرزِيَّةِ ما حالَ بين الرسولِ ﷺ والكتاب[٣]، فعند هذا قال ابن مسعود ما قال من هذه الكلمات، وأن عدم الكتاب ليس فيه شيء من المصيبة، وأن ربنا حكيم جل وعلا، لو شاء ﷻ لكتب هذا الكتاب.

ثم إن النبي ﷺ أفاق من المرض الذي قال فيه ما قال، فإنه قال =

---

(١) أخرجه مسلم: الحج (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٣٧)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠).

(٣) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣٢)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧)(٢٢).

....

= هذا في يوم الخميس حين اشتد به المرض، ثم أفاق وبقي يوم الجمعة والسبت والأحد، وهو والحمد لله جيد وطيب الصحة، ثم اشتد به المرض يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلم يطلب كتاباً يوم الجمعة، ولا يوم السبت، ولا يوم الأحد بعد ذلك من شدة المرض، ولم يكتب شيئاً في هذا الخصوص.

۞ وعن معاذِ بنِ جبلٍ، قال: كنتُ رَديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا معاذُ أَتدري ما حقُّ الله على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على الله؟» فقلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «حقُّ الله على العبادِ أن يعبدُوه ولا يشرِكوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله ألا يعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئاً» فقلت: يا رسولَ الله، أفلا أُبَشِّر الناسَ؟! قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتَّكِلُوا»، أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

هذا الحديثُ في «الصحيحين»، وبعضُ رواياته نحو ما ذكَر المصنِّفُ.

ومعاذُ هو معاذُ بنُ جبلِ بنِ عمرِو بن أَوْسٍ الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ، أبو عبدِ الرحمن، صحابيٌّ مشهورٌ من أعيانِ الصحابةِ، شهدَ بدراً وما بعدَها، وكان إليه المنتهَى في العلمِ بالأحكامِ والقرآنِ ﷺ، مات سنة ثمان عشرةَ بالشامِ[(٢)]. [٦٠]

[شرح٦٠] طاعون عَمَواس قد وقع بالشام وحصل به موتٌ شديد، =

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٢٨٥٦)، ومسلم: الإيمان (٣٠).

(٢) ص٣٩.

....

= مات به جمع غفير من الصحابة وغيرهم، مات معه أيضاً في هذا الطاعون أبو عبيدة ابن الجراح، ومات فيه أيضاً يزيد بن أبي سفيان الأمير، مات جماعة من الصحابة وغيرهم في هذا الطاعون، وهو شهادة للمؤمن.

۞ قولُه: (كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ) فيه جوازُ الإردافِ على الدابَّة، وفضيلةٌ لمعاذٍ من جهةِ ركوبِه خلفَ النبيِّ ﷺ.

قوله: (على حمارٍ) في رواية: اسمه عُفَيرٌ، بعين مهملةٍ مضمومة، ثم فاءٍ مفتوحةٍ.

قال ابنُ الصلاح: وهو الحمارُ الذي كان له ﷺ، قيل: إنَّه ماتَ في حجَّةِ الوَداعِ.

وفيه تواضعُه ﷺ للإردافِ، ولركوبِ الحمارِ؛ خلافَ ما عليه أهلُ الكِبْرِ[1]. [٦١]

[شرح٦١] وتواضعه ﷺ أمر معلوم ومشهور، ومن ذلك ركوبه الحمار، فإن كثيراً من الناس لا يستحسن ذلك، ويأنف من ركوب الحمر، والنبي ﷺ ركب الحمار، وركب البغل، وركب الفرس، وركب المطية: الناقة، وركب هذا كله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو سيد المتواضعين وأشرفهم وإمامهم، عليه الصلاة والسلام.

ومن تواضعه أيضاً إردافه، فإن كثيراً من الناس لا يستحسن =

---

(١) ص٣٩-٤٠.

....

= ويأنف من أن يكون له رديف على دابته، ومع هذا هو أردف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أردف معاذاً، وأردف غير معاذ في قصص كثيرة، وركب معه بعض أولاد أولاده وأقاربه، مرة كان راكباً معه الحسن أو الحسين وعبد الله بن جعفر أحدهما أمامه والآخر خلفه[١].

فقد كان من سنته وطريقته ﷺ التواضع، وخُلقه التواضع، عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك محادثته لرديفه كما حدَّث معاذاً، وتكلم مع غيره أيضاً، فكان يخاطب ويحادث ويفيد، كل هذا من تواضعه ﷺ وحسن خلقه، اللهم صلِّ وسلِّم عليه.

وفيه أيضاً من الفوائد جواز ركوب الحمار، وطهارة ظهر الحمار، وعرق الحمار فإنه قد يركب الرسول ﷺ وليس على ظهر الحمار شيء، ودل ذلك على جواز ركوب الحمار مطلقاً.

ودل ذلك أيضاً على جواز الإرداف على الدابة، ولا بأس أن يكون عليها شخصان أو ثلاثة إذا كانت تطيق، وليس بها بأس إذا =

(١) أخرجه مسلم: فضائل الصحابة (٢٤٢٨).

....

= كانت قوية فلا بأس*.

*** س: هل أردف إحدى زوجاته؟**

ج: نعم، صفية اصطفاها يوم خيبر وحجبها وأردفها[1].

---

(١) أخرجه مسلم: النكاح (١٤٢٧) (٨٧).

❁ قولُه: «أَتَدْري ما حقُّ الله على العبادِ» الدِّرايةُ: هي المعرفةُ، وأَخرج السؤالَ بصيغةِ الاستفهام ليكونَ أَوقَعَ في النفس، وأَبلغَ في فَهْم المتعلِّم، فإنَّ الإنسانَ إذا سُئِلَ عن مسألةٍ لا يعلمُها ثم أُخبِر بها بعدَ الامتحان بالسُّؤال عنها، فإنَّ ذلك أَدْعى لفهمِها وحفظِها، وهذا من حُسْن إرشادِه وتعليمِه ﷺ.

وحقُّ الله على العبادِ هو ما يستحقُّه عليهم ويجعلُه مُتحتِّماً، وحقُّ العبادِ على الله معناه: أنه مُتحقِّقٌ لا مَحالةَ، لأنه قد وَعَدَهم ذلك جزاءً لهم على توحيدِه، ووَعْدُه حقٌّ إنَّ الله لا يُخلِف الميعادَ.

وقال شيخُ الإسلام: كونُ المطيعِ يستحقُّ الجزاءَ هو استحقاقُ إنعامٍ وفضلٍ، ليس هو استحقاقَ مُقابَلةٍ كما يستحقُّ المخلوقُ على المخلوقِ، فمِن الناس مَن يقولُ: لا معنى للاستحقاقِ، إلا أنه أَخبرَ بذلك ووَعْدُه صِدْق، ولكنَّ أكثرَ الناس يُثبِتُون استحقاقاً زائداً على هذا كما دلَّ عليه =

= الكتابُ والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٨]، ولكنَّ أهلَ السُّنة يقولون: هو الذي كَتَب على نفسِه الرَّحمةَ، وأَوجَبَ هذا الحقَّ على نفسِه لم يُوجِبْه عليه مخلوقٌ، والمعتزلةُ يَدَّعُون أنه واجبٌ عليه بالقياسِ على الخَلْق، وأنَّ العبادَ هم الذين أَطاعُوه بدون أن يَجعلَهم مُطِيعينَ له، وأنهم يَستحقُّون الجزاءَ بدونِ أن يكونَ هو الموجِبَ، وغَلِطُوا في ذلك، وهذا البابُ غَلِطَت فيه القَدَريَّةُ والجَبْريَّة أتباعُ جَهْم، والقَدَريةُ النافيةُ.

قوله: «فقلتُ: اللهُ ورسولُه أَعلَمُ» فيه حسنُ أَدبِ المتعلِّم، وأنه يَنبَغي لمن سُئِلَ عمّا لا يَعلَمُ أنْ يقولَ ذلك، بخِلَاف أَكثرِ المتكلِّفين.

قولُه: «أن يعبدُوه ولا يشرِكُوا به شيئاً» أي: يوحِّدوه بالعبادة وحدَه ولا يشركُوا به شيئاً، وفائدةُ هذه الجملة: بيانُ أن التجرُّدَ من الشركِ لا بدَّ منه في العبادةِ، وإلا فلا يكون العبدُ آتياً بعبادةِ الله بل مشركٌ، وهذا هو معنى قولِ =

= المصنِّفِ: (إنَّ العبادةَ هي التوحيدُ؛ لأن الخصومةَ فيه)[١]، وفيه معرفةُ حقِّ الله على العباد، وهو عبادتُه وحدَه لا شريكَ له.

فيا مَن حقُّ سيِّدِه الإقبالُ عليه، والتوجُّه بقلبِه إليه، لقد صانَك وشَرَّفك عن إذلال قلبِك ووجهِك لغيره؛ فما هذه الإساءَةُ القبيحةُ في معاملتِه مع هذا التشريفِ والصيانةِ؟ فهو يعظِّمُك ويَدعُوك إلى الإقبال، وأنت تأبَى إلا مُبارزتَه بقبائحِ الأفعالِ.

في بعض الآثارِ الإلهية: إنِّي والجنَّ والإنسَ في نبأٍ عظيمٍ؛ أخلُق ويُعبَدُ غيري، وأرزُقُ ويُشكَر سواي، خيري إلى العباد نازلٌ، وشرُّهم إليَّ صاعدٌ، أتحبَّب إليهم بالنِّعَم، ويتبغَّضُون إليَّ بالمعاصي[٢].[٣] [٦٢]

[شرح٦٢] هذا من الآثار الإسرائيلية، والمعنى عظيم، ولا شك أن =

---

(١) سلف في الفقرة [٥٨]، ص١٧١.

(٢) انظر «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٢٤٣).

(٣) ص٤٠-٤١.

....

= ما بين العبد وبين ربه نبأ عظيم، وخبر عظيم، خلقهم ورزقهم، وأحسن إليهم، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، والأدوات التي بها ينتفعون ويدفعون الضرر عن أنفسهم ويستفيدون، ومع ذلك أعرض أكثرهم عنه سبحانه، وصرفوا العبادة لغيره ﷻ، فهذا نبأ عظيم، وبعضهم أيضاً، بل أكثرهم، شكر غيره على نعمه ونسي فضله وإحسانه ﷻ.

والعبادة كما تقدم هي التوحيد؛ ولهذا قال ابن عباس في ذلك: إن العبادة هي التوحيد؛ لأن المقصود هو تخصيص الله بها، وليس المقصود أن يعبد فقط ولو لم يخص بها، لا، فالمشركون يعبدونه، ولكن يعبدون معه سواه، فالمقصود بالأمر تخصيصه بالعبادة.

أما لو كان الاشتراك يكفي فقد كانت قريش وغير قريش تعبده بنوع اشتراك، فقد كانت تعبده بالحج، وتعبده بالصدقات، وتعبده بذكره إلى غير ذلك، وتعبده أيضاً بخوفه تارة وبرجائه تارة، وتعبده في الشدائد بالإخلاص له بالعبادة والدعاء، وما نفعهم ذلك، حتى يعبدوا الله وحده في الشدة والرخاء. =

....

= فلا بد أن تكون العبادة تامةً لله جلَّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] يعني: في كل وقت، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦] في كل وقت وفي جميع العبادات.

فليس المعنى أن تعبده وحده في الصلاة فقط، أو في الصوم فقط، ثم تشرك به فيما دون ذلك، كلا، بل أن تعبده وحده في كل شيء، في الصلاة، في الصوم، في الدعاء، في الخوف، في الرجاء، في الحج إلى غير ذلك.

فالمقصود أن العبادة هي توحيده في جميع أنواع العبادة وتخصيصه بها عن كل ما سواه ﷻ، وبهذا بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الخليقة ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم:٥٢] ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود] وفي حديث معاذ المتقدم: «حقّ الله على العبادِ أن يعبدُوه ولا يشرِكُوا به شيئاً».

فالمقصود من ذلك أن توجه القلوب إليه، وأن يقصد بالعبادة =

....

= والتعظيم، والخوف والرجاء، والاعتراف بأنه مستحق للعبادة لا سواه، فلو عبده ولكن يرى أن غيره يستحق العبادة ما نفعه ذلك، فالإيمان الحق يكون بالإقرار بأنه مستحق للعبادة دون كل ما سواه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ في سورة الحج [الآية٦٢]، وكذلك في سورة لقمان [الآية٣٠]: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾.

فالحاصل أن العبادة التي بحق تكون لله وحده، وأما ما يدعون معه سواه فيدعونه بالباطل، فالمعبودون في الجاهلية كمن عبد اللات أو العزى أو مناة أو الأصنام الأخرى في أي مكان، أو المعبودون في القرون المتأخرة، كمن عَبَدَ الرسولَ أو عَبَدَ الحسينَ أو عَبَدَ البدويَّ أو عبد ابنَ عَلْوان أو عبد غير ذلك أو عبد المرسي أو عبد الشيخ عبد القادر الجيلاني أو عبد ابن عربي أو ما أشبه ذلك، كلهم عبدوا بالباطل.

فكل من عُبِد في الدنيا فقد عُبِد بالباطل، فإن المعبود بحق هو الله وحده ﷻ، ووجب على جميع المكلفين أن ينتبهوا لـهذا، وأن =

....

= يعلموا أن ربهم ﷻ هو المستحق لأن يعبدوه دون ما سواه في الشدة والرخاء جميعاً *.

* س: من يكون الشيخ عبد القادر الجيلاني؟

ج: فقيه من العلماء الحنابلة، حنبلي العقيدة من الطبقة السادسة(١)، متأخر، له تصوف، وله أعمال اجتهادية وزهد وورع، غلط بعض الجهلة من المساكين الذين ليس لهم علم ولا بصيرة فعبدوه من دون الله، ونذروا له، واستغاثوا به، وزعموا أنه يتصرف في الكون.

س: هل مجرد حفظي لآيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الثابتة عن الرسول ﷺ كافٍ في أن أجيب عن كل سؤال، أم لا بد من الرجوع إلى فهم السلف الصالح في معنى الآيات وفي معنى الأحاديث؟

ج: لا بد من الرجوع إلى كلام النبي ﷺ وكلام الصحابة وكلام أهل العلم وكلام أهل اللغة العربية، أعني كتب الغريب وكتب اللغة، ليستعين بذلك على فهم كتاب الله؛ لأن لغة الناس ليست مطابقة لكلام الله جل وعلا، فقد تغيرت اللغة وتغيرت الأحوال، ثم إن فهم الناس يختلف، فقد يغلط كثيراً. =

(١) ولد سنة ٤٧١هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ.

....

= فلا بد أن يستعين في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ بمن قبله من أهل العلم والإيمان، وبما قاله الصحابة رضي الله عنهم في فهم كلام الله وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا أشكل عليه أيضاً كلام العلماء وكلام الصحابة رجع إلى معاجم اللغة وما ورد في الغريب، حتى يستعين بذلك على فهم ما دل عليه كتاب الله، وما جاء في السنة عن الرسول ﷺ.

وأما مجرد اعتماده على فهمه فقط فلا يجوز، فهذا سيغلط كثيراً ويسيء كثيراً.

س: ما حكم الأحاديث الإسرائيلية، والتي لا تحتوي على أسانيد ؟

ج: حدثوا عنهم ولا حرج، في بعض الآثار.

س: الحديث القدسي هو كلام الله باللفظ والمعنى أم بالمعنى فقط؟

ج: قد يكون بالمعنى وقد يكون باللفظ، لكن الغالب أن يكون بالألفاظ، وأما ما في السنة فعلى ما قاله النبي ﷺ فالأصل هو اللفظ، وأما في آثار بني إسرائيل فقد يروى بالمعنى، قد يرويه الناس بالمعنى.

س: إن ثبت، لفظاً ومعنى؟

لأن الرسول ينقله عن الله تعالى، مثل: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا...»[1]، كل هذا كلام الله نقله =

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٧٧).

....

= رسول الله ﷺ.

س: هل الأحاديث القدسية كالقرآن؟

ج: كلا، ليست كالقرآن، فالأحاديث القدسية ليست للإعجاز، ولكن للبيان والإيضاح والأحكام والتوجيه.

س: إذا كان الحديث من قول النبي ﷺ والمعنى لله كان الحديث قدسياً، وإذا كان الحديث لله معنى وقولاً صار قرآناً؟

ج: لا، ليس بلازم، القول والمعنى لله على ما جاء بالنص، وأما القرآن فقد أنزل على نبينا بالإعجاز، وإقامة الحجة على المشركين وعباد غير الله بأسلوبه الخاص، وعباراته الخاصة، وآياته الخاصة، وسوره الخاصة، فهذا هو القرآن الذي سماه الرسول بالقرآن وبلغه إلى الأمة، وأخبر أنه وحي الله وكتابه المبين المعجز والمستمر إلى تعاقب السنين، هذا الذي بلغه الرسول ﷺ للصحابة، وبلغه الصحابة لنا، والقرآن بسوره وآياته غير الأحاديث القدسية التي نقلها الرسول ﷺ.

وقد فصل النبي بينهما، فأمر بكتابة القرآن وحفظه، وأن توضع آية كذا في مكان كذا في سورة كذا، وأما ذكر الأحاديث فقد كان منتشراً متفرقاً، وفيها بعض العظات والأخبار عن الماضين وما أشبه ذلك، فهو من باب العظة والذكرى والتوجيه إلى الخير والتحذير من الشر.

۞ وكيف يَعبدُه حقَّ عبادتِه مَن صَرَف سؤالَه ودعاءَه وتَذَلُّلَه واضطرارَه وخوفَه ورجاءَه وتوكُّلَه وإنابتَه وذبحَه ونذرَه لمن لا يَملِكُ لنفسِه ضُرّاً ولا نَفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً، مِن ميتٍ رَمِيمٍ في الترابِ، أو بناءٍ مشيَّدٍ مِن القِبابِ، فضلاً مما هو شَرٌّ مِن ذلك؟!(1). [٦٣]

[شرح٦٣] هذا شرك بهؤلاء الذين هم في التراب، أو في بناء مشيد من القباب، وقد عبد هؤلاء عابدوهم بشبهة الصلاح، وأنهم من عباد الله الصالحين، فكيف بحال من كان ليس كذلك ممن يعبد صورة الأسد أو النمر أو الذئب أو ما أشبه ذلك، أو يعبد أصناماً أخرى مصورة على صورة فراعنة أو غيرهم أو ما أشبه ذلك، فإذا كان من عَبَدَ الصالحين والأنبياء قد أشرك بالله فالذي عبد الأصنام والأوثان الأخرى والتي لا صلاح لـها، أولى بالشرك، نعوذ بالله.

فالمشركون أقسام كثيرة، فمنهم عباد الأنبياء، وعباد الصالحين، وعباد الأصنام، وعباد الأشجار، وعباد الكواكب والنجوم، وعباد الملائكة، إلى غير ذلك من أقسام كثيرة يجمعهم الشرك بالله ﷻ.

---

(١) ص٤١.

۞ قولُه: «وحقّ العبادِ على الله أن لا يعذبَ مَن لا يشرِكُ به شيئاً» قال الخَلْخالي: تقديره ألا يعذِّبَ مَن يعبدُه ولا يشركُ به شيئاً، والعبادةُ هي الإتيانُ بالأوامر، والانتهاءُ عن المناهي؛ لأن مجرَّدَ عدمِ الإشراكِ لا يقتضي نفيَ العذابِ، وقد عُلِم ذلك من القرآنِ والأحاديثِ الواردةِ في تهديدِ الظالمينَ والعصاةِ[1]. [٦٤]

[شرح٦٤] لماذا سُميَت هذه الأمور عبادة؟ لماذا سمي أداء الأوامر واجتناب النواهي لله وحده عبادة؟

العبادة، أي: التذلل وإتيان الأوامر، وترك النواهي لله؛ تذلل له، وتعظيم له، وخضوع له، نعم، سميت عبادة لهذا المعنى، فالوظائف التي على العباد من فعل الأوامر وترك النواهي سميت عبادة؛ لأنها تؤدى بالخضوع والذل لله ﷻ، والعرب تسمي الخضوع عبادة، والذل عبادة، يقولون: طريق مُعبَّد مذلَّل، أي: وطئته الأقدام، ويقولون: بعير مُعبَّد مذلَّل، يعني رحل وشد عليه؛ فالتعبد: التذلل والخضوع، فالعبادة فيها تذلل وخضوع لله، بفعل =

---

(١) ص٤١.

....

= أوامره وترك نواهيه عن إيمان به وإخلاص له ﷻ.

وهكذا سمي الخلق عباداً، سمي الجن والإنس عباداً؛ لأنهم أذلاء لله في قبضته وتحت تصرفه ﷻ، فهم أذلاء في قبضة ربهم ﷻ وملكه سبحانه؛ وبهذا سمي المملوك عبداً؛ لأنه في قبضة سيده، يتصرف فيه ويأمره وينهاه؛ فسمي عبداً، والناس كلهم عبيد لله ﷻ، أحرارهم وعبيدهم، كلهم عبيد لله؛ لأنهم في ملكه وقبضته وتحت تصرفه ﷻ وأمره ونهيه ﷻ.

۞ وقال الحافظ: اقتصرَ على نفي الإشراكِ؛ لأنه يستدعي التوحيدَ بالاقتضاء، ويستدعي إثباتَ الرسالةِ باللزوم؛ إذ مَن كَذَّب رسولَ الله فقد كَذَّب اللهَ، ومن كذب الله فهو مشركٌ، وهو مثلُ قولِ القائلِ: مَن توضَّأَ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائرِ الشروطِ؛ فالمرادُ مَن مات حالَ كونِه مؤمناً، بجميع ما يجب الإيمان به.

قلت: وسيأتي تقريرُ هذا في الباب الذي بعدَه إن شاء الله تعالى(١). [٦٥]

[شرح٦٥] المقصود هذا: أن ما جاء من النصوص التي فيها ذكر دخول الجنة بعدم الشرك، أو دخول الجنة بالتوحيد، مراده مع التزام بقية الأمور، وليس مراده أنه من وحد الله ولم يشرك به في صلاة أو صوم أو دعاء، ثم تلطخ بالمعاصي والشرور الأخرى، فهذا موعود بالجنة والسلامة من العقاب ولو فعل ما فعل؛ بل لا بد من مراعاة النصوص الأخرى.

فمن وحد الله وترك الإشراك به فهو مسلم، وهو موعود بالجنة =

---

(١) ص٤١.

....

= في الجملة ما لم يأت بأشياء تمنع من دخولها، أو توجب العذاب، فهذه الأشياء معروفة من الدين بالضرورة، وأن الرب ﷻ أوجب على عباده أشياء، ونهاهم عن أشياء، فلا يكونون مستحقين للجنة والكرامة والسلامة إلا بفعلهم ما أُمروا به، وتركهم ما نهوا عنه، مضافاً إلى توحيد الله والإخلاص له.

وقوله في الحديث الصحيح: «مَن لقي اللهَ ولم يُشرِك به شيئاً، دخل الجنة»[1] وما أشبه ذلك، وهذا مطلق، معناه مع مراعاة الحقوق الأخرى التي أوجبها الله عليه، فإذا لم يراعها ولم يؤدها فهو معرض للوعيد ومعرض للعذاب؛ ولكن من فعل التوحيد الخالص، ومن شأن أهل الإيمان الخالص أن يضيفوا إلى التوحيد الحقوق الأخرى وألا يضيعوها؛ لأن إيمانهم يدعوهم إلى ذلك.

ومن شأن من ترك الشرك دقيقه وجليله أن يكون قد أدى الحقوق؛ لأن متابعة الهوى نوع من الشرك الخفي، والذي ترك الأوامر أو بعضها، أو ارتكب بعض النواهي، ما أخلص لله =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٩)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

....

= الإخلاص الكامل، وما ترك الترك الكامل؛ بل قد جعل لنفسه وهواه قسطاً من العبادة؛ حيث تابع هواه في الزنى والخمر وفي كذا، فهذا نوع من الشرك الخفي، أو نوع من الأعمال التي توجب دخوله النار بسبب عصيانه، وعدم قيامه بالواجب.

الحاصل أن تحقيق التوحيد كما يأتي يتضمن هذا؛ وأن العبد لا يكون مسالماً من دخول النار ولا يكون آمناً من دخولها إلا إذا اجتهد في أداء واجب الله وترك محارم الله؛ فإن مات مُصِرّاً على بعض الكبائر، صار معرضاً للوعيد وعلى خطر من دخول النار إلا أن يعفو الله عنه؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وما دون الشرك تحت مشيئة الله ﷻ فليس آمناً مقطوعاً له بالنجاة؛ لكنه غير مخلد في النار؛ فلو دخلها لا يخلد فيها إذا مات على التوحيد الخالص وعلى ترك الشرك؛ فهو آمن من الخلود في النار؛ لكنه غير آمن من التعذيب بسبب ما مات عليه من معاصٍ غير تائب؛ لأن الله وعدهم بالعذاب فجاء في السنة وعدهم =

....

= بالعذاب إذا مات على المعاصي؛ فينبغي أن يعلم هذا وأن يكون هذا؛ بل حتى لا يظن ظان أن مجرد توحيده لله في أي عمل من الأعمال يكفيه، وأنه يتلطخ بما شاء من معاصٍ - ولا يبالي - وأنه آمن؛ بل هو ليس بآمن؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرِقُ السارِقُ حينَ يسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتَهِبُ نُهبَةً ذاتَ شرفٍ يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهم، حين ينتَهِبُها وهو مؤمنٌ؛ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»[(١)]، هذه أشياء تدل على ضعف الإيمان وانتفاء كماله الذي لا ينتفي معه أصل الإسلام والانتفاء من الكمال الواجب وإن كان معه أصل الإسلام.

والحاصل أن ما جاء به من وعيد في هذه المسائل كلهم يدلون على أنه لا بد من تمام الإيمان في حق الموحد، وأنه لا يتم له النجاة ولا يسلم من الخطر إلا إذا جاهد نفسه بأداء الواجبات =

---

(١) أخرجه البخاري: الأشربة (٥٥٧٨)، ومسلم: الإيمان (٥٧)، دون قوله: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وقد ورد ذلك في حديث آخر عند مسلم: الإيمان (٥٩) ولفظه: «آية المنافق ثلاث... وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

....

= وترك المحارم*.

* س: هل ترك الإشراك يستدعي التوحيد لله؟

ج: ترك الشرك يقتضي توحيد الله وإخلاصه؛ لأن المقصود بترك الشرك هو توحيد الله، ولو أنه ترك الشرك فما عبد صنماً ولا وثناً ولكنه أيضاً ما عبد الله ولا خصه بالعبادة؛ بل أعرض عن الله وأعرض عن غيره فلا يكون مسلماً حتى يوحد الله، ويدعوه، ويخصه بالعبادة سبحانه، ويؤمن بإفراده وعظمته، ويؤمن بأنه ربه، والإله الحق، فنهى الله عن الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦] معناه: أنه قد استكمل التوحيد، واعترف به لله، وترك الإشراك. وترك الشرك يقتضي أن يوحد الله ويخصه بالعبادة وحده، ولا يكفي ترك الشرك بدون توحيد لله وبدون تعظيم له، ومن دون إيمان به كما جاء في النصوص الأخرى، والنصوص تفسر بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً، فالنصوص يفسر بعضها بعضاً في الإيمان بالله وتوحيده والإقرار بالشهادتين إلى غير هذا من الإسلام والإيمان، وما جاء في النصوص بالطاعات الواجبة والمعاصي المحرمة.

وهكذا يستلزم بذلك أيضاً الإيمان بالرسول ﷺ، وقوله ﷺ: «مَن مات لا يُشرِك بالله شيئاً دخلَ الجنةَ»[1] يعني: مع إيمانه بالله ورسوله، =

(١) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٣٧)، ومسلم: الزكاة (٩٩١)(٣٣).

....

= والإيمان بما طلب الله رسوله، والإيمان بما جاءت به الشريعة، وهذا أمر مقطوع به لا شك فيه عند أهل العلم جميعاً، ولو أنه وحد الله وخصه بالعبادة، لا يدعو إلا إياه، ولا يصلي إلا له، ولكنه لا يؤمن برسول الله ﷺ، ولا يصدق الرسول؛ فهو كافر بالله عند أهل العلم قاطبة بنص القرآن، لأنه كذب بالله؛ فصلاته وصومه ودعاؤه لا ينفعه، حتى ولو كفر بواحد من المرسلين، فلو قال: أصلي وأصوم وأومن بكل ما جاء به الرسول ﷺ إلا نوحاً لا أومن به، كفر عند أهل العلم قاطبة؛ لأنه كذب الله بما جاء في كتابه العظيم وكذا إذا قال: لا أومن بهود أو بصالح أو بإبراهيم أو بإسماعيل أو بلوط أو ما أشبه ذلك.

فالمقصود: من كذب رسولاً فقد كذب المرسلين جميعاً؛ ولهذا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وصفهم بأنهم كذبوا المرسلين وما كذبوا إلا نوحاً فمن كذب واحداً فكأنما كذب الرسل جميعاً نسأل الله السلامة.

س: ويفسر هذا قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]؟

ج: هذا فيه من المعنى، يعني: الواجب دخولهم في دين الله جميعاً كذلك قول الله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]، ومن هذا الباب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥١]، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فقد كفر حقاً.

۞ قوله: (أفلا أُ بَشِّر الناسَ) فيه استحبابُ بشارةِ المسلم بما يَسُرُّه، وفيه ما كان عليه الصحابةُ مِن الاستبشارِ بمثلِ هذا، نبَّه عليه المصنِّفُ.

قولُه: (قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتَّكِلُوا»)، وفي رواية: «إنِّي أخافُ أن يتَّكِلُوا»[1] أي: يَعتمِدُوا على ذلك، فيتركُوا التنافسَ في الأعمال الصالحةِ، وفي رواية: فأَخبرَ بها معاذٌ عندَ موتِه تأثماً[2]، أي: تحرُّجاً من الإثم.

قال الوزير أبو المُظَفَّر: لم يكن يَكتُمها إلا عن جاهلٍ يحملُه جَهلُه على سوءِ الأدبِ بتركِ الخدمةِ في الطاعة؛ فأما الأكياسُ الذين إذا سَمِعُوا بمثلِ هذا اجتهدُوا في الطاعة، ورأَوا أن زيادةَ النِّعمِ تستدعي زيادةَ الطاعةِ؛ فلا وجهَ لكِتْمانِـها عنهم[3]. [٦٦]

[شرح٦٦] والمقصود أن بعض الناس قد يكون ما عندهم الإيمان، =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

(٣) ص٤١.

....

= وما عندهم البصيرة النافذة، إذا سمع أحاديث التبشير قد يتكل عليها، أو يترك الجد في العمل، والمنافسة في الأعمال الأخرى، فقال ﷺ لمعاذ هذا الكلام.

ثم إنه ﷺ بيَّن ذلك في أحاديث كثيرة: في حديث أبي هريرة[1]، وفي حديث عُبادة بن الصامت[2]، وفي حديث عِتْبان[3]، وغير ذلك، فبيَّن ﷺ أن من أتى بالتوحيد فقد وعده الله النجاة؛ فكان له الجنة على ما كان من عمل، فالله حرَّم النار على مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله. إلى غير ذلك.

فالرسول ﷺ بيَّن هذا، وأوضح للأمة جميعاً، ثم بقي لكتمانه بعد ذلك وجه، كان هذا ـ والله أعلم ـ في أول الأمر، أو لأسباب خاصة، ثم بين ذلك للأمة عليه الصلاة والسلام، وأوضح للأمة، حتى عرفوه على بيِّنة، ولم يبق هناك شبهة في هذا الباب؛ لأن =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٣١).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٩).

(٣) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧) (٢٦٣).

....

= المقصود هو أداء الفرائض، وترك المحارم عن إخلاصٍ لله، وعن توحيدٍ له، وعن إيمانٍ به ﷺ *.

* س: حديث: «الكَيِّسُ مَن دان نفسَه...»[1]؟

ج: المشهور فيه أنه من رواية أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف، والحديث مشهور أنه ضعيف من حيث الإسناد، إلا أنه يوجد له سند آخر؛ لكن الإسناد المعروف الذي نعرفه عند أحمد وغيره، أنه من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف؛ لكن إذا وجد له سند آخر فممكن، لكن هو بهذا الإسناد المشهور ضعيف.

(١) أخرجه الترمذي: صفة القيامة (٢٤٥٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٢٦٠).

۞ وقال الحافظُ: دلَّ هذا على أن النهيَ عن التبشيرِ ليس على التحريمِ، وإلا لَـمَا أخبرَ به أصلاً، أو أنه ظَهَر له أن المنعَ إنما هو من الإخبارِ عموماً؛ فبادر قبلَ موتِه فأخبرَ بها خاصّاً مِن الناسِ.

وفي البابِ من الفوائدِ غيرُ ما تقدَّم:

١- التنبيهُ على عَظَمة حقِّ الوالدينِ.

٢- وتحريمُ عُقوقِهما.

٣- والحثُّ على إخلاصِ العبادةِ لله تعالى.

٤- وأنها لا تَنفَعُ مع الشركِ ؛ بل لا تُسمَّى عبادةً شرعاً.

٥- والتنبيهُ على عَظَمةِ الآياتِ المحكَماتِ في سورةِ الأنعام، ذَكَره المصنِّفُ.

٦- وجوازُ كِتْمانِ العلمِ للمصلحةِ، ولا سيَّما أحاديثِ الرجاءِ التي إذا سَمِعَها الجهّالُ ازدادوا مِن الآثامِ. كما قال =

= بعضهم:

فأَكثِرْ ما استطعتَ من الخطايا

إذا كانَ القدومُ على كريمِ[1] [٦٧]

[شرح٦٧] بعض الناس ليس عندهم تحمّل لبعض الأحاديث؛ فيُخبَر بها يناسبه ليستقيم ويحذر، بخلاف ما إذا كان من أهل العلم والبصيرة فلا يكتم عنه شيء؛ لكن بعض الناس قد لا يود أن يسمع بعض الأحاديث لجهله، وخطر إسرافه على نفسه؛ مثل مَن قد أقبل على المعاصي وانتهاك الحرمات، فهذا لا يُحدَّث بأحاديث الرجاء، والذي غلب عليه اليأس والقنوط لا يحدث بأحاديث الخوف التي تزيده شدة على شدته؛ بل ينبغي أن ينصح بأحاديث الرجاء وفضل الله الواسع؛ حتى يلين، وحتى يرجوَ رحمة الله ﷻ، وحتى لا يقنط ولا ييأس؛ لأن كل مقام له مقال.

وينبغي للواعظ والمذكِّر ونحو ذلك في المقامات الخاصة والمجتمعات الخاصة أن يلاحظ المجتمعين وما يناسبهم مما يعينهم على طاعة الله، ويحذرهم من الوقوع في محارم الله، فيحدث كل =

---

(١) ص٤١-٤٢.

....

= مجتمع أو كل شخص بما يليق به ويناسبه حسب حاله؛ حتى تكون الموعظة في محلها*.

---

* **س: هناك أحاديث تنقل في فضل علي عند الرافضة ويغتر بها بعض الناس؟**

ج: هذا ليس على إطلاقه، ويبين للرافضة أن أهل السنة منصفون، ويبين لهم الأحاديث الصحيحة في علي، فليس فيها شبهة، أما الأحاديث المكذوبة التي لا أساس لها هي التي تغر الناس؛ فيبين في هذه الحال للرافضة وأشباههم الأشياء التي تنفعهم، وربما هداهم الله بها.

س: والجهال الذين لا يفهمون معنى الحديث؟

ج: على كل حال يخاطبون بما يناسبهم ولا يفرض عليهم بالكلية حتى يقولوا: إن هذا من جهلهم وعدم إنصافهم لعلي، وظلمهم له.

س: الإنسان قد يقتنع بمسألة من المسائل ويرى الناس مخالفين لهذه السنة، ويخشى من ظهورها، وفي المقابل هي الموافقة من الكتاب والسنة وما عداه فمن المخالفات؟

ج: ينصح بها إخوانه بالطرق التي يراها مفيدة سواء كانت النصيحة بالإفراد أو بالجماعة، إلا إذا كان يحصل منها شرٌّ عليه أو فتنة أو كذا، فينظر =

....

= الطرق التي يستشير فيها إخوانه، والطرق التي ينبغي إفشاؤها، والطريق التي يحصل بها المقصود لإيضاح هذه السنة.

۞ ٧- وتخصيصُ بعضِ الناسِ بالعلمِ دونَ بعضٍ.

٨- وفضيلةُ معاذٍ، ومنزلتُه من العلم؛ لكونه خُصَّ بما ذُكِر.

٩- واستئذانُ المتعلِّم في إشاعةِ ما خُصَّ به من العلمِ.

١٠- والخوفُ مِن الاتِّكالِ على سَعَةِ رحمةِ الله.

١١- وأن الصحابة لا يعرفون مثلَ هذا إلا بتعليمِه ﷺ، ذَكَره المصنِّفُ.

قوله: (أخرجاه في «الصحيحين») أي: أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، وإنما أضمرهما للعلم بهما.

والبخاريُّ هو الإمامُ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الجُعفِيُّ، مولاهُم، الحافظُ الكبيرُ، صاحب «الصحيح» و«التاريخ» و«الأدب المفرد»، وغيرِ ذلك من مُصنَّفاته.

روى عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل، والحُميدِيِّ، وابنِ الـمَدِينيِّ، وطبقَتِهم.

وروى عنه مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، والفِرَبرِيُّ =

= راوي «الصحيح»، وغيرُهم.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئةٍ، ومات سنةَ سِتٍّ وخمسينَ ومئتين[1]. [٦٨]

[شرح٦٨] لم يرو عنه مسلم رحمه الله في «الصحيح»، إنما روى عنه في غير «الصحيح»، ولعله أراد بذلك فائدة، وهي أن الحديث الذي يرويه مع ما يرويه البخاري يكون مِن طريقين؛ لأنه لو رواه من طريقه فقط لصار طريقاً واحداً، فأراد أن يستفيد الناس طريقاً آخر، فروى الحديث من غير طريق البخاري رحمه الله، بل من الطرق الأخرى، حتى يتوفر في الحديث الذي روياه سندان فأكثر.

أما لو أنه روى من طريق محمد بن إسماعيل، لكان الحديث الذي رواه البخاري، والحديث الذي رواه مسلم، إنما يكونان بطريق واحد، وهو طريق البخاري رحمه الله، لكننا استفدنا بعمل مسلم طريقاً آخر فأكثر؛ لأنه رواه من طريق شيوخ آخرين غير طريق البخاري رحمه الله.

---

(١) ص٤٢.

۞ ومسلمٌ هو ابنُ الحَجّاج بنِ مُسلِمٍ أبو الحسينِ القُشَيرِيُّ النَّيسابوريُّ، صاحب «الصحيح» و«العلل» و«الوُحْدان» وغيرِ ذلك(١). [٦٩]

[شرح٦٩] «الوُحْدان» كتاب صغير لمسلم فيمن لم يرو عنه إلا واحد. وما رأيته، لكنه ذكره.

وكل كتب البخاري ومسلم ليست على شرط الصحيح ما عدا «الصحيحين»، فللبخاري كتب كثيرة مثل: «الأدب المفرد» و«التاريخ» و«خلق أفعال العباد» ليست على شرط الصحيح.

فـ«الجامع الصحيح» له شروط خاصة، وهكذا مسلم ـ رحمه الله ـ له كتب أخرى، لكنه لم يلتزم فيها بالصحة، إنما التزم بالصحة في «الصحيح» فقط.

---

(١) ص٤٢.

۞ رَوَى عن أحمدَ بنِ حنبلٍ، ويحيى بنِ مَعينٍ، وأبي خَيْثمةَ، وابنِ أبي شيبةَ، وطبقتِهم.

روى عنه الترمذيُّ، وإبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ راوي «الصحيح»، وغيرُهم.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ ومئتين، ومات سنةَ إحدى وستين ومئتين بنَيسابورَ، رحمه الله تعالى.

باب فضل التوحيد
وما يكفر من الذنوب

۞ (بابُ) خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديرُه: هذا (بابُ) بيانِ (فضلِ التوحيدِ)، و(بيانِ ما يُكَفِّر مِن الذنوبِ).

و(ما) يجوزُ أن تكونَ موصولةً، أي: وبيانُ ما يُكفِّرهُ مِن الذنوبِ، ويجوزُ أن تكون مصدريةً، أي: وبيانُ تكفِيرِه الذنوبَ، وهذا أرجحُ؛ لأن الأولَ يُوهِمُ أن ثَمَّ ذُنوباً لا يكفِّرها التوحيدُ، وليس بمرادٍ.

ولَـمّا ذَكَر معنَى التوحيدِ ناسبَ ذِكرَ فَضلِه وتكفِيرِه للذُّنوبِ؛ ترغيباً فيه، وتحذيراً مِن الضِّدِّ.

وقولُ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال بعضُ الحنفيةِ في «تفسيرِه»: هذا ابتداءٌ.

قال ابنُ زيدٍ، وابنُ إسحاقٍ: هذا مِن الله على فَصْلِ القضاءِ بين إبراهيمَ وقومِه. =

= قال الزَّجّاجُ: سألَ إبراهيمُ وأجابَ بنفسِه.

وعن ابنِ مسعودٍ، قال: لما نَزلَت هذه الآيةُ، قالوا: فأيُّنا لم يَظلِمْ؟! قال عليه السلام: «﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»(١).

وكذا عن أبي بكرٍ الصدِّيقِ أنه فسَّرَه بالشركِ، فيكون الأمنُ مِن تأبيدِ العذابِ.

وعن عُمرَ أنه فسَّره بالذَّنبِ، فيكون الأمنُ مِن كلِّ عذابٍ.

وقال الحسنُ، والكلبيُّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ في الآخرة، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] في الدنيا، انتهى.

وإنما ذكرتُه؛ لأنَّ فيه شاهداً لكلام شيخِ الإسلامِ الآتي في الحديثِ الذي ذَكَره، [وهو] حديثٌ صحيحٌ في «الصحيح» و«المسند» وغيرِهما.

وفي لفظٍ لأحمدَ(٢)، عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ =

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٣٢)، ومسلم: الإيمان (١٢٤).

(٢) «المسند» (١/ ٣٧٨).

= ﴿ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذلك على أصحابِ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، فأُيُّنا لا يظلمُ نفسَه؟ قال: «إنَّه ليسَ الذي تَعنُونَ، ألَمْ تَسمعُوا ما قالَ العبدُ الصالحُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] إنما هو الشِّركُ».

قال شيخُ الإسلامِ: والذي شَقَّ عليهم: ظَنُّوا أن الظلمَ المشروطَ هو ظلمُ العبدِ لنفسِه، وأنه لا أَمنَ ولا اهتداءَ إلا لمن لم يَظلِم نفسَه، فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ ما دَلَّهُم على أن الشِّركَ ظلمٌ في كتابِ الله، وحينئذٍ فلا يحصُلُ الأمنُ والاهتداءُ إلا لمن لم يُلبَس إيمانُهم[1] بهذا الظُّلمِ، فمن لم يُلبَس إيمانُه به كان من أهلِ الأمنِ والاهتداءِ، كما كان من أهلِ الاصطفاءِ في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢]، وهذا لا ينفي أن يُؤَاخذَ أحدُهم بظلمِه لنفسِه بذنبٍ إذا لم يَتُب، كما قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: يُخلَط، لَبَس يَلبِس من باب ظلم، أما لَبِس يَلبَس كفرح يفرح من لُبس الثوب والعمامة ونحو هذا.

= ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨][1]. [٧٠]

[شرح٧٠] وقوله ﷻ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] إلى غير ذلك.

والحاصل من هذا أن الله جل وعلا حكم بينهما حينما قال: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام:٨١]، فحكم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أخلصوا ووحّدوا الرب ﷻ، ثم أكد المقام ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم﴾ لأنهم إذا لَبَسوه بالظلم ما كانوا مؤمنين، فأراد الإيضاح، وأنهم لا يكونون مؤمنين حقاً، سالمين من الهلاك، فائزين بالأمن والهداية، إلا إذا سلم إيمانهم، وخلا إيمانهم من الشرك، هؤلاء هم أهل الأمن والاهتداء، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ يخلطوا ﴿إِيمَـٰنَهُم﴾ توحيدهم ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هم لم يشركوا الشرك الأكبر المذكور في قوله =

---

(١) ص٤٣-٤٤.

....

= جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

فمن كان سالماً من الشرك الأكبر، ومات على ذلك، فله الأمن وله الهداية، لكن هذا الأمن والهداية لا من كل شيء، بل من الخلود في النار، كحال الكفار.

لكن الأمن لا يكون كاملاً، وكذلك الهداية لا تكون كاملة إلا بسلامتهم من الظلم الآخر، ظلمه لنفسه بالمعاصي، وظلمه للعباد بأنواع الظلم، من نفس أو مال أو عرض.

هذا هو المعروف من النصوص الأخرى، الدالّة على أن من مات وقد تلطخ بظلم العبادِ أو بظلم النفسِ فهو على خطر من عذاب الله، كما قال ﷻ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فعلَّق الغفران لمن سلم من الشرك بالمشيئة، فدل ذلك على أن من مات على ما دون الشرك الأكبر فهو تحت مشيئة الله، قد يعفى عنه لأعمال صالحات، وتقوى وغير ذلك.

وقد يؤخذ بما مات عليه من ظلم لنفسه أو ظلم للعباد، ويُعذَّب على قدر ذلك، بسبب موته على غير توبة. =

....

= والظلم أنواع ثلاثة: ظلم الشرك، وظلم المعاصي، وظلم التعدي على العباد، أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فإن سلم من أنواع الظلم الثلاثة، صار له الأمن كاملاً، والهداية كاملة، في الدنيا والآخرة، ومن سلم من الظلم الأول وهو الأكبر، أي: الشرك، لكنه مات على شيء من ظلمه العباد، أو ظلمه لنفسه بالمعاصي، فذلك تحت مشيئة الله ﷻ، لكن معه مطلق الأمن، وله مطلق الهداية؛ لأن الله كفاه شر الشرك، فيكون عنده أمن، وعنده هداية، لكنهما غير كاملين إذا لم يسلم من ظلم العباد، وظلم النفس بالمعاصي.

۞ وقد سألَ أبو بكرٍ ﷺ النبيَّ ﷺ عن ذلك، فقال: يا رسولَ الله، وأيُّنا لم يعمل سُوءاً؟ فقال: «يا أبا بكرٍ، ألستَ تَنصَبُ؟ ألستَ تَحزَنُ؟ أليس تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فذلك ما تُجزَونَ به»[1].[2] [٧١]

[شرح٧١] المقصود البلاء الذي يصيب المسلم، وهذا الحديث معروف، والذي يظهر أنه لا بأس به، فهو على قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]؛ يعني أن الجزاء قد يعجل في الدنيا، فيفضي المؤمن للآخرة وقد سلم، وقد تكون مصائبه في الدنيا من هَمّ وغمّ وحُزن ونصب ومرض ونحو ذلك، قد يكفَّر بها خطاياه، فيفضي للآخرة وهو سليم، ويدل على هذا حديث: «ما يُصِيبُ المسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشوكَةِ يُشاكُها إلا كَفَّرَ اللهُ بها مِن خطاياهُ»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١).

(٢) ص٤٤.

(٣) أخرجه البخاري: المرضى (٥٦٤٢)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٧٣).

۞ فبيَّن أن المؤمنَ الذي إذا تاب[1] دخل الجنةَ، قد يُجزَى بسيئاته في الدنيا بالمصائبِ التي تُصيبُه.

قال: فمَن سَلِمَ من أجناسِ الظُّلمِ الثلاثةِ ـ يعني: الظلمَ الذي هو الشركُ، وظلمَ العبادِ، وظلمَه لنفسِه، بما دون الشرك ـ كان له الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ.

ومن لم يَسلَم مِن ظُلمِ نفسِه، كان له الأمنُ والاهتداءُ مطلقاً، بمعنى أنه لا بدَّ أن يدخلَ الجنةَ، كما وعدَ بذلكَ في الآيةِ الأُخرى، وقد هداه اللهُ إلى الصراطِ المستقيمِ، الذي تكون عاقبتُه فيه إلى الجنة، ويحصُلُ له من نقصِ الأمنِ والاهتداءِ بحسبِ ما نقصَ من إيمانِه بظلمِه لنفسِه[2]. [٧٢]

[شرح٧٢] يقول تعالى في الآية الأخرى التي وعد بها من ظلم نفسه بالجنة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ =

---

(١) في الأصل المطبوع: مات، وما أثبت هو ما ورد في «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ٨٠).

(٢) ص٤٤.

....

= هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٢-٣٣] في هذه الآية وعدهم الله الجنةَ بعد أن عدد أنواع الظلم، فأحدهم ظالم لنفسه بالمعاصي، ثم المقتصد الذي أدى الواجبات وترك المحارم، ثم السابق بالخيرات.

فهم أقسام ثلاثة، والله وعد الجميع الجنة، فقدم ذلك على المغفرة ووعدهم الجنة، منهم ظالم لنفسه، وهنا جعل له الأمن والهداية، وهذا بشرط السلامة من الظُّلَمين الآخرين: ظلم العباد، وظلم النفس.

۞ ليس مرادُ النبيِّ ﷺ بقوله: «إنَّما هو الشِّركُ»: أن مَن لـم يُشرِك الشِّركَ الأكبرَ يكون له الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ، فإن أحاديثَه الكثيرةَ مع نصوصِ القرآنِ، تبيِّنُ أن أهلَ الكبائرِ مُعَرَّضون للخوف، لـم يحصُل لهم الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ الذي يكونون به مهتدينَ إلـى الصراطِ الـمستقيمِ، صراطِ الذين أنعمَ اللهُ عليهم، من غير عذابٍ يـحصُل لهم، بل معهم أصلُ الاهتداءِ إلـى الصراطِ الـمستقيمِ، ومعهم أصلُ نعمةِ الله عليهم، ولا بُدَّ لهم من دخولِ الجنةِ.

وقوله: (إنَّما هو الشِّركُ) إنْ أرادَ به الأكبرَ، فمقصودُه أن من لم يكن مِن أهلِه، فهو آمِنٌ مما وُعِدَ به المشركون، من عذابِ الدنيا والآخرةِ، وهو مهتدٍ إلى ذلك، وإنْ كان مرادُه جنسَ الشِّركِ، فيقال: ظلمُ العبدِ نفسَه كبخلِه ـ لحبِّ المالِ ـ ببعضِ الواجبِ هو شِركٌ أصغرُ، وحبُّه ما يبغضُ اللهُ[1]، حتى يقدِّم هواهُ على مـحبَّة الله، شـركٌ أصغرُ، =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: ما يبغضه الله، فالمفعول محذوف.

= ونحو ذلك[1]. [٧٣]

[شرح٧٣] يعني: أن الإنسان إذا وقع في المعاصي، فقد وقع في إيمانه شوب من الشرك؛ لكونه آثر هواه، وآثر محبة نفسه، فأشبه الشرك الخفي الذي جاء في الأحاديث، كالرياء، وحب السمعة ونحو ذلك، فيكون بهذا ناقص الإيمان، ناقص التوحيد، فيكون غير حاصل على الأمن التام والهداية التامة، وفي كل حال فالنصوص واضحة في هذا، فإن الشرك شرك أكبر، وهذا هو ظاهر النص، وهو المراد من سياق الأحاديث، المراد الشرك الأكبر، المذكور في قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

ويحتمل أنه ﷺ أراد جنس الشرك، لأن جنس الشرك مع قطع النظر عن كونه كبيرة أو صغيرة، فيكون إتيان الكبائر نوعاً من الشرك، بمعنى أنه أطاع واتبع الهوى فيها، كالزنى والسرقة والكبر ونحو ذلك، حتى آثر هوى نفسه على طاعة الله جلا وعلا، فكان هذا نوعاً من الشرك، الذي يضعف به إيمانه ويقينه وتوحيده، فيستحق عليه العقاب يوم القيامة، وبهذا لا يسلم من =

---

(١) ص٤٤.

....

= العقاب، ولا يحصل له الأمن كاملاً والهداية كاملة إلا بسلامته من أنواع الظلم الثلاث*.

*** س: لو أذن لفريضة من الفرائض، كالظهر أو العصر وعندي ناس، أو عندي تمثيلية نناظر فيها أو نأكل قاتاً، حتى ذهب وقت هذه الفريضة، وجاء وقت الفريضة الثانية، ولم أصلِّها إلا مع الفريضة الثانية، أليس هذا يدخل في الكفر؟**

ج: هذا من ظلم النفس بالمعاصي، فإذا اتبع هواه وأطاعه حتى ضيع الفريضة في أكل القات، أو مراعاة خاطر الذي يجلس عنده، أو التمثيل الذي قلته، أو غير ذلك، يكن عاصياً، مستحقاً للعقوبة.

وآكل القات جمع بين ذنبين: ذنب أكل القات، وهو محرم، وذنب تأخير الصلاة، أما الطعام فقال النبي ﷺ: «لا صلاةَ بحضرَةِ الطعامِ»[1]، فإذا أذن وهو على الطعام يكمل طعامه، ولا يقوم إلى الصلاة وهو يأكل.

لكن بعض العلماء ألحق الكبائر في معنى الشرك الأصغر، وهي لا تسمى بالشرك الأصغر، لكنها في معناها من جهة أن صاحب الكبيرة أطاع هواه، وآثره، فهي نوع من الشرك الأصغر الخفي، لكن لا تلحق بالشرك، =

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٠).

....

= بل هي تحت مشيئة الله جل وعلا، فهذه كلها في حكم المعاصي.

س: لكن هو يفعل هذا مثلاً وقت الفريضة؟

لا يجوز هذا العمل، لكن لا يسمى شركاً أكبر، فالمعاصي شيء والشرك الأكبر شيء، أما كونه تأخر عن الصلاة، بسبب القات، أو التدخين، أو السواليف مع أصحابه، فهذه معصية، فيأدب عليها، ويجب عليه التوبة إلى الله من ذلك، فالشرك شيء والمعاصي شيء آخر.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]؟

ج: في هذا نوع من عبادة الهوى، لكنه ليس مثل الذي عبد الصنم والوثن، فكل من عصى ربه فقد أطاع هواه، فعلى هذا لو جعلناه شركاً أكبر لصار من دخن أو شرب الخمر أو زنى أو عق والديه داخلاً فيه، لا، عند أهل السنة والجماعة بالإجماع بخلاف الخوارج أن الشرك الأكبر شيء والمعاصي شيء آخر.

وإن كانت المعاصي نوعاً من اتباع الهوى، ونوعاً من عبادة الهوى، لكن ليس من الشرك الأكبر، وليس من الشرك الذي صاحبه لا يغفر له، بل هذا نوع من الشرك الخفي الذي يسمى شركاً أصغر، ويسمى شركاً خفياً، لكن لا يكون له حكم الشرك الأكبر، بل له حكم المعاصي.

س: سؤال غير مسموع. =

....

= ج: يعني: أن الإنسان مآخذ بما يفعل من الشر، ولو كان قليلاً، وقد يغفر له إذا اجتنب الكبائر، فتوعد الله جل وعلا من فعل كبيرة، لكنه قد يؤاخذ بها وقد لا يؤاخذ بها؛ لأن الله قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١] فالمؤمن إن تجنب الكبائر عفا الله له عن الصغائر، وإن رآها في كتاب سيئاته، وإن عرضت عليه، لكن لا يلزم من رؤيته لها أن يؤخذ بها.

فإذا اجتنب الكبائر كفاه الله ﷻ شر الصغائر، لكن يجب على المؤمن أن يحذر كل شيء، أن يحذر السيئات مطلقاً، أي: كل ما نهاه الله عنه، فالسيئات الصغائر تجتمع عليه فتهلكه، فينبغي أن يجتنب كل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

ثم الصغائر والكبائر يلتمس هذا من هذا، وهو خلاف كبير بين أهل العلم، فقد يشتبه عليه، وقد يظن ما ليس بصغيرة صغيرة فيستهان بها، فالحزم كل الحزم أن يجتنب كل ما نهى الله عنه ويحذره، حتى يسلم.

س: بمناسبة ذكر الخوارج: ما هو القول الفصل في الخوارج؟ هل يكفرون مطلقاً، أم لا يكفرون مطلقاً، أم تحتاج المسألة إلى تفصيل؟

ج: عند أهل السنة والجماعة الخوارج لا يكفرون، كما قال علي: من الكفر فروا، وقال بعض السلف: هم كفار للحديث الصحيح «يمرقون من =

....

= الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه»[١]. فظاهر الأدلة كفرهم، لكن أهل السنة والجماعة حملوا هذا على الوعيد والزجر الشديد على عملهم، ولذلك لما سُئل عليٌّ عنهم، وهو مَن جاهدهم وعرف أحوالهم، قال: من الكفر فرُّوا[٢]، حملهم التشدد في طاعة الله، والخوف من الله عز وجل حتى كفروا الناس بالمعاصي، وكفروا الصحابة، فكفروا علياً ومن معه، بسبب اجتهادهم الباطل الفاسد فالرجل توعدهم على هذا، وتوعدهم بقتلهم قتل عاد بكفرهم، على قول، ولضلالهم وخروجهم عن الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه، على القول الثاني.

فالحاصل أنهم كفروا الناس، وقاتلوهم على غير بصيرة، حتى قاتلوا أهل الإسلام وتركوا عباد الأوثان من جهلهم.

فالصواب فيهم: أن ظاهر الأدلة تكفيرهم، لكن جمهور أهل السنة، قالوا في حقهم: إنهم أهل كبائر وأهل نحلة فاسدة وأهل بدعة، لكن في كفرهم نظر، لأن علياً وهو أعلم الناس بهم لم يكفرهم، فقال: من الكفر فروا.

أما ظاهر الأحاديث فهي تؤيد المذهب الأقل بتكفيرهم؛ لأنه قال فيهم: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[٣]، وفي رواية: =

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: المناقب (٣٦١١)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٦).

....

= «يمرقون من الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه»[1]، وظاهر هذا كفرهم؛ لأنهم استحلُّوا ما حرَّم الله، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وقتلوهم، كما هو معروف في عهد الصحابة، ومن بعدهم، نسأل الله السلامة.

س: وطوائف المعتزلة؟

ج: المعتزلة هم أقلُّ منهم؛ لأن المعتزلة لا يكفرون، ولكنهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، فهم أقل منهم، وظاهر الأدلة تقتضي تكفيرهم أيضاً؛ لأنهم نفوا صفات الله، وعطلوا الله من صفاته، وزعموا أن أهل المعاصي مخلدون في النار، فالقول بتكفيرهم قول قوي، لكنهم ليسوا كالخوارج من كل وجه، فالخوارج كفروا الناس صراحة، من زنى عندهم كفر، ومن شرب الخمر كفر، ومن قتل إنساناً بغير حق كفر، فمذهبهم صريح في الشر، والعياذ بالله.

س: لكنهم وافقوهم في أحكام الآخرة؟

ج: لكن في الدنيا خالفوهم، هؤلاء كفروا أهل المعاصي وجاهدوهم وقاتلوهم، كما فعلوا مع علي ﷺ، أما المعتزلة فما يرون رأيهم لا في المقاتلة فيما يظهر ولا في التكفير، ولكن يرون أنهم في الآخرة مخلَّدون في النار، وهي موافقة في الحقيقة موافقة قوية، ويقال في حقهم: إن الخلاف لفظي. =

---

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

....

= س: والجهمية؟

ج: والجهمية غيرهم، ينفون الأسماء والصفات جميعاً، والمعتزلة ينفون الصفات فقط، دون الأسماء فيثبتونها، والجهمية مرجئة وقدرية مع ذلك، والمعتزلة نفاة للقدر، فبينهم فروق، لكنهم يجتمعون في البدعة، أما التكفير فبحث آخر.

س: والشيعة؟

ج: الشيعة على طريقة المعتزلة، في نفي الصفات مع ما عندهم من تكفير وسب للصحابة، والعقائد الخبيثة في أهل البيت.

س: لكن هل يجوز للسني أن يصلي خلفه؟

ج: لا تجوز الصلاة خلفه، فإذا عرف أنه شيعي يعبد أهل البيت، ويدعوهم من دون الله، أو يسب الصحابة، فهذا لا قيمة له، ولا يكون إماماً للناس، ويجب أن يبعد عن الإمامة، أما إذا عرف منه أنه لا يشرك، ولكن عنده قضية تفضيل علي على عثمان ونحو ذلك، أو عرف بالتوحيد، وأنه لا يؤله أهل البيت، ولا يسب الصحابة ولا يخوّنهم، فهذا له حكم أهل التوحيد في صحة إمامته.

فالشيعة أقسام، ذكر بعضهم أنهم اثنان وعشرون قسماً.

س: الذي يذبح عند قبر أو ينذر له هل يصلى خلفه؟

ج: عباد القبور لا يصلى خلفهم، كالذي يتقرب إلى صاحب القبر =

....

= بالنذر أو الذبيحة أو بالدعاء، فإذا كان يذبح عند صاحب القبر تقرباً إليه كما يفعل عند ابن عَلْوان وغيره، فهذا الشرك الأكبر، فالذي يذبح عند القبور يمنع لا يؤم الناس، أما التكفير فهذا محل النظر.

س: ما حكم التأخر عن صلاة الجماعة؟

ج: التأخر عن صلاة الجماعة مشابه للنفاق، كما قال ابن مسعود: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق[1]، ولو كان جالساً يقرأ، أما إذا كان عند التلفزيون، فذلك أشر وأخبث، أو الألعاب الأخرى، فالمعاصي أنواع، والتخلف عن الجماعة مطلقاً بدون عذر شرعي تشبه بأهل النفاق، حتى ولو كان جالساً يسبح ويهلل، وإن تخلف لأجل سماع الأغاني أو مشاهدة التلفاز، صار الأمر أعظم، فقد تخلف عن الواجب، وفعل معصية، نعوذ بالله.

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤).

۞ فهذا فاتَه مِن الأمنِ والاهتداءِ بحسَبِه، ولهذا كان السلفُ يُدخِلون الذنوبَ في هذا الظلمِ، بهذا الاعتبارِ، انتهى ملخصاً [١].

وبه تظهرُ مطابقةُ الآيةِ للترجمةِ، فدلَّت على فضلِ التوحيدِ، وتكفيرِه للذنوبِ؛ لأن مَن أتى به تامّاً، فله الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ، ودخلَ الجنَّةَ بلا عذابٍ[٢]. [٧٤]

[شرح٧٤] ولا يكون التوحيد تامّاً إلا بكون صاحبه تاركاً للمعاصي كلها، فالتوحيد الخالص في ضمنه التوبة من المعاصي والسيئات، فيحصل له الأمن التام، والهداية الكاملة، أما إذا كان قد تلطخ بالمعاصي، يكون توحيده ناقصاً، فيكون أمنه ناقصاً، فالكل بالكل، والبعض بالبعض.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٨٠-٨٢).

(٢) ص٤٤.

۞ ومَن أتَى به ناقصاً بالذنوبِ التي لم يَتُب منها، فإن كانت صغائرَ كُفِّرت باجتنابِ الكبائرِ؛ لآيةِ النساءِ[1]، والنَّجمِ[2]، وإن كانت كبائرَ فهو في حُكْمِ المشيئةِ، إن شاء اللهُ غفرَ له، وإن شاء عَذَّبه، ومآلُه إلى الجنةِ، والله أعلم[3]. [٧٥]

[شرح٧٥] ذكر العلماء أن الشرك الأكبر هو ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله، أو جحد ما أوجبه الله، لأنه هو معلوم من الدين بالضرورة بالأدلة الشرعية، أو جحد ما حرمه الله؛ لأنه هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنى ونحوه، فهذا سماه كفراً أكبر، وشركاً أكبر.

أما الشرك الأصغر فهو ما ورد في النصوص تسميته شركاً، لكنه لم يصل إلى درجة عبادة غير الله، ولا إلى جحد ما أوجبه الله، ولا إلى جحد ما حرم الله، لكنه دون ذلك، مثل: الحلف بغير الله، يقول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، و الرياء، كل هذا =

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

(٣) ص٤٤.

....

= من الشرك الأصغر الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغرُ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ، يا رسولَ الله؟ قال: «الرياءُ»[1]، وقال في الحديث الصحيح: «مَن حَلَفَ بغيرِ الله فقد أَشرَكَ»[2].

فالحاصل أن الشرك الأصغر هو ما ورد بالنصوص تسميته شركاً، لكنه لم يصل إلى حد الشرك الأكبر الذي تقدم بيانه، وهو صرف العبادة لغير الله، أو بعضها، أو جحد ما أوجب الله؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة، أو جحد ما حرم الله، كالزنى ونحوه، أو اعتقاد ينافي ما جاءت به الرسل، كأن يعتقد خلاف ما جاءت به الرسل، كإنكار وجود الله، وإنكار الآخرة، وإنكار الجنة، وإنكار النار، إلى غير ذلك، بأن يخالف ما جاءت به الرسل، فهذا جحد لما أخبر الله.

فكل ما يتضمن تكذيب الله، أو تكذيب الرسول ـ عليه =

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١).

....

= الصلاة والسلام ـ بإنكار واجب أو إنكار محرم أو إنكار خبر، أو يتضمن صرف العبادة أو بعضها لغير الله، فهذا كله من الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

وما دون ذلك مما جاء في النصوص وسمته شركاً كالرياء والسمعة وقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، والحَلِف بغير الله، كالحلف بالأمانة، والنبي ﷺ ونحو ذلك، هو من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر في بعض الأحيان، على حسب ما يكون في قلب صاحبه من تعظيم المخلوق والاعتقاد به عند الحلف به ونحو ذلك*.

---

* س: ما الفرق بينهما؟

ج: الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار، وحرمان المغفرة، ولا يصلى على صاحبه، ولا يستغفر له، أما صاحب الشرك الأصغر فلا ينافي الإيمان بالكلية، ولا يوجب الخلود في النار، ولا يمنع الصلاة على صاحبه، ولا الاستغفار له، فالفرق بينهما عظيم.

اختلف العلماء: هل يغفر الشرك الأصغر كما تغفر الكبائر تحت قوله: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] أم لا يغفر بل هو من جنس الشرك =

....

= الأكبر في عدم المغفرة، لكنه قد يمحى بالحسنات وبالعذاب في النار.

فالحاصل أن الشرك الأصغر قد لا يغفر مع جهة عموم الأدلة في عدم مغفرة الشرك مطلقاً، وقد يغفر باجتناب الكبائر، لكن مثل هذا لا يخلد صاحبه في النار، سواء أقلنا: يغفر، أم قلنا: لا يغفر، فقد يغفر وقد لا يغفر، لكن صاحبه يعذب على قدره، ثم بعد التطهير يخرج من النار، وقد يزول حكمه برجوح الحسنات في الميزان.

س: والروافض؟

ج: الروافض أشدهم وأخبثهم، الذين رفضوا زيد بن علي، لما طلبوا منه أن يتبرأ من الصديق وعمر، وأبى، فرفضوه، وهم أقسام أيضاً، منهم الباطنية، وغير الباطنية، الباطنية: الذين ينكرون وجود الله ولا يعبدونه، ومنهم الباطنية الذين يقولون: الإله علي، وفيهم أنواع أخرى، وفيهم المخونة الذين يقولون: إن الرسالة لعلي، ولكن جبرائيل خانه فجعلها لمحمد، فهم أقسام ـ قبحهم الله ـ ومع ذلك انتهى أمرهم إلى أنهم يعبدون أهل البيت، ويدينون بدين المعتزلة في نفي الصفات، وفي المنزلة بين المنزلتين، وفي تخليد أهل المعاصي في النار.

س: ما معنى المنزلة بين المنزلتين؟

ج: لا يقال: كافر ولا مسلم ولكن فاسق، فالعاصي لا يسمى مسلماً ولا كافراً ولكنه عاص. =

....

= س: هل يجوز دخول الذين هم بهذه الصفة (يعني الروافض) الحرمين الشريفين؟

ج: من عرف أنه بهذه الصفة لا يجوز دخوله، لكن بسبب الشبه ودعواهم الإسلام حصل ما حصل ولأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله في الظاهر ويدعون الإسلام، ولهذا اضطرت الدولة إلى دخولهم.

س: بعضهم يعرِّف الشرك الأكبر تسمية غير الله بما يختص به الله.

ج: نوع من التعريف، لكنه قاصر؛ لأنه يلحق به جحد ما أوجب الله، وجحد ما حرم الله والشك في دين الله وكل هذا يسمى الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

۞ عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن شهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كانَ من العملِ» أخرجاه[1].

عُبادة: هو ابنُ الصامتِ بن قيسٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ أبو الوليد، أحد النُّقَباء، بَدريٌّ مشهور من جِلَّة الصحابة، مات بالرَّملَة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنةً، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية.

قوله: (مَن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ) أي: من تكلَّم بهذه الكلمةِ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتَضاها باطناً وظاهراً؛ كما دلَّ عليه قولُه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] وقولُه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] أما النُّطقُ بها مِن غيرِ معرفةٍ لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غيرُ =

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم: الإيمان (٢٨).

= نافعٍ بالإجماع[١]. [٧٦]

[شرح٧٦] ولهذا ينطق بها المنافقون فلا تنفعهم، وينطق بها المرتدون فلا تنفعهم؛ لأنهم لم يقولوها عن علم ويقين، بل عن كذب، فالمنافقون قالوها كذباً ولهذا لم تنفعهم، وصاروا في الدرك الأسفل من النار، فهم يقولونها ويشهدون أن محمداً رسول الله، وهم في الباطن كاذبون كما قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

هذه طريقتهم، يجاملون المسلمين ويقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلى غير هذا، والبواطن كلها خراب، كلها تكذيب، كلها إنكار للحق.

وهكذا المرتدون من ارتد بأنواع من الردة، ومع ذلك يقول: لا إله إلا الله، ويسب الله، ويسب دينه، ويستهزئ بدينه، ويقول: لا إله إلا الله، فلا تنفعه هذه الكلمة، لأنه لم يؤد حقها، لأن من حقها: أن تعبد الله وحده، وأن تعظم حرماته، وأن تلتزم بحقه، =

---

(١) ص٤٥.

....

= وأن تكفر بما يعبد من دونه، فإذا قلتها وأنت غير ملتزم بحقها فوجودها كعدمها.

ولهذا لما ارتد من ارتد من العرب، وعزم الصِّدِّيق على قتالهم حتى يرجعوا إلى دين الله، ناظره عمر في هذا وقال: كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، فإذا قالوها عَصَمُوا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها»؟ قال الصديق: أليس الزكاة من حقها؟ والله لأقاتلن مَن فَرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، والله لو مَنعوني عَناقاً ـ وفي رواية: عِقالاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعها! فقال عمر: فما هو إلا أن عرفتُ أن الله قد شرح صدرَ أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحقُّ(١).

فالمقصود أن هذه الكلمة لها حقوق فلا بد من أداء الحقوق، بعض الحقوق تجعل صاحبها كأنه لم يقلها وباقٍ في كفره وضلاله، =

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٩) و(١٤٠٠)، والاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم: الإيمان (٢٠).

....

= وبعض الحقوق ينقص معناها، ويضعف معناها، لكن لا يكون صاحبها كافراً، فمن قالها وسب الله ورسوله، أو صدَّق مُسيلِمة، أو صدَّق مدعي النبوة كالقادياني وأشباهه، كفر بذلك، ولم ينفعه قول: لا إله إلا الله، ولا صلاته وصومه ولا حجه وزكاته ولا غير ذلك؛ لأنه جاء بناقض من نواقض الإسلام.

كذلك لو قال: لا إله إلا الله، وصلى وصام ولكن يقول: الزنى حلال، أو الخمر حلال، أو الربا حلال، أو عقوق الوالدين حلال، أو الصلاة غير واجبة، أصلي ولكن ليست واجبة علي الصلاة أو ما أشبه ذلك، هذا مرتد كافر بالإجماع ولو قالها.

أما الحال الثانية: فقد يقولها، ولكن لا يلتزم بحقوقها المكملة، كأن يقول: لا إله إلا الله، ولكن يزني، ويعرف أن الزنى حرام ومنكر، ولكنه يتعاطاه، فهذا ما أدى حقها كاملاً، بل أدى حقها بنقص، فيكون ضعيف الإيمان، ويكون مستحق العقوبة، ويكون على خطر من دخول النار يوم القيامة إذا مات على ذلك.

كذلك لو قالها، ولكن يشرب الخمر، يشرب المسكرات، يعق =

....

= الوالدين، يأكل الربا، ولكن لا يستحل ذلك، بل يفعل ذلك وهو يعلم أنه حرام، ولكن غلبه الهوى، وغلبه شيطانه، هذا يكون قد نقص حقها، وضعف في أداء حقها، ولكن لا يكون كالذي تركها بالكلية، فيكون مسلماً مؤمناً، ضعيف الإيمان، ناقص الإيمان، ولكن ليس كالذي أنكرها بالكلية، بل له حظه من الإسلام، وهو على وعد من دخول الجنة، وله العاقبة الحميدة بعد كل نهاية، ولكنه على خطر من دخول النار إذا مات على حالته السيئة هذه، فيكون ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، لا كامل الإيمان، ولا معدوم الإيمان، فينبغي التنبه للفرق في هذه المسائل المهمة العظيمة.

۞ وفي الحديثِ ما يدلُّ على هذا، وهو قولُه: (مَن شَهِد) إذ كيف يشهدُ وهو لا يعلَم، ومجرَّدُ النُّطقِ بشيء لا يسمَّى شهادةً به. قال بعضُهم: أداةُ الحَصْرِ لقَصْرِ الصفةِ على الموصوفِ قَصرَ إفرادٍ؛ لأن معناه: الأُلوهيةُ منحصرةٌ في اللهِ الواحِدِ في مقابلةِ من يزعُم اشتراكَ غيره معه، وليس قَصرَ قلبٍ؛ لأن أحداً من الكفارِ لم يَنفِها عن الله، وإنما أشركَ معه غيرَه[1]. [٧٧]

[شرح٧٧] المعنى في هذا، يعني: ليس المراد نفي الوجود وقصر قلب، فإن جميع الناس يعرفون أن الله ﷻ إله، ولكن الكلام كلّه في هل هناك آلهة معه أم لا؟ هل هناك آلهة تعبد وتستحق العبادة أم لا؟ وإلا فهم يعرفون أن الله إله، وهناك آلهة عندهم معبودة كاللات والعزى وأشباه ذلك.

فليس المعنى لا شمس إلا الشمس يعني: لا شمس موجودة إلا هذه الشمس، ولا قمر إلا هذا القمر، كلا، فالمعنى: لا إله حق، فهناك آلهة موجودة، أما ترى أنك تقول: لا رجل إلا علي، أو لا =

---

(١) ص٤٥.

....

= شجاع إلا علي، ليس المراد أنه ليس هناك شجعان، لكن نفي الكمال من الشجاعة والإقدام إلا لعلي على تقدير صحة هذا الإطلاق.

فالمقصود بيان أن هناك آلهة موجودة لكنها لا تستحق العبادة، بخلاف لا شمس إلا الشمس، معناها أن الشمس ليست موجودة أبداً في الليل، وقد ظن بعض المتكلمين وبعض الجاهلين أن هذا هو المعنى، لا إله إلا الله؛ يعني: لا إله موجود، وهذا غلط كبير، فهناك آلهة موجودة عند المشركين كثيرة إلى الآن، بل أكثر وأكثر، لكنها معبودة بالباطل، ليست معبودة بالحق، أما المعبود بالحق فهو الله وحده ﷻ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢] ، هذا بيان أن الآلهة موجودة مدعوة، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود:١٠١]، فجعل لهم آلهة.

ومن هذا قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥] ، ومن هذا =

....

= قولُه بما ذكر الله عنهم: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فهناك آلهة ولكنها معبودة بالباطل لا قيمة لها، فالمعبود بالحق هو الله وحده ﷻ، فالمعنى قصر الإفراد، قصر الإلهية، فالموصوف بأنه حق في هذا الاستثناء هو الله، لا قصر الوجود، فكل إله موجود، ولكنه ليس معبوداً بالحق: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، فالمعبود بالحق هو الله وحده، سبحانه وتعالى.

۞ وقال النوويُّ: هذا حديثٌ عظيمٌ جليلُ الموقعِ، وهو أجمعُ - أو من أجمع - الأحاديثِ المشتَمِلةِ على العقائدِ[١]. [٧٨]

[شرح٧٨] أجمع منه حديث جبرائيل المشهور: في السؤال عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأشراط الساعة[٢]، لكن في حديث عبادة أشياء لم تذكر في حديث جبرائيل، وبضمه إلى حديث جبرائيل، يحصل بيان العقيدة الصحيحة التي تنافي جميع ملل الكفر وجميع ملل الضلالة*.

---

* س: هل الأحسن التعبير بالعقائد أو العقيدة؟

ج: بالنسبة إلى عقائد أهل الدنيا عقائد، وبالنسبة إلى العقيدة الصحيحة واحدة، لأن كل عقائد أهل الدنيا باطلة لأنها كثيرة؛ عقيدة اليهود، وعقيدة النصارى، وعقيدة البوذيين، وعقيدة الوثنيين، وعقيدة الملاحدة.

العقيدة هي الإيمان بالله، وأن محمداً خاتم النبيين، والإيمان بالآخرة والجنة والنار، والعقيدة في عيسى، إلى غير ذلك، كل هذه الأنواع ترجع إلى =

---

(١) ص٤٥.

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٨) و(١٠).

....

= عقيدة واحدة مثل قوله سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [المائدة].

السبيل واحد ولكنه جمع سبل السلام من جهة أنواع السبل وكثرتها، وكلها سبل خير تمضي إلى صراط مستقيم واحد، فالصلاة سبيل الخير، والزكاة سبيل الخير، والصيام سبيل الخير، والحج سبيل الخير، وبر الوالدين سبيل الخير إلى غير ذلك، فهي سبل لكنها ترجع إلى سبيل واحد، وتنحصر في سبيل واحد، وهو ما دل عليه كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، هذا هو معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا هو الصراط المستقيم.

وفي غالب الآيات والأحاديث السبيل، بإفراد السبيل وإفراد الصراط: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، و﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقد تجمع سبل، لكن المراد بها أنواعها وأفرادها وأنواع السبيل الواحد، وأنواعه التي تجتمع فيه، كالوادي العظيم الذي يحصر الشُّعَب من هنا وهناك، ولكن مرجعها إليه ومتفرعة منه، فكلها متفرعة من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

۞ فإنه ﷺ جمعَ فيه ما يُخرِجُ عن مِلَلِ الكفرِ على اختلافِ عقائدِهم وتباعدها، فاقتصرَ ﷺ في هذه الأحرفِ على ما يباين به جميعَهم. انتهى[1]. [٧٩]

[شرح٧٩] وذلك لأن شهادة أن لا إله إلا الله تخرج من ملل الوثنيين وغيرهم الذين عبدوا مع الله إلهاً آخر، وشهادة أن محمداً رسول الله فيها الردّ على من أنكر رسالة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وسائر ملل الكفر، ومنهم الوثنيون الذين كذبوه، عليه الصلاة والسلام.

وذكر عيسى فيه الردّ على اليهود والنصارى جميعاً، فاليهود جحدوه، والنصارى غلوا فيه وجعلوه إلهاً، فهذا ردّ على الجميع، على الطائفتين، وفي الجنة والنار ردّ على من أنكر الآخرة والبعث والنشور، هذه جماعة من الكفر؛ لأنها ترجع إلى هذا، ما بين ملة تنكر الآخرة ـ وهي أنواع، وهم كثيرون، فرد عليهم بمثل الجنة والنار ـ و بين ملة اليهود والنصارى، فقد رد عليهم بإثبات رسالة محمد ﷺ وبعيسى وبيان أنهم عبيد لله ﷻ. =

(١) ص٤٥.

....

= وفي ذلك الرد على من غلا في محمد ﷺ وجعله إلهاً، أو أثبت آلهة أخرى تعبد مع الله، فرد عليهم بالشهادتين، وفي هذا الحديث ـ حديث عبادة ـ رد على جميع أنواع الكفر، وعلى جميع ملل الكفر الباطلة، وإثبات العقيدة الصحيحة بما يتفرع عنها من أنواع العقائد الصحيحة التي تتعلق بكل فرض مما جاء به الرسول ﷺ*.

---

* **س: لكن قوله على اختلاف عقائدهم وتباعدها؟**

ج: نعم، لأن ما بين اليهود والنصارى بعد عظيم، فاليهود تكذب عيسى، والنصارى تؤمن بعيسى وتغلوا فيه، فهذا بعد عظيم بين من كفر بهذا وأنكر وجوده وكفر به، ومن آمن به وصدقه فهذا فرق بعيد.

س: ومع ذلك، فهذا الفرق العظيم لا يخرج من مللها؟

ج: على تباعدها، هي ملل كفر، لكنها متباعدة في نفسها مختلفة، فليست ملة الشيوعيين الذين أنكروا وجود الله، وأنكروا كل شيء، مثل ملة اليهود والنصارى، وليست ملة اليهود مثل ملة النصارى، فاليهود غلوا في العزير وعبدوه مع الله، وكذبوا عيسى وأنكروه، وقالوا: هو ابن زنى، واتهموا مريم بذلك، والنصارى بالعكس، صدقوا وآمنوا بعيسى، لكن إيمان أغلبهم أخطأ فيه، فغلا فيه مع الله، وجعله إلهاً مع الله. =

....

= وقليل منهم هو الذي أصاب الحق، وكلاهما أنكر محمداً ﷺ وكفر بمحمد، ولم يؤمن به إلا القليل منهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، فصاروا متفاوتين، كذلك المجوس هم ملة أخرى قائمة على الظلمة والنور، ولهم عقائد أخرى غير عقائد اليهود والنصارى، وهكذا بقية الكفرة من الصابئة وغير الصابئة وعباد الأوثان، وهم متفاوتون ومتباينون في كفرهم.

۞ ومعنى «لا إلهَ إلا اللهُ» أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا إلهٌ واحدٌ، وهو اللهُ وحدَه لا شريكَ له؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فصحَّ أن معنى «الإله» هو المعبودُ، ولهذا لما قال النبيُّ ﷺ لكفارِ قريشٍ: «قُولُوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥][1]*.

---

* س: هذا الخبر؛ لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا: لا إله إلا الله» مَن خرجه[2]؟

ج: جاء هذا من طرق كثيرة من السيرة والتاريخ عند مبعث النبي ﷺ ذكر في كتب التاريخ وكتب السيرة وسيرة ابن هشام وكتب البداية والنهاية وغيرها، يعني: أنه جاء من طرق كثيرة عند تتبع طرقه، وهذه الطرق تحتاج إلى تتبع، لكنه مشهور يعني: ثابت المعنى في الجملة، والقرآن الكريم دل =

---

(١) ص٤٥.

(٢) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٢٢٧ و١/ ٣٦٢)، وراجع طبعة مؤسسة الرسالة من «المسند» (٢٠٠٨) و(٣٤١٩)، ففيه تمام تخريجه وتنقيده.

....

= على هذا، فإنهم ما قالوا: أجعل الآلهة إلا لما قال لهم هذا، ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٤-٥].

أي: المعنى ثابت بالقرآن الكريم لأنه بعث بهذا الشيء، فالرسول بعث إليهم يدعوهم إلى توحيد الله، فهو قال لهم هذا وما أكثر منه، وكرر عليهم ذلك يأمرهم بـ«لا إله إلا الله» وأن فيها فلاحهم، وفيه أن يخضع لهم العرب وأن تؤدي إليهم العجم الجزية إلى غير ذلك، فهو شيء مستكثر ومن أراد تتبع طرقه يجده.

ومن هذا قولهم فيما حكاه الله في سورة الصافات: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ أي: النبي ﷺ سمَّوه شاعراً ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٦-٣٧].

سموه شاعراً، وسموه مجنوناً، وهم المجانين وهم المساكين الجهلة، نسأل الله السلامة! وهم يعرفون أنه أصح الناس عقلاً وأكملهم أمانة وأثبتهم جناناً وأصدقهم لساناً، ولكن الهوى يُعْمي ويُصِم.

۞ وقال قومُ هودٍ: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، وهو إنما دعاهم إلى «لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. [٨٠]

[شرح٨٠] لأنه ذكر في الآية الأخرى أن هوداً قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥] في أول القصة، وهكذا قال نوح، وهكذا قال صالح، وهكذا قال إبراهيم، وهكذا قال شعيب، كلهم جميعهم يقولون: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، فتجيبه عادٌ فتقول: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠].

هذا اعتراف منهم بما دعاهم إليه، ومكابرة وإنكار وتكذيب، نسأل الله العافية، وهكذا أبو سفيان لما سأله هرقل: ماذا يقول لكم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم»[2]*.

---

* س: أول واجب على الداعية أن يدعو الناس إلى تحقيق معنى هذه =

---

(١) ص٤٥.

(٢) أخرجه البخاري: بدء الوحي (٧).

....

= الكلمة، أو يدعوهم إلى الخروج والزهد في العبادة، أو يدعوهم إلى إقامة الدولة الإسلامية، ما هو أول واجب على الداعية؟

ج: المدعَوْن يختلفون، فإن كان في قوم كفار كعباد الأوثان واليهود والنصارى يبدأ بما بدأ به النبي ﷺ، يبدأ بتوحيد الله، ودعوتهم إلى توحيد الله، ودعوتهم إلى معنى «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وأما إذا كان مع قوم يدعون الإسلام ويقولون: إنهم مسلمون، فإنه يدعوهم إلى تحقيق هذه الدعوى، ويبين لهم تحقيقها، وأن دعوى الإسلام ليس مجرد قول، لا بد من تصحيح هذا القول، ويبين لهم معنى «لا إله إلا الله» إذ وقعوا في الشرك بعبادة القبور، وأهل القبور، يبين لهم هذا الأمر حتى يخرجهم من ظلمات الشرك، وإن كان أمر الصلاة والصوم عندهم معروفاً، لكن يبين لهم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وأشباه ذلك لا تنفع أهلها حتى يصححوا هذا الأصل، وأنتم عندكم كذا وعندكم كذا وعندكم كذا إذا أمكن ذلك.

فإذا ما أمكن ذلك يبدأ معهم بتعظيم الصلاة، وتعظيم الزكاة، وتعظيم بر الوالدين، ويبين لهم هذه الأمور، حتى يركنوا إلى علمه ويعرفوا فضله، ثم يطمئنوا إليه، ثم ينتقل معهم إلى تصحيح العقيدة، لأنه إذا بدأهم بما هم عليه من الشرك، قد ينكرونه، ولا يستجيبون، لأنهم ليسوا من جنس الذين =

....

= ليس عندهم صلاة ولا صوم، فهؤلاء يدعون الإسلام.

كذلك إذا كان مع قوم يدعون نبوة شخص آخر، وهم يصلون ويصومون، لكن عندهم شرك آخر، وهو الإيمان بنبوة إنسان جديد، مثل القاديانية يبين لهم بطلان ما هم عليه من اعتقاد نبوة فلان، وأنها تبطل عليهم صلاتهم وصيامهم وإسلامهم وكل شيء، حتى يعرفوا أنهم على خطر، وأن هذا العمل الذي يعملوه يفضي بهم إلى النار، وإلى بطلان ما هم عليه من العبادات التي يدعون أنهم بها مسلمون.

وهكذا مع اليهود والنصارى، يبين لهم ضلالهم في إنكار نبوة محمد ﷺ وفي إنكار عيسى، ويبين للنصارى ضلالهم في غلوهم في عيسى، يعني: المدعوون يختلفون لا بد أن يكون الداعية له فطنة، وله نظر في أحوال المدعوين، والجامع لهذا أن ينكر على المدعوين ما هم عليه من الباطل، وأن يشكرهم على ما هم عليه من الحق، وأن هذا طيب، وهذا العمل طيب، ولكن لا يتم هذا الأمر إلا بهذا الأمر، هذا من شرط هذا، ويبين لهم نفس الأشياء التي وقعوا فيها من الباطل بالأسلوب الحسن، والأسلوب الطيب الواضح.

۞ فهذا هو معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وهو عبادةُ الله وتركُ عبادةِ ما سواه، وهو الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ بالله.

فتضمَّنت هذه الكلمةُ العظيمةُ أن ما سوى الله ليسَ بإلهٍ، وأن إلهيةَ ما سواهُ أبطلُ الباطلِ، وإثباتَها أظلمُ الظلمِ، فلا يستحقُّ العبادةَ سواه، كما لا تصلح الإلهيةُ لغيرِه، فتضمَّنت نفي الإلهيةِ عما سواه، وإثباتَها له وحدَه لا شريكَ له.

وذلك يستلزِمُ الأمرَ باتخاذه إلهاً وحدَه، والنهيَ عن اتخاذِ غيرِه معه إلهاً، وهذا يفهمُه المخاطَبُ[1] من هذا النفي والإثباتِ، كما إذا رأيتَ رجلاً يَستَفتي أو يَستشهِد مَن ليس أهلاً لذلك، ويَدَعُ مَن هو أهلٌ له،

فتقول: هذا ليس بِمُفتٍ ولا شاهدٍ، المفتي فلانٌ، والشاهدُ فلانٌ، فإن هذا أمرٌ منه ونهيٌ.

وقد دخل في الإلهيةِ جميعُ أنواعِ العبادةِ الصادرةِ عن تألُّهِ القلبِ لله بالحبِّ والخضوعِ، والانقيادِ له وحدَه لا شريكَ =

(١) قال سماحة الشيخ: يعني المخاطب العربي، أما غير العربي فيحتاج إلى الترجمة.

= له، فيجبُ إفرادُ الله تعالى بها كالدعاءِ والخوفِ والمحبَّةِ، والتوكُّلِ والإنابةِ، والتوبةِ، والذَّبح، والنَّذر، والسجود، وجميعِ أنواعِ العبادةِ،، فيجبُ صرفُ جميع ذلك لله وحدَه لا شريكَ له، فمن صرفَ شيئاً مما لا يصلُح إلا لله مِن العباداتِ لغيرِ الله، فهو مشركٌ، ولو نطقَ بـ «لا إلهَ إلا اللهُ» إذ لم يعمَل بما تقتضِيه من التوحيدِ والإخلاص"[1]. [٨١]

[شرح٨١] حتى حلق الشعر، من حلقه لله فقد عبد الله، ومن حلقه للشيخ صاحب القبر، وللشجرة أو لفلان وفلان، فقد صار مشركاً به؛ لأن الحلق جعله الله نسكاً في الحج والعمرة، وعبادة يؤجر عليها، فإذا حلق رأسه يبتغي ما عند الله فقد عبده، وإذا حلق رأسه ليحج المشاهد ويحج القبور، فهذا حلقه للشيخ المدفون، فقد عبده بذلك، فالمعول على النيات.

---

(١) ص٤٦.

ذكر نصوص العلماء في معنى الإله

۞ قال ابـنُ عباس ﷺ: اللهُ ذو الأُلوهيةِ والعبوديةِ على خلقِه أجمعين.

رواه ابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتم.

وقال الوزيرُ أبو المظفَّر في «الإفصاح»: قولُه: (شهادةُ أن لا إله إلا الله) يقتضي أن يكونَ الشاهدُ عالماً بأن: لا إلهَ إلا اللهُ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

وينبغي أن يكونَ الناطقُ بها شاهداً فيها، فقد قال الله ﷻ ما أوضحَ به أن الشاهدَ بالحقِّ إذا لم يكن عالماً بما شهدَ به؛ فإنه غيرُ بالغٍ مِن الصدقِ به مع من شَهدَ من ذلك بما يعلمُه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

قال: واسمُ الله تعالى مرتفعٌ بعد (إلا) من حيث إنَّه واجبٌ له الإلهيةُ، فلا يستحقُّها غيرُه، سبحانَه(١). [٨٢]

[شرح٨٢] (لا إله إلا الله) «لا إله» تقتضي اسماً وخبراً، وقد غلط =

---

(١) ص٤٦.

....

= بعض الناس فظن أنها مثل: لا شمس إلا الشمس، وهذه معناها أن لا شمس موجودة إلا الشمس، والمعنى خلاف هذا المعنى، والمعنى: لا إله حق، أو لا إله موجود بحق، فهو مقيد بالحق «إلا الله»، والقاعدة أن الاستثناء بعد الكلام التام غير الموجب يكون ما بعده مرفوعاً لا منصوباً، وهذا هو الأرجح فيه.

وهنا لما كان المعنى نفي الألوهية عن غير الله، وإثباتها لله ﷻ، فصار كأنه مفرغ، أي: لا يوجد إله غيره فقط، لا إله إلا الله؛ لأنه المقصود بالاستثناء، والمقصود بالإثبات، إثبات الألوهية لله ﷻ، وكأنه لا إله موجود بالكلية؛ لأن وجود أشياء بغير حقٍّ وجودها كعدمها؛ فصار المستثنى بعد إلا ليس فيه إلا الرفع، لا إله إلا الله، المعنى: لا إله موجود بحق إلا هو ﷻ، أو لا إله حق وإن كان موجوداً فالمعنى مستقيم أي: لا مألوه حق.

الإله هو المألوه، مثل البساط بمعنى المبسوط، والكتاب بمعنى المكتوب، أي: لا مألوه بحق، ولا معبود بحق إلا الله، فالمألوهات موجودة وكثيرة؛ كاللات والعزى ومناة، وهذا عند المشركين فيها =

....

= يطلقونه على ما يعبدون من أصنامهم وأوثانهم، فهي عندهم آلهة، وسماها الله آلهة؛ فقال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥].

ويسمونها ويعتبرونها آلهة، لها يخضعون، ولها ينذرون، ولها يذبحون ولها يطوفون إلى غير ذلك؛ لكنهم يعلمون فضل الكعبة عليها، وفضل الله عليها ﷻ، ولكنهم مع هذا كله فهم يشركونها، ويجعلون له أنداداً، فالله ـ جل وعلا ـ أمر نبيه وأنزل في كتابه هذه الكلمة؛ ليعلم الناس أن الإله المعبود بحق هو الله وحده ﷻ، وأن هذه الآلهة ـ وإن سموها آلهة ـ لا قيمة لها؛ لأنها عبدت بالباطل والهوى والظن الفاسد والجهل؛ فلا قيمة لها ولا أساس لعبادتها؛ لأنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تنفع، ولا تضر، فهي ما بين جماد لا إحساس، وما بين ميت لا شعور له، وما بين حيوان لا قيمة له، إلى غير ذلك*.

---

* **س: هؤلاء المشركون وقت الرسول ﷺ الذين يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق، هل يسمون مؤمنين بالله؟**

ج: عند بعضهم نوع من الإيمان، وليس إيماناً مطلقاً ﴿وَمَا يُؤْمِنُ =

....

= ﴿أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١] هذا نوع من إيمان ونوع من تصديق؛ لكنه تصديق لا ينفع صاحبه شيئاً، ما دام أنه نقض بشرك بالله، صار وجوده كعدمه، واستحقوا بشركهم الكفر والضلال والخلود في النار والعياذ بالله؛ فإن بعض الإيمان لا ينفع.

فلو أنه سب الله ورسوله، وآمن باليوم الآخر، وآمن بالجنة والنار، فلا ينفعه هذا الإيمان فهو إيمان لكنه لا ينفع، جاء ما يبطله وينقضه، وهذا كأن يقول: أنا أعترف أن هذا والدي، وله حق علي كبير، وله كذا وله كذا، ولكنه يسبه ويضربه ويؤذيه كل الأذى، فما قيمة هذا الاعتراف؟! وأي شيء يفيد هذا الاعتراف؟! وهكذا أمه وأخوه ونحو ذلك.

وفي هذا نوع من التنبيه فما يتعلق بالله أعظم من ذلك وأكبر؛ لكن بما يقرر ذلك، فإن الحقائق إنما تحصل بوجوبها ومراعاتها، لا بالدعوى، ثم الدعاوى بابها واسع؛ لكن من اهتمامه بالحقائق، فالدعاوى إن لم تؤيدها الحقائق والبراهين فهي دعاوى فاسدة وباطلة وإن كان فيها نوع حق لا قيمة له.

۞ قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلمَ أن كلَّ ما فيه أَمَارةٌ للحدَثِ، فإنه لا يكون إلهاً؛ فإذا قلت: (لا إلهَ إلا اللهُ) فقد اشتمل نطقُكَ هذا على أن ما سوى الله ليس بإلهٍ؛ فيلزمُك إفرادُه ـ سبحانَه ـ بذلك وحدَه، قال: وجملةُ الفائدةِ في ذلك أن تعلمَ أن هذه الكلمةَ هي مشتملةٌ على الكفرِ بالطاغوت والإيمانِ بالله؛ فإنكَ لما نفيتَ الإلهيةَ، وأثبتَّ الإيجابَ لله ـ سبحانَه ـ كنت ممن كفرَ بالطاغوت وآمنَ بالله.

وقال أبو عبدِ الله القُرطُبيُّ في «التفسير»: (لا إلهَ إلا هُوَ) أي: لا معبودَ إلا هو(١).»(٢) [٨٣]

[شرح٨٣] وعبارة القرطبي هذه ناقصة، ينقصها كلمة «بحق» فقوله: لا معبود إلا هو، لا يكفي، وهذا لو أخذ على ظاهره، دخل في مذهب الوجودية، وعلى وحدة الوجود؛ فإن الذين يدَّعون وحدة الوجود يقولون: ما عبد إلا الله، ولو عبد فرعون: ولو عبد العجل، فما عبد إلا الله؛ لأنهم يرون أن هذه المخلوقات مظاهر لله، =

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ١٩١)، الآية: ١٩٣، من سورة البقرة.

(٢) ص٤٦-٤٧.

....

= فمن عبد العجل أو عبد فرعون أو عبد الأصنام فقد عَبَد الله، نسأل الله العافية.

فهذه انتكاسة في القلب غاية الانتكاسة، فهذا يمشي على هذا القول، فإذا قلنا: لا معبود إلا الله مطلقاً، فمعنى ذلك أن اللات والعزى وما أشبه ذلك هي الله ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٣] ـ فمن عبد غيره فقد عبده، فهذا ضلال بعيد، ونقد للحقائق، وكفر فيما جاءت به الرسل؛ ولهذا لا بد من قيد، قال ﷻ في كتابه العظيم في سورة الحج ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وهكذا في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، المقصود أنه أوضح ﷻ أن المعبود بحق هو الله وحده ـ جل وعلا ـ دون كل ما سواه، ﷻ.

۞ وقال الزَّمَـخشَرِيُّ: (الإلهُ) مِن أسماءِ الأجناسِ؛ كالرجلِ والفرسِ، اسمٌ يقعُ على كلِّ معبودٍ بحقٍّ أو بباطلٍ، ثم غلبَ على المعبودِ بحقٍّ[1].[2] [٨٤]

[شرح٨٤] كلام جيد؛ لكن قوله: «غلب» فيه نظر؛ فلو قال: ثم جاءت الرسل ببيان أنه بحق؛ أما المشركون فلم يغلب عندهم هذا، وغلب عليهم أن يقولوا: بحق الإله، وغلب عليهم أن الآلهة كلها صالحة.

لكن هذا إنما جاءت الرسل ببيانه، وردت على المشركين من سائر الأصناف، كمشركي أهل الكتاب، ومشركي العرب، ومشركي غيرهم؛ فإن الآلهة نفسها عند العرب وعند العجم؛ فإن العرب عندهم آلهة، والرومان عندهم آلهة، والمجوس عندهم آلهة، وسائر الأمم والطوائف؛ كل طائفة ترى أن آلهتها صالحة لمن عبدته، وأنها أولى بما صارت إليه، وربما فخرت على غيرها، كما تفخر قريش على غيرهم بالعزى، وكما تفخر ثقيف على غيرها بأن =

---

(١) «الكشاف» (١/ ٣٦)، تفسير البسملة.

(٢) ص٤٧.

....

= إله اللات أولى من غيره، وهكذا.

فالمقصود أنهم لُبِّسَ عليهم الأمرُ، فصارت كل طائفة، أو كل قبيلة، أو كل أهل ناحية، يرون أنهم قد حصلوا شيئاً بهذا الإله وغيره من الآلهة التي عندهم، ويفخرون بها على من سواهم؛ لكن جاءت الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تصحح الأوضاع، وتبين الحقائق، وجاءت الكتب من الله ﷻ لبيان ما هو الحق من هذه الأمور، وأن الإله الحق الذي يجب أن يعبد، ويجب أن يطاع أمره، ويجب أن يوقف على الحدود التي حدَّها ﷻ هو الله وحده ـ جل وعلا ـ فقول الزمخشري: (ثم غلب) فيه نظر، وعليه أن يقول: ثم جاءت الرسل، أو ثم بعث الله الرسل، أو ثم نزلت الكتب، أو ثم قال في الأدلة، فهذا أصوب.

۞ وقال شيخُ الإسلامِ: الإلهُ هو المعبودُ المطاعُ[1]. [٨٥]

[شرح٨٥] تقدم في المقدمة أن المراد بشيخ الإسلام هو ابن تيمية، فإذا أطلق فالمراد أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني المعروف، صاحب التصانيف السائرة، وصاحب الأقوال السديدة، المجتهد المطلق الإمام، رحمة الله عليه، المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، فهو من أعيان المئة السابعة والثامنة جميعاً، ومن مجتهدي القرنين السابع والثامن.

---

(١) ص٤٧.

۞ وقال أيضاً: في (لا إلهَ إلا اللهُ): إثباتُ انفرادِه بالإلهيةِ، والإلهيةُ تتضمَّن كمالَ علمِه وقدرتِه ورحمتِه وحكمتِه، ففيها إثباتُ إحسانِه إلى العبادِ؛ فإنَّ الإلهَ هو المألوهُ، والمألوهُ هو الذي يستحقُّ أن يُعبَدَ.

وكونه (يستحقُّ أن يُعبَدَ) هو بما اتَّصفَ به من الصفاتِ التي تستلزم أن يكونَ هو المحبوبَ غايةَ الحبِّ، المخضوع له غايةَ الخضوعِ(١). [٨٦]

[شرح٨٦] ولهذا في إثبات توحيد العبادة لله وحده، في إثبات ذلك ضمناً، إثبات توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من كان مستحقاً للعبادة دون كل ما سواه هو المألوه بحق، وهو الذي يستحق أن يحب غاية المحبة، ويذل له غاية الذل، ويخضع له غاية الخضوع، ويطاع غاية الطاعة، وما ذاك إلا لأنه الكامل في ربوبيته وأسمائه وصفاته، وقادر على كل شيء، يسمع دعاء الداعين، ويقدر على إجابتهم، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، إلى غير ذلك. =

---

(١) ص٤٧.

....

= فدخول الربوبية والأسماء والصفات في توحيد العبادة من الدخول ضمناً؛ أي: أن إقرار العبد بتوحيد الألوهية، وأن الله هو المستحق للعبادة، يدخل في ضمنه إقراره وإيمانه بأنه ربّه وخالقه ورازقه، وأنه كامل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ لولا ذلك لما خضع وعَبَدَ الله، واعترف أنه مستحق للعبادة، فلما انتفت هذه الأمور عن آلهة المشركين، صارت غير صالحة، وصارت باطلة؛ لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تنفع ولا تضر، ولا تستقل بالأشياء؛ بل هي عاجزة مرزوقة مخلوقة*.

---

* **س: أكثر المتكلمين لا يعرف من معنى التوحيد إلا توحيد الربوبية فقط، فهل يكونون موحدين ؟**

ج: هذا هو المعروف عندهم، ولكنهم لا يكونون موحدين إلا بتوحيد العبادة؛ أي: الإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة ـ جل وعلا ـ أما أكثر المتكلمين لا يعرف إلا توحيد الربوبية، حتى قالوا: لا إله إلا الله، أي: لا قادر إلا الله، أو لا خالق إلا الله، أو ما أشبه ذلك.

س: أكثر الكتب العصرية الجديدة التي ملأت الأسواق بأسماء كتب إسلامية لا تقرر إلا هذا الجانب، وأكثر الشباب يتناولها ويهضمها ويتصور =

....

= ما فيها، ويمكن أن تظهر آثارها عليه، ولذلك فالكلام في توحيد العبادة ـ الآن ـ صار مرغوباً عنه عند أكثر الناس.

ج: وهذا مما يوجب على طلبة العلم الاستكثار من بحث هذا الموضوع، ويوجب أيضاً نشر الكتب التي تقرر هذا الشيء، وتوضحه وتبينه بين الناس وفي المكاتب، ولا يكفي مجرد نشرها بالمجان؛ لأنه إنما يكون لبعض الناس دون بعض؛ لكن إذا نشرت عن طريق التجارة في المكاتب التي فيها البيع، عمّ نفعها للناس، لأن بعض الناس قد لا يدرك الشيء الذي يوزع، ولا يهتم بالتوزيع، ولا يطلبوا الشيء الذي يوزع بالمجان؛ لكن إن كانت في المكاتب نفعت الناس من طريق الشراء.

۞ وقال ابنُ القيِّم، رحمه الله: الإله هو الذي تَألَـهُه القلوبُ محبَّةً وإجلالاً، وإنابةً، وإكراماً وتعظيماً، وذُلاً وخُضوعاً، وخوفاً ورَجاءً، وتوكُّلاً[1]. [٨٧]

[شرح٨٧] ابن القيم معروف ـ رحمة الله عليه ـ فهو أشرف وأفضل وأشهر تلاميذ أبي العباس المتقدم شيخ الإسلام، وهو الذي عُنيَ غاية العناية بنشر كلمات شيخه وإمامه أبي العباس، ونشر كتبه، والعناية بما في كتبه من الخير، وكذلك نشرها بين الناس، والدعوة إلى ما فيها من التحقيق، وقد ألف المؤلفات الكثيرة العظيمة التي من تأملها، عرف فقهه وفضله وعلمه، وما أعطاه الله من سَعَة الباع في العلوم كلها، وكان من مواليد عام ست مئة وإحدى وتسعين، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، بعد شيخه بمدة، بثلاث وعشرين سنة، رحمه الله.

---

(١) ص٤٧.

۞ وقال ابنُ رَجَبٍ، رحمه الله: الإلهُ هو الذي يُطاع، فلا يُعصَى هيبةً له، وإجلالاً ومحبَّةً، وخوفاً ورجاءً، وتوكُّلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يَصلُح ذلك كلُّه إلا لله ﷻ(١). [٨٨]

[شرح٨٨] من جعل مخلوقاً بهذه المثابة حياً أو ميتاً فقد عبده، وجعل مخلوقه الذي يحبه ويألهه، ويتوكل عليه، ويعتقد فيه أنه صالح لذلك، وأنه الذي يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وما أشبه ذلك من خصائص الإلهية، فقد عبده، والله المستعان.

---

(١) ص٤٧.

۞ فمن أشركَ مخلوقاً في شيءٍ من هذه الأمورِ التي هي من خَصائصِ الإلهيةِ، كان ذلك قَدْحاً في إخلاصِه في قول: (لا إلهَ إلا اللهُ) ونقصاً في توحيدِه، وكان فيه من عبوديةِ المخلوقِ بحَسَبِ ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فُروعِ الشِّركِ.

وقال البِقَاعيُّ: (لا إلهَ إلا اللهُ) أي: انتفى انتفاءً عظيماً أن يكونَ معبودٌ بحقٍّ غيرَ الملكِ الأعظمِ؛ فإنَّ هذا العِلمَ هو أعظمُ الذِّكْرَى المُنجيَة من أهوالِ الساعةِ، وإنما يكون عِلماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان الإذعانُ[1]، والعملُ بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صَرفٌ.

وقال الطِّيبيُّ: (الإلهُ) فِعالٌ بمعنى مفعولٍ، كالكتابِ بمعنى المكتوب، مِن أَ لَهَ إلاهَةً كعَبَد عِبادةً، وهذا كثيرٌ جداً في كلام العلماءِ، وهو إجماعٌ منهم أنَّ الإلهَ هو المعبودُ؛ خلافاً لما يعتقدُه عُبّادُ القبورِ، وأشباهُهم في معنى الإلهِ أنه الخالقُ، أو القادرُ على الاختراعِ، أو نحوُ هذه العباراتِ، ويظنُّونَ =

(١) قال سماحة الشيخ: برفع الإذعان، يعني: إذا وجد معه الإذعان، وإذا قلت: إذا كان مع الإذعان، يكون أحسن وأوضح.

= أنهم إذا قالوها بهذا المعنَى، فقد أَتَوْا من التوحيد بالغايةِ القُصْوَى، ولو فَعَلوا ما فَعَلوا من عبادةِ غيرِ الله، كدعاءِ الأمواتِ(١). [٨٩]

[شرح٨٩] وإذا قيل لهم: إن هذا شرك، قالوا: لا، ما نعتقد أنهم خالقون، ولا رازقون، إنما نعتقد أنهم شفعاء عند الله، فلا يكون شركاً، المساكين هذا ظنهم.

وهو نفس ما قاله المشركون الأوائل سواء بسواء، فإن أهل الشرك وغيرهم ما قالوا: إنها آلهة تخلق وترزق، بل قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

فعُبّاد البدوي، وأشباه البدوي، وغيره، إذا قيل لهم: هذا شرك، استعظموا هذا، وأنكروا، وصاحوا، وزعموا أن الذي قال هذا الكلام كذا وكذا، رموه بالعظائم، وقالوا: ما يكون شركاً إلا لو اعتقدنا أنهم يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون هذا العالم، أو ما أشبه ذلك. =

(١) ص٤٧.

....

= أما ما دمنا ندعوهم ونرجوهم ونسألهم، معتقدين أنهم شفعاء، لا خالقون، ولا رازقون، فليس هذا بشرك.

ومعنى ذلك أن أهل قريش وأشباههم ليسوا مشركين؛ لأنهم ما اعتقدوا إلا أنهم شفعاء، نسأل الله السلامة*.

*** س: إن رأيت أحداً يدعو صاحب القبر ويستغيث به، فهو مصاب بالشرك، فهل أدعوه على أنه مسلم، أم أدعوه على أنه مشرك، إذا أردت أن أدعوه إلى الله ﷻ، وأن أبيّن له؟**

ج: ادعه بعبارة أخرى، لا هذه ولا هذه، قل له: يا فلان يا عبد الله عملك هذا الذي فعلته شرك، وليس عبادة، هو عمل المشركين الجاهليين، عمل قريش وأشباه قريش؛ لأن هنا مانعاً من تكفيره، ولأن فيه تنفيره، أول ما تدعوه؛ ولأن تكفير المعين غير العمل الذي هو شرك، فالعمل شرك، ولا يكون العامل مشركاً، فقد يكون المانع من تكفيره جهله أو عدم بصيرته، على حد قول العلماء، وأيضاً في دعوته بالشرك تنفير، فتدعوه باسمه، ثم تبين له أن هذا العمل شرك.

س: ما الراجح في تكفير المعيَّن؟

ج: إذا قامت عليه الأدلة والحجة الدالة على كفره، ووضح له السبيل، =

....

= ثم أصر، فهو كافر.

لكن بعض العلماء يرى أن من وقعت عنده بعض الأشياء الشركية، وقد يكون ملبساً عليه، وقد يكون جاهلاً، ولا يعرف الحقيقة، فلا يكفره، حتى يبين له، ويرشده إلى أن هذا كفر وضلال، وأن هذا عمل المشركين الأولين، وإذا أصر بعد البيان يحكم عليه بكفر معين.

س: ما حكم الذين يزورون الكهان، ويبيّن لهم، ثم يعودون؟

ج: يبين لهم أن هذا معصية كبيرة في الدين، والواجب عليهم ترك هذا الشيء، وهو من الشرك بالله.

س: وما الحكم إذا بيّن لهم هذا، ثم عادوا مرة أخرى؟

ج: يستحقون الهجر، والتأديب، فيضربون، ويسجنون، أما إذا كانوا يزعمون أنهم يعلمون الغيب فهذا كفر. وإلا فيجب أن يعلموا أن هذا لا يجوز، وإذا كان عندك قدرة على سجنهم وتأديبهم، اسجنهم وأدبهم، كالأمير ونحوه.

س: هل نكفر هذا الشخص التي قامت عليه الأدلة، وأصر، وكان إصراره مبنياً على شبهة قوية؟

ج: ما دام الأدلة قامت عليه فلا يبالى به، فيستحق التكفير، فمن قامت عليه الأدلة فإنها تكفيه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ =

....

= يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥]، فما قال: حتى يتبين، بل قال: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم﴾ فالمفروض البيان، فالرسل جاءت للبلاغ والبيان، ولو لم يفهم الناس، قال الله في القرآن: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، فإذا قامت عليهم الأدلة كفى، ولو قالوا: ما فهمنا وما عقلنا، لأن الله قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.

۞ والاستغاثةِ بهم في القُرباتِ، وسؤالِهم قضاءَ الحاجاتِ، والنذرِ لهم في المُلِمّاتِ، وسؤالِهم الشفاعةَ عندَ ربِّ الأرضِ والسماواتِ، إلى غيرِ ذلك من أنواع العباداتِ.

وما شعروا أن إخوانَهم من كفارِ العربِ يشاركونهم في هذا الإقرارِ، ويعرفون أن الله هو الخالقُ القادرُ على الاختراعِ، ويعبدونه بأنواعٍ من العباداتِ، فَلْيَهنَ أبو جهلٍ وأبو لهبٍ ومَن تبعَهما بحُكمِ عُبّاد القبورِ(1). [٩٠]

[شرح٩٠] فليهنأ أبو جهل وأبو لهب على هذه العقيدة التي أعطاه إياها عباد القبور، أنه ما عاش على شرك، لأن عباد القبور حكموا لهم بالإسلام*.

---

* س: (ومن تبعهما) أو (ومن يتبعهما)؟

ج: الأمر قريب، لكن الفعل الماضي أحسن، لأنه يشمل من تبعهما في الماضي ومن سيتبعهما في المستقبل، و«يتبعهما» أيضاً مستقيمة.

س: هل يسوغ للشاب أن يخرج باسم الدعوة، ولا يجد في خروجه إلا =

---

(1) ص٤٧-٤٨.

....

= تقرير هذا التوحيد، الذي هو معنى القادر على الاختراع، أو الاستفادة من قدرة الله، أي: معنى لا إله إلا الله؟ هل يسوغ له أن يخرج من بلاد التوحيد ليقوي إيمانه وليتعلم الدعوة، لكنه لا يجد إلا هذا التوحيد؟

ج: يضم إليه التوحيد الآخر.

س: لكنه جاهل؟

ج: لا بد أن يضم إليه التوحيد الآخر، أو أن يخرج لمعنى آخر، لتوضيح معاني الأحكام الشرعية للمسلمين، لا للكافرين؛ لأن الكافر يدعى أولاً للتوحيد.

﴾ وَليَهنَ أيضاً إخوانُهم، عُبّادُ وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوق ونَسرٍ، إذ جعل هؤلاء دينَهم هو الإسلامَ المبرور.

ولو كان معناها ما زعمَه هؤلاء الجهّالُ لم يكن بين الرسولِ ﷺ وبينهم نزاعٌ، بل كانوا يبادِرون إلى إجابتِه، ويلبُّون دعوتَه، إذ يقول لهم: قولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، بمعنى أنه لا قادرَ على الاختراع إلا اللهُ، فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الآية [يونس: ٣١]، إلى غير ذلك من الآيات.

لكنَّ القومَ أهلُ اللسانِ العربي، فعلموا أنها تهدِمُ عليهم دعاءَ الأمواتِ والأصنامِ من الأساسِ، وتكُبُّ بناءَ سؤالِ الشفاعةِ من غيرِ الله، وصرفَ الإلهيةِ لغيره لأُمِّ الرّاسِ، =

= فقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، فتَبّاً لمن كان أبو جهلٍ ورأسُ الكفرِ من قريشٍ وغيرُهم أعلمَ منه بـ«لا إلهَ إلا اللهُ».

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]، فعرفوا أنها تقتَضي تركَ عبادة ما سوى الله، وإفرادَ الله بالعبادةِ، وهكذا يقول عُبّادُ القبورِ إذا طلبتَ منهم إخلاصَ الدعوةِ والعبادةِ لله وحدَه: أنترُكُ سادتَنا وشفعاءَنا في قضاءِ حوائجِنا.

فيُقال لهم: نعم، وهذا التَّركُ والإخلاصُ هو الحقُّ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧][1]. [٩١]

[شرح٩١] وهذا نفس قول عاد، لما قال لهم هود: اعبدوا الله، ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ﴾ =

---

(١) ص٤٨.

....

= ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، فأبوا عليه وطلبوا أن يأتيهم بالعذاب، نسأل الله العافية.

وقول المؤلف: (تَكُب): لأنه يتعدى في الثلاثي، ويلزم في الرباعي: أكبَّ على كذا، لا يتعدى، وكب يكب: طرحه، وفي الحديث: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وُجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتهم»[1].

هذا من الكلمات القليلة التي إذا دخلتها الهمزة صارت لازمة، وإذا حذفت الهمزة صارت متعدية: أكب يكب، لازم، وكب يكب، متعد. و«تكب» معطوفة على «تهدم» مرفوعة.

---

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٧٣).

۞ فـ«لا إلهَ إلا اللهُ» اشتَملَت على نفيٍ وإثباتٍ، فنَفَتِ الإلهيةَ عن كلِّ ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكةِ والأنبياءِ، فضلاً عن غيرِهم، فليس بإلهٍ، ولا له من العبادةِ شيءٌ.

وأثبتَتِ الإلهيةَ لله وحدَه، بمعنى أن العبدَ لا يَألَهُ غيرَه، أي: لا يقصدُه بشيءٍ من التَّألُّه، وهو تعلقُ القلبِ الذي يوجبُ قصدَه بشيءٍ من أنواع العبادةِ؛ كالدعاءِ والذبحِ والنذرِ وغيرِ ذلك، وبالجملةِ فلا يَألَهُ إلا اللهَ، أي: لا يَعبدُ إلا هو، فمن قال هذه الكلمةَ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشركِ، وإثباتِ الوحدانيةِ لله، مع الاعتقادِ الجازمِ لما تضمَّنته من ذلك، والعملِ به فهذا هو المسلمُ حقّاً، فإن عَمِل به ظاهراً من غيرِ اعتقادٍ، فهو المنافقُ، وإن عَمِل بخلافِها من الشركِ فهو الكافرُ ولو قالها.

ألا ترَى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً، وهم في الدَّركِ الأسفلِ من النارِ، واليهودَ يقولونها، وهم على ما هم عليه من الشركِ والكُفرِ، فلم تنفَعهم. =

= وكذلك مَن ارتدَّ عن الإسلامِ بإنكارِ شيءٍ من لوازِمِها وحقوقِها، فإنها لا تنفعُه، ولو قالها مئةَ ألفٍ، فكذلك مِن يقولها ممن يصرِفُ أنواعَ العبادةِ لغيرِ الله، كعُبّادِ القبورِ والأصنامِ، فلا تنفعُهم، ولا يدخلون في الحديثِ الذي جاء في فضلِها وما أشبهه من الأحاديثِ.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ ذلك بقوله: «وحدَه لا شريكَ»[1] تنبيهاً على أن الإنسانَ قد يقولُها، وهو مشركٌ كاليهودِ والمنافقينَ وعُبّادِ القبورِ، لما رَأَوْا أن النبيَّ ﷺ دعا قومَه إلى قولِ: «لا إلهَ إلا اللهُ» ظنُّوا أنه إنما دعاهم إلى النُّطقِ بها فقط، وهذا جهلٌ عظيمٌ.

وهو ـ عليه السلامُ ـ إنما دعاهم إلى أن يقولوها، ويعملوا بمعناها، ويتركوا عبادةَ غيرِ الله، ولهذا قالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات:٣٦]، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥] فلهذا أَبَوْا عن النُّطقِ بها، وإلا =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف ذكره في الفقرة [٧٦]، ص١٨٠.

= فلو قالوها، وبَقُوا[1] على عبادةِ اللّاتِ والعُزَّى ومناةَ، لم يكونوا مسلمين، ولقاتلَهُم ـ عليه السلام ـ حتى يخلعوا الأندادَ، ويتركوا عبادتَها، ويعبدوا اللهَ وحدَه لا شريكَ له.

وهذا أمرٌ معلومٌ بالاضطرارِ من الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ.

وأما عُبّادُ القبورِ فلم يعرفوا معنى هذه الكلمةِ، ولا عَرَفوا الإلهيةَ المنفيَّةَ عن غيرِ الله، الثابتةَ له وحدَه، لا شريكَ له، بل لم يعرفوا من معناها إلا ما أقرَّ به[2] المؤمنُ والكافرُ، واجتمع عليه الخَلقُ كلُّهم، من أن معناها: لا قادرَ على الاختراعِ، أو أن معناها: الإلهُ هو الغنيُّ عما سواه، الفقيرُ =

(١) قال سماحة الشيخ: وبَقُوا بضم القاف، إذا كان الفعل الماضي على صيغة فَعِلَ وهو معتلٌّ بالواو يضم: كبَقُوا ورَضُوا.

(٢) أحد الطلبة: عندنا بالمطبوعة: (لم يعرفوا من معناه إلا ما أقر به...)، وفي المخطوطة: (لم يعرفوا من معناها...) فما الصواب؟

الشيخ: الصواب ما في المخطوطة: معناها، بالتأنيث، يعني: لا إله إلا الله. و(معناه) له وجه، أي: معنى الكلام، ولكن التأنيث أوضح.

أحد الطلبة: عبارة أخرى زائدة في المخطوطة دون المطبوعة: لا قادر على الاختراع أو لا خالق إلا الله.

الشيخ: الموجود في المطبوع كاف، وإن زيدت فهو حسن.

= إليه كلُّ ما عداه، ونحو ذلك.

فهذا حقٌّ، وهو من لوازمِ الإلهيةِ، ولكن ليس هو المرادَ بمعنى «لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. [٩٢]

[شرح٩٢] وما ذاك إلا لأن هذا معلوم لدى الجميع، حتى عباد الأوثان وغيرهم، فمعلوم لدى الجميع أن الله هو الخالق الرازق المدبر، الغني بذاته عن كل ما سواه، القادر على الاختراع، وهذا أمر معلوم، أقرَّته قريش وغيرهم.

وإنما الخلاف والنزاع بين الرسل والأمم أن يُخصَّ بالعبادة، أو أن يُدعَى معه سواه، ويُعبَد معه سواه، ويرجى سواه، ونحو ذلك، فهذا محل النزاع بين الرسل والأمم.

أما كونه قادراً خالقاً رازقاً مدبراً إلى غير ذلك فهذا معلوم لدى الجميع، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وما قال: أن اعترفوا بأن الله خالقكم ورازقكم، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]. =

---

(١) ص٤٨-٤٩.

....

= فالنزاع بينهم في ألوهيته، في اختصاصه بها، دون ما سواه، فالرسل قالت: هو مختص بها، وأعداؤهم قالوا: لا، مشتركة بينه وبين غيره، على أنه يملكه وما ملك، على أنهم شركاء غير مستقلين، بل يملكهم الله، كما كانت تلبية قريش: «لَبَّيكَ لا شرِيكَ لكَ إلا شرِيكاً هو لكَ تملكُه وما مَلَكَ»(١).

فهم يقولون: هم مخلوقون؛ لكنهم شفعاء ووسائط، نعبدهم وندعوهم ونلجأ إليهم، لا لأنهم يدبِّرون العالم ويخلقون ويرزقون، ولكن لأنهم شفعاء ووسائط، وقد غلا بعض المتأخرين، وصار شرّاً من الكفار الأولين، حتى جعل لبعض المخلوقين تصرفاً في الكون وتدبيراً للأكوان، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه مسلم: الحج (١١٨٥).

۞ فإن هذا القدَرَ قد عَرَفه الكفارُ، وأقرُّوا به، ولم يَدَّعوا في آلهتِهم شيئاً من ذلك، بل يُقرُّون بفقرهم، وحاجتِهم إلى الله، وإنما كانوا يَعبُدونهم على معنى أنهم وسائطُ وشفعاءُ عند الله في تحصيلِ المطالِبِ ونجاحِ المآرِبِ، وإلا فقد سَلَّمُوا الخلقَ والمُلكَ والرزقَ والإحياءَ والإماتةَ والأمرَ كلَّه لله وحدَه لا شريكَ له، وقد عَرَفوا معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وأبَوْا عن النُّطقِ والعملِ بها[1]. [٩٣]

[شرح٩٣] عرفوا عن بصيرة أن هذا الكلمة، وهي (لا إله إلا الله)، تبطل ما هم عليه من الباطل، وتجتثه من أصله، ولهذا قالوا لما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥] عرفوا أنها تبطل آلهتهم، وأنها تقتضي إبطال العزى ومناة واللات وأشباه ذلك، وقالوا كما ذكره في الآية أخرى في سورة الصافات: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فهم عرفوا أن هذه الكلمة معناها إبطال ما هم عليه، ولـم يعتقدوا أنها مجرد كلام فقط كما يظنه جهال اليوم من عباد =

---

(١) ص٤٩.

....

= القبور، فيقولون: لا إله إلا الله، ويطوفون بالقبر، ويعبدونه من دون الله، فلا يعرفون ولا يدرون أن هذا من الشرك، وهذا من الجهل العظيم.

أما أولئك أبو جهل وأشباهه فعرفوا معناها، ولكنهم عاندوا، وكابروا، ولهذا أخبر ﷺ أنهم يعرفون صدق ما جاء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه الجحد والحسد ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

فهذه حالهم ـ نعوذ بالله ـ مثل حال اليهود، وحال رؤساء الكفار وأذكيائهم، فيعرفون أن هذا حق، لكن حب باطلهم، وتقليد آبائهم، وتعظيم أسلافهم، والتكبر عن اتباع من جاءهم بالحق، حملهم على أن يحسدوا، وأن يستنكروا ما قاله، وأن يكابروا، ويغالطوا، حتى قالوا: شاعر، وقالوا: مجنون، وقالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وهم يعرفون أنهم كاذبون في هذا كله، بل يعرفون أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الصادق الأمين، وكل هذا الذي يقولونه كذب، وباطل، وهم يعرفون أنه باطل، وأنه كذب، فهم =

....

= يعرفون هذا، ولكنهم يلبسون على العامة والجهلة من أهل بلادهم، ومن القادرين عليهم، نسأل الله السلامة.

۞ فلم ينفعهم توحيدُ الربوبيةِ مع الشِّركِ في الإلـهيةِ، كما قال تعالـى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦][١]. [٩٤]

[شرح٩٤] لما تلا ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذه الآية ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ قال: تسألهم من خلق السماوات؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره[٢]، فإيمانهم إقرارهم بأن الله الخالق الرازق، وأنه خالق السماوات والأرض، وكفرهم تعلقهم على غيره في الدعاء والتوجه والضراعة والشفاعة وغير ذلك، والشرك إذا قارن الإيمان أبطله، فالضدان لا يجتمعان، بل نقيضان، لا يجتمعان ولا يرتفعان، فالإنسان إما مشرك وكافر، وإما مسلم، فلا يقال: مسلم كافر، ولا يقال: لا مسلم ولا كافر.

---

(١) ص٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٣٤).

۞ وعُبّادُ القبورِ نطقُوا بها، وجهلوا معناها، وأَبَوْا عن الإتيانِ به، فصاروا كاليهودِ الذين يقولونها، ولا يعرفون معناها، ولا يعملون به[1]. [٩٥]

[شرح٩٥] قوله: «ولا يعرفون معناها ولا يعملون به» لا يستقيم، والصواب «ويعرفون معناها ولا يعملون به» فاليهود يعرفون معناها، ولكنهم لا يعملون به ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، والصواب حذف «لا»، فلا يصح التشبيه إلا إذا كانوا يعرفونها.

---

(١) ص٤٩.

۞ فتجد أحدَهم يقولها، وهو يَألَهُ غيرَ الله بالحبِّ والإجلالِ والتعظيمِ والخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ والدعاءِ عند الكَربِ.

ويَقصِدُه بأنواع العبادةِ الصادرةِ عن تَألُّهِ قلبِه لغيرِ الله مما هو أعظم مما يفعله المشركون الأولون.

ولهذا إذا تَوَجَّهَت على أحدِهم اليمينُ بالله تعالى أعطاكَ ما شئتَ من الأيمانِ صادقاً أو كاذباً، ولو قيل له احلف: بحياةِ الشيخِ فلان، أو بتربتِه ونحو ذلك، لم يحلف، إن كان كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفونَ في الترابِ أعظمُ في قلبِه من ربِّ الأربابِ[1]. [٩٦]

[شرح٩٦] وهذا الحَلِف بغير الله لا يجوز، لكن لو قيل له على سبيل التخويف والتهديد، فلا يجوز الحلف بغير الله، كما جاء به النص والإجماع عن النبي ﷺ: «مَن كان حالفاً فليَحلِف بالله أو لِيَصمُت»[2]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من حَلَفَ بغيرِ الله =

---

(١) ص٤٩.

(٢) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٧٩)، ومسلم: الأيمان (١٦٤٦).

....

= فقد كَفَرَ أو أشرَكَ»[١]، وقال: «من حَلَفَ بالأَمانة فليس منّا»[٢]، وقال: «لا تَحلِفُوا بآبائِكم، ولا بأُمَّهاتِكُم، ولا بالأندادِ، ولا تَحلِفوا بالله إلا وأنتُم صادِقون»[٣].

فالذي يفعله بعض الناس الآن، وما يسمع في الإذاعة، أو في الصحافة، أو في كذا، أو في التلفاز، أو ما أشبه ذلك، كله باطل، فيحلف بعضهم بحياة فلان، أو بشرف فلان، أو بالأمانة، أو بالنبي؛ كما يقع على ألسنة كثير من الناس «بالنبي»، وكل هذا من الحَلِف بغير الله، ومن الشرك الذي حرمه الله.

وهو الشرك الأصغر بالجملة، وقد يكون الأكبر في بعض الأحيان، إذا صدر عن تعظيم للمخلوق مثل تعظيم الله، أو الاعتقاد بأن المخلوق يعلم الغيب أو كذا، فصار شركاً بالله أكبر، نسأل الله العافية. =

(١) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١).

(٢) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه النسائي: الأيمان والنذور (٣٧٦٩)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٤٨).

....

= فالحاصل أن الحلف بغير الله منكر وشر وفساد، وهو من المحرمات الشركية، لكن لو قيل لهذا الشخص المعظم، كعباد البدوي، أو عباد الحسين، أو عباد عبد القادر: قل: بحياة البدوي، أو بحياة الحسين، أو بحياة عبد القادر: أنك ما فعلت كذا وكذا، وهو كاذب ـ فيمتنع، ولا يستطيع، وتصيبه رعدة، نسأل الله العافية؛ لأنه يخاف من عبد القادر، ويخاف من الحسين، ويخاف من البدوي، ويقول: إن عقوبة الشيخ الولي أعجل من عقوبة الله، هكذا سمعنا عنهم وبلغنا عنهم، نسأل الله العافية*.

---

* س: الحلف بالحي هل يعتبر كفراً؟

ج: لا، هو من الشرك الأصغر إلا إذا اقترن به تعظيم للمخلوق مثل عظيم الله، أو اعتقاد شيء بالمخلوق، فيصير كفراً، وإلا فالأصل أنه من المحرمات الشركية، ولهذا كان الصحابة يحلفون بآبائهم في المدنية، ثم نهاهم النبي ﷺ بعد ذلك.

س: يقرأ عن بعض الصحابة، وقد استدل به الذين يحلفون بغير الله يقولون: قد قال فلان: لعمري إن كذا وكذا، وقد قاله بعد موت النبي ﷺ؟

ج: «لعمري» ليست من ألفاظ الحلف بغير الله، على الصحيح، فهذه =

....

= تأكيد لمقام، وليس من باب الحلف بغير الله، وقد قالها بعضهم مثل العباس وغيره، قال جمع من أهل العلم: إنها ليست من هذا الباب، فالحلف يكون بالواو والتاء وبالباء والهمزة، هذا المعروف من لغة العرب.

س: حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»!

ج: هذا غير صحيح، وإن كان رواه مسلم[1]، فهو عند العلماء محرَّم وغلط، وعلى تقدير صحته كان قبل أن ينهى عن الحلف بغير الله، وقد اغتر به بعض الناس، ولكن الصواب في الجواب عنه: أن هذا كان قبل النهي، فصدر من النبي ﷺ قبل أن ينهى عن ذلك، حين كانوا يحلفون بآبائهم.

وقال آخرون: إن هذا جاء على لسانه من غير قصد، مثل: ثكلتك أمك، عقرى حلقى، تربت يداك، فما قصد ذلك، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ معصوم من الشرك، فقال ذلك وجرى على اللسان من غير قصد، وهو معصوم من الشرك، بخلاف غيره، فليس معصوماً، فلا يقر على ذلك.

س: كيف نفسر كلمة «فلعمري» أو «فلعمرك» إذا لم تكن من باب الحلف بغير الله؟

ج: تفسيرها كما ذكر بعض أهل العلم: حياتك قسمي، أو عمرك قسمي، فهي مبتدأ والخبر محذوف، لكنها ليست من باب القسم الممنوع، =

(١) مسلم: الإيمان (١١)(٩).

....

= هذا الصحيح فيها.

س: موجود في «فتوح الشام» للواقدي عبارات متكررة: (وعيش عاش فيه رسول الله)[1]؟

ج: هذه غير ثابتة عن الواقدي، ولا يعتمد عليها، فهي غير معروفة المصدر، وهي مكذوبة على الواقدي، هذا هو المعروف عند المحققين، أنها مكذوبة على الواقدي، وليست من مؤلفاته، ثم لو قدر أنه كتب ذلك فهو ضعيف في الرواية عند العلماء، ولا يحتج به في الرواية.

(١) انظر «فتوح الشام» ١/ ١٣٠، ١٣٢، ١٧١، ٢/ ١٣، ط. دار الجيل-بيروت.

۞ وما كان الأوَّلُون هكذا، بل كانوا إذا أرادُوا التشديدَ في اليمين، حَلَفوا بالله تعالى، كما في قصةِ القَسَامة التي وَقَعَت في الجاهليةِ، وهي في صحيح البخاري»[1].[2] [٩٧]

[شرح٩٧] أظنه يريد قصة عبد الله بن عبد المطلب؛ لما حلف عبد المطلب بالله إن اكتمل له عشرة أولاد أن يذبح أحدهم، فلما جاء عبد الله صار العاشر، فأراد ذبح عبد الله، فتوجهت إليه قريش، وقالوا: لا، بل نفديه بمائة من الإبل، وجعلوا القسامة مائة على عبد الله، وأن يؤدوا الدية[3].

أو هي قصة وقعت لبعض العرب، فكانوا قد اتهموا بعض الناس بالقتل، فاتفق رأيهم على أن يقسم منهم خمسون بالله العظيم أنه ما قتل، وأنهم لا يعرفون من قتل، ويؤدون الدية عن ذلك، فأقرها الإسلام، وصار من يتهم بالقتل بقرائن واضحة يحكم عليه =

---

(١) البخاري: مناقب الأنصار (٣٨٤٥).

(٢) ص٥٠-٥١.

(٣) بل لعل المقصود ما ورد في «البخاري» باب القسامة في الجاهلية، الحديث (٣٨٤٥).

....

= بالقسامة بالقتل أو الدية؛ كما قضى به النبي ﷺ في عبد الله بن سهل مع اليهود[١].

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٦١٤٣،٦١٤٢)، ومسلم: القسامة (١٦٦٩).

۞ وكثيرٌ منهم وأكثرُهم يَرَى أن الاستغاثةَ بإلهِه الذي يعبدُه عندَ قبرِه أو غيرِه أنفعُ وأنجحُ من الاستغاثةِ بالله في المسجدِ، ويُصرِّحون بذلك، والحكاياتُ عنهم بذلك فيها طُولٌ[1]. [٩٨]

[شرح٩٨] الصواب: فيها طول، وما في بعض الطبعات: (أطول) غلط، أي: فيها طول أن يذكرها.

وقد ألف بعضهم كتاباً سماه «مناسك حج المشاهد» في الحج إلى القبور بدلاً من الحج إلى الكعبة، فلهم في هذا أنواع من الغلو، نعوذ بالله*.

---

* س: من مؤلفه؟

ج: أظنه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. ذكره أبو العباس ابن تيمية[2].

س: بعض المشركين إذا دعا غير الله قد يستجاب له فيكون فتنته أكبر؟

ج: قد يصادف قدراً فيستجاب، وقد يكون مضطراً، كما قال أبو =

---

(١) ص٥٠-٥١.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ١٧/ ٤٩٨.

....

= العباس وغيره، فيستجاب له من أجل ضرورته لا من أجل صاحب القبر، وهذا من الفتن كما أنهم إذا دعوا العزى ومناة فقد تكلمهم الجن، وتقضي بعض حاجاتهم الممكنة، فيغترون بذلك.

لهذا قد يقع لأهل القبور فتن بسبب الجن، فقد تقضي حوائجهم، وقد تعمل لهم أعمالاً كثيرة، من إحضار نقود وأموال، ومن إحضار حيوانات، ومن إحضار أشياء، فتسرقها من الناس، أو مما عندها، وتأتيهم.

قد أخبرنا بعض علماء الهند: أن بعض المشركين طلب من إلهه الجني طيباً، فأحضر له طيباً بعد وقت، فلما نظر في الطيب فإذا طيب فلان واحد من تجار الهند فقده من دكانه.

فالمقصود أن الجن تعمل أشياء كثيرة، والشياطين تعمل لإغواء الناس وإضلالهم الشيء الكثير، وقصة العزى معروفة، لما قطع خالد الشجرة، وجاء إلى النبي ﷺ، وقال: إنه قطع الشجرة وأحرقها، فقال: «ما فعلت شيئاً، ارجع» فلما رجع، فإذا العزى جنية ناشرة شعرها تحثو التراب، تحمل التراب على رأسها، فأمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: « تلك العزى»[1].

فالـمقصود أن الجن والشياطين تغوي أولياءها، وتضرهم، وتقضـي =

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣).

....

= بعض حوائجهم، وتخاطبهم من أصنامهم، ويكون فيها الجن، فيتحركون حتى يتحرك الصنم، ويسمع منه صوت، نسأل الله العافية.

فإذا دعا عند قبر البدوي، أو عند قبر الحسين، أو عند قبر ابن عَلْوان، أو ما أشبه ذلك، واستجيب له، فليس معنى ذلك أن ابن عَلْوان قضى حاجته في ذلك، ولكنه صادف قدراً أن تقضى هذه الحاجة، أو تقضى لضرورة وقعت له، حين دعا الله عند القبر، وهو مضطر، فالله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

ثم هم عبيده يرزقهم سبحانه، كافرهم ومسلمهم، ولولا حِلمُه ما أعطاهم شيئاً، وهم الآن في أنواع النعيم الدنيوي، وهم كفرة بالله، أعداء له، الشيوعيون والنصارى واليهود، إلى غير ذلك، قد حلم عنهم ﷻ، وأجلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبات ﷻ فلا يغتر بهذا؛ كما قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] نسأل الله العافية.

وأيضاً يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] فالحاصل أن الكفرة قد يحصل لهم من الخيرات والأرزاق في الدنيا الشيء الكثير، وقد تجاب دعواتهم، وقد تقضى طلباتهم استدراجاً ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤-٤٥].

۞ وهذا أمرٌ ما بلغ إليه شِركُ الأولينَ، وكلُّهم إذا أصابتهم الشدائدُ أخلَصُوا للمدفونين في الترابِ، وهَتفُوا بأسمائِهم، ودعَوهُم، ليكشفوا ضُرَّ المصابِ في البَرِّ والبحرِ، والسفرِ والإياب، وهذا أمرٌ ما فعلَه الأولون، بل هم في هذه الحالِ يخلصون للكبيرِ المتعالِ.

فاقرأ قولَه تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية [العنكبوت:٦٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٥٣-٥٤].

وكثيرٌ منهم قد عطَّلوا المساجدَ، وعَمَرُوا القبورَ والمشاهدَ، فإذا قَصَدَ أحدُهم القبرَ الذي يعظِّمُه أخذَ في دعاءِ صاحبِه باكياً خاشعاً ذليلاً خاضعاً بحيث لا يحصُل له ذلك في الجمعة والجماعات، وقيامِ الليلِ وأدبارِ الصلوات، فيسألونهم مغفرةَ الذنوبِ، وتفريجَ الكروبِ، والنجاةَ من =

= النار، وأن يحطُّوا عنهم الأوزارَ، فكيف يظنُّ عاقلٌ ـ فضلاً عن عالم ـ أن التلفظ بـ«لا إلهَ إلا اللهُ» مع هذه الأمورِ تنفعُهم(١).

وهم إنما قالوها بألسنتِهم، وخالفوها باعتقادِهم وأعمالِهم، ولا ريبَ أنه لو قالَها أحدٌ من المشركين، ونَطَق أيضاً بشهادةِ أن محمداً رسولُ الله، ولم يعرف معنَى الإلهِ، ولا معنى الرسولِ، وصَلَّى وصامَ وحجَّ، ولا يدري ما ذلك، إلا أنه رأَى الناسَ يفعلونَه فتابعَهم، ولم يفعل شيئاً من الشِّركِ، فإنه لا يشكُّ أحدٌ في عدمِ إسلامِه.

وقد أفتى بذلك فقهاءُ المغربِ كلُّهم في أولِ القرنِ الحادي عشر أو قبله، في شخصٍ كان كذلك؛ كما ذكره صاحب «الدّرّ الثمين في شرحِ المرشدِ المعين» من المالكية، ثم قال شارحه: وهذا الذي أفتَوْا به جَليٌّ في غايةِ الجلاءِ، لا يمكن أن يختلفَ فيه اثنانِ، انتهى. =

---

(١) قال سماحة الشيخ: (تنفعهم) بالتاء، من باب تأنيث المضاف للمضاف إليه:

وربما أكسبَ ثانٍ أوّلَا تأنيثاً انْ كان لحذفٍ مُوهَلَا

= ولا ريبَ أن عُبّادَ القبورِ أشدُّ من هذا؛ لأنهم اعتقدوا الإلهيةَ في أربابٍ متفرِّقين.

فإن قيل: قد تبيَّنَ معنى الإلهِ والإلهيةِ، فما الجوابُ عن قول من قال بأن معنى الإلهِ القادرُ على الاختراعِ، ونحو هذه العبارة؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قولٌ مبتدَعٌ لا يُعرَف أحدٌ قاله من العلماء، ولا من أئمةِ اللُّغةِ، وكلامُ العلماءِ وأئمةِ اللغةِ هو معنى ما ذكَرنا كما تقدَّم، فيكون هذا القولُ باطلاً[1]. [٩٩]

[شرح٩٩] باطلاً؛ لأنه مخالف لكلام أئمة اللغة، وكلام الله وكلام رسوله يُفَسَّر بلغة العرب المعروفة، أو بما جاء به النبي إن كان فيه نص، أما أن يفسر بكلام المتأخرين، وأصحاب الكلام الذي أخذوه عن أفلاطون، وعن أرسطو، وعن غيرهم من الفلاسفة، فلا يلتفت إلى هذا ، فكلام الله وكلام رسوله يُفسَّران بما نزلا به من =

---

(١) ص٥٠.

....

= لسان العرب وكلام العرب، إلا إذا وجد في النص تفسير، أو كان النص نفسه من كتاب الله أو سنة رسوله استغني به عن كل شيء.

ولكن إذا لم يكن هناك تفسير من الله ولا من رسوله، فإنه يرجع إلى اللسان الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة، وأما تفسير كلمة من كلام الله أو كلمة من كلام رسوله ﷺ، مما أحدثه الناس واخترعه الناس فلا.

۞ الثاني: على تقديرِ تسليمِه، فهو تفسيرٌ باللازم للإلهِ الحقِّ، فإن اللازمَ له أن يكونَ خالقاً قادراً على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإلهٍ حقٍ، وإن سُمِّيَ إلهاً، وليس مرادُه أن من عَرَف أن الإلهَ هو القادرُ على الاختراع فقد دخلَ في الإسلامِ، وأتى بتحقيقِ المَرامِ من مفتاح دارِ السلامِ"[1]. [١٠٠]

[شرح١٠٠] فعلى القول الثاني إذا قلنا: إن تصحيفه من باب أنه صحيح، أو من باب تفسير الكلام الذي أتى به لا بحقيقته التي وضع لها، وجماعة من أهل العلم يقولون: إن دلالة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية والأسماء والصفات فلا تَضَمُّن، في ضمن هذه الكلمة بيان ذلك.

وأما دلالة توحيد الربوبية على الإلهية فهو من باب الاستلزام، وأن إقرار العبد بأن الله خالق يستلزم أن يعترف بأنه المستحق للعبادة، ولهذا احتج الله عليهم بتوحيد الربوبية على ما أنكروا من توحيد الإلهية؛ لأن لازم ما أقروا به أن يقروا بتوحيد الألوهية، وأن =

---

(١) ص٥٠-٥١.

....

= يعترفوا بأن الله مستحق العبادة ما دام هو الخالق وهو الرازق وهو الكامل، فكيف يعبد غيره ما دام بهذه الصفة!! فهو يستحق أن يعبد دون ما سواه، وهذا من لازم إقرارهم.

فتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، يستلزمان إثبات العبادة لله وحده ويقتضيان ذلك، أما كون توحيد العبادة يقتضي توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فهذا من باب الظلم، ومن باب التضمّن، وإذا عبر من باب اللازم فله وجه، ولكن كونه يتضمن ذلك وفي ضمن ذلك فهذا أوضح وأظهر؛ يعني: أن في إقرار العبد بأن الله هو الإله الحق في ضمن ذلك اعترافه بأنه رب العالمين، وأنه هو الخلاق وأنه الرزاق ونحو ذلك.

فالألوهية من لوازمها ذلك ومن ضمنها ذلك، إذ كيف يكون إلها من لا يخلق ولا يرزق، ولا يدبر ولا يتصرف، ولا يسمع ولا يعلم إلى غير ذلك؟! كيف يكون إلهاً وهو لا يعلم أحوال عباده، ولا يسمع دعاءهم، ولا يقدر على إعطائهم مطالبهم؟!

فعلم في ذلك أن في الإقرار بتوحيد الألوهية في ضمن ذلك =

....

= الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه هو السميع البصير إلى غير ذلك، أما دلالته على توحيد العبادة وترك الشرك، فهو من باب المطابقة، فالدلالة في هذه الثلاثة مطابقة وتضمناً واستلزاماً، فدلالة (لا إله إلا الله) على توحيد العبادة، وعلى نفي الشرك وإبطاله من باب المطابقة، فقد وضعت في هذا مطابقة، فلا إله لنفي الشرك، وإلا الله لإثبات العبادة لله وحده.

أما دلالة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فهو من باب التضمن، فدلالته على أنه ﷻ موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى تضمن لذلك، إذ لا يكون إلهاً يستحق العبادة، ويستحق أن يدعى ويطلب، إلا من كان بهذه المثابة، إذا كان خالقاً رازقاً مدبراً سميعاً بصيراً عالماً بأحوال العباد لا تخفى عليه خافية، وإلا فلا يستحق العبادة.

وبهذا يعلم أن في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لإخلاص العبادة لله وحده دعوة للجميع، ودعوة الرسل إلى إخلاص العبادة لله وحده دعوة إلى الإيمان بأنه الخلاق، وبأنه الرزاق، وبأنه الموصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى، فهي =

....

= دعوة إلى أنواع التوحيد الثلاثة فهي بالمعنى، فالذي قال: إنه لا قادر إلا الله، ولا خالق إلا الله، فإنما أقر بما أقر به المشركون، وهو يلزمهم من هذا الإقرار أن يوحدوا الله وأن يعبدوه، لكن ليس هذا الإقرار هو المقصود وإنما هو حجة عليهم.

والمقصود من (لا إله إلا الله) أن يوحدوا الله وأن يعبدوه، وليس المقصود منها أن يقروا بأنه الخلاق الرزاق، فهذا قد أقروا به، فلو كان هذا المقصود ما احتيج إلى دعوة الرسل في هذا الشيء، ولما جاءت الرسل بالدعوة إلى (لا إله إلا الله) علم أن مقصودها غير ما أقروا به من توحيد الربوبية ومن الأسماء والصفات.

۞ فإنَّ هذا لا يقولُه أحدٌ؛ لأنه يستلزمُ أن يكونَ كُفّارُ العربِ مسلمينَ، ولو قُدِّرَ أن بعضَ المتأخرينَ أرادوا ذلك فهو مخطِئٌ، يُرَدُّ عليه بالدلائلِ السمعيةِ والعقليةِ.

قوله: (وأن محمداً عبدُه ورسولُه)[1] أي: وشهدَ بذلك، وهو معطوفٌ على ما قبله، فتكون الشهادةُ واقعةً على هذه الجملةِ وما قبلَها وما بعدَها، فإن العاملَ في المعطوفِ وما عُطِفَ عليه واحدٌ.

ومعنى «العبد» هنا يعني: المملوكَ العابدَ؛ أي: مملوكٌ لله تعالى، وليس له من الربوبيةِ والإلهيةِ شيءٌ، إنما هو عبدٌ مُقَرَّبٌ عندَ الله ورسولِه، أرسلَه الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٦]، ص١٨٠.

= أَبَدًا ﴿٢٣﴾ الآيات [الجن].

قيل: وقدَّم العبدَ هنا على الرسولِ تَـرَقِّياً من الأدنَى إلى الأعلَى، وجَـمَعَ بينهما لدفعِ الإفراطِ والتفريطِ الذي وقعَ في شأن عيسى عليه السلام، وقد أَكَّدَ النبيُّ ﷺ هذا المعنى بقوله: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»(١).

وذلك يتضمَّن تصديقَه فيما أخبرَ، وطاعتَه فيما أمرَ، والانتهاءَ عما عنه زَجَرَ، فلا يكون كاملَ الشهادةِ له بالرسالة مَن تَرَكَ أمرَه، وأطاعَ غيرَه، وارتكبَ نهيَه(٢). [١٠١]

[شرح١٠١] يعني: كونه رسولاً يتضمن تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عليه الصلاة والسلام.

ورد فيما تقدم رد على الإفراط والتفريط الواقع في حق عيسى*.

---

* س (من الشيخ): يا خالد، ماذا يعني الإفراط والتفريط الواقعين في =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥).

(٢) ص٥١.

....

= حق عيسى؟

ج: الإفراط في شأن اليهود الذين نبذوا عيسى.

الشيخ: أهذا يسمى إفراطا أم تفريطاً؟

ج: هذا تفريط.

الشيخ: تفريط، يعني جفاء؟

ج: والإفراط في شأن النصارى الذين جعلوه إلهاً وجعلوه ابن الله.

الشيخ: يعني: غلوا فيه، فالإفراط هو الغلو الذي جاء في شأن النصارى، والتفريط أو الجفاء هو التقصير الذي ينطبق على عمل اليهود.

ج: الإفراط هو الغلو الذي حصل من النصارى، والتفريط حصل أيضاً من اليهود رموه بأنه ابن زانية.

الشيخ: هذا تفريط، والجفاء في الحق، وقع ذلك في حق الرسول محمد ﷺ، إفراط وتفريط أيضاً، من عبده فقد أفرط، ومن عطل شريعته فقد جفا وفرط.

۞ قوله: (وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه)، وفي رواية: (وابنُ أَمَتِهِ)[1] أي: خلافاً لما يعتقدُه النَّصارَى أنَّه اللهُ أو ابنُ الله، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ [المؤمنون].

فيشهد بأنه عبدُ الله؛ أي: عابدٌ مملوكٌ، لا مالكٌ، فليس له من الربوبيةِ، ولا من الإلـهيةِ شيءٌ، ورسولٌ صادقٌ؛ خلافاً لقول اليهودِ: إنه ولدُ بَغيٍّ، بل يُقال فيه ما قال عن نفسِه؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٨).

= ﴿يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ [مريم][1]. [١٠٢]

[شرح١٠٢] كلتاهما ضلَّتا اليهود والنصارى، كلتاهما ضل في هذا الباب ـ نعوذ بالله ـ فاليهود ضلوا حتى نفوا أنه رسول الله، ونفوا أنه ابن أمة الله، وجعلوه ولد بغي ـ نعوذ بالله ـ قاتلهم ولعنهم، والنصارى كذلك أيضاً ضلوا في هذا السبيل ـ نعوذ بالله ـ فغلوا فيه وعبدوه مع الله ﷻ، وجعلوه ابن الله، أو ثالث ثلاثة على اختلافهم، أو الله فهؤلاء ضلوا وهؤلاء ضلوا، نسأل الله العافية.

(١) ص٥١.

۞ وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢](١). [١٠٣]

۞ قال القرطبيُّ: ويُستفادُ منه ما يُلقَّنُه النصرانيُّ إذا أسلمَ(٢). [١٠٤]

[شرح١٠٣] والمعنى: لا بد من البراءة من هؤلاء وهؤلاء، فلا بد من البراءة من عقيدة اليهود، ولا بد من البراءة من عقيدة النصارى، والإيمان بما قاله الله ورسوله بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

[شرح١٠٤] وقد بيَّن لهم هذا أنه عبد الله ورسوله حتى ينجوا من رأيهم السابق من أنه ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة، ومنهم من قال: عبد الله ورسوله وابن أَمته، فيبين له حتى يزول ما كان يعتقده سابقاً.

---

(١) ص٥١-٥٢.

(٢) ص٥٢.

۞ قوله: (وكلمته)[1] إنما سُمِّيَ ـ عليه السلام ـ كلمةَ الله؛ لصدورِه بكلمة «كُنْ» بلا أَبٍ، قاله قتادةُ وغيرُه مِن السلفِ[2]. [١٠٥]

[شرح١٠٥] يعني: أن الله جل وعلا خلقه بقول الله: «كن»، فسمي بكلمة الله، لأنه خلق بكلمة، وليس هو نفسه كلمة كما تقول الجهمية وأشباههم، بل هو كان بها وصار بها، وخلق بها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] سبحانه وتعالى*.

*** س: أحسن الله إليكم، بمناسبة ذكر الجهمية، الإمام ابن حزم صاحب «المحلى» ما عقيدته؟**

ج: والله ذكروا له أشياء فيها تتعلق بالصفات ليست جيدة، فكلامه في الصفات ليس بالجيد، قد دخل عليه من الفلسفة أشياء كثيرة.

س: يعني هو لا يقلد فيها كتبه؟

ج: هو من العجائب؛ جمد في الأحكام، وتأول في الصفات، المقام =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) ص٥٢.

....

= الذي يطلب فيه عدم التأويل غلط فيه، والمقام الذي ينبغي فيه النظر والتعليل، وفيه قياس الأشياء بنظائرها وأشباهها جمد فيه. سبحان الله.

الفائدة العظيمة في كتب ابن حزم، العناية بالأدلة، ونقل الأدلة، ونقل كلام أهل العلم، والحرص على هذه الأشياء، وعدم الميل إلى الآراء، فهذه فائدة كبيرة لطالب العلم، يستفيد من ذلك ما ينقله من الأحاديث والآثار، ويعتني بهذه الأشياء؛ ليستفاد من ذلك في تأييد الأدلة وفي تأييد الحق.

وهذا هو المقصود من كتاب «المحلى» وأشباهه الذي يعتني بنقل الأحاديث وتطبيقها وعزوها وتعليلها، ونقل كلام السلف والآثار، سواء كان موافقاً أو مخالفاً لها، ويستفاد من ذلك، ولهذا ينقل عن العز بن عبد السلام أنه لما طلب للقضاء، امتنع حتى يحصل عنده كتابان: كتاب «المغني» للموفق وكتاب «المحلى» لابن حزم؛ ليستعين بذلك على القضاء من أجل الأدلة.

س: أحسن الله إليك، بمناسبة ما ذكرتم عن الإمام ابن حزم وموقفه من التقليد، ما هو حكم التقليد هل هو جائز مطلقاً أو لا يجوز مطلقاً أو فيه تفصيل؟

ج: هو بعد هذا البحث من أراده فعليه بكتاب ابن القيم، قسمه ـ رحمه الله ـ إلى أقسام ثلاثة: تقليد جائز، وتقليد محرم، وتقليد محل اجتهاد، في =

....

= ثلاثة أقسام، وقد بسطه ابن القيم في «إعلام الموقعين» واعتنى به، وذكر كلام السلف في هذا الباب، وأدلة كلامهم جميعاً، فالأصل في التقليد المنع، هذا الأصل. وقد يجوز بالنسبة إلى العامة أن ينقلوا كلام أهل العلم، وأن يقلدوا أهل العلم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] فإذا قال العالم: إن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا، وجب عليه الامتثال، لأنه ليس من أهل الاجتهاد حتى ينقب عن الأدلة ويناقش الأدلة. هذا القسم الأول.

والقسم الثاني: إنسان عنده علم وبصيرة ولكن ضاقت به الأوقات، ولا استطاعة له أن يأتي بالأدلة، فله عند التطبيق أن يقلد من يراه أقرب إلى الحق، وأقرب إلى الخير عند ضيق الأدلة وضيق الأوقات، في الحوادث التي تحدث.

والقسم الثالث: يتمكن من الاجتهاد، ويستطيع الاجتهاد، فهذا يلزمه الاجتهاد، فهذا هو الأصل.

۞ قال الإمامُ أحمدُ؛ فيما أملاه في «الرد على الجهمية»: الكلمةُ التي ألقاها إلى مريمَ حين قال له: «كُنْ»، فكان عيسى بـ«كُنْ»، وليس عيسى هو «كُنْ»، ولكن بـ«كُنْ» كان، فـ«كُن» من الله قولٌ، وليس «كُن» مخلوقاً، وكَذَبَ النصارى والجهميةُ على الله في أمرِ عيسى، وذلك أن الجهميةَ قالت: عيسى رُوحُ الله وكلمتُه، إلا أن الكلمةَ مخلوقةٌ، وقالت النصارَى: عيسى رُوحُ الله مِن ذاتِ الله، وكلمةُ الله مِن ذاتِ الله[1]. [١٠٦]

[شرح١٠٦] يعني: جعلوه النصارى بعضاً لله، فضلوا في هذا السبيل، ما جعلوه مخلوقاً، والنصارى قالوا: مخلوق، ولكن الدليل على أن كلام الله مخلوق يحتجوا به على أنه كلام الله.

---

(١) ص٥٢.

﴿ كما يُقال: إن هذه الخرقةَ من هذا الثوبِ، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمةِ كان، وليس عيسى هو الكلمةُ، انتهى؛ يعني به ما قال قتادةُ وغيرُه.

قوله: (ألقاها إلى مريمَ)(١) قال ابنُ كثيرٍ: خلَقَه بالكلمةِ التي أَرسلَ بها جبرائيلَ ـ عليه السلام ـ إلى مريمَ، فنفخ فيها مِن رُوحِه بإذنِ ربِّه ﷻ، فكان عيسى بإذنِ الله ﷻ.

وصارت تلك النفخةُ التي نفخَها في جيبِ دِرعِها، فنزلت حتى وَلَجَت فَرْجَها بمنزلة لِقاح الأبِ الأمَّ، والجميعُ مخلوقٌ لله ﷻ، ولهذا قِيل لعيسى: إنه كلمةُ الله ورُوحٌ منه؛ لأنه لم يكن له أبٌ تَوَلَّد منه، وإنما هو ناشِئٌ عن الكلمةِ التي قال له: «كُن» فكان، والرُّوحُ التي أَرسلَ بها جبرائيلَ عليه السلام(٢). [١٠٧]

[شرح١٠٧] كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) ص٥٢.

....

= ﴿فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٩١]*.

* س: في قول ابن كثير (من روحه) هذا الضمير يرجع إلى مَن؟

ج: جبرائيل، ويجوز أن يرجع إلى الله كما في النصوص الأخرى (روح الله، وروح منه) لكن في هذا السياق (من روحه) أي: من روح جبرائيل، ويجوز من روح الله على مقتضى الآيات، ويكون من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي إضافة للتشريف والتكريم مثل ما يقال: ناقة الله ورسول الله فهي إضافة تشريف وتكريم، وروح الله يعني: عيسى، وروح الله يعني: مخلوق مضاف إلى الله جل وعلا إضافة تشريف وتكريم؛ يعني: روحاً من جملة الأرواح التي خلقها وأوجدها وشرفها وعظمها ﷻ، فيقال في الخمس: مال الله، وفي الكعبة: بيت الله، وناقة صالح: ناقة الله، فهذا من باب إضافة تشريف، من إضافة المخلوق إلى خالقه.

س: (من) و(في) هل بينهما فرق؟ معنا في النسخة الجديدة: فنفخ فيها في روحه، وفي الطبعة الأولى: فنفخ فيها من روحه؟

ج: في الكل (من)، و(في) لا تصلح هنا.

۞ قولُه: (ورُوحٌ منه) قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: عيسى رُوحٌ من الأرواحِ التي خَلقَها اللهُ عَجَّلَ واستَنطَقَها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] بَعثَه اللهُ إلى مريمَ، فدَخل [في] فيها (١).

رواه عبدُ بن حُميد، وعبدُ الله بن أحمدَ في زوائد «المسند»، وابنُ جَرِير، وابنُ أبي حاتم، وغيرُهم.

وقال أبو رَوْق: (وروحٌ منه) أي: نفخةٌ منه؛ إذ هي من جبرائيلَ بأمرِه. وسُمي روحاً؛ لأنه حَدَث من نفخة جبرائيل عليه السلام (٢).

وقال الإمام أحمد: (وروحٌ منه) يقول: من أَمرِه كان الروحُ فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ=

(١) الأثر في «مسند أحمد» (٥/ ١٣٥) من زوائد عبد الله بن أحمد، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠٨٥٩)، وما بين الحاصرتين زيادة منه، وفي «مسند أحمد»: دخل من فيها.

(٢) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧٤) وفيه: وقال بعضهم، ولم يعزه لأبي روق.

= ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] يقول: من أمره[١].[٢]" [١٠٨]

[شرح١٠٨] قوله: (وروح منه) هذا في نص القرآن: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ آية الأنبياء [الأنبياء: ٩١].

وفي آية التحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]، فهناك فرق بنص القرآن*.

---

* س: ما حكم التقارب بين الأديان، لأنه فيه دعوة مطروحة الآن للتقارب بين الأديان؟

ج: هذه دعوة فاسدة، ليس هناك تقارباً، فهي دعوة فاسدة، إلا إذا كان المراد بالتقريب بينها دعوة أهلها لينصفوا ما جاء به الرسول ﷺ ويتأملوه، وأنه لا يخالف ما جاءت به الأنبياء الذين ينتسبون إليهم، كالنصارى إلى عيسى، واليهود إلى موسى، وأنه لا يخالف ذلك لو أنصفوا، يعني: التقارب، يدعون إلى أن ينصفوا حتى يقروا بما جاء به الحق الذي هو موجود عندهم في التوراة والإنجيل. =

---

(١) ذكر ذلك الإمام أحمد في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٣٢).

(٢) ص٥٢.

....

= س: ما نظنهم يدعون إلى ذلك؟

ج: أما أن تجتمع أهل الأديان وأن تكون فئة واحدة، وأن هذا وهذا وهذا كلهم في دين الحق، فهذا من أبطل الباطل، وأضل الضلال، وأكفر الكفر، فلا يمكن للنصارى واليهود أن يكونوا على حق وعلى هدى وهم لا يقرون بمحمد عليه الصلاة والسلام، ولا ينقادون لما جاء به أبداً، وهذا بإجماع أهل الحق، وليس في هذا نزاع والنصوص قائمة بهذا، فكل من كذب بمحمد ﷺ، ولا يقر بأنه رسول الله إلى الجميع فهو كافر، ولو كان على دين موسى وعيسى ولم يؤيد شيئاً من ذلك.

ولكن جحده لمحمد كفر مستقل. كيف وقد كفر قبل ذلكم؛ كفرت اليهود باتخاذها العزير ابن الله وتكذيبها عيسى، وكفرت النصارى بما حرفوا وغيروا وبدلوا وزعموا أن عيسى ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، هذا كفر مستقل. ثم جاء كفر آخر وهو عدم إيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام، فاجتمع عندهم أنواع من الكفر ـ نعوذ بالله ـ فكيف يقرب بين هذا وهذا في التوحيد بين الأديان؟! كيف يقرب بين الكفر والإسلام؟! لا يمكن.

ومثل هذا أيضاً: التقريب بين الشيعة وبين وأهل السنة، فلا يمكن، لا يمكن إلا برجوع الشيعة عما هم عليه من الباطل، والأخذ بما قاله أهل السنة، أما أن يبقى الشيعة على حالهم والسنة على حالهم، فكيف يحصل =

....

= التقريب؟! فهذه دعوة فاسدة خبيثة نسأل الله العافية.

س: بعض المشايخ الذين زاروا البابا نشر لهم كتب خاصة؟

ج: هذا في بيان الدعوة إلى الإسلام والرجوع إلى الحق، إذا أرادوا بهذا دعوة المسيحيين إلى الرجوع إلى الحق والدخول في الإسلام، أما أنهم على دينهم، والدينان متقاربان، وأنه يجوز البقاء على هذا وعلى هذا، فلا يمكن، لا يمكن أن يقوله المشايخ الذين ذهبوا، لأنه قد يخطئ الإنسان في الفهم، أو قد يغلط بعض الناس في العبارة فيظن أنه أراد ذلك.

س: إذا كان أحد يناظرهم في الكنيسة وقال: يا قداسة البابا، فهل يجوز هذا شرعاً؟

ج: هذه العبارة غير طيبة، لكن لا يكون قد ارتد عن الإسلام، والنبي ﷺ قال في عبد الله بن أُبي ابنُ سَلُولَ: «أما سمعت ما قال أبو حُباب»[(١)]، فدعاه باسمه، والمقصود أنه قد يكون الكلام في هذا من باب التلطف، لكن لا يعبر لفظ القداسة بفلان أو فلان باسمه أو لقبه ما فيه تعظيم، والقداسة ما ينبغي التلفظ بها بما يظهر لي، لكن قد يكون منوطاً بها، فصارت كالعلم عليه من غير أن يقصد معناها، فالأعلام والألقاب قد تراد من غير قصد المعنى مثل: صالح وعامر وليس هو بعامر ولا صالح، فهي أسماء جامدة، =

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٥٦٦)، ومسلم: الجهاد والسير (١٧٩٨).

....

= كذلك أبو تراب، وليس المقصود التراب، فصار علماً عليه، وكان من التراب الذي علق ببدن عليّ ﷺ[1].

فالمقصود أن الأعلام والألقاب قد تكون غير مراد فيها المعنى، إنما أريد أنها لقب وأسماء جامدة وليس المراد معناها، مثل ما يسمى بعض الناس الآن الصديق، فلان الصديق أو محمد الصديق، أو محمد الكامل، وهو ليس بكامل ولا صديق فهو يدعى باسمه.

س: هذه الأعلام، أما هذه فإنما أرادوا بها الصفة؟

ج: وهذا علم عليه، (قداسة البابا) علم عليه؛ يعني: سموا بها، مثل (سماحة الشيخ) و(فضيلة الشيخ) و(شيخ الإسلام) صارت علماً، جعلها من سماه بها علماً عليه يعرفون بها، هكذا قداسة الأب الذي يظهر منها أنها من هذا الباب، من باب الأعلام لا من باب تقديسه وتنزيهه، وإن أرادوا هم ذلك، لكن صارت علماً عليه يعرف بها، فإذا تكلم من تكلم من أهل العلم فليس المراد بها تنزيهه وتقديسه، إنما المراد دعوته باسمه الذي عرف به.

ومهما أمكن حمل كلام المسلم والعالم الشرعي على خير المحامل فهو أولى من حمله على أسوأ المحامل.

---

(١) انظر البخاري: الصلاة (٤٤١).

۞ وقال شيخُ الإسلام: المضافُ إلى الله تعالى إذا كان معنًى لا يقومُ بنفسِه ولا بغيرِه من المخلوقاتِ وَجَبَ أن يكونَ صفةً لله تعالى قائمةً به، وامتنع أن تكونَ إضافتُه إضافةَ مخلوقٍ مَربوبٍ، وإن كان المضافُ عيناً قائمةً بنفسِها، كعيسى وجبرائيل عليهما السلام وأرواحِ بني آدم، امتنعَ أن تكون صفةً لله تعالى؛ لأن ما قامَ بنفسِه لا يكونُ صفةً لغيرِه، لكنِ الأعيانُ المضافةُ إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تكونَ تُضافُ إليه لكونِه خلقَها وأبدعَها، فهذا شاملٌ لجميع المخلوقاتِ، كقولهم: سماءُ الله، وأرضُ الله، ومن هذا البابِ، فجميعُ المخلوقين عَبِيدُ الله، وجميعُ المالِ مالُ الله، وجميعُ البيوتِ والنوقِ لله[1]. [١٠٩]

[شرح١٠٩] أي: لا يخص بيت الله وناقة الله التي هي ناقة صالح، بهذا المعنى يعم كل بيت وكل ناقة، بخلاف ما يكون للتشريف والتعظيم فهذا يخص بيت الله ويخص ناقة الله وأشباههما.

---

(١) ص٥٢-٥٣.

۞ **الوجه الثاني**: أن يضافَ إليه لما خصَّه به من معنًى يحبُّه ويأمرُ به ويرضاه، كما خصَّ البيتَ العتيقَ بعبادةٍ فيه لا تكون في غيرِه، وكما يقال عن مالِ الفيءِ والخُمسِ: هو مالُ الله ورسولِه، ومن هذا الوجه فعِبادُ الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمرَه، فهذه إضافةٌ تتضمَّنُ ألوهيتَه وشرعَه ودينَه، وتلك إضافةٌ تتضمَّنُ ربوبيتَه وخلقَه، انتهى ملخصاً[1].»[2] [١١٠]

[شرح١١٠] هذا كلام عظيم وله فائدة كبيرة، وقد قاله أهل العلم ممن قبله وبعده، ولكنه أتى به بعبارات واضحة مختصرة، وقد نص أهل العلم قديماً وحديثاً على هذا المعنى وأن المضاف إلى الله قسمان:

القسم الأول: معنًى من المعاني لا يقوم بنفسه ولا يقوم بغيره من المخلوقين، فهذا إذا أضيف إلى الله فهو صفة للموصوف كعلم الله وكلام الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] صفة من الصفات فكلامه صفة من صفاته، فهو ليس مخلوقاً، وهكذا علم الله، وقدرة الله، ورضا الله، وغضب الله وما أشبه ذلك، وإرادة الله، =

---

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٤/ ٩).

(٢) ص٥٣.

....

= ومشيئة الله، كلها صفات من صفاته؛ لأنها معانٍ لا تقوم بغيره، بل هي تقوم به ﷻ، وهي غير مستقلة بنفسها، وإضافتها إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف وهذا شيء واضح.

وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولين لصفات الله والزاعمين لها أنها من باب إضافة صفة المخلوق إلى الخالق، وهذا من أبطل الباطل، فإن معنى ذلك سلب الرب صفاته، وجعله ذاتاً مجردة، والذات المجردة لا وجود لها.

فكلام الجهمية والمعتزلة يفضي إلى تعطيل الخالق وإنكار وجوده كما هو معلوم، فلعلك قد عرفت بذلك أن الصفات التي تضاف إلى الله هي صفات تضاف إلى موصوفها القائمة به ﷻ، كما سمعت من كلام الله، ورضا الله، وعلم الله، وقدرة الله، ومشيئة الله ونحو ذلك، ونفس الله أو نحو ذلك.

القسم الثاني: وهو الذات، يضاف إلى الله ذات غير المعنى، فالذات مستقلة، والذات المستقلة أيضاً على قسمين: أحدهما: إضافة مخلوق إلى خالقه وهذا يشمل جميع المخلوقين، فكلها =

....

= مخلوقة لله ﷻ كما يقال: أرض الله، وسماء الله، هذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، إضافة إبداع وإنشاء وإيجاد، هو ﷻ رب الجميع، وخالق الجميع، فجميع المال مال الله هو الذي أعطاه ﷻ، وجميع العباد عباد الله لأنه خالقهم، كما قال ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝٩٤﴾ [مريم] فكلهم عبيده ﷻ، فالمال كله ماله، والأرض أرضه، والسماء سماؤه، والمخلوقات كلها مخلوقاته ﷻ، فإضافة شيء منها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

والقسم الثاني من الذوات القائمة بنفسها هي التي تضاف إلى الله إضافة تشريف وتكريم وتقدير وبيان، لعظم شأنها، كبيت الله الكعبة، فهي خصت بالعبادات كالطواف والاستقبال..

وكناقة الله ناقة صالح، لأنها جاءت له آية لتدل على صدقه؛ ولهذا قيل لها: ناقة الله، تشريفاً لها وتعظيماً لشأنها، لأن الله جعلها آية ومعجزة لنبيه صالح عليه الصلاة والسلام، وهي ناقة عظيمة تملأ الوادي إذا أقبلت وأدبرت كما جاء في الآثار، وهي تشرب ماء =

....

= بئرهم، وتعطيهم مثله لبناً، لها شِرب يوم ولهم شِرب يوم كما قاله الله جل وعلا.

فهي ناقة عظيمة، فلما كذبوا نبيهم، واستثقلوا ما جاء به، عقروا ناقة الله، وعَتَوا عن أمر الله ﷻ، فعاقبهم الله عقوبة عاجلة.

وهكذا مال الفيء يقال فيه: مال الله، ومال الخمس مال الله وما أشبه ذلك، كذلك العبيد الصالحون الأنبياء والصالحون يقال: عبيد الله وهم عباد الرحمن لأنهم أهل طاعته.

فالإضافة إلى الله من باب التشريف والتكريم لبني آدم، هذه إضافة تتعلق بعبوديته سبحانه، وكونهم عبيده وأحبابه وأولياءه.

والنوع الأول من إضافة المخلوق إلى خالقه من باب إضافة المخلوقين إلى خالقهم، فهي لها تعلق بالربوبية، لأنه ربهم وخالقهم، فإضافة تتعلق بالربوبية وهي الإضافة العامة، وإضافة تتعلق بالألوهية وهي الإضافة الخاصة.

فإذا فهمت هذا المعنى زالت شبهات وتلبيسات كبيرة لأهل البدع.

۞ والمقصودُ منه أن إضافةَ رُوحٍ إلى الله هو مِن الوجهِ الثاني، والله أعلم[1]. [١١١]

[شرح١١١] أي: إضافة روح عيسى بأنه روح الله من باب المعنى الثاني؛ أي: إضافة الذوات، وهي إضافة تشريف وتكريم، فعيسى روح الله، وروح من الأرواح التي خلقها وأوجدها، ولكنه شرفها بإضافتها لاسمه ﷻ.

وأما «كلمة» فهي من إضافة المعنى إلى الله سبحانه، وإضافة الصفة للموصوف لأنه كان بكلمة.

---

(١) ص٥٣.

۞ قوله: (والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ)[١] أي: وشهدَ أن الجنةَ ـ التي أخبرَ اللهُ بها في كتابه أنه أعدَّها لمن آمنَ به وبرسولِه ـ حقٌّ، أي: ثابتةٌ لا شكَّ فيها، وشهدَ أن ـ النارَ التي أخبرَ اللهُ في كتابه أنه أعدَّها للكافرين به وبرسلِه ـ حقٌّ كذلك، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] وفيهما دليلٌ على أن الجنةَ والنارَ مخلوقتانِ الآنَ؛ خلافاً لأهلِ البدعِ الذين قالوا: لا يُخلَقانِ إلا في يومِ القيامةِ، وفيه دليلٌ على المعادِ وحَشرِ الأجسادِ.

قولُه: (أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كان مِن العملِ) هذه الجملةُ جوابُ الشرطِ، وفي رواية: «أدخلَه اللهُ الجنةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانية شاء»[٢]. =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٨).

= قال القاضي عياضٌ: وما وَرَدَ في حديثِ عُبادةَ يكون خصوصاً لمن قال ما ذكره ﷺ، وقَرَنَ بالشهادتينِ حقيقةَ الإيمانِ والتوحيدِ الذي وَرَدَ في حديثِه، فيكون له من الأَجرِ ما يَرجَحُ على سيئاتِه، ويُوجِب له المغفرةَ والرحمةَ ودخولَ الجنةِ لأولِ وَهْلةٍ[1]. [١١٢]

[شرح١١٢] هذا المعنى لا بد منه، قال الزهري ـ رحمه الله ـ المعروف بابن شهاب: إن هذا كان قبل نزول الشرائع[2]، ولهذا علَّق الحكم بمجرد هذه الشهادة في دخول الجنة.

وقال العلماء: ليس هو كذلك، بل هذا بعد نزول الشرائع، لأن الشرائع نزل بعضها بمكة قبل الهجرة، ولكن المعنى أن من قال هذه الشهادة، والتزم معناها وحقها كسائر الشهادات، فمن شهد ولم يلتزم بحقها فلا يكون له هذا المعنى.

وإنما المعنى أن من شهد أن الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلى آخره، والتزم حقها وأدى حقها، ولكن من ضيع =

---

(١) ص٥٣.

(٢) ورد ذلك عند الترمذي: الإيمان، بإثر الحديث (٢٦٣٨).

....

= حقوقها لا يكون له هذا الفضل، وهو دخول الجنة من أي أبوابها شاء، بل المراد من قالها عن صدق وإخلاص، فإنه لا بد أن يؤدي حقها، ولا بد أن يلتزم معناها، وإلا فيكون قوله كلاماً غير مجد على أهله كالمنافقين، فلم يتبين فضل هذه الكلمة وعظم شأنها، وأنها توجب لأهلها هذا الخير العظيم؛ لأنها تدعوهم إلى العمل، وتقتضي العمل منهم إذا صدقوا، بخلاف الكذابين، فإنها لا تؤثر فيهم، ولا تقتضي العمل منهم.

ومن أدلة ذلك أن الله جل وعلا في كتابه العظيم وسنة رسوله بين أن العصاة على خطر عظيم، وأنهم موعودون بالنار وغضب الجبار، وجاء في وعيده لعنهم وغضب الله عليهم، فلا يلتئم هذا مع هذا، لا يلتئم وعدهم بالجنة مع وعدهم بالنار.

فعلم بذلك أن المراد بهذا الوعد وبهذه العبادة وما يجري معناها من التزم الشهادة، وأدى حقها، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] هذا وعيد له ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ولو كان مسلماً. =

....

= ولكن المسلم الذي يلتزم لا يأتي هذه المعصية، فإن أتاها وعرف إجرامه وسارع بالتوبة استحق المغفرة، والحاصل أن ما جاء في فضل التوحيد، وفضل الإيمان، والوعد بالجنة عليه، فهو معلق على أداء الفرائض وترك المحارم، فإن قَصَّر في ذلك لا يكون له هذا الفضل، وهذا الجواب العظيم والخير الكبير؛ لأنه قد قصر في واجب هذه الشهادة وفي حقها، فيكون تحت مشيئة الله، وعلى خطر من دخول النار.

لكن هذه الأحاديث تدل على أنه ليس من الكفرة بل هو موعود بهذا الخير إذا مات على التوحيد والإخلاص، سواء عُذِّب أو لم يُعذَّب فهو على خير وعلى طريق النجاة، إلا إذا كان قالها مع التكذيب فلا نجاة له ولا خير له، بل هو كسائر المنافقين والضلال الذين وعدهم الله بالدرك الأسفل من النار.

فالحال في نطقها ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: ينطق بها مع التكذيب كالمنافقين، هذا لا تنفعه أبداً، وهو مخلد في النار، وفي الدرك الأسفل منها، نسأل الله العافية. =

....

= الحال الثانية: أن يقولها مع أداء واجبها وحقها، هذا له الجنة والكرامة والسعادة أبد الآباد.

الحال الثالثة: وسط يقولها ولكن لا يؤدي حقها، فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له بتوحيده وإسلامه، وإن شاء عذبه على قدر ما معه من المعاصي والسيئات التي مات عليها؛ لقوله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦].

فبيَّن ﷻ أن أعمال العبد التي يموت عليها قسمان: شرك وما دونه، فمن مات على الشرك فلا مغفرة له، والجنة عليه حرام، نعوذ بالله من ذلك، ومن مات على ما دونه من المعاصي فهو تحت مشيئة الله.

فهذا فصل النزاع وفصل الإيضاح في هذا المقام العظيم الذي غلط فيه المرجئة، وغلط فيه أيضاً القانطون الذين قنطوا من رحمة الله، ويئسوا من رحمة الله ﷻ، وفصل النزاع أيضاً فيما يتعلق بالخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج كفروا العصاة وخلدوهم في النار، والمعتزلة وافقوهم في ذلك في المعنى، والمرجئة قالوا: لا يضر مع =

....

= الإيمان عمل ولو زنى ولو سرق، لا يضره شيء، فضل الجميع، ضلت هذه الطوائف عن الصواب.

ووفَّق الله أهل السنة والجماعة فقالوا: الرجاء مطلوب، ولكن مقرون بالعمل، والخوف مطروح ولكنه مع التوحيد، لكن لا يجوز القنوط فيقع صاحبه تحت المشيئة، وردوا على الخوارج فقالوا: العمل من الإيمان، والقول من الإيمان، ولكن الإيمان يزيد وينقص، فقد يفوته بعض الشُّعَب ولا يكون كافراً وقد يفعل بعض المعاصي ولا يكون كافراً، فليس بفعل معصية يزول الإيمان كله، ولا بترك واجب يزول الإيمان كله.. قد يترك بعض الواجبات فلا يزول، قد يكون عاقاً فلا يزول إيمانه، بل معه أصل الإيمان، قد يؤخر الزكاة فلا يزول إيمانه بل يبقى معه أصل الإيمان ومعه المعصية الكبيرة العظيمة، قد يزني ولا يزول إيمانه بالكُلِّية بل يبقى معه أصل الإيمان، وإن كان قد زال كماله، وفي الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ»[(١)]. =

(١) أخرجه البخاري: المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم: الإيمان (٥٧).

....

= وبهذا يعلم الفرق العظيم بين أهل السنة وبين هذه الطوائف، وأن أهل السنة وفقهم الله للصراط المستقيم، فصاروا وسطاً في هذه الأمور بين الغالي والجافي، بين الغلاة من الخوارج والمعتزلة، وبين الجفاة من المرجئة وأشباههم، وبهذا يوفق العبد لصراط الله الذي سلكه أصحاب رسول الله ﷺ، وسلكه أتباعهم بإحسان إلى التوسط في هذه الأمور، وعدم الغلو والجدل، وعدم الإفراط والتفريط*.

*** س: الطوائف ثلاث وسبعون فرقة، أيها المخلدة وأيها الناجية؟**

ج: الفرقة الناجية واحدة أما اثنتان وسبعون فهي موعودة بالنار، ولكنها مختلفة، فيها الكافر، وفيها غير الكافر، فيها الكافر الذي يخلد في النار، وفيها الموعود بالنار وإن كان غير كافر، كالخوارج عند من لم يكفِّرهم، والمعتزلة عند من لم يكفِّرهم، وهم متوعَّدون بالنار، وهكذا بعض الشيعة وما أشبه ذلك.

۞ قال: ولهما من حديثِ عِتْبانَ: «فإنَّ اللهَ حرَّمَ على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ اللهِ»(١).

قولُه: (ولهما) أي: للبخاريِّ ومسلمٍ في «صحيحيهما»، وهذا الحديثُ طرفٌ مِن حديثٍ طويلٍ، أخرجه الشيخانِ؛ كما قال المصنف، و«عِتبانُ» ـ بكسر المهملة، بعدَها مثناةٌ فوقيةٌ ثم موحدةٌ ـ ابنُ مالكِ بنِ عُمرَ بنِ العَجْلانِ الأنصاريُّ، من بني سالمِ بنِ عوف، صحابيٌّ شهيرٌ مات في خلافة معاويةَ.

قولُه: (فإن اللهَ حرَّم على النارِ...) الحديث، اعلَمْ أنه قد وردت أحاديثُ ظاهُرها أنه مَن أتى بالشهادتينِ حَرُمَ على النار؛ كهذا الحديثِ، وحديثِ أنسٍ قال: كان النبيُّ ﷺ ـ ومُعاذٌ رَديفُه على الرَّحلِ ـ فقال: «يا مُعاذُ». قال: لَبَّيكَ يا رسولَ الله وسَعدَيكَ. قال: «ما مِن عبدٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله إلا حَرَّمَه على النارِ». قال: يا =

---

(١) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧)(٢٦٣).

= رسولَ الله، ألا أُخبِر بها الناسَ فيَستَبشِروا؟ قال: «إذاً يَتَّكِلُوا». فأخبرَ بها معاذٌ عندَ موتِهِ تَأَثُّماً. أخرجاه(١).

ولمسلمٍ عن عُبادةَ مرفوعاً: «مَن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه حَرَّمَ اللهُ عليه النارَ»(٢).

ووردت أحاديثُ فيها أن مَن أتى بالشهادتينِ دخلَ الجنةَ، وليس فيها أنه يَحرُم على النارِ، منها حديثُ عُبادةَ الذي تقدَّم قبلَ هذا، وحديثُ أبي هريرةَ: أنَّهم كانوا مع النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ... الحديث.

وفيه: فقال رسولُ الله ﷺ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ الله، لا يلقَى اللهَ عبدٌ بهما، غيرَ شَاكٍّ فيهما، فيُحجَب عن الجنةِ». رواه مسلم(٣).

وحديثُ أبي ذَرٍّ في «الصحيحين» مرفوعاً: «ما مِن عبدٍ، قال: لا إلهَ إلا اللهُ ثم ماتَ على ذلك إلا دخلَ الجنةَ...» =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٩).

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٧).

= الحديث[١] .

وأحسنُ ما قِيل في معناه ما قالَه شيخُ الإسلامِ وغيرُه: إن هذه الأحاديثَ إنما هي فيمن قالَها وماتَ عليها؛ كما جاءت مقيدةً، وقالَها خالصاً من قلبُه، مستيقناً بها قلبُه، غيرَ شَاكٍّ فيها، بصدقٍ ويقينٍ؛ فإن حقيقةَ التوحيدِ انجذابُ الروحِ إلى الله جملةً، فمن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً مِن قلبِه دخلَ الجنةَ؛ لأن الإخلاصَ هو انجذابُ القلبِ إلى الله تعالى بأن يتوبَ من الذنوبِ توبةً نَصُوحاً، فإذا ماتَ على تلك الحالِ نالَ ذلك.

فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه يخرج مَن النار من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» وكان في قلبه من الخيرِ ما يَزِنُ شَعيرةً وما يَزِنُ خَردَلةً وما يَزِنُ ذَرَّةً، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إلهَ إلا اللهُ يدخلُ النارَ ثم يخرجُ منها، وتواترت بأن اللهَ حَرَّم على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ من ابنِ آدمَ، فهؤلاء كانوا يُصَلُّون =

(١) أخرجه البخاري: اللباس (٥٨٢٧)، ومسلم: الإيمان (٩٤).

= ويسجدون لله، وتواترت بأنه يَحرُم على النارِ من قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ومن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله.

لكن جاءت مقيدةً بالقيودِ الثِّقالِ، وأكثرُ مَن يقولُها لا يعرفُ الإخلاصَ ولا اليقينَ، ومَن لا يعرفُ ذلك يُخشى عليه أن يُفتَن عنها عندَ الموتِ، فيُحال بينه وبينها، وأكثرُ مَن يقولُها إنما يقولها تقليداً أو عادةً، ولم يُخالِطِ الإيمانُ بَشاشةَ قلبِه، وغالبُ مَن يُفتَن عندَ الموتِ وفي القبورِ أمثالُ هؤلاء كما في الحديث: «سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه»[1] .

وغالبُ أعمالِ هؤلاء إنما هو تقليدٌ واقتداءٌ بأمثالهم، وهم أقربُ الناسِ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وحينئذٍ فلا منافاةَ بين الأحاديثِ؛ فإنه إذا قالَها بإخلاصٍ ويقينٍ تامٍّ لم يكن في هذه الحالِ مُصِرّاً على ذنبٍ أصلاً، فإن كمالَ إخلاصِه ويقينِه يوجِبُ أن يكونَ اللهُ أحبَّ =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (٨٦)، ومسلم: الكسوف (٩٠٥).

= إليه من كلِّ شيءٍ، فإذاً لا يبقَى في قلبِه إرادةٌ لما حَرَّم اللهُ ولا كراهيةٌ لما أمرَ اللهُ، وهذا هو الذي يَحْرُم على النارِ، وإن كانت له ذنوبٌ قبلَ ذلك.

فإن هذا الإيمانَ، وهذه التوبةَ، وهذا الإخلاصَ، وهذه المحبةَ، وهذا اليقين، لا يتركون له ذنباً إلا يُمحَى؛ كما يُمحَى الليلُ بالنهار، فإذا قالها على وجه الكمالِ المانعِ من الشركِ الأكبرِ والأصغرِ فهذا غيرُ مُصِرٍّ على ذنبٍ أصلاً، فيغفر له ويَحرُم على النار.

وإن قالها على وجهٍ خَلَصَ به من الشركِ الأكبرِ دونَ الأصغرِ، فلم يأتِ بعدَها بما يناقضُ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاوِمُها شيءٌ من السيئاتِ، فيَرجَح بها ميزانُ الحسناتِ كما في حديثِ البطاقةِ[1]، فيَحرمُ على النارِ، ولا تَنقُصُ درجتُه في الجنةِ بقَدرِ ذنوبِه.

وهذا بخلافِ من رجحَت سيئاتُه على حسناتِه ومات =

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

= مُصِرّاً على ذلك، فإنه يستوجبُ النارَ، وإن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وخلصَ بها من الشِّركِ الأكبرِ، لكنه لم يَمُت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئاتٍ رجحَت على حسنةِ توحيدِه، فإنه في حالِ قولِها كان مخلصاً لكنه أتى بذنوبٍ أَوهَنَت ذلك التوحيدَ والإخلاصَ فأضعفَته، وقويت نارُ الذنوبِ حتى أحرقت ذلك.

بخلاف المخلصِ المستيقنِ؛ فإن حَسناتِه لا تكون إلا راجحةً على سيئاته، ولا يكون مُصِرّاً على سيئةٍ، فإن مات على ذلك دخلَ الجنةَ، وإنما يُخافُ على المخلصِ أن يأتيَ بسيئاتٍ راجحةٍ فيَضعُفَ إيمانُه، فلا يقولها بإخلاص ويقينٍ مانعٍ من جميع السيئاتِ، ويُخشَى عليه من الشركِ الأكبرِ والأصغرِ، فإن سَلِم من الأكبرِ بقيَ معه من الأصغرِ، فيضيفُ إلى ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلى هذا الشركِ، فيرجَحُ جانبُ السيئاتِ.

فإن السيئاتِ تُضعِفُ الإيمانَ واليقينَ، فيَضعُفُ بذلك =

= قولُ: «لا إلهَ إلا اللهُ»، فيمتنع الإخلاصُ في القلبِ، فيصير المتكلِّمُ بها كالهاذي أو النائمِ أو مَن يُحسِّنُ صوتَه بآيةٍ من القرآن من غيرِ ذوقِ طعمٍ ولا حلاوةٍ، فهؤلاء لم يقولوها بكمالِ الصدقِ واليقينِ، بل يأتون بعدَها بسيئاتٍ تُنقِصُ ذلك الصدقَ واليقينَ، بل يقولونها من غير يقينٍ وصدقٍ، ويموتون على ذلك ولهم سيئاتٌ كثيرةٌ تمنعُهم من دخولِ الجنةِ.

وإذا كَثُرتِ الذنوبُ ثَقُلَ على اللسانِ قولُها، وقسا القلبُ عن قولها، وكرِهَ العملَ الصالحَ، وثَقُلَ عليه سماعُ القرآنِ، واستبشَرَ بذِكرِ غيرِه، واطمأنَّ إلى الباطل، واستحلَى الرَّفَثَ ومخالطةَ أهلِ الغفلةِ، وكَرِهَ مخالطةَ أهلِ الحقِّ، فمثلُ هذا إذا قالها قالَ بلسانِه ما ليس في قلبه، وبِفِيهِ ما لا يُصَدِّقُ عملُه، كما قال الحسنُ: ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا بالتمنِّي، ولكن ما وَقَرَ في القلوبِ وصَدَّقَته الأعمالُ.

فمن قال خيراً وعملَ خيراً قُبِل منه، ومن قال شرّاً وعمل شرّاً لم يُقبَل منه، وقال بكرُ بنُ عبد الله المُزَنيُّ: ما =

= سبقَهم أبو بكرٍ بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، ولكن بشيءٍ وقر في قلبِهِ. فمن قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» ولم يَقُم بمُوجِبها، بل اكتسبَ مع ذلك ذنوباً وسيئاتٍ، وكان صادقاً في قولها موقِناً بها، لكنَّ ذنوبَه أضعافُ أضعافِ صدقِه ويقينِه، وانضافَ إلى ذلك الشركُ الأصغرُ العمليُّ، رجحت هذه الأشياءُ على هذه الحسنةِ، ومات مُصِرّاً على الذنوب.

بخلاف من يقولها بيقينٍ وصدقٍ تامٍّ؛ فإنه لا يموتُ مُصِرّاً على الذنوب، إما ألّا يكونَ مُصِرّاً على سيئةٍ أصلاً، أو يكونَ توحيدُه المتضمِّن لصدقِه ويقينِه رَجَّح حسناتِه، والذين يدخلون النارَ ممن يقولها قد فاتهم أحدُ هذين الشرطين: إمّا أنَّهم لم يقولوها بالصدق واليقينِ التامَّينِ المنافِيَينِ للسيئاتِ، أو لرجحانِ السيئاتِ، أو قالوها واكتسبوا بعدَ ذلك سيئاتٍ رجحَت على حسناتِهم»[1]. [١١٣]

[شرح١١٣] هذان الشرطان، إما أن يكونوا قالوها بغير الصدق =

---

(١) ص٥٣-٥٦.

....

= التام واليقين التام، فلهذا رجحت سيئاتهم ودخلوا النار، وإما أن يكونوا قالوها بصدق وإخلاص، ثم بعد هذا طرأ عليهم الذنوب والسيئات، فأضعفت صدقهم وأضعفت يقينهم، فماتوا على السيئات غير تائبين، فدخلوا جهنم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ ثم ضَعُفَ لذلك صدقُهم ويقينُهم ثم لم يقولوها بعدَ ذلك بصدق ويقينٍ تامٍّ لأن الذنوبَ قد أضعفت ذلك الصدقَ واليقينَ من قلوبِهم فقولُها من مثلِ هؤلاء لا يَقوَى على مَحوِ السيئاتِ بل ترجحُ سيئاتُهم على حسناتِهم. انتهى ملخصاً، وقد ذكر معناه غيرُه كابنِ القيِّم وابنِ رجبٍ والمنذِريِّ والقاضي عياضٍ وغيرِهم.

وحاصلُه: أن «لا إلهَ إلا اللهُ» سببٌ لدخولِ الجنةِ، والنجاةِ من النارِ ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعملُ عملَه إلا باستجماع شروطِه، وانتفاءِ موانعِه، فقد يتخلَّف عنه مقتضاهُ لفواتِ شرطٍ من شروطِه، أو لوجودِ مانعٍ، ولهذا قِيلَ للحَسَنِ: إن ناساً يقولون: من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» دخلَ الجنةَ، فقال: من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» فأدَّى حقَّها وفرضَها دخلَ الجنةَ.

وقال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ لمن سأله: أليسَ «لا إلهَ إلا اللهُ» مفتاحُ الجنَّةِ؟ قال: بلَى، ولكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنانٌ، =

= فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتِحَ لكَ، وإلا لم يُفتَح»[١].

ويدلُّ على ذلك أن اللهَ رَتَّب دخولَ الجنةِ على الإيمان والأعمالِ الصالحةِ، وكذلك النبيُّ ﷺ، كما في «الصحيحين» عن أبي أيّوبَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنةَ، فقال: «تَعبُدُ اللهَ ولا تُشرِكُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ»[٢].

وفي «المسند» عن بشيرِ ابن الخَصاصِيَةِ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ لأُبايعَه فاشترطَ عليَّ شهادةَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأن أُقيمَ الصلاة، وأن أُوتيَ الزكاةَ، وأن أَحُجَّ حَجَّةَ الإسلامِ، وأن أصومَ رمضانَ، وأن أجاهِدَ في سبيلِ الله، فقلتُ: يا رسولَ الله، أما اثنتين[٣] فواللهِ لا أُطيقُهما: الجهادُ والصدقةُ. فقبضَ رسولُ الله ﷺ يدَه، ثم =

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً: الجنائز، قبل (١٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٨٣)، ومسلم: الإيمان (١٣).

(٣) قال سماحة الشيخ: «اثنتين» غلط، ومقتضى العربية الرفع هنا، لأنها مبتدأ، والصواب: أما اثنتان، مثل: (أما السفينةُ)، (وأما الغلامُ).

= حرَّكَها وقال: «فلا جهادَ ولا صدقةَ، فبِمَ تدخلُ الجنةَ إذاً؟!» قلتُ: يا رسولَ الله، أبايعُك عليهنَّ كلِّهنَّ [1].

ففي الحديثِ أن الجهادَ والصدقةَ شرطٌ في دخول الجنةِ مع حصولِ التوحيدِ والصلاةِ والحجِّ والصيامِ، والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ [2]. [١١٤]

[شرح١١٤] من هذا الباب ما في «الصحيحين» من حديثِ جريرِ بنِ عبد الله البجليِّ رضي الله عنه قال: بايعتُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام على شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والسَّمعِ والطاعة. قال: فلَقَّنَني: «فيما استطعتَ». قال: والنُّصحِ لكلِّ مسلمٍ [3].

بايعَه على هذا كلِّه عليه الصلاةُ والسلامُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤).

(٢) ص٥٦-٥٧.

(٣) أخرجه البخاري: البيوع (٢١٥٧) و(٧٢٠٤)، ومسلم: الإيمان (٥٦).

۞ وفي الحديثِ دليلٌ على أنه لا يَكفِي في الإيمانِ النطقُ من غيرِ اعتقادٍ، وبالعكسِ، وفيه تحريمُ النارِ على أهلِ التوحيدِ الكاملِ، وفيه أن العملَ لا ينفعُ إلا إذا كان خالصاً لله تعالى[1]. [١١٥]

[شرح١١٥] هذا بحث عظيم مهم جداً، جدير بالعناية، وجدير بالتدبر والتعقل، وجدير بالنظر والتكرار؛ لأنه يخلص من شبهات كثيرة، ويجعل طالب العلم على بصيرة في هذه الأحاديث التي يتشبث بها عباد القبور، ويتشبث بها أصحاب الردة ونواقض الإسلام، فقد أوضح العلماء كما سمعتم معانيها إيضاحاً كاملاً، وذكر الشارح الخلاصة بعد ذلك.

فالخلاصة أن هذه الأحاديث التي فيها تحريم النار على من قال: لا إله إلا الله، وفيها أن:« من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة»[2]، وفي بعضها: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة»[3] إلى غير ذلك ـ فيها تفصيل، فالأحاديث التي فيها الإطلاق =

---

(١) ص٥٧.

(٢) مثل حديث جابر بن عبد الله، أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: الإيمان (١٥١).

(٣) مثل حديث أبي الدرداء، أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٩٨).

....

= مقيدة بالأحاديث التي فيها التقييد، فما جاء من الأحاديث مطلقاً فإنه مقيد بالأحاديث الأخرى والآيات المقيدة.

وقد أجمع أهل العلم قاطبة على أن مجرد قول: لا إله إلا الله، مجرد الشهادة من دون عمل لا يجدي على أهله، ولا ينقذهم من النار، فلا بد من إخلاص في هذا الذكر، ولا بد من عقيدة؛ فالمنافقون كانوا يقولونها وما نجّتهم من النار، والعياذ بالله.

فالحاصل أن ما جاء مطلقاً فهو مقيد بالأدلة الأخرى، فمن قال هذه الكلمة بإخلاص وصدق ويقين تامّ مُحيَت سيئاتُه، ووجبت له التوبة من سيئاته، فهذا يدخل الجنة من أول وهلة.

وأما من قالها بغير إخلاص تامّ وبغير يقين تامّ، بل قد تلطخ بالمعاصي والسيئات، فهو تحت مشيئة الله، أو قالها بإخلاص تامّ وصدق تامّ، أو ترك السيئات والتوبة منها، ثم بعد ذلك طغت عليه السيئات، واكتسب السيئات والمعاصي، فإن هذا الاكتساب للسيئات والمعاصي يضعف توحيده ويضعف إيمانه، ويكون بهذا مستحقاً للنار، ويكون تحت مشيئة الله جل وعلا. =

....

= فينبغي التفطن لهذا، وعدم الغفلة عن هذا الشيء العظيم الذي فيه إزالة للشبهة وإيضاح للحق الذي لا ريب فيه، فكلام الله لا يتناقض، وكلام رسوله لا يتناقض عليه الصلاة والسلام، ويصدق كلٌّ واحد منهما الآخرَ، يصدق بعضه بعضاً، ويؤيد بعضه بعضاً، ويوضح بعضه بعضاً، فالأمر بحمد الله واضح عند أهل العلم والإيمان والبصائر.

لكن يشتبه على أهل الهوى، أو على الجهلة الذين يتعلقون بالأموات، والاستغاثة بالأموات، والنذر للأموات، وعبادة القبور من دون الله، أو على الذين ابتلوا بالمعاصي والسيئات، وابتلوا بالميل إليها، وتعلقوا بهذه الأخبار المطلقة، وأقنعوا أنفسهم بجواز هذه المعاصي والركون إليها*.

---

* س: قوله: (وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾)[1] ماذا يعني به؟

ج: يعني: في الوعيد. =

---

(١) سلف ص٢٥٩.

....

= س: يعني إذا رد أحد الكتاب والسنة بسبب تقليد مذهبي، أو لما يرى عليه آباءه، يستدل عليه بهذه الآية؟

ج: فيه شبه بهم، والعلماء يستدلون بآيات الشرك الأكبر على الأصغر، فيستدلون بالتي نزلت في الكفار على من تساهل بأمر الله وتشبه بالكفار، وإن لم يكن متشبهاً بهم من جميع الوجوه، لكن يكفي أن يكون فيه شبه به.

س: ولكن إذا استدللت بها عليهم قالوا: جعلنا من الكفار!

ج: الآيات التي للشرك الأكبر يستدل بها على الأصغر وعلى المعاصي في الجملة؛ لأنها تشبه بأهل الكفر، فبالتقليد ومتابعة الأمر بغير نظر، ومن غير تبصر، ومن غير عناية، يكون مشابهاً لأولئك الأعداء، وفي الحديث: «مَن تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم»[1]، فيخشى عليه من العاقبة السيئة، وإن كان لم يكن مثلهم من كل الوجوه، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه أبو داود: اللباس (٤٠٣١).

۞ قال: وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «قال موسى: يا ربِّ، عَلِّمني شيئاً أذكُرُكَ وأدعوكَ به، قال: قُل يا موسى: لا إلهَ إلا اللهُ، قال: كلُّ عبادِكَ يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أنَّ السماواتِ السبعَ وعامِرَهُنَّ غيري، والأرضينَ السبعَ في كِفَّةٍ، ولا إلهَ إلا اللهُ في كِفَّةٍ، مالَت بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ». رواه ابنُ حبان والحاكمُ وصحَّحه[1].

أبو سعيدٍ: اسمُه سعدُ بنُ مالكِ بنِ سنانِ بنِ عُبيدٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، صحابيٌّ جليلٌ، وأبوه أيضاً كذلك، استُصغِر أبو سعيدٍ بأُحُدٍ ثم شهدَ ما بعدَها، مات بالمدينة سنة ثلاث ـ أو أربع أو خمس ـ وستين، وقيل: أربع وسبعين.

قولُه: (أذكُـرُكَ) هو بالرفع خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: أنا أذكرُكَ، وقيل: بل هو صفةٌ، و«أدعوكَ» معطوفٌ عليه، أي: أُثنِي عليكَ وأحمَدُك به، (وأدعوكَ) أي: أتوسَّلُ به إليكَ إذا دعوتُكَ. =

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: التاريخ (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»: الدعاء (١/ ٥٢٨).

= قولُه: (قُل يا موسَى: لا إلهَ إلا اللهُ) فيه أن الذّاكِرَ بها يقولُها كلَّها، ولا يقتصرُ على لفظِ الجلالةِ كما يفعلُه جُهّالُ المتصوِّفةِ، ولا يقول أيضاً «هو» كما يقولُه غلاةُ جُهّالِهم، فإذا أرادوا الدعاء قالوا: «يا هو» فإنَّ ذلكَ بدعةٌ وضلالةٌ، وقد صنَّفَ جُهّالُهم في المسألتينِ، وصنَّفَ ابنُ عربيٍّ كتاباً سمّاه بـ«الهو»[1]. [١١٦]

[شرح١١٦] هذا من جهل الصوفية، ولهم أغلاط وقبائح، وهم قوم يتعبدون ولهم أشياء مبتدعة، وطرق ومسالك في العبادة، ولهم أوراد ابتدعوها ونظموها وصارت لهم مذاهب ومسالك، كل طائفة ابتدعت شيئاً منها، مِن شاذلية، ومن نقشبندية، ومن قادرية، ومن خَلْوتية، ومن تيجانية وغير ذلك، وأكثرهم على غير بصيرة وعلى غير هدى، بل جهال لهم مقاصد سيئة من أكل أموال الناس بالباطل، ومن الصدّ عن سبيل الله، ومنها قصد الشهرة والظهور بشيء ما فعله الآخرون.

ومنهم أناس اجتهدوا ولكنهم أخطؤوا وغلطوا في هذا الباب، =

---

(١) ص٥٧.

....

= وكان أصل ذلك الزهد في الدنيا، والورع عن بعض المحارم، والرغبة في الآخرة، من أصولهم من العباد القدامى والأخيار القدامى، فجاء قوم جهلوا الطريق، وأساؤوا التصرف وصارت لهم أعمال مبتدعة، وأخلاق منحرفة، وأوقعوا في الشرك وعبادة غير الله ﷻ، ثم آل بهم الأمر إلى أن عبدوا شيوخهم، وجعلوهم من ذات الآلهة الذين ينفعون ويضرون، ويتصرفون في الكون، فحصل منهم بلاء عظيم وشرّ كثير، وفتن منتشرة في البلاد.

ومن جملة ما اخترعوه واشتهروا به: أنهم يقولون في ذكرهم: الله الله الله الله، ما يقولون: لا إله إلا الله، إنما يقولون: كلمة «الله الله» فقط، وبعضهم كان يقول: هو هو، أكثر اختصاراً في الكلام يعني: هو الله، هو يعني: هو ربي، فيترك «لا إله إلا الله» ويقول: هو هو.

وهذه كلها من البدع التي أحدثوها، وهذا كله منكر، والنبي ﷺ أمر أن يقال: «لا إله إلا الله»؛ «قولوا: لا إله إلا الله»[1] فالمقصود أنه ﷺ كان يقول: لا إله إلا الله، ويأمر الناس بأن يقولوا: لا إله إلا الله. =

---

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٢).

....

= أما «الله الله» أو «هو هو» فهذه من البدع المحدثة التي أحدثها المتصوفة، وغلطوا في ذلك وأخطؤوا، فلهذا نبه عليه المؤلف.

أما ابن عربي فهو رئيس وحدة الوجود، وتصنيفه لكتابه «الهو» هذا من جهله وانحرافه، وأشد من ذلك وأكبر وأعظم دعوته إلى الوحدة، وأن الإله هو المألوه، وأن الإله والعبد واحد، والعبد هو المعبود، والخالق هو المخلوق، والرازق هو المرزوق، إلى غير ذلك من ضلالتهم التي لا يستطاع ذكرها، ولا يقوى اللسان والقلب على الكلام فيها لقبحها وضلالها.

فالحاصل أن ابن عربي من الضلال، وممن كفره جمع من أهل العلم لضلاله وتلبيسه، ودعوته إلى وحدة الوجود وأشياء في كتبه خبيثة لا ينبغي ذكرها، نسأل الله العافية، وله كتاب «الفتوحات»، و كتاب «الفصوص»، وهو من غلاة المتصوفة ومن أئمتهم في الشر والكفر والضلال، نسأل الله العافية.

۞ قوله: (كُلُّ عبادِك يقولون هذا) هكذا ثَبَت بخطِ المصنِّفِ[١]: «يقولون» بالجمع مراعاةً لمعنى كلّ، والذي في الأصولِ «يقول» بالإفرادِ مراعاةً لِلَفظِها دونَ معناها، لكن قد روى الإمامُ أحمدُ عن عبدِ الله بنِ عمرٍو هذا الحديثَ بهذا اللفظِ الذي ذكرَه المصنِّفُ وأطولَ منه[٢].

وفي «سنن النسائي» والحاكم و«شرح السنة» بعدَ قولِه: (كلُّ عبادِك يقولون هذا): «إنما أريدُ شيئاً أن تَخُصَّني به»[٣] أي: بذلكَ الشيءِ من بين عُمومِ عِبادك[٤]. [١١٧]

[شرح١١٧] يعني: شيئاً زائداً على الناس، ظن موسى أن هناك شيئاً يفوق «لا إله إلا الله» ويفضل عليها، فأراد أن يخصه ربه بذلك؛ لأن لا إله إلا الله يقولها المسلمون، فطلب عليه الصلاة والسلام =

---

(١) في المخطوطة: أثبت بخط المصنف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١٠٦٠٢) و(١٠٩١٣)، و«المستدرك» للحاكم (١/ ٥٢٨)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢٧٣).

(٤) ص٥٧-٥٨.

....

= مزيداً من العلم والفضل، ثم أيضاً العدول عما شرعه الله إلى لفظ ما شرعه الله*.

---

* س: ما صحة هذا الحديث؟

ج: جيد، أسانيده جيدة.

س: ما حكم ما يقوله بعض الناس عند سماع القرآن: الله الله؟

ج: يقوله بعض المصريين، وليس له أصل، فالمشروع عند سماع القرآن السؤال عند آية الرحمة، والتعوذ عند آية الوعيد، وتسبيح الله وتقديسه عند ذكر الأسماء سبحان الله، والله أكبر، أما «الله الله» وحدها فلا تنفع.

س: يقولون ذلك عند القرآن وعند الأغاني.

ج: الله المستعان.

۞ فإنَّ من طَبْعِ الإنسانِ ألّا يفرحَ فرحاً شديداً إلّا بشيءٍ يختصُّ به دون غيرِه؛ كما إذا كانت عندَه جوهرةٌ ليست موجودةً عندَ غيرِه. مع أن من رحمةِ الله وسُنَّتِهِ المطَّرِدَةِ أن ما اشتدَّت إليه الحاجةُ والضرورةُ، كان أكثرَ وجوداً كالبُرِّ والملحِ والماء ونحو ذلك، دون الياقوتِ واللؤلؤ(١). [١١٨]

[شرح١١٨] هذا من رحمة الله جل وعلا، ما كانت الضرورة إليه أشدّ والحاجة إليه أمسّ، يسَّره الله لعباده، وجعله منشوراً ورخيصاً حتى يتناوله الفقير والغني، بخلاف ما ليس له ضرورة فإنه قد يكون موجوداً ولكنه قليل؛ لأنه لا ضرورة إليه، وقد يكون غالياً أيضاً كالياقوت والجوهر واللآلئ الطيبة، والذهب وأشباه ذلك، فالماء ضرورة لا يستغني عنه أحد فجعله ميسراً بحمد الله، وهكذا البُرّ والتمر والملح وأشباه ذلك، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) ص٥٨.

۞ ولـمّا كان بالناسِ، بل بالعالمِ كلِّه من الضرورةِ إلى «لا إلهَ إلا اللهُ» ما لا نهايةَ في الضرورةِ فوقَه، كانت أكثرَ الأذكارِ وجوداً، وأيسرَها حصولاً وأعظمَها معنًى، والعوامُّ والجُهَّالُ يعدلون عنها إلى الأسماء الغريبةِ والدعواتِ المُبتدَعَةِ التي لا أصلَ لها في الكتاب والسُّنَّةِ؛ كالأحزابِ والأورادِ التي ابتدعَها جهلةُ المتصوِّفةِ[1]. [١١٩]

[شرح١١٩] ولكن مع كثرتها ومع وجودها بالنسبة للمسلمين قَلَّ من يفقهونها ويفهمون معناها جيداً، ويفهمون أنها تبطل الآلهة، أي: لا معبود من دون الله، وأنها توجب أن يكون الله هو المعبود بحق ﷻ، وكان الكفرة من قريش وغيرهم يفهمونها أكثر من كثير من الناس اليوم؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يعنى بالمعنى ولا بالحقائق، إنما يكتفي بمجرد الأشياء الظاهرة، والألفاظ السائرة من غير عناية؛ لأنه مشغول عنها بأشياء أخرى، مشغول عنها بدنياه وحاجاته وشهواته والتوسع فيما لا ينفعه، بل قد يضره كثيراً.

وأما الخُلَّصُ من الناس وأهل البصائر، فهم يعنون بالـمعاني =

---

(١) ص٥٨.

....

= والحقائق أكثر مما يعنون بالألفاظ والأشياء الظاهرة؛ لأنهم يعلمون أن المقصود الحقائق، وليس المقصود المظاهر، فلذلك تجد المؤمن، وطالب العلم يعنى بتدبر الآيات والإقبال على معانيها، ويخشع عند تلاوتها، ويعنى بالأذكار الشرعية أكثر مما يعنى غيره بذلك*.

---

* س: هل يستطيع المسلمون أن يمنعوا كتب المتصوفة؟

ج: بالنسبة إلى بلادنا كل كتبهم ممنوعة، أما في البلاد الأخرى ففيها الشرك الأكبر ظاهر، فماذا يمنعون، المقصود أنها كلها ممنوعة، ككتاب «فصوص الحكم» ففيه كفر شديد، وغيره.

س: هل لفظ التصوف لفظ إسلامي أم مبتدع؟

ج: لا أعرف، وأظنه مبتدعاً، لكنه اشتهر بين الناس، وأطلق عليهم، واشتهروا وعرفوا به، ولو كان مبتدعاً، فما دام قد عرفوا به وشاع بينهم، وتسموا به فيسمون به.

س: هل نختار لفظاً أحسن منه؟

ج: إن هداهم الله وتابوا سموا بالاسم الطيب، وما داموا على العمل الرديء فيسمون باسمهم.

س: ما مرادكم بكلمة «مستقيمين» التي يذكرها شيخ الإسلام وتتردد في كتبه؟ =

....

= ج: المستقيمون هم أهل الزهد، وما هم بأهل التصوف، من كان مثل بشر الحافي والفضيل بن عياض وأشباه هؤلاء فهم أهل الزهد والعبادة، وكانوا قبل بدعة التصوف، فيقال لهم: الزهاد والعباد.

س: لا ينبغي إطلاق كلمة التصوف والصوفية على العلماء؟

ج: المعروفون بخير يقال لهم: العباد والزهاد، ولا يقال لهم: الصوفية، إنما يقال: الصوفية، لأهل البدع الذين اخترعوا أشياء جديدة.

س: بعض الأشياء المبتدعة مذكورة عن الجنيد.

ج: ليس كل ما يذكر عن الناس صحيحاً، فلا بد من مطالعة الأسانيد، والجنيد ـ رحمه الله ـ معروف أنه يقول: علمنا مقيد بالكتاب والسنة، ومن لم يعتن بالكتاب والسنة فليس منا.

س: لكن روي عنه كرامات زائدة.

ج: ما صح عنه من الكرامات فلا يستنكر، أهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء إن صحت.

۞ قوله: (وعامِرَهُنَّ غيري) هو بالنصب، عطفٌ على السماواتِ، أي: لو أن السماواتِ السبعَ ومن فيهنَّ مِن العُمّارِ غيرَ الله، والأرضينَ السبعَ ومن فيهنَّ وُضِعوا في كِفَّةٍ و«لا إلهَ إلا اللهُ» في الكِفَّةِ الأُخرى مالَت بهنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. [١٢٠]

[شرح١٢٠] قوله: «غيري» لما كانت السماوات في العلو فناسب أن يقول: «غيري»، وهو سبحانه ليس في السماوات، فليس بداخلها لكنه في العلو، وأتى بـ«غيري» لرفع التوهمات، حتى لا يتوهم أحد أنه داخل في هذا، وهو فوق السماوات سبحانه، وفوق العرش جل وعلا، ليس داخل السماوات، ولكنه فوق السماوات، فوق العرش جل وعلا.

وقوله: «مالت» يعني: رجحت.

---

(١) ص٥٨.

۞ وروى الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو عن النبيِّ ﷺ: أن نوحاً عليه السلام قال لابنِه عندَ موتِه: آمُرُكَ بـ«لا إلهَ إلا اللهُ» فإن السماواتِ السَّبعَ، والأرضِينَ السَّبعَ، لو وُضِعَت في كِفَّةٍ و«لا إلهَ إلا اللهُ» في كِفَّةٍ، لرجَحَت بهنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ» ولو أن السماواتِ السَّبعَ، والأرضِينَ السَّبعَ، كُنَّ حَلقةً مُبهَمةً، قَصَمَتهُنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ»(١).

وفيه دليلٌ على أنَّ الله تعالى فوقَ السَّماواتِ(٢). [١٢١]

[شرح١٢١] وهذا يبين عظم شأن «لا إله إلا الله» عند الرسل قديماً وحديثاً، وهي أعظم الكلام، وأفضل الكلام، وذلك في حق من اعتقد معناها وعرفه، فلا يحصل المقصود بمجرد قول: «لا إله إلا الله» لكل أحد، وذلك بإجماع أهل العلم قاطبة، ولكن هذا في حق من قالها عن عقيدة وعن بصيرة وعن العمل بمقتضاها، فإنها ترجح بجميع سيئاته، وترجح بهذه المخلوقات، وهذا بإجماع أهل العلم قاطبة. =

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٢) ص٥٨.

....

= وذكر السماوات والأرض من باب تمثيل الأشياء المعنوية بالأشياء المحسوسة، حتى يفهم وجه فضلها، وأنها أفضل الكلمات على الإطلاق.

ومن هذا حديث أبي هريرة في «الصحيحين» واللفظ لمسلم: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شُعبةً وأفضلها قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ»[١]، فهذه الكلمة هي أفضل الكلام الذي ينطق به البشر ويتكلم به الناس، وهي أصل الدين، وأساس الملة، وهي أصل الإسلام الذي بعث الله به الرسل جميعاً.

وأصل ذلك أن يعبد الله وحده، وأن لا يشرك به ﷻ، هذا أصل الإسلام الذي بعث الله به الرسل جميعاً: أن يعبد الله وحده دون كل ما سواه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

هذا معنى (لا إله إلا الله): أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥) (٥٨).

....

= أي: وحدوا الله، وابتعدوا عن عبادة الطاغوت، معناها: لا معبود بحق إلا الله.

فهي تثبت التوحيد والعبادة لله وحده، وتنفي العبادة عن غير الله جل وعلا؛ ولهذا صارت أعظم الكلام وأفضله، وكان لها هذا الرجحان.

أما من يقولها على غير بصيرة وعلى غير علم، ومن يقولها على غير عقيدة لها، وإنما يقولها مجاملة للناس، أو رياء كالمنافقين، فلا تزن شيئاً عند الله جل وعلا، ولا تنفعه عند الله شيئاً؛ لأنه قالها عن غير عقيدة، ولا اعتقاد لمعناها، ولا عمل لمقتضاها، فلا تزن عند الله جناح بعوضة، ولا تنفعه عند الله ﷻ؛ لأنه قد كفر بمعناها، وحاد عنها، وضل عنها، نسأل الله العافية*.

---

* س: ما درجة حديث الإمام أحمد؟

ج: ما راجعت سنده، ولا أتذكر هذا، لكن سكوت المؤلف يدل على أنه جيد، فإن أحمد رواه عن سليمان بن حرب ـ رحمه الله ـ من أهل الحديث، وهو يعتني به. =

....

= **س: لو أن أحدهم قال: لا إله إلا الله، وهو لا يصلي، هل تنفعه؟**

ج: إن قالها ولم يصل، فما أدى حقها، فيكفر بذلك عند جمع من أهل العلم، وهو المعروف عن الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ أن ترك الصلاة كفر أكبر وردة عن الإسلام.

ومن ارتدَّ عن الإسلام لم ينفعه قول: لا إله إلا الله، مثل لو جحد وجوب الصلاة، أو سب الرسول، أو سب الدين، فلا ينفعه قول: لا إله إلا الله، وهذه قاعدة: أن كل من أتى بناقض من النواقض، فلا ينفعه قول: لا إله إلا الله.

س: من قال: إن مسيلمة، أو الأسود العنسي، أو فلاناً، نبي بعد محمد، فهل تنفعه صلاته وصومه؟! وهل ينفعه قول: لا إله إلا الله؟!

ج: جاء في الحديث قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[1]، وجاءت آيات وأخبار أخرى تدل على هذا المعنى أيضاً، بسطها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب «الصلاة وحكم تاركها»، لكن المسألة خلافية بين أهل العلم، فقال بعض أهل العلم: لا يكفر بذلك إلا كفراً دون كفر، لكن أرجح القولين في شأن تارك الصلاة أنه كفر أكبر وردة نعوذ بالله.

س: ما المقصود من قوله عن الصلوات الخمس أن من تركها فإن الله =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٨٢).

....

= إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؟

ج: المعروف في الرواية أنه من لم يحافظ عليها لا من تركها بالكلية.

س: ما معنى قول الجارية عندما سألها النبي ﷺ فقالت: في السماء[(١)]؟

ج: إنه في العلو و«في» مفسرة على وجهين: أحدهما: بمعنى الظرفية فيكون معناه: على السماء، أي: «في» بمعنى «على».

والقول الثاني: أن المراد بالسماء هنا العلو؛ أي: جنس العلو مطلق على بابها الظرفية، فالمعنى لفظ العلو ﷻ مع أنه قال: على العرش وغيره، أو معنى في السماء يعني: على السماء يعني: فوق العرش كما في قوله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: على الأرض؛ فإن «في» تأتي بمعنى «على».

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧).

۞ قولُه: «في كِفَّةٍ» بكسر الكاف وتشديد الفاء، مِن كِفَّةِ الميزانِ، قال بعضهم: ويُطلَق لكلِّ مُستديرٍ.

قوله: «مالَت بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ» أي: رَجَحَت عليهنَّ، وذلك لما اشتملَت عليه من توحيدِ الله الذي هو أفضلُ الأعمالِ، وأساسُ المِلَّةِ، ورأسُ الدينِ، فمن قالها بإخلاصٍ ويقينٍ، وعمل بمقتضاها ولوازِمها، واستقامَ على ذلك، فهو من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت][1]. [١٢٢]

[شرح١٢٢] وهنا ينبغي أن ينتبه لهذا الشرط الذي حصل به هذا الخير العظيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فكثير من =

---

(١) ص٥٨.

....

= الناس يقول ويتكلم كثيراً، ولكن لا يستقيم على ما قاله، بل يقول ولا يفعل كالمنافقين، فلا يحصل على هذا الوعد العظيم، وإنما يحصل هذا الوعد لمن قال: ربي الله، يعني: إلهي ومعبودي الله ﷻ، ثم استقام على ذلك بالعمل الصالح بأداء الفرائض، وترك المحارم والوقوف عند الحدود، هذا هو الموعود بها بالخير العظيم.

فأما من قال: ربي الله، ثم عبد غيره، أو قال: ربي الله، ثم عطل حقه، فلا يحصل له هذا الوعد، وفي الآية الأخرى آية الأحقاف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف]، فلا بد من العمل ولا بد من الاستقامة.

والآيات في هذا المعنى لا تحصى، فمنها قوله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] ثم فسر من هم وبين أعمالهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

فالإيمان يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله =

....

= عنه ورسوله، والتقوى كذلك، فجمع بينهما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أي: آمنوا بالله ورسوله، وحفظوا هذا الإيمان بتقوى الله، بأداء فرائضه، وبترك محارمه، وبالوقوف عند حدوده.

هؤلاء هم أولياء الله، وهم أصحاب الجنة، وهم أهل الاستقامة، بخلاف أهل الانحراف، كالمنافقين الذين قالوها باللسان، ولكن حادوا عنها بالقلب والعمل، وكذلك أهل الفجور والمعاصي قالوها باللسان وأدوا بعض معناها، ولكن لم يؤدوا حقها كاملاً، بل تخلفوا عن ذلك باتباع الشهوات والأهواء.

۞ والحديثُ يدلُّ على أن «لا إلهَ إلا اللهُ» أفضلُ الذكرِ، كما في حديثِ عبدِ الله بنِ عمرٍو مرفوعاً: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عَرَفةَ، وخيرُ ما قلت أنا والنبيُّون مِن قَبلي: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». رواه أحمد والترمذي(١).

وعنه أيضاً مرفوعاً: يُصاحُ برجلٍ مِن أُمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فيُنشَرُ له تسعةٌ وتسعونَ سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ منها مَدَّ البَصَرِ، ثم يُقال: أَتنكِرُ من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقال: أَلكَ عُذرٌ أو حسنةٌ؟ فيهابُ الرجلُ فيُقال: لا. فيقال: بلَى، إن لكَ عندَنا حسناتٍ، وإنه لا ظلمَ عليكَ، فتخرُجُ بطاقةٌ فيها «أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه» فيقول: يا ربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلاتِ؟! فيقال: إنكَ لا تُظلَم. فتُوضَع السجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السجلاتُ وثَقُلَت البطاقةُ. =

---

(١) أحمد (٢/ ٢١٠)، والترمذي: الدعوات (٣٥٨٥).

= رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنَّسائيُّ، وابنُ حِبّان، والحاكم[1]، وقال: صحيح على شرطِ مسلمٍ، وقال الذهبيُّ في «تلخيصه»: صحيح.

قال ابنُ القيِّم: فالأعمالُ لا تتفاضلُ بصوَرِها وعَدَدِها، وإنما تتفاضل بتفاضلِ ما في القلوب، فتكون صورةُ العملِ واحدةً وبينهما من التفاضلِ كما بين السماءِ والأرضِ.

قال: تأمَّل حديثَ البطاقةِ التي تُوضَع في كِفَّةٍ ويقابلُها تسعةٌ وتسعونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصرِ، فتثقُل البطاقةُ وتطيشُ السجلاتُ، فلا يُعذَّب، ومعلوم أن كلَّ مُوَحِّدٍ له هذه البطاقةُ، وكثيرٌ منهم يدخلُ النارَ بذنوبِه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «ما قالَ عبدٌ: لا إلهَ إلا اللهُ، مُخلصاً قطُّ، إلا فُتِحَت له أبوابُ السماءِ حتَّى تُفضِيَ إلى العرشِ، ما اجتُنِبَت الكبائرُ»[2]. =

---

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه»: الإيمان (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك»: الإيمان (١/ ٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٠١).

= رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنسائيُّ، والحاكم، وقال: على شرط مسلم[1]. [١٢٣]

[شرح١٢٣] هذا المعنى صحيح، فهذه الأمور كلها ثابتة بالنص والإجماع، ومنها ما رواه مسلم في «الصحيح» أيضاً: «الصلواتُ الخَمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ لما بَينهُنَّ إذا اجتنبَ الكبائرَ»[2] .

ومنها حديث عثمان في «الصحيح» لما توضأ فأخبره عليه الصلاة والسلام أنه إذا صلى بعد هذا الوضوء ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه[3]. وذلك إذا لم تصب المقتلة، أي: ما لم يأت كبيرة.

فالحاصل أن ما ورد من الفضائل، والوعد بالجنة والكرامة، هو مقيد بقيود منها عدم الإصرار على الكبائر، فإذا أصر على الكبائر فليس هذا الوعد محتوماً ولا مضموناً، فيكون تحت مشيئة الله. =

---

(١) ص٥٨-٥٩.

(٢) أخرجه مسلم: الطهارة (٢٣٣).

(٣) انظر ما أخرجه البخاري: الوضوء (١٥٩)، ومسلم: الطهارة (٢٢٦) و(٢٢٨).

....

= فقد يعفى عنه لأسباب مثل أعمال صالحة، وفضل رحمة الله وإحسانه، وقد لا يعفى عنه لسوء أعماله، ولتقصيره في العمل الصالح، ولسيئاته التي مات عليها، فيعذب على حسب أعماله، قد يعذب مدة طويلة، وقد يعذب مدة قليلة، وقد يكون عذابه إلى كعبه أو إلى ركبته أو إلى حقوه، كما جاء في الحديث[١].

فالمقصود أن أهل الكبائر معرضون للوعيد عند أهل السنة والجماعة ولو قالوا: «لا إله إلا الله» صباحاً ومساءً، حتى تكون هذه الكلمة محققة لمحو سيئاتهم، بالعناية بها والإقبال عليها، وتحقيق معناها بترك الإصرار على المنكر.

وأما من قالها مع الغفلة والإعراض ومتابعة الشهوات، ما حقق معناها، ولم يؤدها كما ينبغي، ولم يؤد حقوقها، فلا تكون هذه الكلمة طارحة للسيئات، ولا تكون هذه الكلمة موجبة لدخول الجنة من أول وهلة، فقد يعذب.

هذا مجمع عليه، والنصوص دلت على ذلك، والنص القرآني =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣).

....

= فيه الدلالة على أن أنواعاً من الشرك تحت المشيئة، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن كثيراً من العصاة يدخلون النار ويحترقون فيها، وأنهم يخرجون منها بعد ذلك كالحمم ضبائر ضبائر وكعيدان السماسم[١]، ويلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السيل[٢]، هذا كله واضح في دخولهم النار ثم إخراجهم منها[٣].

وحديث البطاقة[٤] من هذا الباب؛ فإنَّ صاحب البطاقة لم يعذَّب لأنه أتى بهذه الشهادة على وجه أدى فيه حقوقها، فصارت =

(١) السماسم: جمع سمْسم، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤْخذ حبها دقاقاً سوداً كأنها محْترقة، فشبه بها هؤلاء الذين يخرجون من النار وقد امتحشوا. النهاية في غريب الحديث، مادة (سمسم).

(٢) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. النهاية في غريب الحديث، مادة (حمل).

(٣) انظر ما أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣ - ١٨٥) و(١٩١)(٣٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

....

= هذه الشهادة محرقة لسيئاته، متضمنة لتوبته منها وإقلاعه عنها، بصدقه في هذه الكلمة وعنايته بها، حتى صارت هذه الكلمة راجحة لسيئاته الكثيرة؛ لأنه أداها في آخر حياته، وعند موته عن صدق وعن إخلاص وعن ندم وعن إقلاع وعن توبة من سيئاته التي بلغت تسعة وتسعين سجلاً.

والنصوص تفسر بعضها بعضاً، ويوضح بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها بعضاً، ومن أخطأ هذا الطريق وترك هذا السبيل الذي سلكه أهل العلم؛ لم يستقم له فهم النصوص، ولم يعرف مراد الله مما أمر الله به عباده ﷺ، وقد يفضي به ذلك إلى سوء الظن بالله، وإلى الحكم بتناقض الأدلة فيهلك بهذا، نسأل الله العافية.

۞ قوله: «رواهُ ابنُ حِبّان والحاكمُ»، (ابنُ حِبّان) اسمه محمد ابن حبّان، بكسرِ المهملةِ وتشديد الموحَّدَةِ، ابن أحمدَ بن حبان، أبو حاتم التَّمِيميُّ البُستِيُّ الحافظ، صاحب التصانيف كـ«الصحيح» و«التاريخ» و«الضعفاء» و«الثقات» وغير ذلك، قال الحاكم: كان مِن أَوعيةِ العلمِ في الفقهِ واللغةِ والحديثِ والوعظِ، ومن عقلاءِ الرجالِ، مات سنة أربع وخمسين وثلاثِ مئَة بمدينةِ بُسْتٍ، بالمهملة[1]. [١٢٤]

[شرح١٢٤] «بست» مدينة بخراسان، وهو شيخ الحاكم*.

* س: هل كان لابن حبان منهج متميز في الجرح والتعديل؟

ج: لا شك في ذلك، ولكنه تساهل في الجرح والتعديل.

س: حتى في شيوخه؟

ج: هذا الحكم عامٌّ في شيوخه وغيرهم.

س: ذكر عبد الرحمن اليماني صاحب «التنكيل» أن في شيوخه من لا يقبل منه.

ج: هذا يحتاج إلى تتبع أيضاً، قوله هذا مطلق على كل حال، ولكن =

---

(١) ص٥٩.

....

= يحتاج إلى تتبع، فمن تتبع كتبه تتضح له حقيقته.

س: توثيق ابن حبان لا يؤخذ به؟

ج: يستأنس به، ولكن لا يعتمد عليه في المفردات، فإذا انفرد في شيء لا يعتمد عليه؛ لأنه عرف بالتساهل رحمه الله، ولا سيما إذا كان من وثقه يخالف بالمعروف فيكون الأمر أشد.

۞ وأما (الحاكمُ) فاسمُه محمدُ بنُ عبدِ الله بن محمد الضَّبِّيُّ النَّيسابوريُّ، أبو عبد الله الحافظُ، ويعرف بابن البَيِّعِ، وُلِدَ سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وصنَّفَ التصانيفَ كـ«المستدرك» و«تاريخ نيسابور» وغيرهما، ومات سنة خمس وأربع مئة(١). [١٢٥]

[شرح١٢٥] رحمة الله عليه، كذلك الحاكم أيضاً معروف بالتساهل مثل ابن حبان شيخه، وابن خزيمة كذلك، ولكنه أحسن منهما جميعاً.

---

(١) ص٥٩.

۞ قال: وللترمذيِّ وحسَّنه عن أنسٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، لو أَتيتَني بقُرَابِ الأرضِ خَطَـايا، ثم لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئاً، لأَتيتُكَ بِقُرَابها مغفرةً»[1]. [2]*

---

* س: القسم الأخير أو القسم الثالث الذي ذكرت أنه يؤدي إلى الكفر والضلال الذي هو التقليد وما بينته أثابكم الله؟

ج: هو تقليد الكفرة فيما هم عليه، وهذا بالنظر لما جاء به الإسلام، فيقلد الكفرة في أعمالهم المبطلة وأعمالهم الباطلة، ولا يبالي، ولا ينظر في الدليل، ويقول: يكفي ما هم عليه من عبادة البدوي، أو عبادة فلان أو فلان أو فلان، فهم أعلم منا وأحسن منا، مثلما فعل اليهود والنصارى مع رؤسائهم، فأكثرهم لا يعقل ولا يعلم، وإنما تابعوا الرؤساء.

نعم، النبي ﷺ لما قاتل الروم وقاتلهم الصحابة لم يقل لكل واحد قابله: هل قام عليك الدليل؟ بل رؤساؤهم لما عاندوا تابعهم جماعتهم، وهكذا فارس؛ قاتلهم المسلمون لما أبى رؤساؤهم الدخول في الدين الحق، فالعامة تتبع رؤساءها.

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) ص٥٩.

۞ التِّرمِذيُّ: اسمُه محمدُ بنُ عيسى بن سَوْرة ـ بفتح المهملة ـ بن موسى بن الضَّحّاك السُّلَميُّ، أبو عيسى، صاحب «الجامع» وأحدُ الأئمةِ الحفاظِ، كان ضريرَ البصر، رَوَى عن قُتَيبةَ وهَنّادٍ والبخاريِّ وخَلقٍ، ومات سنة تسع وسبعين ومئَتين.

وأنسٌ: هو ابنُ مالكِ بنِ النَّضرِ الأنصاريُّ الخَزْرجيُّ، خادمُ رسولِ الله ﷺ، خدمَه عشرَ سنينَ، ودعا له النبيُّ ﷺ فقال: «اللهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه وأدخِلْه الجنةَ»[1]. ومات سنة اثنتين ـ وقيل: ثلاث ـ وتسعين، وقد جاوَزَ المئةَ.

والحديثُ قِطعةٌ من حديثٍ رواه الترمذيُّ من طريقِ كثيرِ بنِ فائدٍ، قال: حدَّثنا سعيدُ بنُ عُبَيدٍ، سمعتُ بكرَ بنَ عبدِ الله المُزَنيَّ، يقول: حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، إنكَ ما دَعَوتَني ورجَوتَني غفرتُ لكَ على ما كانَ منكَ ولا =

(١) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢٥٥).

= أُبالي، يا ابنَ آدمَ، لو بَلَغَت ذُنوبُكَ عَنانَ السماءِ، ثم استَغفَرتَني غَفَرتُ لكَ، يا ابنَ آدمَ، لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ...» الحديث[1].

قال ابن رجب: وإسناده لا بأس به. وسعيدُ بنُ عُبيدٍ هو الهُنائيُّ، ذكرَه ابنُ حِبّان في «الثقات» وقال الدّارَقُطنيُّ: تفرَّد به كثيرُ بن فائدٍ عن سعيدِ بن عُبيدٍ مرفوعاً.

قال ابنُ رجبٍ: وتابعَه على رَفعِه أبو سعيدٍ مولى بني هاشمٍ، فرواه عن سعيدِ بن عُبيدٍ مرفوعاً، وقد رواه الإمامُ أحمدُ من حديثِ أبي ذَرٍّ بالمعنى[2]، وأخرجه الطبرانيُّ من حديثِ ابنِ عباسٍ، عن النبي ﷺ[3]، وروَى مسلم من حديث أبي ذَرٍّ عن النبي ﷺ، قال: «يقولُ اللهُ: مَن تقرَّبَ مِنِّي شِبراً تقرَّبتُ منه ذراعاً...» الحديث[4]. =

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦)، وفي «الأوسط» (٥٤٨٣).

(٤) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨٧).

= وفيه: «ومَن لَقِيَني بقُرابِ الأرضِ خَطيئةً لا يُشرِكُ بي شيئاً، لقِيتُه بقُرابِها مغفرةً».

قولُه: «لو أَتيتَني بقُرابِ الأرضِ» قُرابِ الأرضِ: بضم القافِ، وقيل: بكسرِها، والضمُّ أشهرُ، وهو مِلؤُها أو ما يقاربُ مِلْئَها.

قولُه: «ثم لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئاً» شرطٌ ثقيلٌ في الوعدِ بحصول المغفرةِ، وهو السلامةُ من الشِّركِ كثيرِه وقليلِه، صغيرِه وكبيرِه، ولا يسلَمُ من ذلك إلا من سَلَّمه اللهُ، وذلك هو القلبُ السليمُ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

قال ابنُ رَجَبٍ: مَن جاء مع التوحيدِ بقُرابِ الأرضِ خطايا، لقيَه اللهُ بقُرابِها مغفرةً، لكن هذا مع مشيئةِ الله ﷻ، فإن شاءَ غفرَ له، وإن شاءَ أخذَه بذنوبِه، ثم كان عاقبته أن لا يُخلَّدَ في النارِ، بل يخرجُ منها، ثم يدخلُ الجنةَ.

فإن كَمَلَ توحيدُ العبدِ وإخلاصُه لله تعالى فيه، وقام =

= بشروطِه بقَلبِه ولسانِه وجوارحِه، أو بقلبِه ولسانِه عندَ الموتِ، أوجبَ ذلك مغفرةَ ما سلَف من الذنوبِ كلِّها، ومَنعَه من دخولِ النارِ بالكليَّة.

فمن تحقَّق بكلمةِ التوحيدِ قلبُه أَخرجت منه كلَّ ما سوى الله محبةً، وتعظيماً، وإجلالاً، ومَهابةً، وخَشْيةً، وتَوكُّلاً، وحينئذٍ تُحرَقُ ذنوبُه وخطاياه كلُّها، ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ، وربما قَلَبتها حَسَناتٍ[1]. [١٢٦]

[شرح١٢٦] (وربما قلبتها حسنات) يعني: عند كمال التوحيد، وكمال اليقين، وكمال الإخلاص، تكون في ضمنها التوبة الصادقة، فالتوبة الصادقة يبدل الله بها السيئات حسنات، مثل ما قال ﷻ وقد ذكر الشرك والقتل والزنى، قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

فمن أتى بالتوحيد الخالص عن يقين، وعن إيمان، وعن إقلاع =

---

(١) ص٦٠-٦١.

....

= عن الذنوب، وترك لها، وحذر منها، وعن إيمان بوجوب الحذر منها، وعدم الإصرار عليها، صار ذلك كفارة لها، ومع ذلك يكون مكان كل سيئة حسنة.

فإذا تابع هذا الندم، وهذا الإقلاع، وهذا اليقين، وهذا الصدق، تابعه بالإيمان بما ينبغي والعمل الصالح، فإن الله جل وعلا يجعل مكان سيئاته حسنات؛ لأن هذه التوبة توبة صادقة وتوبة عظيمة، أتبعها صاحبها بإيمانه الصادق بما يجب الإيمان به، وبعمله الصالح الذي هو أداؤه الفرائض، وتركه المحارم، فصارت هذه التوبة تكفر السيئات، وفوق ذلك يكون مكان السيئات حسنات.

ﷺ فإن هذا التوحيدَ هو الإكسيرُ الأعظم[١]، فلو وُضِعَ منه ذرَّةٌ على جبالِ الذنوبِ والخطايا لقَلَبها حسناتٍ.

وقال شيخُ الإسلامِ: الشركُ نوعانِ: أكبرُ، وأصغرُ، فمَن خَلَصَ منهما وَجَبَت له الجنةُ، ومَن مات على الأكبرِ وَجَبَت له النارُ، ومَن خَلَصَ من الأكبرِ، وحصلَ له بعضُ الأصغرِ مع حسناتٍ راجحةٍ على ذنوبه، دخلَ الجنةَ.

فإن تلك الحسناتِ توحيدٌ كثيرٌ مع يسيرٍ من الشركِ الأصغرِ، ومن خَلَصَ من الأكبرِ، ولكن كَثُر الأصغرُ حتى رجحَت به سيئاتُه دخلَ النارَ، فالشركُ يُؤاخذُ به العبدُ إذا كان أكبرَ أو كان كثيراً أصغرَ، والأصغرُ القليلُ في جانبِ الإخلاصِ الكثيرِ لا يُؤاخذُ به.

وفي هذه الأحاديث:

١- كثرةُ ثوابِ التوحيدِ.

٢- وسَعَةُ كرمِ الله، وجودُه، ورحمتُه؛ حيثُ وَعَدَ عبادَه =

---

(١) قال الشيخ: يعني: الدواء الأعظم، أو العلاج الأعظم.

= أن العبدَ لو أَتاه بِمِلءِ الأرضِ خطايا، وقد مات على التوحيد فإنه يقابلُه بالمغفرةِ الواسعةِ التي تَسَعُ ذنوبَه[1]. [١٢٧]

[شرح١٢٧] هذا مثل ما تقدم في حديثِ صاحب البطاقة، وصاحب التسع وتسعين سجلًّا[2]، وقد كان كل سجل مدّ البصر، ومع هذا فإن البطاقة الصغيرة التي فيها الشهادتان رجحت وطاشت السجلات، لما تقدم من يقينه وإخلاصه، فقد شهد هذه الشهادة عند موته، وعند خروج روحه، حتى كانت هذه الشهادة ماحية لهذه السيئات؛ لأنها صدرت عن إيمان، وعن إخلاص، وعن صدق، وعن ندم وإقلاع عن الذنوب، وعدم إصراره عليها، فصارت راجحة لجميع سيئاته.

والدليل على هذا أن الله جل وعلا أخبر أن العصاة موعودون بالنار، وأنهم على خطر من دخول النار، وأنهم تحت مشيئة الله ﷻ، وكلام الله لا يتناقض، وكلام رسول الله لايتناقض عليه الصلاة =

---

(١) ص٦١.

(٢) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

....

= والسلام، فوجب أن يكون هذا له معنى، وهذا له معنى.

فالتوحيد الذي يرجح على السيئات، ويوجب دخول الجنة من أول وهلة، ويحرم صاحبه على النار، إنما يكون كذلك إذا كان توحيداً ماحياً للسيئات، قاضياً عليها، محرقاً لها، لما اشتمل عليه من الصدق والإخلاص والإيمان والندم والإقلاع، حتى صار هذا التوحيد هو مجتمع التوبة الصادقة الماحية للسيئات القاضية عليها فيدخل الجنة من أول وهلة.

بخلاف التوحيد الناقص الذي معه شيء من الشرك الأصغر، أو شيء من الكبائر، فإنه يكون توحيداً ضعيفاً قد أهزلته الذنوب والسيئات، وقد أضعفته الخطايا، فيكون صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء أدخله الجنة بتوحيده وإخلاصه وغفر نقصه، وإن شاء ﷻ عذبه على قدر جرائمه من قتل، أو زنى، أو سرقة، أو عقوق، أو ربا، أو ما أشبه ذلك من المعاصي التي أوجبت له دخول النار.

ثم بعد دخوله النار وبعد تطهيره فيها على قدر أعماله السيئة، يكون مصيره إلى الجنة، فلا يخلد في النار موحد، والذي يخلد في =

....

= النار الكفار الذين ليس عندهم توحيد، بل ماتوا على الكفر بالله والشرك به، فهؤلاء المخلدون في النار، لا يخلد فيها موحد أبداً.

والموحدون المسلمون لهم حالتان:

الحالة الأولى: أن يموت على استقامة، وتوبة صادقة، وتوحيد كامل، فهذا له الجنة من أول وهلة.

الحالة الثانية: مات على التوحيد ولكن له ذنوب وسيئات من معاص ما تاب منها، فهذا تحت مشيئة الله عند أهل السنة والجماعة على ظاهر الآية الكريمة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٠].

فهذا إن شاء ربك عفا عنه برحمته سبحانه وجوده، وبسبب أعماله الصالحة وتقواه لله في أشياء كثيرة، وإن شاء عاقبه على قدر هذه السيئات، ثم بعدما يطهر منها ويمحص يخرج من النار، كما جاء في الأخبار المتواترة إلى نهر الحياة[١] كما قال في الحديث الصحيح: «سيخرجون منها ضبائر»[٢]، وفي لفظ: «كأنهم عِيدان =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣) و(١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٥).

....

= السماسم فيدخلون نهراً من أنهار الجنة»[1] يعني: قد احترقوا كالفحم، نسأل الله السلامة.

فالحاصل أنه لا بد من دخول بعض العصاة في النار، ولا يلزم من ذلك أنهم سيدخلون كلهم، فقد جاءت النصوص دالة على أن بعضهم قد يعفى عنه، فقد يرحم، وقد يسلم من النار بعفو الله سبحانه ورحمته جل وعلا لأسباب مات عليها، من توحيد، وإخلاص، وأعمال صالحة، أو شفاعة الشفعاء، كالرسول ﷺ وغيره من الشفعاء.

وقد لا تؤثر فيه هذه الأشياء، فتكون ذنوبه عظيمة، ومعاصيه كبيرة، فلا يطهره إلا التعذيب في النار، وبعدما يطهر فيها ويذهب عنه هذا الخبث، ثم يخرج منها إلى الجنة*.

---

* س: هل من خلص من الأكبر، وحصل له بعض الأصغر مع حسناته الراجحة على ذنوبه دخل الجنة؟

ج: نعم، إذا أصاب ذنوباً كأنْ يحلفَ بغير الله وما أشبه ذلك. =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٩١).

....

= س: هل يدخل الجنة ابتداء؟

ج: نعم، يدخل الجنة ابتداء؛ لأن حسناته صارت أكبر وأعظم، فرجح ميزان حسناته.

س: ما الحجة على هذا؟

ج: الآيات، قال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٢]، لأن الشرك الأصغر إذا غمر بالأعمال الصالحات والإكثار بالخيرات صار مغلوباً، فيغلب ميزان الحسنات.

۞ ٣- والرد على الخوارج الذين يكفِّرون المسلمَ بالذنوبِ، وعلى المعتزلةِ الذين يقولون بالمنزِلَةِ بين المنزِلَتينِ، وهي منزلةُ الفاسقِ، فيقولون: ليسَ بمؤمنٍ ولا كافرٍ، ويخلدُ في النار.

والصوابُ في ذلك قولُ أهلِ السُّنَّة: إنه لا يُسلَب عنه اسمُ الإيمانِ على الإطلاقِ، ولا يُعطاه على الإطلاقِ، بل يُقال: هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بكبيرتِه، وعلى هذا يدلُّ الكتابُ والسنةُ وإجماعُ سلفِ الأُمةِ[1]. [١٢٨]

[شرح١٢٨] وهذا هو الحق، والخوارج: طائفة خرجوا على أهل السنة والصحابة في زمن علي ﷺ، وأخبر عنهم ﷺ بأنهم يخرجون من الإسلام ثم لا يعودون إليه[2]، وحملهم على هذا اجتهادهم على غير أسس، فاجتهدوا وقدموا وغلبوا جانب الوعيد على جانب الرجاء، وقالوا: من عصى كفر. =

---

(١) ص٦١.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣١).

....

= وقالوا في الصحابة لما حصل ما حصل من الاختلاف بين أهل الشام وأهل العراق: إن هذه المعاصي وهذا القتال يوجب كفرهم، فكفروا الطائفتين، وكفروا علياً معهم أيضاً، ولم يزالوا بهذا الرأي.

ولما حَكَّم عليٌّ الرجلين في النظر في أمور المسلمين قالوا: كيف تحكمون الرجال في دين الله؟ وجهلوا هذه الأمور حتى حصل بهم ما حصل، ولم يزل بهم علي يدعوهم إلى الله جل وعلا، وأرسل إليهم ابن عباس يناظرهم حتى هدى الله به منهم جمعاً غفيراً.

فالحاصل أنهم غلب عليهم الشدة وجانب الوعيد والرهبة من أمر العاصي، حتى صاروا يكفرون المسلمين، ويضللونهم بالمعاصي، ويجعلونهم خالدين في النار بسبب المعاصي.

وأما المعتزلة فقد قاربوهم، وقالوا بمثل ما قالوا في الجملة: إنه مخلد في النار، لكن لم يجترئوا على التكفير، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فقالوا: يسمى فاسقاً، ولا يسمى مسلماً، ولا يسمى كافراً، فلا نعمل هذه ولا هذه، لا آيات الإيمان ولا آيات الكفر، ولكن نجعله في منزلة بين المنزلتين. =

....

= وهذا لا أصل له ولا أساس، فهو إما مسلم وإما كافر، والمسلم قسمان: مسلم مستقيم كامل الإسلام، ومسلم ناقص الإسلام ناقص الإيمان وهو الفاسق.

فالحاصل أنهم ضلوا في هذا الباب وغلطوا، أما أهل السنة والجماعة فوفقهم الله فقالوا: إذا كان له معاص وسيئات لا يتوب منها فهو ناقص الإيمان وضعيف الإيمان، لكن لا يكفر ولا يكون مخلداً في النار لو مات على هذه الحال، بل يكون تحت مشيئة الله ﷻ كما جاء في النصوص الدالة على أن العاصي تحت مشيئة الله جل وعلا*.

---

* س: ما ضابط الفسوق؟

ج: الفسوق هو المعصية، وقد يكبر، فالفسوق فسوقان، والظلم ظلمان، والكفر كفران، فقد يكون أكبر وقد يكون أصغر، فقد يكون شرك أكبر إذا كان عن كفر بالله، وأصغر إذا كان عن المعاصي، وهكذا الظلم.

س: أكل معصية كذلك؟

ج: إذا خرج عن الطاعة ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] لكن الفسوق فسوقان أكبر وأصغر، فالكافر فاسق لكن فسق أكبر، والزاني فاسق لكن فسق أصغر. =

....

= وهكذا يقال فيمن جحد الصلاة وجحد الآخرة: كافر، فاسق، ويقال فيمن مثلاً قصر في بعض الواجبات: فاسق، ولايسمى كافراً، وكذلك السارق والزاني والمرابي والعاق إلى آخره.

س: أيكون الذي يعصي الله على علم مثل الذي يعصي الله على جهل؟

ج: الذي يعصي الله على علم يكون عمله أكبر وأشنع مثل عمل اليهود، ومن يعصي الله على جهل ففيه تفصيل، فقد تقوم الحجة عليه، وقد يكون متساهلاً لا يسأل فيؤاخذ، وقد يكون يحب الحق ويريده وليس عنده بينة أو ما تيسر له من يسأله ويدله، فيعفى عنه.

س: هل الشيعة كفار؟

ج: الشيعة أقسام، منهم الكافر، ومنهم الفاسق، ومنهم غير ذلك، فالشيعة أقسام كثيرة قال بعضهم: اثنتان وعشرون فرقة، فالذين يعبدون أهل البيت، ويشتغلون بهم، وينذرون لهم، هؤلاء كفرة، والذين يقولون: إنهم يعلمون الغيب كذلك.

وأما الذين يقولون: إن علياً أفضل من أبي بكر الصديق ومن عمر فقط، وليس عندهم تكفير ولا غلو في أهل البيت، بل مجرد تفضيل، فلا يكونون كفاراً.

س: والذين يسبون أبا بكر وعمر؟

ج: السب فسق. =

....

= س: منهم من يقول: إن الرسالة كانت نازلة على عليّ فأخطأ جبريل وأنزلها على محمد؟

ج: هؤلاء المخوَّنة؛ خونوا جبرائيل، وهم من أكفر الناس عند أهل السنة والجماعة.

س: والذين لا يُصلُّون جماعة بل فرادى ويقولون: لا بد من إمام معصوم؟

ج: هذه معاصٍ، وهؤلاء من الشيعة الغُلاة، وهذا فسق.

س: والذين يقولون بأن القرآن ناقص؟

ج: هذا كفر أكبر، فالقرآن محفوظ، وقد كذبهم الله وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقولهم هذا تكذيب لقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

س: ما درجة حديث: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»؟

ج: لا أذكر حاله الآن، ولكن أعرف أنه ثابت من دعاء النبي ﷺ لأنس قوله: «اللهمَّ أكثِر ماله وولده»، ثابت في «الصحيحين»[1]، ولكن هذه الزيادة: «وأدخله الجنة» لا أذكر من رواها[2].

---

(١) البخاري: الدعوات (٦٣٣٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٠).

(٢) هي عند عبد بن حميد في «مسنده ـ المنتخب» (١٢٥٥).

۞ وقال المصنِّفُ: تأمَّل الخمسَ اللواتي في حديثِ عُبادةَ(١)؛ فإنك إذا جمعتَ بينه وبين حديثِ عِتبانَ(٢) تبيَّن لكَ معنى قولِ «لا إلهَ إلا اللهُ» وتبيَّن لك خطأُ المغرورِينَ(٣). [١٢٩]

۞ وفيه أنَّ الأنبياءَ يَحتاجُون للتنبيهِ على معنى قولِ: «لا إلهَ إلا اللهُ»(٤). [١٣٠]

[شرح١٢٩] جاء في حديث عبادة وعدٌ على التوحيد بالجنة(٥)، وفي حديث عتبان أن الله حرم على النار من قالها يبتغي بها وجه الله(٦)، فلا بد من الإيمان والإخلاص وقصد وجه الله ﷻ، فلو قالها بمجرد اللسان من غير إيمان وبلا قصد كالمنافقين، لا ينفعه.

[شرح١٣٠] كما وقع لموسى فإن موسى ظن أن هناك شيئاً يمكن =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم: الإيمان (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٣) ص٦١.

(٤) ص٦١.

(٥) سلف في الفقرة [٧٦]، ص٢٣٧.

(٦) سلف في أول الفقرة [١١٣]، ص٣٣٩.

....

= تخصيصه به زيادة على قول لا إله إلا الله[1]، فبيَّن الله له أن «لا إله إلا الله» هي الرأس والأساس، وليس شيء فوقها مع الإيمان والتصديق، والقول والنطق بها عن يقين وعن إخلاص هو أفضل الكلام، ومن قال بها بصدق وإخلاص فهو في منزلة عالية.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: التاريخ (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»: الدعاء (١/ ٥٢٨). وانظر الحديث ص٣٥٥.

۞ وفيه التنبيهُ لرُجْحانِها بجميع المخلوقاتِ، مع أن كثيراً ممن يقولُـها يَخِفُّ ميزانُه[1]. [١٣١]

[شرح١٣١] لأنهم ما أَتوا بها على إخلاص، فقد يقولونها ويدخلون النار كالمنافقين، فهناك فرق بين القلوب؛ فقد يكون الشخصان يقولان كلاماً ويعملان أعمالاً، وبينهما مثل بين السماء والأرض وأعظم من ذلك، فبالإيمان والإخلاص والصدق يختلف أهل الجنة عن أهل النار بسبب تفاوت الأعمال، وتفاوت ما في القلوب من الصدق والإخلاص والإذعان.

---

(١) ص٦١.

۞ وفيه أنكَ إذا عرفتَ حديثَ أنسٍ[1] عرفتَ أن قولَه في حديثِ عِتبانَ: «إنَّ اللهَ حرَّم على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ الله»[2]، أنه تَركُ الشِّركِ، ليس قولَها باللسانِ. انتهى ملخصاً[3]. [١٣٢]

[شرح١٣٢] يبتغي وجه الله، المراد به ترك الشرك، وفي حديث أنس: «لا تشرك بي شيئاً»، وحديث أبي ذر: «لا يُشرِك بي شيئاً»[4]، ومعنى يبتغي بها وجه الله أن يكون عن إخلاص وصدق لا شرك معه، فهذا هو الذي حَرُمَ على النار، فالمراد ترك الشرك، وليس المراد قولها باللسان*.

---

* س: ما حكم من قال: أنا كافر، أو أنا يهودي، وما أشبه ذلك؟

ج: هذا كفر وردة عن الإسلام، أن يقول: أنا كافر أو يهودي، هكذا مطلقاً، يحكم بكفره، وكذلك إذا قال: كلام الإنجليز أو طرائقهم أحسن =

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧) (٣٣).

(٣) ص٦١.

(٤) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨٧).

....

= من الإسلام، أو أحسن من القرآن.

س: ولو قال: إنما كنت أمزح؟

ج: وإن، فالمزاح بالكفر كفر ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥- ٦٦].

س: وإذا قال: لم أقله من قلبي؟

ج: ولو، فلو تكلم بالكفر فهو كافر، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، يبلغ عنه ولاة الأمور فيستتيبوه فإن تاب ورجع إلى الله وآمن وكذب نفسه فهذا يسلم، وإن لم يتب يقتل ويموت كافراً مرتداً.

س: لو أن أحداً ثبت عنه أنه يسب اللهَ أو يسب من خلق هذه، يعني: يسب الله، ما حكمه؟

ج: هذا يقتل بلا استتابة.

س: من يقتله؟

ج: ولي الأمر؛ يرفع عليه دعوى بشهادة الشهود في المحكمة، والمحكمة تقتله، أو ترفعه إلى ولي الأمر فيقتله، يعني: بشهادة الشهود، وهذا شرعي، يحضر إلى ولي الأمر ويحضر من سمعه كمدع، ويحضر الشهود الذين سمعوه، والمحكمة تقتله.

والصحيح أنه لا يستتاب، وإن كان بعض أهل العلم قال: إنه يستتاب، ولكن الصحيح أنه لا يستتاب؛ لأن هذا أردع للناس عن هذا =

....

= الشر العظيم والفساد الكبير، ولأن النبي ﷺ لما بلغه أن رجلاً قتل جاريته لأنها سبت النبي ﷺ قال: «أشهد أن دمها هدر»(١).

س: هل هذه الاستتابة تدرأُ عنه الحد؟

ج: نعم تدرأ عنه حد القتل، لكن لا مانع من تعزيره بالسجن حتى لا يعود إلى مثل هذه المعصية.

س: هل الراجح في ساب النبي ﷺ استتابته أم قتله؟

ج: بل قتله، الصواب أنه لا يستتاب؛ لا سابُّ النبي ﷺ، ولا سابُّ الله سبحانه وتعالى، فكلاهما لا يستتاب.

س: لقد قلتَ: يستتاب الذي سب الله ﷻ؟

ج: كلا، بل الذي يستتاب هو المستهزئ، أما من سب الله أو سب الرسول، فالصحيح أنهما لا يستتابان.

س: ويقتل؟

ج: نعم، يقتل.

س: وساب الدين؟

ج: كلا، سابُّ الدين يستتاب.

س: ماذا لو أنه متعود على سب الدين، ولما راجعته قال: أنا =

(١) أخرجه أبو داود: الحدود (٤٣٦١)، والنسائي: تحريم الدم (٤٠٧٠).

....

= غير متعمد؟

ج: ولو، فهذه لا مزاح فيها ولا استهزاء، وأمره إلى الله؛ إن تاب توبة صادقة قبلها الله جل وعلا، لكن المقصود الحكم؛ لأن العفو عند الحكم قد يجرئ الآخرين، فيجرؤ الناس على الزندقة ولا يبالون، أما إذا عرف أن هناك رادعاً بقتل كان هذا أزجر للناس عن الاعتداء على هذه المحارم.

وأما إن كان صادقاً بينه وبين الله فالله يقبله جل وعلا ولو قتل، فإذا كان صادقاً في توبته، نادماً على فعل ما ارتكب، فالله يتوب على التائبين بإجماع المسلمين، وإنما هذا في الحكم فقط.

س: هل نستتيبه نحن قبل أن يرفع إلى الوالي أو القاضي؟

ج: إذا ستر عليه ونهض له بالنصح والخير فأظهر الندم والتوبة إلى الله فلا مانع، فمن ستره ستره الله في الدنيا والآخرة، فإذا أظهر التوبة والندم والإقلاع وقال بصدق ولم يعد، فممكن، أما إذا علم أنه يعود فينبغي ألا يكون هذا معه.

باب من حقق التوحيد
دخل الجنة بغير حساب

۞ أي: ولا عذابٍ، وتحقيقُ التوحيدِ هو معرفتُه والاطلاعُ على حقيقتِه والقيام بها علماً وعملاً، وحقيقةُ ذلك هو انجذابُ الرُّوحِ إلى الله محبَّةً وخوفاً، وإنابةً وتوكُّلاً، ودعاءً وإخلاصاً، وإجلالاً وهَيبةً، وتعظيماً وعبادةً، وبالجملة فلا يكون في قلبِه شيءٌ لغيرِ الله، ولا إرادةٌ لما حَرَّم الله، ولا كراهةٌ لما أمرَ اللهُ، وذلك هو حقيقةُ «لا إلهَ إلا اللهُ» ؛ فإن الإلهَ هو المألوهُ المعبودُ.

وما أحسنَ ما قالَ ابنُ القيِّم:

فِلِواحـدٍ كُـنْ واحـداً في واحـدٍ
أَعني سبيلَ الحقِّ والإيمـانِ[1]. [١٣٣]

[شرح١٣٣] قوله: «فلواحد كُنْ واحداً» أي: لله وحده ﷻ.

فلواحـد كُـنْ واحـداً في واحـدِ أعنـي سـبيلَ الحـقّ والإيمـانِ =

---

(١) ص٦٢.

....

= «أعني» أي: الأخير وهو «في واحدٍ»؛ يعني: في سبيل الله.

وقوله:«فلواحدٍ» أي: لله وحده جل وعلا.

وقوله: «كُن واحداً» أي: كن أنت مجتمع القلب في عبادة الله ﷻ فلا يكون قلبك موزعاً مشتتاً؛ بل ليكن مخلصاً لله العبادة قد جمع على توحيد الله والإخلاص له والصدق في ذلك؛ ولهذا قال في الصدق:

والـصدقُ توحيـد الإرادة وهْـوَ لُ الجَهـدِ لا كَـسَلاً ولا مُتَـوانِ

المقصود أنه يكون واحداً؛ أي: يكون مجتمع القلب على الله ﷻ، لا موزعاً مفرقاً؛ والواحد: هو الله وحده ﷻ؛ فقوله: «فلواحد»: هو الله وحده جل وعلا.

وقوله: «كن واحداً» أي: كن مجتمع القلب صادق اللهجة، صادق الدعاء، صادق الإخلاص، متبتلاً لربك ﷻ في دعائه وابتغاء مرضاته وترك محارمه ﷻ.

وقوله: «في واحد»؛ أي: في شريعة الله و في سبيله جل وعلا؛ ولهذا قال:

أعني سبيل الحق والإيمـانِ =

....

= أي: كن موحداً في نفسك، مُخلِّصاً لها من كلِّ الشرك، جامعاً لقلبك على الله ﷻ خوفاً ورجاءً ومحبةً وتعظيماً وإخلاصاً وشوقاً إليه ﷻ، وفراراً منه إليه، وحذراً مما يغضبه ﷻ، وأنت مع ذلك في الشريعة في سبيل الله لا تخرج عنها؛ لتكون أعمالك واجتهاداتك في سبيل واحد، هو سبيل الله وصراطه المستقيم، لا في سبل أخرى من البدع.

۞ وذلك هو حقيقةُ الشهادتين، فمن قامَ بها على هذا الوجهِ فهو من «السبعينَ ألفاً الذين يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ»(١).(٢) [١٣٤]

[شرح١٣٤] وهذا هو تحقيقه، هو أن يخلص توحيده من الشوائب؛ شوائب الشرك والبدع فتحقيقه: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فهذا هو التحقيق: أن يخلص توحيده ويصفيه، حتى لا يكون في توحيده وإخلاصه لله شرك ولا بدعة ولا معصية، وإنما يكون توحيداً خالصاً مصفى منقى من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع التي تقدح في الدين، ومن المعاصي التي تنقص ثواب أهل التوحيد؛ لأن الشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية وينقضه ويبطله، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدح في التوحيد وتضره وتنقصه.

والمعاصي ـ كذلك ـ تنقص ثواب أهل التوحيد وتنقص إيمانهم وتضعفه، فلا يكون توحيده كاملاً ولا محققاً ولا مصفى إلا =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠).

(٢) ص٦٢.

....

= بكونه قد خص العبادة لله وحده، وابتعد عن الشرك بالله ﷻ صغيره وكبيره، وحذر البدع أيضاً وابتعد عنها، واستقام على الشريعة بأقواله وأعماله، وهجر المعاصي أيضاً؛ لأنها تنقص إيمانه وتضعف إيمانه، فالبدع والمعاصي تنقض الإيمان وتضعفه.

والشرك الأكبر ينافيه بالكلية وينقضه ويبطله، والشرك الأصغر ينافي كمال الواجب ويضعفه، فلا يكون العبد محققاً لتوحيده ومنقياً له، صالحاً لأن يكون من السبعين إلا بهذه العناية، بعنايته بتوحيده وإخلاصه لله؛ حتى يكون توحيده مصفى من الشرك بالله ﷻ ومن البدع والمعاصي التي حرمها الله عز وجل.

وبهذا يكون من السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لكونهم استكملوا ما أوجب الله عليهم، و ابتعدوا عما حرم الله عليهم، وهجروا البدع والمعاصي، حتى تركوا بعض ما هو مباح؛حذراً من الوقوع في المحرمات، فلا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، كما سيأتي فتركوا بعض المباحات وبعض المكروهات حذرا، من الوقوع في المحرمات، هذا من كمال توحيدهم وكمال =

....

= إيمانهم، أنهم ابتعدوا عن المعاصي والبدع، ومع ذلك ابتعدوا أيضاً عن بعض الأشياء المكروهة كالكي والاسترقاء، حرصاً منهم على كمال توحيدهم وكمال إيمانهم*.

---

* س: هل كان عددهم محدداً؟

ج: يأتي عدة أحاديث بعد هذا منها: أنهم سبعون ألفاً، ومنها أنه «زادني مع كل ألف سبعين ألفاً»(١)، ومنها ما هو أكثر من ذلك؛ فهم لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ، فهم كثيرون، جعلنا الله وإياكم منهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

۞ قولُه: وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، مناسبةُ الآيةِ للترجمةِ من جهةِ أن اللهَ تعالى وصفَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ في هذه الآيةِ بهذه الصفاتِ الجليلةِ، التي هي أعلى درجاتِ تحقيقِ التوحيدِ ترغيباً في اتِّباعِه في التوحيدِ، وتحقيقِ العبوديةِ باتِّباعِ الأوامرِ، وتَركِ النواهي، فمن اتَّبعه في ذلك؛ فإنه يدخلُ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، كما يدخلها إبراهيمُ عليه السلام.

الأولى: أنه كان أُمةً، أي: قُدوَةً وإماماً، معلماً للخيرِ وإماماً يُقتدَى به، روي معناه عن ابنِ مسعودٍ[1]، وما كان ذلك إلا لتكميلِه مقامَ الصبرِ واليقينِ اللذَينِ بهما تُنالُ الإمامةُ في الدِّين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤][2]. [١٣٥]

[شرح١٣٥] أي: بالصبر على طاعة الله، والكفّ عن محارم الله، =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١٩٧١).

(٢) ص٦٢.

....

= واليقين بتوحيد الله والإيمان به يكون العبد إماماً، وهذا إنما يكون بسبب العلم والبصيرة والهدى؛ لأن العلم والهدى يجعله متيقناً بما أخبر الله به ورسوله، ويجعله صابراً على طاعة الله وترك محارمه، فعلى حسب علم العبد وخوفه من الله وتعظيمه لحرماته يكون صبره ويقينه.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من العلماء والأخيار إنما كانوا أئمة يهتدى بهم، ويقتدى بهم، لصبرهم ويقينهم وعلمهم العظيم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

المقصود أنه جعل لبني إسرائيل قبلنا، وفي هذه الأمة أعظم أئمة يهدون بأمر الله إلى طاعته وإلى دينه، وسبب ذلك صبرهم على كبح جماح نفوسهم عن المحارم، وصبرهم على أداء الفرائض، وصبرهم على الحدود والوقوف عندها عن يقين لا عن شك ولا عن ريب؛ بل عن يقين بما أمر الله به ورسوله،، فهم على يقين فيما آمنوا به، وعلى يقين فيما فعلوه وتركوه، ومع ذلك صب عليهم الحق وتيقنوه خبراً وأمراً، ثم ساروا عليه صابرين. =

....

= فليسوا ممن يقول ولا يعمل، أو من يعلم ولا يعمل كاليهود، فهم علماء بني إسرائيل أهل الحق والهدى، الذين عرفوا وعملوا به، بخلاف علمائهم الضالين الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه، وهكذا أشباههم في هذه الأمة الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه لهوًى في نفوسهم، ولإيثار العاجلة، سواء كان ذلك في البعض أو في الكل.

فالحاصل أن الأئمة الذين يقتدى بهم كإبراهيم عليه الصلاة والسلام والأنبياء جميعاً، وكعلماء الحق من الأمة وقبلها، إنما كانوا أئمة بهذين الأمرين، إنما كانوا أئمة يقتدى بهم ويثنى عليهم بأمرين عظيمين هما: الصبر واليقين، الصبر يتعلق بالأعمال والتروك، واليقين يتعلق بالعلم، فكانوا على علم وعلى بصيرة وعلى هدى، وهذا العلم أوجب لهم صبرهم على طاعة الله، وصبراً عن محارم الله، ووقوفهم عند حدود الله، قد آثروا الله، وآثروا دينه، وآثروا حقه؛ فصاروا على بصيرة في ترك المحارم وأداء الفرائض، والوقوف عند الحدود والمحبة في الله، والبغضاء في الله، والعطاء لله، والمنع لله إلى غير ذلك. =

....

= فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان زمناً طويلاً واحداً على الحق ما معه أحد، ليس على الحق سواه، ثم هدى الله له ابنة عمه سارة وصارت على دينه، ثم ابن أخيه لوط، ثم دخل الناس في دين الله بعد ذلك شيئاً بعد شيء، وكان مع ذلك ـ مع كونه واحداً ـ لم يضعف ولم يكسل؛ بل يعلِّم الناس، ويدعو الناس إلى الله، وينذر ويبشر حتى هدى الله على يديه من هدى، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني: إماماً يقتدَى به معلماً للخير لا يملُّه*.

---

* س: الحديث الذي فيه «من أَحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»(1)، هل هو قوي؟

ج: نعم، لا أعلم به بأساً من حديث أبي أُمامة.

---

(1) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٣).

۞ الثانيةُ: أنه كان قانتاً لله، أي: خاشعاً مطيعاً دائماً على عبادته وطاعته؛ كما قال شيخ الإسلام: القنوتُ في اللغةِ: دوامُ الطاعةِ، والمصلِّي إذا طالَ قيامُه أو ركوعُه أو سجودُه فهو قانتٌ في ذلك كلِّه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، فجعله قانتاً في حالِ السجودِ والقيامِ. انتهى.

فوَصَفَه في هاتين الصفتينِ بتحقيقِ العُبوديةِ في نَفسِه؛ أولاً علماً وعملاً، وثانياً: دعوةً وتعليماً واقتداءً به، وما كان يقتدَى به إلا لعَمَله به في نفسِه، ووَصَفَه في الثانية بالاستقامةِ على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] فتَضمَّنت العلمَ والعملَ والاستقامةَ والدعوةَ.

الثالثةُ: أنه كان حنيفاً، والحَنَفُ: الميلُ، أي: مائلاً مُنحرِفاً قَصداً عن الشركِ ؛ كما قال تعالى حكايةً عنه: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ =

= ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠][1]. [١٣٦]

[شرح١٣٦] والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان مع إمامته وقنوته في طاعة الله جل وعلا، مستقيماً على توحيد الله والإخلاص له، لا ينحرف هكذا ولا هكذا في حال الشدة والرخاء؛ بل وفي حال شدته وفي حال رخائه مستقيماً على توحيد الله والإخلاص له، لا ينحرف عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿حَنِيفٗا﴾؛ فهو مقبل على الله ومعرض عمن سواه؛ فمستقيم على توحيد الله.

ويقال لأهل التوحيد: هم الحنفاء؛ لاستقامتهم على توحيد الله، وميلهم عن الطرق الأخرى والأديان الأخرى والملل الأخرى، فهم مالوا إلى الله ﷿ واستقاموا على توحيده، وأخلصوا له العمل في جميع أحوالهم، بخلاف غيرهم ممن يميل مع الرياح أينما مالت ولا يستقيم.

---

(١) ص٦٢.

۞ الرابعةُ: أنه ما كان مِن المشركين، أي: هو موحِّدٌ خالصٌ من شوائبِ الشِّركِ مطلقاً؛ فنفى عنه الشركَ على أبلغِ وجوهِ النَّفي، بحيث لا يُنسَبُ إليه شِركٌ وإن قَلَّ، تكذيباً لكفار قريشٍ في زعمِهِم أنهم على مِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلامُ.

وقال المصنِّفُ في الكلام على هذه الآية:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لئلا يستوحشَ سالكُ الطريقِ مِن قِلَّةِ السالكين.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ لا للملوكِ ولا للتجّار المُترَفين.

﴿حَنِيفًا﴾ لا يميلُ يميناً ولا شمالاً كفعل العلماءِ المفتُونين.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خلافاً لمن كَثّر سوادَهم وزعمَ أنه من المسلمين.

قلتُ: وهو مِن أحسنِ ما قِيل في تفسيرِ هذه الآية؛ لكنه ينبِّهُ بالأدنَى على الأعلَى.

وقوله: «لئلا يستوحشَ» تنبيهٌ على بعضِ معنَى الآية، =

= وهو المنفردُ وحدَه بالخيرِ.

وقد روى ابنُ أبي حاتم، عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾، كان على الإسلامِ، ولم يكن في زمانِه مِن قومِه أحدٌ على الإسلامِ غيرُه، فلذلك قالَ اللهُ: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾. ولا تنافي بينَه وبينَ كلامِ ابنِ مسعودٍ المتقدِّم(١). [١٣٧]

[شرح١٣٧] وهذا ثبت في «الصحيحين»(٢): أنه لما ذهب إلى بلد الملك، وطلب الملك سارة، قال: إنكِ أختي في الإسلام، وأمرها أن تقول: إنها أخته في الإسلام؛ لأنه ليس على الحق غيري وغيرك، هذا صريح بأنه ليس هناك أحد على الإسلام في ذاك الوقت سوى سارة زوجته.

وهذا كلام من المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كلام عظيم: «لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين»؛ يعني: إذا تذكر أن إبراهيم مشى على الحق وحده، =

---

(١) ص٦٣.

(٢) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٥٨)، ومسلم: الفضائل (٢٣٧١).

....

= وصبر عليه، وخالف أهل الأرض، يكون هذا مما يؤنسه ويعينه على الصبر.

ولا يقول: كيف تكون الناس على كذا وأنا على كذا، هذا يعين طالب الحق على الصبر على الحق، وإن كان وحده، في أي بلد، أو في أي قبيلة، أو في أي قرية، إذا تذكر أن إبراهيم صبر على الحق، وسار عليه ليس معه أحد، حتى هدى الله زوجته وسارت معه؛فهذا مما يعينه على الصبر على الحق الذي معه، وإن خالفه الناس، وإن خالفه قومه، وإن خالفه جماعته، وأصحابه ما يبالي ما دام بصيراً بالحق، يعني يعلم أنه على الحق بالأدلة، ما عنده شك، فلا يضره قوله وإن خالفه الناس.

ولهذا روي عن بعض السلف قول القاضي عياض وغيره، يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين؛ يعني كن على ثبات وعلى يقين وعلى قوة في سلوك الطريق وإن خالفك الناس.

كذلك قوله: ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾، يشير بهذا إلى أن بعض الناس قد =

....

= يتظاهر بالقنوت والطاعة والعمل الصالح الدائم؛ لكن ليس لله، فقد يكون صواماً قواماً كثير العبادة؛ ولكنه لأمر آخر، فليس لله؛ بل إما للملوك وإما للتجار، وإما أن يعطى كذا أو يأخذ كذا أو ليتحيل على شيء من الأمور، حتى يظن الناس أنه على هدى، وأنه طيب وهو منافق؛ إنما جاء لغرض وفعل هذا لغرض.

كذلك ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: لم يمل يميناً وشمالاً كفعل المفتونين، فإن بعضاً ممن ينتسب إلى العلم لا يثبت على طريقة، فهو تارة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء، مذبذب؛ كما قال الله عن المنافقين؛ لأنه ليس هدفه الإخلاص لله؛ بل له أهداف أخرى فلهذا لا يثبت على قدم، ولا يثبت على طريق؛ بل ينحرف هكذا وهكذا؛ لأنه مفتون بالدنيا أو مفتون بشهوات أخرى من غير المال؛ فالحاصل أنه ليس على ثبات؛ بل له أهداف كثيرة يميل معها؛ أما دعاة الحق من الأنبياء وأتباعهم بإحسان، فهدفهم واحد، وهو دعوة الناس إلى دين الله، وصبرهم على طاعة الله، وجمع الناس على الخير، وليس لهم هدف آخر.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بخلاف من أخلص لله ووحده؛ =

....

= ولكنه سار مع الكفار في بلادهم، ومجتمعاتهم، وأعيادهم، وأسفارهم، وإقامتهم؛ فيكثر سوادهم بحيث يعدّه العادّ منهم، فإذا رآه لا يميزه؛ بل يعده منهم؛ أما من كان بينهم للدعوة إلى الله، وإنكار الباطل، والدعوة إلى الخير، وتبصيرهم بقصد صالح، فهو ليس داخلاً في هذا المعنى، إنما هذا المعنى فيمن دخل بينهم للطمع في الدنيا والشهوات والأكل والشرب أو ما أشبه ذلك من حظوظ عاجلة، فهو يكثر سوادهم، ولا يكون عنده دعوة لهم إلى الخير وتنوير لهم وجهاد لهم وتبصير لهم؛ بل هذا نوع آخر.

فالحاصل أن كون الإنسان معهم يكثر سوادهم، هذا عيب، وهذا ضرر عليه وعلى غيره، إلا إذا أظهر خلافهم؛ فأظهر الدعوة إلى الله وإلى الإسلام، وإلى اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، فهذا يعرف أنه ليس منهم؛ وإنما جاء لغرض الدعوة، أو لأمر آخر دعاه إلى المجيء؛ لكنه أظهر دينه، وأظهر توحيده فلم يعدّ منهم؛ بل أظهر ما يخالفهم؛ ولهذا قال العلماء: لا يجوز الذهاب إليهم ولا إلى بلادهم إلا لمن أظهر دينه، وكان على علم؛ لئلا يضره جلوسه بينهم، ولئلا يشبهوا عليه، ولئلا يردوه إلى الكفر بالله، هذا إذا كان =

....

= بينهم على علم وعلى هدى وعلى بصيرة، يدعوهم إلى الله جل وعلا، كان ذلك طريقاً للسلامة، وعدم الوقوع فيما هم فيه أو الميل إليهم إذا شبهوا عليه.

ومع هذا قال بعضهم: حتى ولو كان على علم بُعدُه عنهم أولَى وأسلم؛ ولكن هذا محل تفصيل ومحل نظر فيما يتعلق بالدعوة إلى الله ﷻ، فمن كان على علم وعلى بينة وعلى بصيرة، ساغ له أن يكون بينهم للدعوة؛ لهذا الغرض؛ لإنقاذهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما قامت الرسل بين الكفار؛ لهذا الغرض، وكما قام النبي ﷺ بين كفار أهل مكة مدة طويلة حتى آذوه، وحتى اجتمع رأيهم على قتله؛ فأخرجه الله من بين أظهرهم، كل هذا للدعوة إلى الله لإنقاذهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، هم يعرفون أنه على غير دينهم، وليس معهم، وأنه على شيء وهم على شيء؛ ولذلك عادوه وعادوا أصحابه وآذوه.

الحاصل أن قوله جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لم يك مع المشركين بأي وجه من الوجوه، لا بانتسابه إليهم، ولا =

....

= بإظهاره موافقتهم على دينهم الباطل، ولا بغير هذا مما يظن أنه منهم وأنه معهم؛ بل كان ذلك من شأنه واضحاً في أنه ليس على دينهم، وليس على طريقهم، وإن كان وحده على الحق، وإن كان ما معه إلا قليل كزوجته أو ابن أخيه؛ لكنه واضح من أعماله وأقواله أنه ليس منهم*.

* **س: هل صحيح أنه عندما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا رب ليس في الأرض يعبدك غيري أنزل الله ثلاثة من الملائكة يصلون معه ؟**

ج: لا أعرفه، الله أعلم.

س: هل يكون إظهار الدين بين المشركين بإقامة الصلاة فقط؟

ج: المعروف بين العلماء أن هذا لا يكفي، فلا بد من الدعوة، ولا بد من إظهار التوحيد وإظهار ما جاءت به الرسل؛ أما مجرد الصلاة فهم لا يبالون بهذا الشيء، ولا يحصل به المقصود، الذي يحصل به المقصود هو إظهار البراءة من الشرك، وإظهار الدعوة إلى التوحيد، فهذا هو إظهار الدين، وهذا الذي قرره أهل العلم.

س: البراءة من الشرك أن تسب ساب الله!

ج: لكن هذا قد لا يعدونه سباً، وقد يعدونه سباً ولا يضرهم، وإذا =

....

= كان يضرهم فما الداعي إلى إقامته بينهم، فإن لم يكن له مصلحة في الإقامة بينهم، فليبتعد عنهم.

س: شاب يسأل: بمناسبة ذكركم أن طالب العلم لا ينبغي له أن يكون مذبذباً مرة مع هؤلاء ومرة مع هؤلاء، يقول: الآن كثر في العالم الإسلامي جماعات كلها اسمها جماعات إسلامية، وكل واحدة من هذه الجماعات تحاول بأي وسيلة من وسائل التوجيه أن تظهر بأنها متبعة للكتاب والسنة في كل شعبة من شعب الحياة، وأنتم تعرفون هذه الجماعات في الجملة، يقول: فما الذي تنصحون به؟ أأتبع هذه الجماعات كلها أو أتبع جماعة معينة أو أترك هذه الجماعات؟

ج: ننصحه أن يكون مع الحق أينما كان، مع الحق الذي مع هذه الجماعة، ومع الحق الذي مع الجماعة الأخرى، ويحذر الباطل الذي مع هذه أو مع هذه؛ فأينما يكون وأينما يحل يكون مع الحق، سواء مع هذه الجماعة أو مع هذه الجماعة، مع الجماعة التي في أمريكا، أو الجماعة التي في نجد، أو الجماعة التي في كذا.

س: ولكن كل جماعة تلزمه بكل ما تعتقده.

ج: لا يلتزم، إذا ألزمته لا يلتزم إلا بالحق، فلا أحد يلزمه إلا الله ﷻ؛ فإن ألزمته الجماعة بشيء؛ فإن كان حقاً فليلتزم به، وإن كان باطلاً فليدعه وإن سخطت، لا طاعة لـمخلوق في معصية الخالق، ومع هذا يستخدم =

....

= الأساليب الحسنة التي يكون بها داعية، ما هو مجرد ترك فقط، يتركه ويعتني بإصلاحه، يوجه الجماعة إلى الحق، يقول لها: إني تركت هذا لأجل هذا، فيقيم الدليل بالأسلوب الحسن الذي يعم به النفع، ومنه رد الشارد إلى الحق والهدى، فهو يكون مباركاً نافعاً هادياً، مع كونه لم يوافق على الباطل، فلا يكون بالعنف والشدة والإعراض والغفلة؛ بل يكون بالدليل والبرهان والحكمة والكلام الطيب والأسلوب الحسن حتى يهدي ويهتدي.

س: حديث: حدثوا الناس بما يعرفون ؟

ج: هذا أثر عن علي بن أبي طالب الصحابي الجليل ﷺ، رواه البخاري في «الصحيح» عن علي ﷺ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[1]، هذا في أول «الصحيح» في العلم أو في كتاب الإيمان.

س: بعض الناس عندهم حب للصلاة وحب للصيام، وعندهم بعض الأشياء الشركية أو أشياء مخالفة؛وإذا ما قال له أحد: لا تفعل هذه الأشياء الشركية قبل تعظيمكم للصلاة، وحبكم لها، فإنهم يقولون له: كفرتنا؟!

ج: الداعي إلى الله يكون حكيماً، يعظم الصلاة في قلوبهم، يدعوهم إلى =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٧).

....

= الصلاة والصيام، وإلى بر الوالدين، وإلى صلة الرحم، وإلى إكرام الضيف، وإلى الصدق ، وإلى ترك الزور وشهادة الزور، حتى يثبت في قلوبهم علمه وفضله، ثم يأتي إلى ما هم في من الباطل فينبه عليه، يعني يسلك الطريق التي يراها هي أقوم وأحرى لأن يقبلوا منه؛ لأنهم يدَّعون الإسلام وهم كفار صرحاء مثل قريش تبدؤهم بالتوحيد، هم قد يدعون أنهم خير منك، وأنهم أفضل منك، فتأتيهم بالشيء الذي يجعلهم يقبلون عليك ويرغبون فيك، ويقدرون علمك.

س: بمناسبة الصلاة على الجنازة اليوم إذا صلي على الجنازة هل يكون بعدها ذكر كباقي الصلوات الأخرى أم الأولى أن يخرج.

ج: إذا صلي على الجنازة ثم ذكر الذكر المشروع سواء كان جالساً أو واقفاً أو ماشياً؛فلا بأس في ذلك.

س: ماذا لو قرأ مع الفاتحة في صلاة الجنازة سورة قصيرة ؟

ج: قراءة سورة قصيرة جاءت فيها عدة أحاديث جيدة.

س: بعضهم يقول: إنها شاذة.

ج: غلط، وردت عن ابن عباس وعن غيره، وذكرها الشيخ ناصر الدين الألباني وغيره.

س: أأثبتها الألباني بالأحاديث؟

ج: نعم. =

....

= س: ما الفرق بين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الجهاد في سبيل الله؟

ج: الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد كلها فروض كفاية، إن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به من يكفي، فكل له نصيبه من الدعوة حسب علمه.

ونعتقد أنه ما قام أحد الآن بالواجب كما ينبغي، فهذا الفرض الكفائي ما تم، فنعتقد أنه ينبغي لكل طالب علم أن يقوم بما يستطيع من الدعوة إلى الله، والتوجيه إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل حسب طاقته ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فلا ينبغي له أن يقول: الناس قاموا بهذا، أو هناك علماء، أو هناك كذا؛ لأن هذا مما يأتي به الشيطان، ليثبط الناس عن الدعوة إلى الله، والنهي عن المنكر، ويقول: إن قمت أنا بذلك وحدي فإن هذا لن يكفي، إن هناك من هو أكبر مني؛ ويكتفي بذلك؛ فلا يصلح هذا ولا ينبغي أن يكون.

وإنما يجب عليه، إن كان في محل به منكر، وليس هناك من ينكره غيره، ودخل في حديث «من رأى منكم منكراً»[1]، أما إن كان هناك منكر، لكنه وجد آخر وقام به فأنكره، فقد كفاه المؤونة، إن زال المنكر. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٤٩).

....

= س: إن رأى أحدهم ما ينكر على بعض المصلين مع وجود الإمام؛هل ينبه عليه؟

ج: إن كان عنده علم جزاه الله خيراً، لكنه لا يتكلم إلا عن علم.

س: إن كان الحق لا يتعدد، فهل يسوغ أن تتعدد الجماعات، وتخالف كل واحدة الأخرى في منهاجها، وتحاربها باسم الإسلام؟

ج: ما يجوز المحاربة بغير الحق.

أما إن تعددت الجماعات، ورأوا في هذا مصالح، كأن هذا في أمريكا، وهذا في لندن، أو هذا في الشمال وهذا في الجنوب، وقصدهم التعاون على البر والتقوى، وليس قصدهم الدنيا وحطامها، ولا الفخر والخيلاء، ولا الرياء، وإنما قصدهم الحق، فلا يضر ذلك.

لكن لا يكون لهم هوًى، فيحبون أن يفخروا على الآخرين، أو يضعفوا شأنهم، بل من شأنهم التعاون على البر والتقوى، وإرشاد الآخرين إلى الحق والهدى إذا غلطوا.

أما إذا كان قصدهم التنافس والفخر والخيلاء والغرض الدنيوي فهذا حرام على الجميع، ولا يجوز.

أما إن كان قصدهم الحق والتعاون على البر والتقوى، فالعالم الإسلامي فسيح واسع، ومحتاج للدعوة، وإلى التوجيه، فقد يكون عند هؤلاء من التنظيم ما ليس عند أولئك، وقد يكون عندهم من النشاط ما =

....

= ليس عند أولئك، فكل يعمل بها يستطيع من العلم والخير.

س: هل طلب العلم واجب على كل مسلم؟

ج: يجب على كل مسلم أن يتعلم ما لا يسعه جهله، فيتعلم كيف يوحد الله، ولماذا خلق، وما هو الواجب عليه، فيتعلم حسب طاقته، لا أن يتوسع في العلوم حتى يكون عالماً كبيراً، المفروض أن يتعلم ما أوجب الله عليه، وما حرمه عليه.

س: ما صحة قول: إن الدعوة أحياناً تكون مكية لا مدنية؟

ج: ليس هذا بصحيح، فعند ظهور الشر مع العجز عن التنفيذ تكون مكية، فإن لم يستطع إلا باللسان كانت مكية، وإن استطاع الدعوة باللسان وبالعمل، تكون مدنية.

۞ قوله: وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، مناسبةُ الآيةِ للترجمةِ من جهةِ أن اللهَ تعالى وصفَ المؤمنينَ السابقينَ إلى الجناتِ بصفاتٍ؛ أعظمُها الثناءُ عليهم بأنَّهم بربِّهم لا يشركون، أي: شيئاً من الشِّركِ في وقتٍ من الأوقاتِ، فإن الإيمانَ النافعَ مطلقاً لا يوجد إلا بتركِ الشِّركِ مطلقاً.

ولما كان المؤمن قد يعرضُ له ما يَقدَحُ في إيمانه مِن شركٍ جَليٍّ أو خَفيٍّ نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك، فقد بلغَ من تحقيقِ التوحيدِ النهايةَ، وفازَ بأعظمِ التجارةِ، ودخل الجنةَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ.

قال ابنُ كثيرٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، أي: لا يعبدون معه غيرَه، بل يوحِّدُونه، ويعلمون أنه لا إلهَ إلا اللهُ، أحدٌ صمدٌ لم يتَّخِذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظيرَ له[1]. [١٣٨]

[شرح١٣٨] وهذا من المؤلف اختصار على نهاية الآية ونهاية =

---

(١) ص٦٣-٦٤.

....

= الصفات، وكان المناسب أن تذكر الصفات لأن الله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

هذه صفات السابقين الأخيار الذين وعدهم الله بالجنة والكرامة، وأنهم سابقون إلى الخيرات، فهم من خشية الله مشفقون، من خوفه ﷻ والحذر منه أشفقوا من عذابه، وأشفقوا من غضبه، حتى سارعوا إلى مراضيه، وتباعدوا عن مناهيه، هذه صفات عباد الله السابقين: عندهم خشية لله، وتعظيم لحرماته، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

فالخشية الصادقة والخوف الصادق يقتضي أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، والمسابقة إلى كل خير، وهذه صفة أولياء الله، وصفة أحبابه الذين سارعوا إلى مراضيه، وتباعدوا عن مساخطه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون] أي: من صفاتهم أنهم أهل إيمان بآيات الله المتلوة في القرآن والإنجيل =

....

= والزبور وغيرها من الكتب، وبآياته المشاهدة يؤمنون أيضاً، بآياته من جبال وبحار وأنهار وأرض وسماء، وحيوانات وغير ذلك.

فهم بآيات الله يؤمنون ويصدقون أنها حق، وأنها مخلوقات له جل وعلا، وأنها دلائل على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه مستحق للعبادة، كما أن آياته المتلوة كذلك في كتاب الله العزيز وكتبه السابقة، كلها دلائل على أنه رب العالمين، وأنه القادر على كل شيء، وأنه مستحق لأن يعبد ويعظم ﷻ.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩] ، ختمها بهذا الوصف الدال على كمال توحيدهم وكمال إخلاصهم، ولهذا خشوه ـ سبحانه ـ وراقبوه وعظموه وآمنوا بآياته ﷻ، ثم على ضوء ذلك، وعلى ضوء ما استقر في قلوبهم من الإيمان، والخوف لله والتعظيم له ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

هذه من صفات أولياء الله أنهم يؤتون ما آتوا من الأعمال والفرائض والطاعات وقلوبهم وجلة، أي: أنهم يعملون الأعمال =

....

= الصالحة من واجبات ومستحبات، ومع ذلك قلوبهم وجلة، يخشون أن ترد عليهم أعمالهم، يخشون أن لا تقبل منهم، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسولَ الله، في هذه الآية أهو الرجلُ يشربُ الخمرَ ويزني؟ قال: «لا، ولكنه الرجل يصومُ ويصلِّي ويتصدَّق ويخاف ألا يُقبَل منه»(١) ، فأهل الإيمان هكذا يعملون مع الخوف والحذر، ولما قالت عائشة: يا رسولَ الله، إن رأيتُ ليلةَ القدر ما أقولُ فيها؟ قال: «قولي: اللهمَّ إنكَ عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي»(٢).

فأهل الإيمان والصدق مع اجتهادهم، ومع حذرهم، ومع استقامتهم يخافون الله ويخشونه كثيراً، ويخافون أن ترد عليهم أعمالهم، ويتضرعون إليه بطلب العفو ﷻ.

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] أي: خائفة مشفقة من الله ﷻ =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه: الزهد (٤١٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥١٣)، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٥٠).

....

= مع كمال إيمانهم، فهم مع إحسانهم ومع إيمانهم أشد خوفاً من أهل المعاصي والسيئات، وما ذاك إلا لأن هؤلاء قد عرفوا الله حق المعرفة وعرفوا أنه العظيم المستحق لأن يخاف ويحذر، بخلاف الفساق وأهل المعاصي والكفر؛ فلأنهم في غاية من الظلمة والبعد عن الله ﷻ.

فأهل الشرك في غاية من الظلمة والبعد، وأهل المعاصي عندهم من الظلمة والنقص في إيمانهم والضعف في بصيرتهم، ما يجعل خوفهم ضعيفاً؛ ولهذا أقدموا على المحارم، وتساهلوا في الفرائض.

وما ذاك إلا من أجل ضعف الإيمان، وضعف المعرفة في قلوبهم، ولو عرفوا الله حق المعرفة، وعرفوا حقه عليهم، وعرفوا عظمته، وعرفوا صفاته، لسعوا إلى مراضيه، ولابتعدوا عن مساخط الله ﷻ، و لما كانوا هكذا، ولكن جهلهم بالله وجهلهم بتفاصيل دينه أوقعهم فيما أوقعهم فيه من الشرك والكفر بالله ﷻ والمعاصي.

وعلى إثر هذه الصفات العظيمة وخشيتهم لله وبصيرتهم به ﷻ سارعوا، ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ =

....

= [المؤمنون:٦١] أي: أولئك الذين هذه صفاتهم من الإيمان والخشية لله والتوحيد الخالص والوجل من الله والخوف منه.

وقوله جل وعلا: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: سارعوا إلى الطاعات، وأنواع الخير من الجهاد، والصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وزيارة المرضى، وإكرام الضيف، وصدق الحديث، وغير ذلك.

سارعوا إلى كل خير خوفاً من الله، وتعظيماً له، وإيماناً به، وصدقاً في طلب مرضاته ﷻ؛ ولهذا سبقوا إليها ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ سارعوا وسبقوا، فمن كان هدفه صالحاً، وكان عن بصيرة وعن رغبة تامة، يسارع فيسبق؛ والله المستعان.

۞ قال: عن حُصَين بنِ عبدِ الرحمنِ، قال: كنتُ عندَ سعيدِ ابنِ جُبَيرٍ، فقال: أيُّكُم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارِحةَ؟ قلتُ: أنا، ثم قلتُ: أما إنِّي لم أكُن في صلاةٍ، ولكني لُدِغتُ، قال: فما صَنَعتَ؟ قلتُ: ارتَقَيتُ، قال: فما حملكَ على ذلكَ؟ قلتُ: حديثٌ حدَّثَناهُ الشعبيُّ، قال: وما حدَّثَكُم الشعبيُّ؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُرَيدَةَ بنِ الحُصَيبِ أنه قال: لا رُقيَةَ إلا مِن عينٍ أو حُمَةٍ ، فقال: قد أحسنَ مَن انتهَى إلى ما سَمِع، ولكن حدَّثنا ابنُ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قال:

«عُرِضَت عليَّ الأُمَمُ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ وليس معه أحدٌ، إذ رُفِع لي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أنهم أُمَّتي، فقيل لي: هذا موسَى وقومُه، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أُمَّتُكَ ومعهم سبعونَ ألفاً يدخلون الجنةَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ».

ثم نَهَضَ فدخلَ منزِلَه فخاضَ الناسُ في أولئك، فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صَحِبوا النبيَّ ﷺ، وقال بعضُهم: =

= لعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلامِ فلم يُشرِكُوا بالله شيئاً، وذكروا أشياءَ، فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه، فقال:

«هُمُ الذين لا يَستَرقُونَ ولا يَكتَوُون، ولا يَتطيَّرُونَ، وعلى ربِّهم يتوكَّلُون». فقامَ عُكّاشَةُ بنُ مِحصَنٍ فقال: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ أن يجعلنِي منهم! فقال: «أنتَ منهُم» ثم قامَ رجلٌ آخرُ فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلنِي منهم! فقال رسولُ الله ﷺ: «سبقَكَ بها عُكّاشَةُ» .

هكذا أوردَ المصنِّفُ هذا الحديثَ غيرَ معزُوٍّ، وقد رواه البخاريُّ مختصراً ومطولاً، ومسلمٌ واللفظُ له، والترمذيُّ، والنَّسَائيُّ[1].

قولُه: (عن حُصَينِ بنِ عبدِ الرحمن) هو السُّلَميُّ أبو الهُذَيل الكوفيُّ، ثقةٌ، تَغيَّرَ حِفظُه في الآخرِ، مات سنة ستٍّ وثلاثينَ ومئة، وله ثلاثٌ وتسعونَ سنةً. =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠). والترمذي: صفة القيامة (٢٤٤٦)، والنسائي في «الكبرى»: الطب (٧٥٦٠).

= وسعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الإمامُ الفقيهُ مِن جِلَّةِ أصحابِ ابنِ عبَّاسٍ، روايتُه عن عائشةَ، وأبي موسى مُرسَلةٌ، وهو كوفيٌّ مولًى لبني أَسَدٍ، قُتِل بين يَدَيِ الحجاجِ سنةَ خمس وتسعين، ولم يُكمِل الخمسينَ[1]. [١٣٩]

[شرح١٣٩] قُتِل سعيدُ بن جبير بين يدي الحجاج ظلماً وعدواناً، و كان الحجاج قتل أناساً كثيرين، يزعم أنهم ممن دخلوا في نقض البيعة لعبد الملك بن مروان، ثم كانوا مع ابن الأشعث في جهاد الروم، ثم صار هناك كلام في عبد الملك وفي الحجاج بن يوسف، وحصل للمسلمين اختلاف بذلك، ثم أجمعوا رأيهم على خلع الحجاج، ثم خلعوا بعده عبد الملك، فصار بسبب ذلك أشياء، ثم اجتمع الحجاج وابن الأشعث وصار بينهم مقتلة عظيمة في دير الجماجم، ووقعات عدة، ثم بعد ذلك صار الحجاج يتتبع من كان في هذا الغزو ويقتل من وجد منهم.

وهذا من جهله وظلمه، فإنه كان من الواجب لما انقضت المعركة، وانتهت الحرب، الكف عن الناس، وانتهى الأمر، ولكنه =

---

(١) ص٦٣-٦٤.

....

= لظلمه وتهاونه بالدماء، كان يتتبع من كان في هذا الغزو، وكان ينسب إليهم أنهم من أهل الضلال، وكان من جملتهم سعيد بن جبير، وكان معهم من الجماعة من الفقهاء والعلماء فقتلهم*.

---

* س: هل المظالم هذه التي عملها الحجاج يصلح معها أن نقول عنه: إنه كافر؟

ج: لا هذه من جنس المظالم الأخرى ما يكفر بها، لكنه على خطر عظيم، نسأل الله السلامة.

س: وما تأويلهم في قتالهم؟

ج: تأويلهم في هذا أنهم تعدوا الحدود، وأنهم خرجوا على ولي الأمر، وأنهم يخشى من شرهم إفساد الدولة.

س: إذن هو نفس تأويل المقاتلين ممن كان مع ابن الأشعث والفقهاء؟

ج: الظاهر والله أعلم أنه من ظلم الحجاج وتساهله في الأمور، تأولوا أنه ينبغي خلعه لظلمه وعدوانه، ثم قال لهم قائل: إذا خلعتموه فعليكم أن تخلعوا رئيسه عبد الملك لأنه فرع، فصار بعضهم إلى هذا الشيء، لأن عبد الملك أقره على هذا الظلم، فوجب خلعه لظهور المعاصي وظهور الظلم، وخفي عليهم قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «إلا أن تَرَوا =

....

= كفراً بَواحاً عندَكم من الله فيه برهانٌ»[١]، لأنه ليس كل واحد عنده علم كامل فاجتهدوا، غفر الله لهم.

س: السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هل يمرون بالصراط؟

ج: ولكن لا يضرهم مرورهم بالصراط، يمرونه وهم مرتفعون عليه فلا يضرهم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء:١٠٢].

*** س: إذاً إذا كان قبل الزوال نقول: الليلة؟**

ج: نعم، وبعده البارحة، وقد يقال: البارحة ولو قبل الزوال، وردت أخبار تدل على هذا منها حديث الرسول ﷺ عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا»[٢]، وفيه دليل لجواز إطلاق البارحة على الليلة الماضية وإن كان قبل الزوال.

س: نخرج من النص الأول بأنه ليس من قول الرسول ﷺ الذي يقول ما بعد الزوال وما قبل الزوال؟

ج: هذا كلام ثعلب من أئمة اللغة، وليس من كلام الرسول ﷺ. =

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧٠٥٦).

(٢) أخرجه مسلم: الرؤيا (٢٢٧٥).

....

= يصير معناه أن اللغة يغلب فيها هذا، وتستعمل أيضاً البارحة قبل الزوال، ذهبوا إلى ذلك أي: يغلب على كلامهم البارحة فيما بعد الزوال وقد يقولون أيضاً في بعض الأحيان: البارحة؛ قبل الزوال.

۞ قولُه: (انقَضَّ) هو بالقافِ والضادِ المعجمةِ، أي: سقطَ، و(البارحةَ) هي أقربُ ليلةٍ مَضَت، قال أبو العباسِ ثَعلبٌ: يُقال قبلَ الزوالِ: رأيتُ الليلةَ، وبعدَ الزوالِ: رأيتُ البارحةَ، وهكذا قال غيرُه، وهي مشتقة مِن بَـرَح: إذا زال[1]. [١٤٠]

[شرح١٤٠] قد جاء في بعض النصوص ما يدل على أنه يقال: البارحة ولو في أول النهار، لكن هذا هو الأغلب فالبارحة بعد الزوال، وقبل الزوال يقال: الليلة، وورد في بعض النصوص ما يدل على أنه تسمى البارحة، وإن كان الحديث في أول النهار، لأنها مضت الليلة*.

(١) ص٦٥.

۞ قولُه: (أمَا إنِّي لم أكُن في صلاةٍ) القائلُ حُصينٌ خاف أن يَظُنَّ الحاضرونَ أنه ما رأَى النَّجمَ إلا لأنه يصلِّي، فأراد أن ينفيَ عن نفسه إيهامَ العبادةِ وأنه يصلِّي، مع أنه لم يكُن فَعَل ذلك، وهذا يدلُّ على فضلِ السلفِ الصالحِ وحرصِهم على الإخلاصِ، وشدَّةِ ابتعادِهم عن الرياءِ، بخلافِ من يقول: فعلتُ وفعلتُ؛ لِيُوهِمَ الأغمارَ أنه مِن الأولياءِ، وربما عَلَّقَ السُّبْحَةَ في عنقِه، أو أخذَها في يدِه يمشي بها بين الناسِ؛ إعلاماً للناسِ أنه يسبِّح عددَ ما فيها من الخرزِ.

وقد قال الإمامُ محمدُ بن وَضَّاح: حدثنا أسدٌ، عن جَريرِ بن حازم، عن الصَّلتِ بنِ بَـهْرام، قال: مَرّ ابنُ مسعودٍ بامرأةٍ معها تسبيحٌ تُسبِّح به، فقَطَعَه وألْقاه، ثم مرَّ برجلٍ يُسبِّح بحصًى فضربه برِجْله، ثم قال: لقد جئتُم ببِدْعة ظلماءَ، أو لقد غَلَبتُم أصحابَ محمدٍ ﷺ عِلماً[1].[2] [١٤١]

[شرح١٤١] أي: أنتم بين أمرين: إما أنكم جئتم ببدعة ظلماء، أو =

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٤٠٩) و(٥٤١٠) دون ذكر مروره بالمرأة.

(٢) ص٦٥.

....

= أنكم فقتم أصحاب محمد ﷺ علماً وغلبتموهم، والثاني غير صحيح، فعلم أنه الأول، وأنهم جاؤوا ببدعة ظلماء لا وجه لها، أي: أن إظهارهم التسبيح بالحصى أو بشيء يعلق بالحلقة أو باليد، أو يسبحون بخرزات، أن هذا شيء أحدثتموه بعد أصحاب محمد ﷺ، وهو من البدعة بإظهار التعبد بأشياء ما تعبد بها الأولون، ويكفي التعبد بالأصابع، فإن الأصابع مسؤولة مستنطقة، فالتعبد بها هو المشروع عند التسبيح*.

---

* س: هل هناك دليل على أنه لا يسبح إلا باليمين؟

ج: ورد في بعض الأحاديث حديث جيد وهو الأفضل، فلا بأس به أنه كان يعقدها بيمينه، ولكن إذا عقد باليدين فلا بأس، لأنه جاء في حديث آخر ما يدل على العقد بالأصابع كلها، ولكن اليمين أفضل؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن.

س: هل هناك حديث جاء بعدم التسبيح بالأصابع اليسرى؟

ج: إطلاق الحديث عند أبي داود وغيره أنه أمر أن يعقد بالأصابع وقال: «إنهن مسؤولات مستنطقات»[(١)]. =

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٨٣)، وأبو داود: الصلاة (١٥٠١).

....

= س: لكن هذه الرواية مقيَّدة برواية «سنن أبي داود» باليمنى؟

ج: جاء هذا وهذا؛ فيحمل على التوسعة؛ فهذا أفضل وهذا جائز.

س: لكن يعرف أن المطلَق أحياناً يقيَّد، فرواية عائشة: كان رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بأصابع يده اليمنى[1]، وعائشة كذلك تعرف أن الرسول ﷺ أحواله في البيت من هذا التسبيح، وكذلك ورد في رواية أخرى: أنه بأنامل أصابعه اليمنى، فما أطلقه بعض الرواة يمكن أن يحمل على هذا التقييد.

فمن العموميات: كان الرسول ﷺ يعجبه التيمن في أمره كله[2]، إذا كان لا يمس الذكر باليمنى، كذلك يمكن أن نقول: لا يمس النجس كذلك باليمنى، وعلى هذا فنرى أن لكل يد وظيفة مخصصة بها.

ج: الأصل في هذا التعميمُ والتوسعة وعدم التشديد؛ فاليمنى أفضل والباقي جائز؛ هذا هو الصواب.

---

(١) هذا في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود: الصلاة (١٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري: الوضوء (١٦٨)، ومسلم: الطهارة (٢٦٨).

۞ قولُه: (ولكنِّي لُدِغتُ) هو بضمٍّ أولِهِ وكسرِ ثانيه، مبني لما لم يُسمَّ فاعلُه، أي: لَدغَتْه عقربٌ أو نحوُها.

قولُه: (قلتُ: ارتَقَيتُ) لفظ مسلم: «استَرقَيتُ» أي: طلبتُ مَن يَرقِيني.

قوله: (فما حملكَ على ذلكَ؟) فيه طلبُ الحُجَّة على صحةِ المذهبِ[1] *.

---

* س: كيف يكون فيه طلب الحجة على صحة الشيء؟

ج: أي: إذا فعل الشيء قال له: ما حجتك على الشيء؟ حتى تتم الفائدة، فالعمل بدون حجة ما تتم الفائدة حتى يكون هناك دليل يدل على هذا الشيء، فالفعل (استرقى) ما أحد يعرف الاسترقاء طلب فيه ذم سؤال الناس.

س: أي هذا يطلب منا الآن، حتى لو كان عامياً؟

ج: المقصود طلب العلم فطلبة هذا البيت طلبة علم، أما العامي يسأل أهل العلم فقط، يسأل عن شرع الله، يسأل: ما هو شرع الله؟ ما هو حكم الله؟ما هو مشروع لي؟ ما هو الواجب علي.

---

(١) ص٦٥.

۞ قوله: (حديث حَدَّثَناه الشعبيُّ) أي: حَمَلني عليه حديثٌ حدَّثَناه الشعبيُّ، واسمه عامر بن شَراحِيل الهَمْداني ـ بسكون الميم ـ الشَّعْبي. وُلِد في خلافةِ عمرَ، وهو من ثِقَات التابعين وحُفَّاظهم وفقهائِهم، مات سنة ثلاث ومئة.

قوله: (عن بُريدَةَ) بضمٍّ أوَّله وفتح ثانيه، تصغيرُ بُرْدة (بن الحُصَيْب) بضمِّ الحاء وفتح الصادِ المهملتين ، ابنِ عبد الله بنِ الحارث الأسلميِّ، صحابيٌّ شَهِير، مات سنةَ ثلاثٍ وستين. قاله ابنُ سعدٍ.

قوله: (لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ) هكذا رُويَ هنا موقوفاً، وقد رواه أحمدُ وابنُ ماجَهْ عنه مرفوعاً (١)، ورواه أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ عن عِمرانَ بن حُصَين به مرفوعاً (٢). قال الهيثميُّ: رجال أحمد ثقات.

و(العين): هي إصابة العائنِ غيرَه بعينه، و(الحُمَةِ) =

---

(١) أحمد (١/ ٢٧١)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٣).

(٢) أحمد (٤/ ٤٣٦)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٩)، والترمذي: الطب (٢٠٥٧).

= ـ بضم المهملة وتخفيف الميم ـ: سُمُّ العقرب وشبْهها. قال الخَطَّابي: ومعنى الحديث: لا رُقْيةَ أَشفى أو أَوْلى من رُقْية العَيْن والحُمَة. وقد رَقَى النبيُّ ﷺ ورُقيَ.

قلتُ: وسيأتي ما يتعلّق بالرُّقَى إن شاء الله تعالى.

قوله: (قد أَحسَنَ مَن انتهى إلى ما سَمِع) أي: مَن أَخذ بما بَلَغَه من العِلم وعمل به، فقد أَحسن، لأنه أَدَّى ما وَجَب وعمل بما بَلَغه من العِلم، بخِلافِ مَن يعملُ بجهلٍ أو لا يعملُ بما يعلمُ، فإنه مسيءٌ آثمٌ.

وفيه فضيلةُ عِلْم السَّلَف وحُسنُ أَدَبهم وهَدْيهم وتلطُّفهم في تبليغِ العِلْم، وإرشادُهم مَن أَخَذ بشيء ـ إنْ كان مشروعاً ـ إلى ما هو أفضلُ منه، وأن مَن عمل بما بَلَغَه عن الله وعن رسولِه فقد أحسنَ، ولا يتوقفُ العملُ به على معرفةِ كلام أهلِ المذاهبِ أو غيرِهم.

قوله: (ولكنْ حدَّثَنا ابنُ عباس) هو عبدُ الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلِب، الهاشميُّ ابنُ عمِّ النبي ﷺ، دعا له النبيُّ ﷺ =

= فقال: «اللهمَّ فَقِّهْه في الدِّين وعَلِّمْه التأويلَ»[١]، فكان كذلك. قال عمر: لو أدرك ابنُ عباسٍ أسنانَنا ما عَشَرَهُ منا أَحدٌ، أي: ما بلغ عُشرَه في العِلْم، مات بالطائف سنة ثمانٍ وستينَ.

قال المصنف: فيه عُمقُ عِلْم السَّلَف، لقوله: (قد أَحسَن مَن انتَهى إلى ما سمعَ، ولكن...) كذا وكذا، فعُلِمَ أنَّ الحديثَ الأولَ لا يخالفُ الثاني.

قوله: (عُرِضَت عليَّ الأُمَم) وفي رواية التِّرمِذي والنَّسَائي في «الكبرى»[٢]، من روايَة عَبْثر بن القاسم، عن حُصَين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلةَ الإسراءِ، ولفظه: لما أُسرِيَ بالنبيِّ ﷺ جعلَ يَمُرُّ بالنبيِّ ومعه الواحدُ. قال الحافظُ: فإنْ كانَ ذلك محفوظاً، كانت فيه قُوَّة لمن ذَهَب إلى تَعدُّد الإسْراءِ وأنَّه وَقَعَ بالمدينةِ أيضاً غيرُ الذي وَقَعَ بمكةَ. كذا قالَ، وليس بظاهرٍ، بلْ قد يكونُ رأَى ذلك ليلةَ =

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦).

(٢) الترمذي: صفة القيامة (٢٤٤٦)، والنسائي: الطب (٧٥٦٠).

= الإسراءِ، ولم يُحدِّثْ به إلا في المدينةِ. وليس في الحديثِ ما يدلُّ على أنه حَدَّث به قريباً من العَرْض عليه.

قوله: (فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْطُ) هو الجماعةُ دونَ العَشَرة، قاله النَّوَويُّ.

قوله: (والنبيُّ ومعه الرجلُ والرجلانِ، والنبيُّ وليس معه أَحدٌ) فيه أن الأنبياءَ مُتفاوِتُونَ في عَدَد أتباعِهم وأنَّ بعضَهم لا يتبعُه أَحدٌ، وفيه الردُّ على مَن احتَجَّ بالأكثرِ وزَعَم أنَّ الحقَّ محصورٌ فيهم، وليس كذلكَ، بل الواجبُ اتِّباعُ الكتاب والسُّنَّة مع مَن كانَ، وأينَ كانَ.

قولُه: (إذ رُفع لي سوادٌ عظيمٌ) السوادُ: ضدُّ البياضِ، والمرادُ هنا الشخصُ الذي يُرَى مِن بعيدٍ، أي: رُفع إليه أشخاصٌ كثيرةٌ.

قوله: (فظننتُ أنَّهم أُمَّتي) استَشكَل الإسماعيليُّ كونَه ﷺ لم يَعرِف أُمَّتَه حتى ظَنَّ أنهم أُمَّةَ موسى عليه السلام، وقد ثبتَ من حديثِ أبي هريرةَ: كيفَ تعرفُ مَن لم تَرَ مِن أُمَّتِكَ؟ =

= فقال: «إنهم غُرٌّ مُحجَّلون مِن أَثرِ الوُضُوءِ»(١).

وأجابَ بأن الأشخاصَ التي رآها في الأُفُقِ لا يُدرَك منها إلا الكثرةُ من غيرِ تمييزٍ لأعيانِهم، وأما ما في حديثِ أبي هريرةَ فمحمولٌ على ما إذا قَرُبوا منه، ذكَرَه الحافظُ(٢). [١٤٢]

[شرح١٤٢] وهذا حق لأنه رآهم من بعيد؛ فهو ﷺ ما رأى إلا السواد، والسواد هي الأشخاص التي يرى سوادها واجتماعها من بعيد لكن لا يتعقب تفصيلها، هذا هو السواد، كذا أو كذا هل هم رجال أو نساء، أو حيوانات أخرى، أي: سواد له شأن وله ضخامة، ولكن ليس بالقريب حتى يعرف تفصيله وصفاته.

فلهذا ظنهم أُمته فكانوا قوم موسى، فإذا قربوا ودنوا عرفهم وميَّزهم عن الأشخاص الأخرى والجماعات الأخرى والأمم الأخرى؛ ميزهم بالعلامة التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام وهي =

---

(١) أخرجه مسلم: الطهارة (٢٤٩).

(٢) ص٦٥-٦٧.

....

= أنهم غرٌّ محجَّلون من أثر الوضوء*.

---

* س: الأشخاص التي رآها أم التي رآهم؟

ج: جنس الأشخاص إذا رآها؛ ورآهم للجماعة.

۞ قولُه: (فقِيل لي: هذا موسى وقومُه) أي: موسى بنُ عمران كَلِيمُ الرحمنِ، وقومُه الذين اتبعوه؛ وفيه فضيلةُ موسى وقومِه.

قولُه: (فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيمٌ) لفظ مسلم بعد قولِه: «هذا موسى وقومُه»: «ولكنِ انظُر إلى الأُفقِ، فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيمٌ، فقِيلَ لي: انظُر إلى الأُفُقِ الآخرِ، فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيم، فقِيلَ لي: هذهِ أُمَّتُكَ».

قولُه: (ومعهُم سَبعُونَ ألفاً يدخلُون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ) أي: لتحقيقِهِمُ التوحيدَ.

قال الحافظ: المرادُ بالمعيَّـةِ المعنويةُ، فإن السبعينَ ألفاً المذكورين من جملةِ أُمَّتِه، لكن لم يكونوا في الذين عُرِضُوا إذْ ذاكَ، فأُريدَ الزيادةُ في تكثيرِ أُمتهِ بإضافةِ السبعينَ ألفاً إليهم.

قلت: وما قالَه ليس بظاهرٍ، فإن في روايةِ ابنِ فُضَيل: =

= «ويدخل الجنةَ من هؤلاء مِن أُمَّتِكَ سبعونَ ألفاً»[١].[٢] [١٤٣]

[شرح١٤٣] ليس معنى ذلك أنهم بعيدون عنهم لكن من جملتهم؛ من جملة هذه الأمة سبعون ألفاً، وفي اللفظ الآخر: «زادَني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفاً»[٣]، فالحاصل أنهم ليسوا بجماعة آخرين خارج عن هذا السواد، بل هم من جملة هذا السواد.

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٤).

(٢) ص٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

۞ وقد وردَ في حديثِ أبي هريرةَ في «الصحيحين» وصفُ السبعينَ ألفاً بأنهم: «تُضِيءُ وجوهُهُم إضاءةَ القمرِ ليلةَ البدرِ»(١)، وفيهما عنه مرفوعاً: «أوَّلُ زُمرَةٍ تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ، والذين على آثارِهم كأَحسنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً»(٢).

وجاءَ في أحاديثَ أُخَرَ: أن مع السبعينَ ألفاً زيادةً عليهم، فروى أحمدُ والبيهقيُّ في «البعثِ» حديثَ أبي هريرة في السبعينَ ألفاً؛ فذكره، وزاد قال: «فاستزدتُ ربِّي فزادَني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفاً»(٣)، قال الحافظ: وسندُه جيِّد.

وفي الباب عن أبي أيوبَ عند الطبراني(٤)، وعن حُذَيفة عند أحمد(٥)، وعن أنسٍ عند البزَّار(٦)، وعن ثَوْبان عند ابن =

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٥٤٢)، ومسلم: الإيمان (٢١٦).
(٢) أخرجه البخاري: بدء الخلق (٣٢٥٤)، ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤).
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٥).
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٨٨٢).
(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣).
(٦) انظر «إتحاف الخيرة» (١٠٢٤٧)، «المطالب العالية» (٤٦١٤). وأخرجه أبو يعلى =

= أبي عاصم[١]، قال: فهذه طرقٌ يقوِّي بعضُها بعضاً.

قال: وجاء في أحاديثَ أُخَرَ أكثرُ من ذلك، فأخرج الترمذيُّ وحسَّنَه والطبرانيُّ وابنُ حِبّان في «صحيحه» من حديثِ أبي أُمامةَ رفعه: «وَعَدَني رَبِّي أن يُدخِلَ الجنةَ مِن أُمَّتي سبعينَ ألفاً، مع كلِّ ألفٍ سبعينَ، كذا ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ، وثلاثُ حَثَياتٍ مِن حَثَياتِ ربِّي»[٢].[٣] [١٤٤]

[شرح١٤٤] يجوز الرفع والنصب: «سبعون» مبتدأ، و«سبعين» نصب على المفعولية؛ أي: وعدني أن يدخل مع كل ألف سبعين ألفاً؛ فكلٌّ على حسب التقدير*.

---

* س: الحثية الواحدة كم عددها؟

ج: الله ﷻ أعلم بها، لا يحصيها إلا هو؛ على حسب التوحيد والإيمان.

= في «مسنده» (٣٧٨٣).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٥٥).

(٢) الترمذي: صفة القيامة (٢٤٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٤٦). وأخرجه أيضاً ابن ماجه: الزهد (٤٢٨٦).

(٣) ص٦٧.

۞ ورَوَى أحمدُ وأبو يعلَى من حديثِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ سبعينَ ألفاً يَدخُلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، وُجوهُهُم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، قلوبُهُم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فاستَزَدتُ ربِّي ﷻ فزادَني مع كلِّ واحدٍ سبعيَن ألفاً»[1].

قال الحافظُ: وفي سندِه راويانِ: أحدُهما ضعيفُ الحفظِ، والآخرُ لم يُسَمَّ.

قلتُ: وفيه «أن كلَّ أُمَّةٍ تُحشَر مع نبيِّها».

قولُه: (ثم نهضَ) أي: قامَ.

قولُه: (فخاضَ الناسُ في أولئك) قال النوويُّ: هو بالخاءِ والضادِ المعجمتين، أي: تكلَّمُوا وتَناظَروا[2]. [١٤٥]

[شرح١٤٥] في وصف السبعين قلوبهم كقلب رجل واحد، وهذا وصف خاص وإلا فأهل الجنة كذلك، قد جاء في الأحاديث =

---

(١) أحمد (١/ ٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٢).

(٢) ص٦٧-٦٨.

....

= الصحيحة في «الصحيحين» وغيرهما على أن أهل الجنة قلوبهم كقلب رجلٍ واحدٍ[١]؛ أي: ليس بينهم غل ولا حقد ولا تنافس، بل كلهم على طريقة واحدة، متحابون ليس بينهم غل ولا حقد، فقد نزع الله ما في قلوبهم من غل، فهم على قلب رجل واحد وعلى خلق رجل واحد، أخلاقهم كريمة، وقلوبهم صافية سليمة، هذه حال أهل الجنة جميعاً، لكن هؤلاء السبعين وأشباههم ومن التحق بهم تكون لهم ميزة زائدة في الفضل.

(١) انظر ما ورد في البخاري: بدء الخلق (٣٢٤٦)، ومسلم: الجنة (٢٨٣٤).

۞ قال: وفي هذا إباحةُ المناظرةِ في العلمِ والمباحثةِ في نصوصِ الشرعِ على جهةِ الاستفادةِ وإظهارِ الحقِ[1]. [١٤٦]

[شرح١٤٦] أي: لا على سبيل الرياء والسمعة، أو على سبيل الهضم من زيد وعمرو ونحو ذلك وإظهار فضله عليه، بل يكون البحث بين طلاب العلم لقصد الاستفادة، وإظهار الحق، مع قطع النظر عن كونه يظهر على يد فلان أو يد فلان أو يد فلان، وإنما مع الإخلاص والصدق ومع صفاء القلوب؛ إذ المقصود الفائدة فقط.

ولا يجوز أن يكون البحث والمذاكرة من أجل إظهار فضل زيد على عمرو أو خالد على بكر، أو من أجل أن يمدح بذلك، أو أن يرائي الناس به؛ فإن هذا وسيلة إلى ظلمة القلوب، وإلى قسوتها، وإلى ذهاب الفائدة وضياعها. نسأل الله السلامة.

---

(١) ص٦٨.

۞ وفيه: عمقُ عِلْمِ السلفِ لمعرفتِهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعلمٍ[1]. [١٤٧]

[شرح١٤٧] الصحيح «بعملٍ» وإن كان الأصل «بعلم»؛ فصواب العبارة: «لم ينالوا ذلك إلا بعملٍ».

---

(١) ص٦٨.

۞ وفيه: حِرصُهم على الخيرِ، ذكَره المصنِّفُ.

قولُه: (فقال: هم الذين لا يَستَرقُون)، هكذا ثبتَ في «الصحيحين».

وفي رواية مسلم التي ساقها المصنِّفُ هنا زيادةُ: «ولا يَرقُون» وكأنَّ المصنِّفُ اختصرَها كغيرِها؛ لما قيل: إنَّها مَعلُولةٌ.

قال شيخُ الإسلامِ: هذه الزيادةُ وَهمٌ من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «لا يَرقُون»؛ لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبيُّ ﷺ ـ وقد سئل عن الرُّقَى ـ قال: «مَن استطاعَ منكُم أن ينفعَ أخاه فليَفعَل»[1]. وقال: «لا بأسَ بالرُّقَى ما لم تكنْ شِركاً»[2].

وأيضاً: فقد رقَى جبريلُ النبيَّ ﷺ[3]، ورقَى النبيُّ ﷺ =

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

(٣) أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

= أصحابَه[1].

قال: والفرقُ بين الراقِي والمُسترقِي: أن المُسترقِي سائلٌ مُستَعطٍ مُلتفِت إلى غيرِ الله بقلبِه، والراقي محسنٌ.

قال: وإنما المرادُ وصفُ السبعينَ ألفاً بتمام التوكُّلِ، فلا يسألون غيرَهم أن يَرقِيَهُم ولا يَكوِيَهُم ولا يتطيَّرون.

وكذا قال ابنُ القيِّم، ولكن اعترضَه بعضُهم بأن قال: تغليطُ الراوي مع إمكانِ تصحيح الزيادةِ لا يُصارُ إليه، والمعنى الذي حملَه على التغليطِ موجودٌ في المُرقِي؛ لأنه اعتلَّ بأن الذي لا يطلبُ مِن غيرِه أن يَرقِيَه، تامُّ التوكُّلِ، فكذا يقال: والذي يَفعلُ به غيرُه ذلك ينبغي ألّا يمكِّنَه منه لأجلِ تمامِ التوكُّلِ، وليس في وقوع ذلك من جبريلَ عليه السلامُ دلالةٌ على المدَّعَى، ولا في فعلِ النبيِّ ﷺ له أيضاً دلالةٌ في مقامِ التشريعِ وتبيينِ الأحكامِ. =

(١) انظر البخاري: الطب (٥٦٧٥) و(٥٧٤٣- ٥٧٤٥)، ومسلم: السلام (٢١٩١) و(٢١٩٢) و(٢١٩٤).

= كذا قال هذا القائلُ، وهو خطأٌ من وجوهٍ:

الأولُ: أن هذه الزيادةَ لا يمكن تصحيحُها إلا بحملها على وجوهٍ لا يصحُّ حملُها عليها، كقول بعضِهم: المرادُ: لا يَرقُون بما كان شِركاً أو احتملَه، فإنه ليس في الحديثِ ما يدلُّ على هذا أصلاً.

وأيضاً فعلى هذا لا يكون للسبعينَ مزيَّةٌ على غيره، فإن جملةَ المؤمنينَ لا يَرقون بما كان شِركاً.

الثاني: قولُه: (فكذا يقال...) إلى آخره، لا يصحُّ هذا القياسُ، فإنه من أَفسدِ القياسِ، وكيف يُقاسُ مَن سألَ وطلبَ على مَن لم يَسأَل؟»(١). [١٤٨]

[شرح١٤٨] قوله: «المُرقِي كذلك» أي: إذا كان ترك الاسترقاء أَولى، فينبغي أيضاً أن يكون المُرقِي لا يقبل هذا الشيء، بل من أراد أن يحسن إليه فليمنعه، فهذا قياس فاسد، إذ ليس السائل كالمعترض على السؤال، هناك فرق بعيد، ولهذا جاء في الأحاديث =

---

(١) ص٦٨-٦٩.

....

= الصحيحة: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرِف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»[١].

هذا بخلاف السائل الذي يكون له نوع من الذل، ونوع من الاستعطاف، ونوع من الالتفات إلى المسؤول، فلا يستويان، لا يستوي هذا الذي يرقي من دون أن يسأل مع الذي يسأل، فبينهما فرق.

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٤٧٣)، ومسلم: الزكاة (١٠٤٥).

۞ مع أنه قياسٌ مع وجودِ الفارقِ الشرعيِّ، فهو فاسدُ الاعتبارِ؛ لأنه تسويةٌ بين ما فَرَّقَ الشارعُ بينهما بقوله: «مَن اكتَوَى أو استَرقَى فقد بَرِئَ مِن التوكُّلِ». رواه أحمدُ، والترمذيُّ وصحَّحه، وابنُ ماجه، وصحَّحه ابنُ حِبان، والحاكمُ أيضاً [1]، وكيف يُجعَل تركُ الإحسانِ إلى الخلقِ سبباً للسَّبقِ إلى الجِنانِ؟!» [2] [١٤٩]

[شرح١٤٩] حديث «من اكتوى أو استرقى...» هذا فيه نظر وما أظن صحته وإن صححه ابن حبان، فإن هذا المتن بعيد عما هو معروف عن النبي عليه الصلاة والسلام، وما هو معروف في القواعد الشرعية.

وهذا الحديث مداره على عَقّار بن المغيرة، وفي انفراد عقار بهذا الحديث نظر، وهو صدوق، والصدوق درجة غير الثقة، وقد لا =

---

(١) أحمد (٤/ ٢٤٩)، والترمذي: الطب (٢٠٥٥)، وابن ماجه: الطب (٣٤٨٩)، وابن حبان: الرقى والتمائم (٦٠٨٧)، والحاكم: الرقى والتمائم (٤/ ٤١٥) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) ص٦٩.

....

= يحتج به إذا انفرد، وانفراد عقار بهذا عن أصحاب المغيرة من الأئمة والأثبات والتابعين يخرجه عن درجة الاحتجاج به.

وهو مخالف لظاهر الأحاديث الصحيحة، ففيه نظر، فأقرب ما يقال ـ إن صح ـ: إنه يكون شاذاً؛ كما قال الحافظ، فإن خولف، فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ، فإنه إذا خولفت الأدلة الشرعية المعروفة بحديث ما وإن كان سنده جيداً، اعتُبر شاذاً؛ كونه خالف من هو أوثق منه، ولا يعتبر به إلا أن يحمل هذا الحديث على التوكل الكامل، ففي صيغة هذا الحديث وألفاظه نظر إلا أن يحمل على التوكل الكامل، لكن ظاهر إطلاق الصيغة أنه التوكل كله، لكن لو استقام سنده وسلم فإنه يحمل على البراءة من التوكل الكامل، وليس من جنس التوكل فقط، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر أن يُسترقَى من العين[1].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة والمستفيضة التداوي والكي والاسترقاء، فالقول بأن هذا براءة من التوكل اعتماداً على رواية =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥) من حديث عائشة.

....

= عقار هذا، فيه نظر، والمقصود أن للبحث تتمة بالنظر في حال عقار.

وبكل حال لو ثبت أن عقاراً سليم من القدح أو الجرح، فهو من باب الأخبار الشاذة، لأن شرط الحديث الصحيح أن يكون متصل السند ولا يكون معلاً ولا شاذاً، هذا بالنسبة للأحاديث الكثيرة والآيات الدالة على الأسباب، ولا سيما ما يتعلق بالكي نفسه والاسترقاء، فهذان الشيئان خالفا الأحاديث الصحيحة، فعن ابن عباس عند البخاري[1]: «الشفاء في ثلاث»، ومنها الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الكي والاسترقاء، وهي ثابتة في «الصحيح» أيضاً: أن النبي ﷺ أمر أن يسترقى من العين، وأمر امرأة جعفر أن تسترقيَ لأولادها[2].

(١) برقم (٥٦٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

۞ وهذا بخلاف من رَقَى أو رُقِيَ من غيرِ سؤالٍ، فقد رَقَى جبريلُ النبيَّ ﷺ(١)، ولا يجوزُ أن يُقال: إنه عليه السلام لم يكن متوكِّلاً في تلك الحالِ(٢). [١٥٠]

[شرح١٥٠] ولا غرابة في أن حَذَفَه المهذِّب الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» ولم يذكره؛ لأنه استغربه، ورأى أنه غير مطابق لقواعد الشرع وأوامر الشرع، ولهذا حذفه من «التهذيب»، فإنه رحمه الله هذب الشرح هذا وأدخل فيه بعض النقول، وحذف منه بعض الأشياء التي رأى أن حذفها أحسن، ومن جملة ذلك أنه حذف هذا الاعتراض الذي ذكر على الرقية، وحذف أيضاً هذا الحديث، وحذف أشياء غيره.

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

(٢) ص٦٩.

۞ الثالث: قوله: (ليسَ في وُقُوع ذلكَ من جبريلَ...) إلى آخره، كلامٌ غيرُ صحيح، بل هما سيِّدا المتوكِّلينَ، فإذا وقعَ ذلك منهما دلَّ على أنه لا يُنافي التوكُّلَ، فاعلَمْ ذلكَ(١). [١٥١]

[شرح١٥١] أي: لا ينبغي ترك التوكل من النبي ولا من جبريل عليه الصلاة والسلام، أي: لو كان فيه نقص لما فعله جبرائيل ولما فعله النبي ﷺ، ثم علاوة على ما قال الشارح قول آخر: وهو أن هذه الزيادة لم تقع إلا في حديث ابن عباس هذا «يرقون»، ولم تأت في الأحاديث الأخرى التي جاء فيها أخبار السبعين؛ أخبار عمران بن حصين وأبي هريرة والجماعة ذكروا السبعين، فلم يأت في رواياتهم «ولا يرقون» إنما جاء فيها «ولا يسترقون» بالسين، فدل ذلك على أن رواية ابن عباس هي التي اختصت بالوهم؛ لأن فيها الزيادة عند مسلم دون غيرها، الصحابة الذين رووا قصة السبعين ما رووا فيها «ولا يرقون»؛ فهذا من دلائل عدم صحة هذه الزيادة، وأنه من بعض الرواة الذين رووا حديث ابن عباس*.

---

* س: الرقية في الإناء، أي: الذي يأتي بإناء ويقرأ وينفث في الإناء، هل =

---

(١) ص٦٩.

....

= ورد في هذا حديث؟

ج: ورد في حديث عند أبي داود في أول كتاب الطب[١]، وهو حديث جيد لا بأس به: أن رسول الله ﷺ دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فدعا له ثم أخذ تراباً من بُطْحان فجعله في قدح، ثم نفث عليه بماء، ثم صبَّه عليه.

س:ورد أنه يكتب بالزعفران، ما أصل هذه الراوية؟

ج: لم أجد لهذا أصلاً، وإن كان يروى عن ابن عباس، لكن على أصلها ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة أنه مروي عن ابن عباس، ولكن لم أقف على السند، ولم أر ما يدل ثبوته عن ابن عباس، وفعله بعض السلف، فعله أحمد والجماعة من السلف يكتبون للمرقي في صحون نظيفة بزعفران وتغسل ويشربها المريض، هذا موجود منذ العهد القديم منذ القرن الثاني وما بعده ولا أعرفه عن الصحابة.

ولهذا فيما يظهر لي أن الأَولى ترك ذلك، وأن يكتفى بالرقية على المريض، أو يأتي بماء يشربه وفي طعام يأكله أو يدهن به، أي: شيء يباشر المريض رأساً، أما شيء يكتب ثم يغسل، لا أعرف له أصلاً ثابتاً عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، إنما هو من فعل بعض السلف، وما روي عن ابن =

(١) برقم (٣٨٨٥).

....

= عباس وما رأيته وما رأيت أحداً رواها بإسنادها، فلتبحث ولتنظر.

س: الحديث الذي فيه قصة اللديغ فدعا النبي ﷺ بماء وملح وقرأ عليهما؟

ج: جارٍ كذلك، لكن لا أذكر الآن سنده ومن رواه، غاب عن ذهني الآن لا أتذكر، لكنه مر بي هذا الشيء، أظنه أن جبرائيل قرأ للنبي ﷺ بماء وملح في لدغة أصابت النبي ﷺ[1].

س: الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقرأ في يديه ويمسح، هل يقاس عليه المسح بالماء ؟

ج: لا يقاس عليه؛ لأن كون الإنسان يقرأ على جزء من جسمه، ثم يجعله على بقية جسمه لا يمكن أن يقرأ بشيء منفصل، ألا يقاس عليه، فالنبي ﷺ ثبت عنه أنه كان إذا أحس بشيء يقرأ في يديه ﷺ «قل هو الله أحد» والمعوذتين، ويمسح من ذلك ما أقبل من جسده ورأسه ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام عند النوم[2].

وتكميل لهذا البحث مما يؤيد ما أشرت إليه من القياس، قد يتأيد القياس بأن عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما مرض النبي ﷺ في آخر حياته، وكان يعجز أن يقرأ في يديه بسبب الضعف، صارت هي تقرأ في =

(١) انظر «شعب الإيمان» (٢٥٧٥) و(٢٥٧٦).

(٢) انظر «صحيح البخاري» (٥٠١٦) و(٥٠١٧) و(٥٧٤٨).

....

= يديه وتمسح بهما وجهه، تقرأ هي على يد النبي ﷺ وتمسح بهما جسده[1].

س: الرُّقى بالأوراق، ما مدى صحته؟

ج: هذا الذي يسأل عنه الإخوان، يروى عن ابن عباس ذلك وعن جماعة من السلف فعلوه، ولكن إذا تيسر أن يكون على المريض من باب أولى القراءة على المريض، أو في شيء يشربه أو يدهن به أو نحو ذلك.

س: إذاً ما لها صحة؟

ج: لا أعرف عنها شيئاً عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، إنما هي تروى عن ابن عباس، ولكن من باب الطب، أي: التطبب، لا من باب العبادات.

س: أقول: إن لم يصح الحديث عندهم يستدلون بـ«لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[2]، أهذا الحديث تدخل فيه الرقية بالماء؟

ج: قد يعمها، لكن ما هو وارد أولى؛ لأن الغالب المعروف عن الصحابة الرقى على نفس المرضى؛ فالرقى على المريض أظهر، ولكن من حيث العموم النفث في إناء أو النفث في طعام، أو ما أشبه ذلك قد يدخل في العموم لا بأس بالرقى، هذا يسمى رقى ولا يسمى تميمة، مثل الحجاب، وما تقدم ألصق.

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٥١).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

۞ قوله: (ولا يَكتَوُون) أي: لا يسألون غيرَهم أن يَكوِيَهم، كما لا يسألون غيرَهم أن يَرقِيَهم استسلاماً للقضاءِ وتَلذُّذاً بالبلاءِ[١]. [١٥٢]

[شرح١٥٢] وهذا وإن كان كما أنه ليس له أن يكويهم ليس بجيد، ظاهر النص: لا يسألون ولا يفعلون أيضاً، «لا يَستَرقُونَ ولا يَكتَوُونَ» لم يقل: ولا يسألون، إنما التأويل من الشارح ومن سار على طريقه، الكي هنا يكره ولو من غير سؤال؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لا يَكتَوُون» لم يقل: لا يسألون أحداً أن يكويهم؛ أي: لا يطلبون من أحد أن يكويهم قال: «لا يسترقون ولا يكتوون» فنفس الاسترقاء مكروه؛ يعني: تركه أولى إلا عند الحاجة، ونفس الكي كذلك إلا عند الحاجة.

وثبت عنه ﷺ أنه أمر أسماء بنت عميس أن تسترقي لأولاد جعفر[٢]، فدل ذلك على جواز الاسترقاء عند شدة الحاجة، فيكون وصف السبعين بهذا الفضل من باب الأولوية لا من باب الكراهة، =

---

(١) ص٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

....

= ولا من باب التحريم.

فالأولى والأفضل أن لا يسترقي، فإن استرقى فلا حرج، ولهذا أمر ﷺ أن يسترقَى من العين[1].

وفيه: «ولا يكتوون» أي: لا يفعلون الكي عند الاستغناء عنه، أما عند الحاجة إليه فلا كراهة؛ لأن الحاجة تزيل الكراهة، ولهذا في «صحيح البخاري» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في كية نار، أو شرطة محجم، أو شربة عسل، وأنهى أمتي عن الكي»[2]، وفي الآخر: «وما أحب أن أكتوي»[3]، هذا يدل على الكراهة فإذا دعت الحاجة إليه زالت الكراهة وقد كوى النبيُّ ﷺ بعض أصحابه[4]، وقد اكتوى خبَّاب ابن الأَرَتّ وغيره[5]، فالمقصود أن الكي جائز عند الحاجة إليه من =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥).
(٢) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).
(٣) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).
(٤) انظر مسلم: السلام (٢٢٠٧) و (٢٢٠٨).
(٥) أخرجه البخاري: المرضى (٥٦٧٢)، ومسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨١).

....

= دون كراهة، فإذا استغني عنه ووجد طباً آخر، ودواء آخر، فالأولى تركه لما فيه من التعذيب، فما ينبغي للمؤمن أن يتعجل شيئاً من العذاب إلا عند الحاجة لذلك*.

*** س: ولكن بعض الأمراض ممكن أن تستعصي على بعض الأطباء.**

ج: هذه حاجة، إذا عرف أن هذا الداء الكي أحسن له فلا بأس، الرسول ﷺ قال: «الشفاء في ثلاث» أراد بذلك الدعوة إلى هذا الشيء.

۞ أما الكَيُّ في نفسِه فجائزٌ كما في «الصحيح» عن جابرِ بن عبد الله: أن النبيَّ ﷺ بعثَ إلى أُبيِّ بنِ كعبٍ طبيباً، فقطعَ له عِرقاً وكَوَاه(١).

وفي «صحيح البخاريِّ» عن أنسٍ: أنه كُوِيَ من ذاتِ الجَنبِ، والنبيُّ ﷺ حيٌّ(٢).

وروى الترمذيُّ وغيرُه عن أنسٍ: أن النبيَّ ﷺ كَوَى أسعدَ بنَ زُرَارَةَ مِن الشَّوْكةِ(٣).

وفي «صحيح البخاريِّ» عن ابنِ عباسٍ مرفوعاً: «الشفاءُ في ثلاثة: شَربَةِ عَسَلٍ، وشَرطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ، وأنا أَنهى عن الكَيِّ»(٤). وفي لفظ: «وما أُحبُّ أن أَكتويَ»(٥).

قال ابنُ القيِّم: فقد تضمَّنَت أحاديثُ الكَيِّ أربعةَ أنواعٍ: =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٢١، ٥٧٢٠، ٥٧١٩).

(٣) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٠).

(٤) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٥) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

= أَحدها: فِعلُه.

والثاني: عدمُ محبَّتِه له.

والثالث: الثناءُ على مَن تَـرَكَه.

والرابع: النهيُ عنه.

ولا تَعارُضَ بينها بحَمدِ الله، فإنَّ فِعلَه له يدلُّ على جَوازِه، وعَدَمُ محبَّتِه له لا يدلُّ على الـمَنْعِ منه، وأما الثناءُ على تارِكِيه فيدلُّ على أن تركَه أَوْلَى وأفضلُ، وأما النهيُ عنه فعَلَى سَبيلِ الاختيارِ والكراهيةِ(١). [١٥٣]

[شرح١٥٣] هذا كلام قيِّم حسن مطابق للواقع*.

---

* س: قولُه: «الغر المحجَّلون» هل هو خاص بهذه الأمة؟

ج: العلامة فقط، لكن الوضوء لهم وللأمم قبلهم، التحجيل لهذه الأمة لهم خاصة وجوههم فيها نور، وكذلك الأيدي والأرجل فيها نور خاص، يعرفهم بها نبيهم عليه الصلاة والسلام، جعلنا الله وإياكم منهم.

س: الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] هل هي =

---

(١) ص٦٩.

....

= خاصة أم عامة ؟ يعني هل هي خاصة بأشخاص معينين؟

ج: لا، ليست خاصة، الأمر للأُمة كلها، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الأمر لجميع الأمة ليس خاصّاً.

س: ما رأيك فيمن يدعي أنه يمكنه تحصيل المعارف والعلوم الكثيرة، ولو لم يتعلم؟

ج: هذا من الجهل بسنة الله في عباده، لأن التعلم من التقوى، قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: أطيعوه، ومن جملة الطاعة التعلم والتفقه في الدين، وليس معنى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ بغير تعلم، يعني: اتقوا الله، أي: صلوا وصوموا ونحو ذلك وأنتم تاركو العلوم، وأنتم ما تعلمتم من أحد، ولا تدبرتم القرآن، ولا أخذتم الأحاديث عن رسول الله ﷺ ! هذا خطأ لا يقول به أحد، نفس التعلم من التقوى، فمن اتقى الله بطلب العلم والإخلاص لله في الطلب والمواظبة والمثابرة علّمه الله.

وهذا مثل قول بعض الناس في قول الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥] فيقول: معناها: أني لا يضرني ضلال الناس ولو لم آمرهم ولا أنهاهم لأني مهتد، وهل يحصل هداية كاملة وأنت مضيع للأمر والنهي؟!

من الهداية التي شرطها الله أن تكون أماراً للمعروف، ناهياً عن المنكر =

....

= حسب طاقتك، وبهذا تكون مهتدياً، أما إذا ضيعت ذلك فيضرك ضلال غيرك، إذا أنت لم تأمر ولم تنه يضرك.

س: هل صح قول أبي بكر عن هذه الآية؟

ج: نعم، رواه أبو داود بسند جيد والإمام أحمد أيضاً في أول «المسند»[1].

س: ما هو العلم الواجب؟

ج: ما لا يسع العبد جهله، أي: يتعلم ما أوجب الله عليه وما حرم الله عليه حتى يكون على بصيرة، وأعظم ذلك توحيد الله فيتعلم الشهادتين.

وقد جمع ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، في «ثلاثة الأصول»، فأشار إلى هذا المعنى بعبارات واضحة، يأتي الكلام عليها إن شاء الله في الدرس الآخر.

المقصود أن العلم الواجب هو الذي لا يسع العبد جهله من حيث يعرف ما أوجب الله عليه، وما حرم الله عليه على بصيرة حتى يعبد الله على بصيرة.

س: حديث «فإذا رأيت هوى متبعاً وشُحّاً مُطاعاً... »؟

ج: حديث جيد في الجملة؛ رواه أبو داود وغيره، قال: «إذا رأيتَ شُحّاً =

---

(١) أبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)، وأحمد (١/ ٢).

....

= مطاعاً، وهوًى متَّبعاً، ودُنيا مُؤثَرة، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه، وأمراً لا يدان لك به؛ فعليك بخاصة نفسك بنفسك»[1]، أي: رأيت أموراً خمسة: شحّاً مُطاعاً، وهوًى متَّبَعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وأمراً لا يدانِ لكَ به؛ أي: لا طاقة لك به؛ أي: إذا كان لا طاقة عنده ليتكلم وغير معلوم.

س: ما معنى «ودَعْ عنكَ العوامَّ»، هل هم الناس؟

ج: أي: عامة الناس، أي: اشتغل بنفسك، أي: التزم بنفسك، من جهة إلزامها الحق وكفها عن الباطل، أما الهجرة فهذا معروف من الأدلة الأخرى.

(١) أخرجه الترمذي: التفسير (٣٠٥٨)، وأبو داود: الملاحم (٤٣٤١)، وابن ماجه: الفتن (٤٠١٤).

۞ قوله: «ولا يَتطيَّرون» أي: لا يتشاءَمونَ بالطيورِ ونحوِها.

وسيأتي بيانُ الطِّيَرةِ وما يتعلَّق بها في بابِها إن شاءَ الله تعالى[1]. [١٥٤]

[شرح١٥٤] أي: أن المؤلف عقد لها باباً خاصاً، قال: باب ما جاء في التطير؛ والتطير كما تقدم: هو التشاؤم من مرئيات أو مسموعات، ومن صفات أهل الجنة أنهم لا يتطيرون، أي: لا يتشاءمون بالمرئيات أو المسموعات التشاؤم الذي يضرهم ويردهم عن حاجاتهم.

أما الفأل؛ فإن المؤمن يحب الفأل كما كان النبي ﷺ يحب الفأل[2]: وهو أن يسمع كلمة طيبة فيسر بها، وينشرح لها صدره، وهذا ليس من الطيرة في شيء، ويأتي في هذا الكلام إن شاء الله.

مثل الإنسان المريض يقال له: يا مشافى يا معافى يا سليم، فيفرح بهذه الكلمة، أو الإنسان الذي يلتمس الضالة، فيقول: يا واجد يا موفق يا مهدي أو ما أشبه ذلك فليس في هذا شيء، فهو من باب الفأل. =

---

(١) ص٦٩.

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٢٣).

....

= المقصود من التطير إذا كان إنسان مثلاً خرج مسافراً فرأى إنساناً سيئ الخلقة، أو وافى حيواناً سيئ الخِلقة، أو سمع صوت غراب، أو كلاماً غير لائق؛ فتشاءم بهذا ورجع عن حاجته؛ فهذا من باب التطير*.

---

* **س: إذا تعسر على الإنسان أمرٌ فرجع عنه؛ فهل يُعدُّ هذا من باب التطير؟**

ج: ليس ذلك من التطير ما دام تعسر عليه؛ فيلتمس غيره.

۞ قوله: (وعلى ربِّهم يتوكَّلُون) ذكرَ الأصلَ الجامعَ الذي تفرَّعَت عنه هذه الأفعالُ، وهو التوكُّلُ على الله، وصِدقُ الالتجاءِ إليه، والاعتمادُ بالقلب عليه، الذي هو خلاصةُ التفريدِ، ونهايةُ تحقيقِ التوحيدِ الذي يثمرُ كلَّ مقامٍ شريفٍ من المحبَّةِ والخوفِ والرجاءِ، والرضَا به ربّاً وإلهاً، والرضَا بقضائِه؛ بل ربما أوصَلَ العبدَ إلى التلذُّذِ بالبلاءِ وعَدِّهِ من النَّعماءِ، فسبحانَ مَن يتفضَّل على من يشاءُ بما يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ(1). [١٥٥]

[شرح١٥٥] كثير من الناس قد يغلط في التوكل، ويحسب أنه ينافي الأسباب؛ وليس الأمر كذلك، فالتوكل لا ينافي الأسباب؛ بل نفس الأسباب من التوكل، فالتوكل شيء عظيم محبوب لله، مأمور به؛ بل واجب على المسلم، وهو أي: التوكل يجمع أمرين:

الأمر الأول: الاعتماد على الله، والإيمان بأنه مسبب الأسباب ومدبر الأمور، وأن كل شيء بيده من الشفاء والمرض، والصحة والسقم، وقضاء الحاجة، وعدم ذلك كل ذلك بيده ﷻ. =

---

(١) ص٦٩-٧٠.

....

= والأمر الثاني: تعاطي الأسباب والأخذ بها من الطاعات التي هي أسباب الجنة، وترك المعاصي التي تركها من أسباب الجنة، والأخذ بالأسباب التي تنفع في الدنيا من التجارة، أو الحراثة، أو الفلاحة، أو النجارة، أو الخرازة، أو غيرها من الأسباب التي يحتاجها في الدنيا حتى يستغني بها عن الحاجة إلى الناس.

فالتوكل يجمع الأمرين؛ يجمع ثقة بالله، واعتماداً عليه، وإيماناً بأنه مسبِّب الأسباب، وأنه مدبر الأمور، وأنه قد سبق علمه بكل شيء، وقدر كل شيء؛ فهو يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف يعلم هذا، وهذا أمر.

والأمر الثاني: هو الأخذ بالأسباب، وأن هذا الاعتماد على الله، وهذه الثقة به لا تمنع الإنسان من الأخذ بالأسباب؛ بل ترك الأسباب نقص في العقل وقدح في الشرع، ولا يمكن أن تكون الأسباب كذلك: نقص في العقل وقدح في الشرع، والاعتماد عليها كذلك؛ فلا يعتمد عليها ولا يسلبها ولا يعطلها؛ بل يأخذ بها، ويعمل بها من غير اعتماد عليها، ومن غير التفات إليها؛ بل مع =

....

= اعتماده على الله، وعلمه وإيمانه بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

فإذا ذهب إلى الطبيب لا يظن أن هذا الطبيب هو الشافي المعافي؛ بل أمره إلى الله ﷻ؛ فأنت مأمور بالطبيب: «تَداوَوْا، ولا تَداوَوْا بحرام»[1]؛ ولكن ليس الشفاء بيد الطبيب؛ إنما هو من جنسه إذا تسبب وعمل بما يستطيع وبما يظهر له من علمه فقد ينفع وقد لا ينفع.

كذلك إذا ذهب إلى من يرقيه من أهل العلم أو من طلبة العلم أو من الراقين المعروفين، فلا يظن أن هذه الرقية هي الشافية المعافية؛ بل هي أسباب، فقد تنفع الرقية وقد لا تنفع الرقية، وقد ينفع الكي وقد لا ينفع الكي، وقد تنفع العملية التي أجراها الطبيب وقد لا تنفع، فالأمور بيد الله ﷻ؛ فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله؛ لأن الله جعل لكل داء دواء، فإذا وفق الطبيب أو المعالج أو الكي لدواء الداء؛ برئ بأمر الله إذا كان الأجل لم يحضر.

فالحاصل أن الأمور بيد الله ﷻ، وأن الأسباب لا تنافي اعتماده =

---

(١) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٧٤).

....

= على الله، وإيمانه بأنه مسبب الأسباب؛ بل هذا شيء وهذا شيء؛ فالاعتماد على الله شيء عظيم، ومقتضى الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه مسبب الأسباب، وأنه مقدر كل الأشياء، فمن مقتضى ذلك التوكل عليه، والثقة به، والاعتماد عليه ﷻ.

والإيمان الصادق واليقين الجازم أنه لن يفوتك شيء مما كتبه الله لك، ولن يصيبك شيء مما كتبه الله عليك؛ بل أنت عالم بهذا وموقن؛ ولكنك مأمور بالأسباب؛ فإن الأشياء قد تعلق على أسبابها؛ فأنت مأمور بهذه الأسباب التي تجلب الخير، وتدفع الشر في صحتك أو في أهلك أو في أولادك أو في مزرعتك، أو ما أشبه ذلك.

فأنت تلاحظ أسباب نمو الزرع وسلامته، وتلاحظ أسباب سلامة الحيوانات ونموها، وما أشبه ذلك، وتلاحظ أسباب صحتك وسلامة صحتك وسلامتك من الأمراض؛ ولكن لا عن اعتماد على الأسباب، ولا عن الإعراض عن الله؛ بل أنت مع الله، تؤمن بأنه مسبب الأسباب، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قد سبق في علمه موتك وحياتك، وما يصيبك وأنت في بطن أمك وقبل =

....

= ذلك، فإذا توكل الإنسان على الله على هذا المعنى فقد أصاب الشرع، وإذا توكل على الله بمعنى آخر، وهو أنه يعطل الأسباب، فيبقى في بيته، أو في المسجد، لا يتعاطى الأسباب؛ بل يتركها ويقول:إن هذا هو الشرع؛ فقد غلط في ذلك.

أما لو رأى إنسان أن المعالجة لا تناسبه، ورأى أنه يتلذذ بهذا المرض، ويرجو فيه عافية الله وتكفيره للسيئات، وحط الخطايا، أو رأى الأطباء فيهم من الشر ما فيهم، وفي طبهم من الشر ما فيه، ورأى أن يبقى على مرضه، وألا يعالج؛ فلا حرج عليه ولا بأس؛ فالتداوي ليس بواجب؛ بل فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه مباح وتركه أفضل.

والثاني: أنه مباح وتركه مباح، على السواء.

والثالث: أن فعله أفضل، وهو قول الجمهور.

والرابع: أنه متأكد جداً حتى يداني به الوجوب،وهو قول آخر قاله بعض الحنفية وجماعة.

فالحاصل أن الأدوية والتداوي والعلاج ما هي واجبة؛ إنما =

....

= قصاراها أن تكون مستحبة ومتأكدة، وليست بواجبة؛ اللهم إلا في بعض الحالات القليلة التي يعلم فيها أنه إذا ترك الدواء فيها فقد أعان على قتل نفسه؛ كالمقطوع الذي يقطع ويحتاج إلى حسم الدم وإيقافه، أو ما أشبه ذلك؛ فقد يقال هنا بالوجوب في بعض الحالات التي يعلم يقيناً أنه متى أهملها فقد تسبب في هلاك نفسه.

فالأشياء التي يقرها الأطباء ويعلم الناس أن علاجها سبب للسلامة، وأن ترك ذلك من أسباب الهلاك فينبغي للمؤمن في هذه الحالة أن يبادر، وأن يعالج؛ حتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]*.

---

* س: هل القول الأول في التداوي أنه مباح؟

ج: نعم؛ **الأول**: أنه مباح وتركه أفضل.

الثاني: متساوي الطرفين.

الثالث: أنه مستحب؛ لقول الجمهور من قوله ﷺ: «تداووا، ولا تَداوَوْا بحرام»، وأنه رقى عليه الصلاة والسلام.

الرابع: تأكيده حتى يداني الوجوب؛ يعني: يتأكد جداً حتى يقارب الوجوب. =

....

= فالحمد لله؛ فالأصل الإباحة والسلامة حتى تعلم أن فيه ممنوعاً.

س: بالنسبة لأدوية غير الطبيب، هل يوجد أدوية عربية ذكرت في أحاديث، فيستغنى بها عن الطبيب؟

ج: قد يحتاج إلى الطبيب في ترتيبها وفي كيفية استعمالها؛ لأن العامي قد لا يعلم كيفية استعمالها، فما جاء في الأحاديث أو ما جاء عن السلف الصالح فهذا نوع من الطب؛ لكن بعضه قد يحتاج إلى ترتيب وتنظيم من الأطباء العارفين المجربين له، وبعضه لا يحتاج شيئاً؛ فبعضه مبين مثل الرقى التي بينها النبي ﷺ، والتعوذات كلها من أسباب العلاج، وكلها من أسباب السلامة.

وكذا الأوراد أو الأذكار الشرعية فهي علاج لذنوبك وسيئاتك، وبعضها علاج لحفظك من الشر؛ مثل قوله ﷺ: «من تصبَّح بسبع تمراتٍ عجوةً، لم يضرُّه سِحرٌ ولا سُمّ»[1]، وفي بعض الروايات: «من عجوة المدينة»[2]، وفي بعض الروايات: «مما بين لابتيها»[3]، هذا دواء منصوص عليه ما يحتاج إلى مراجعة الأطباء.

كذلك ما جاء في الحديث من قراءة المعوِّذتين و(قل هو الله أَحد) ثلاث =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٦٨)، ومسلم: الأشربة (٢٠٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٧٥).

(٣) وهي عند مسلم (٢٠٤٧)(١٥٤).

....

= مرات بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وأنها سبب للوقاية من كل شيء[١]، وكذلك آية الكرسي، وأنها سببُ الوقاية من الشيطان[٢]، وأشياء نص عليها النبي ﷺ، فهذه ما تحتاج لأحد.

س: وكذا الحبة السوداء؟

ج: الحبة السوداء قد تحتاج إلى تنظيمها، كيف تستعمل، من أهل الطب العارفين بها، هي شفاء؛ لكن كيف تستعمل؟ هل تستعمل عشر حبات أم عشرين حبة؟ وما قدر استعمالها؟ هل يوجد معها شيء وهل يوضع عليها شيء؟ فهي قد تحتاج الأطباء المجربين.

س: الأطباء المعاصرون هؤلاء أم الطبيب العربي؟

ج: أيُّ طبيب.

س: بعضهم لا يعرف.

ج: بعضهم مقلد يعمل ما يعمله الجهلة، وبعضهم عنده بصيرة يستطيع أن يعطي فائدة.

س: هل المقصود بالتمرات: تمر العجوة بالذات أو من أي تمر كان؟

ج: جاء في النصوص ذكر العجوة وجاء في بعضها: «مما بين لابتيها» =

(١) أخرجه أبو داود: الأدب (٥٠٨٢)، والترمذي: الدعوات (٣٥٧٥)، والنسائي: الاستعاذة (٥٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: فضائل القرآن (٥٠١٠).

....

= رواه مسلم في «الصحيح»[1] أي: من جميع تمر المدينة، وجاء في بعض النصوص «من تمر» فقط بإطلاق؛ فيرجى أن التمر كله يحصل به المقصود؛ لكن إذا كان من تمر المدينة يكون أبلغ وأكمل؛ لأنه قد يكون لجوها، واستيطان النبي عليه الصلاة والسلام فيها، أو لسابقتها، وقد يكون لها سر خاص، الله أعلم به؛ مثل ما نص عليه النبي ﷺ، فإذا كان منها يكون أكمل في هذا الدواء.

س: الذي رأى حادثاً معيناً في طريقه وتشاءم منه ثم ارتد عن السفر، فهل هذا من الطيرة؟

ج: هذا من الطيرة دون شك، ولا يجوز هذا، إذا رأى ناساً متصادمين أو أمواتاً فتشاءم ورجع، فهذا من الطيرة.

---

(١) برقم (٢٠٤٧)(١٥٤).

۞ واعلَم أن الحديثَ لا يدلُّ على أنهم لا يباشرون الأسبابَ أصلاً كما يظنُّه الجَهلَةُ؛ فإن مباشرةَ الأسبابِ في الجملةِ أمرٌ فِطريٌّ ضروريٌّ لا انفِكاكَ لأحدٍ عنه، حتى الحيوانِ البَهيمِ؛ بل نفسُ التوكُّلِ مباشرةٌ لأعظمِ الأسبابِ ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيهِ؛ إنما المرادُ أنهم يتركون الأمورَ المكروهةَ مع حاجتِهم إليها توكُّلاً على الله كالاسترقاءِ والاكتواءِ.

فتركُهم له ليس لكونِه سبباً ؛ لكن لكونِه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريضُ يتشبَّثُ بما يظنُّه سبباً لشفائه بخيطِ العنكبوت؛ أما نفسُ مباشرةِ الأسبابِ والتداوي على وجهٍ لا كراهيةَ فيه فغيرُ قادحٍ في التوكُّلِ؛ فلا يكونُ تركُه مشروعاً؛ كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزلَ له شفاءً»(١) .

وعن أُسامةَ بنِ شَريكٍ قال: كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ وجاءتِ الأعرابُ، فقالوا: يا رسولَ الله، أنتداوَى؟ فقال: =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٧٨).

= «نعم يا عبادَ الله تَداوَوا، فإنَّ اللهَ ﷻ لم يَضَعْ داءً إلا وَضَعَ له شفاءً غير داءٍ واحدٍ» قالوا: ما هو؟ قال: «الهَرَم». رواه أحمد(١)*.

قال ابن القيِّم: فقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسبابِ والمسبَّباتِ(٢). [١٥٦]

[شرح١٥٦] المسبَّب: هو الناشئ عن السبب؛ أما المسبِّب: فهو الله ﷻ؛ المسبِّب هو الفاعل، والمسبَّب هو الناشئ عن السبب كشفاء من المرض ونحو ذلك.

---

* س: المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله كالاسترقاء والاكتواء؟

ج: هذا مكروه إلا عند الحاجة، فإذا اشتدت الحاجة إليه فعل، ولذلك أَمر النبي ﷺ أسماء أن تسترقيَ لأبناء جعفر(٣)، وأمر عائشة أن تسترقي من =

---

(١) أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأخرجه الترمذي: الطب (٢٠٣٨)، وأبو داود: الطب (٣٨٥٥)، وابن ماجه: الطب (٣٤٣٦).

(٢) ص ٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

....

= العين[١].

الحاصل أنه إذا كان له حاجة شديدة جاز الشيء المكروه، والاسترقاء مكروه؛ لأنه حاجة إلى الناس، فهو سؤال وطلب، وسؤال الناس في نفسه مذموم، بخلاف من يرقيك ابتداء منه دون سؤال منك، وفي معنى الحديث «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»[٢] خلاف الكي فهو مكروه؛ فهو نوع من التعذيب، وفي الحديث السابق: «ما أحب أن أكتوي»[٣]، و«أنهى أُمتي عن الكيّ»[٤]، ومع ذلك فهو مباح في الجملة: «الشفاءُ في ثلاث، كية نار، وشرطة محجم، وشربة عسل»[٥]، فالحاصل أنه مكروه عند عدم الحاجة إليه، إذا احتيج إلى الشيء زالت الكراهة.

س: حديث: لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم، ما درجة صحته؟

ج: رواه البيهقي عن أم سلمة[٦]، ولا أعرف حاله؛ لكن يغني عنه أحاديث أخرى، «تَداوَوْا ولا تداووا بحرام»[٧]، وفي الخبر: «إنها ليست =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

(٤) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٥) قطعة من الحديث السابق.

(٦) في «السنن الكبرى» (١٠/ ٥).

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨).

....

= بدواء؛ ولكنها داء» رواه مسلم[1].

س: إذا اضطر إلى التداوي بهذا المحرم لتطهير الجروح مثل اللومي؟

ج: الظاهر ما يكون ضرورة، ما يسمى ضرورة؛ لأن التطهير يكون بأشياء كثيرة غير محرمة، نفس اللومي هذا المعروف، وغيره كالأشياء الحوامض فهي تطهر.

س: بعض الأمراض العصرية تعالج بأشياء محرمة شرعاً؟

ج: على كل حال، الأصل ألا يتداوى بحرام، إلا إذا اضطر لشيء علم أن غيره لا يكفي، فالضرورة لها أحكام ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، وقد ذكر الأطباء منها شيئاً مثل: إسعاف الدم، فالدم أصلاً حرام ـ المسفوح لا يذهب إليه ـ لكن إذا جاءت حاجة إلى الإسعاف أسعف بحقنة من الدم للضرورة.

س: إذا كان الإمام يقرأ وأتى ذكر الرسول ﷺ، فهل يجوز أن أصلي عليه وأنا في الصلاة؟

ج: الظاهر أن تركه أولى؛ لأن هذا محل إنصات؛ لكن إذا وقف فلا بأس أن تصلي أو تسبح عند التسبيح أو تدعو عند الدعاء، كان النبي ﷺ في صلاة الليل إذا مر بآية دعاء دعا، و إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح[2]؛ أما في =

---

(١) مسلم: الأشربة (١٩٨٤).

(٢) انظر ما أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٢)، وما أخرجه أحمد (٦/ ٩٢).

....

= الفريضة فالأمر غير ذلك؛ ولهذا أرجح القولين أنه لا يفعل ذلك في الفريضة.

وقال بعضهم: يفعل هذا ولو في الفريضة، فإذا مرت آية تسبيح سبح، أو آية دعاء دعا، أو آية فيها ذكر النبي ﷺ صلى عليه؛ لكن هذا أولى أن يكون في النافلة، فلم يكن النبي ﷺ يفعله في الفريضة؛ أما في النافلة فهو المستحب؛ فإذا مرَّ ذكرُ النبي ﷺ صلى عليه، وإذا مر عليه تسبيح العزيز الحكيم التواب الرحيم، قال:سبحانه عز وجل، وإذا مر ذكر الجنة قال: اللهم اجعلني من أهلها، اللهم أدخلنيها، وما أشبه ذلك، أو ذكر النار قال:اللهم عافني منها، اللهم اجعلني من غير أهلها، أو ما أشبه ذلك، فلا بأس؛ فهذا ثابت في النافلة؛ أما في الفريضة فالأولى عدمه؛ لأن النبي ﷺ لم يحفظ عنه أنه فعله في الفرائض.

س: هل المراد بالاسترقاء هنا: أن يطلب من غيره أن يرقيه؟

ج: نعم، هذا هو الاسترقاء.

س: وهل هذا فيه نص على الإنكار فيه؟

ج: نعم هذا هو؛ ولم تدع الضرورة للكي، فيمكن أخذ أسباب غير الكي إذا تيسرت هذه الأسباب، ومشهور عند العامة عند الأطباء: آخر الطب الكي، المقصود أن المعنى صحيح؛ فينبغي أن نقدم عليه غيره إذا تيسر.

س: يقول ﷻ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ =

....

= [الأعراف:٤٦] من هم؟

ج: الله أعلم.

س: بعض الألفاظ المشهورة عند العامة عند نهاية بعض الآيات مثل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] قال: بلى، ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك:٣٠] يقول: يأتي به الله، فهل ورد بهذا شيء صحيح؟

ج: لم يأت عند قوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ شيء صحيح، لا نعرف أنه ورد به شيء، يأتي بعض الناس بأحاديث؛ لكن لا نعرف لها أصلاً؛ أما ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ و﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] ورد فيه حديث ضعيف من طريق أعرابي، غير معروف العدالة[1]؛ أما في آخر القيامة ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]، فقد ورد فيه حديث جيد عن النبي ﷺ قال: «سبحانك فبَلَى» فيستحب إكماله، أي: يقال: سبحانك فبلى.

س: من روى هذا الحديث؟

ج: ذكره أبو داود وغيره وإسناده جيد[2]، وذكره ابن كثير في عقب تفسير سورة القيامة، وذكر أحاديث أخرى؛ لكن حديث الأعرابي، فيه ذكر =

(١) أخرجه أبو داود: الصلاة (٨٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود: الصلاة (٨٨٤).

....

= سور ثلاث: القيامة والتين والمرسلات؛ ولكنه ضعيف؛ أما الحديث الآخر جاء في سورة القيامة خاصة فهو لا بأس به.

س: عند الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] فيقول الساجد: بلى أنا أعرف الرحمن؟

ج: لم يرد في هذا شيء، ولا هو مستحب.

س: إذا قرئ في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قيل: استعنا بالله؟

ج: قد تقدم أن هذا ليس له أصل، إذا قرئ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: استعنا بالله، ولا يقبل هذا؛ لأنه ما حفظ عن النبي ﷺ أنه كان يقول هذا.

وبعضهم إذا قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال: اللهم اغفر لي وارحمني ثم قال: آمين؛ فهذا ليس له أصل، فآمين هي دعوة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وهي دعوة موجودة.

س: سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ إذا قرأها سبَّح؟

ج: ليس له أصل؛ أما إذا فعله من دون قصد في قراءته العادية يعني: في خارج الصلاة من دون قصد فالأمر سهل؛ لكن كونه يواظب على هذا الشيء فإن هذا ليس له أصل.

۞ وإبطالَ قولِ مَن أنكرَها والأمرَ بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكُّلَ، كما لا ينافيه دفعُ داءِ الجوع والعطشِ والحرِّ والبردِ بأضْدادِها؛ بل لا تَتِمُّ حقيقةُ التوحيدِ إلا بمباشرةِ الأسبابِ التي نَصَبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتِها قدراً وشرعاً[1]. [١٥٧]

[شرح١٥٧] وهذا لا يخفى أن الأسباب الشرعية بعضها واجب، وبعضها مستحب، وإنما الكلام هنا عن تعاطي الأسباب أن التداوي على أربعة أمور؛ أي: التداوي بالأمور الحسية.

أما الأسباب الشرعية التي أمر الله بها، هذه فبعضها واجب، مثل أداء الفرائض وترك المحارم؛ فهذه واجبة؛ لأنها من أسباب دخول الجنة.

وبعضها مستحب، مثل النوافل والصدقات والتطوع وأشباه ذلك والتسبيح والتهليل، وما أشبه ذلك؛ فهذه أسباب مشروعة مستحبة فيها خير عظيم؛ لكن حين تطلق كلمة التداوي فالمقصود بها الأمور الحسية المعروفة أي: الطب وهو الذي جاء على أربعة أنحاء. =

---

(١) ص٧٠.

....

= أما الأسباب الشرعية فهي قسمان:

أسباب واجبة: كأداء الفرائض، وترك المحارم.

وأسباب مستحبة: كأداء النوافل وترك المكروهات*.

---

* س: إذا كان عند الإنسان مرض يعطله عن العبادة، ويعطله عن أداء واجبات العبادة، ويعلم علاجه؛ لكنه يتركه، فما الواجب؟

ج: الظاهر في هذا أنه متأكد في حقه العلاج، لأمرين:

الأول: لما في العلاج من رجاء الخير، والقيام بأمر الله، والدعوة إلى الله، وحضور جماعة المسلمين.

والأمر الثاني: ليسلم من إيذاء الأولاد والزوجات ومن إتعابهم؛ فإذا لم يترتب على هذا المرض إتعاب أحد فله ذلك.

۞ وأنَّ تعطيلَها يقدحُ بمباشرتِه في نفسِ التوكُّلِ[١] كما يقدحُ في الأمرِ والحكمةِ، ويضعِفُه من حيث يظنُّ معطِّلُها أن تركَها أقوى من التوكُّلِ[٢]، فإنَّ تَرْكَها عَجزٌ ينافي التوكُّلَ الذي حقيقتُه اعتمادُ القلبِ على الله في حصولِ ما ينفعُ العبدَ في دينِه ودنياه، ودَفعِ ما يضرُّه في دينه ودنياه، ولا بدَّ مع هذا الاعتمادِ من مباشرةِ الأسبابِ، وإلا كان معطلاً للأمرِ والحكمةِ والشرعِ، فلا يَجعَلُ العبدُ عجزَه توكُّلاً ولا توكُّله عجزاً[٣].[٤] [١٥٨]

[شرح١٥٨] أي: إذا باشر الأسباب كان معطلاً للأمر، كأن ترك =

---

(١) قال سماحة الشيخ: أي: بمباشرة التعطيل في نفس التوكل، ولو قرنت لكان أظهر للمعنى، أراد الشارح بهذا تأكيد الإيضاح، وبعض التأكيد ليس بجيد.

(٢) قال سماحة الشيخ: لعلها: أقوى للتوكل، فتكون (من) زائدة؛ يظن معطلها أن تعطيلها كان أقوى للتوكل، هذا معنى الكلام. ومن الممكن أن أصلها (في)، فصحفت العبارة (للتوكل)، و(أقوى في التوكل) أقرب، فاللام بعيدة. أو لعل أصلها (في) وصحفت إلى (من).

(٣) هذا كلام ابن القيم رحمه الله.

(٤) ص٧٠.

....

= الفرائض مثلاً، والحكمة التي شرع الله من أجلها أوضح الأسباب؛ لأنها يدفع الله بها البلاء، فيشبع بها الجائع، ويروي الله بها الظمآن، ويكتسي بها العاري، يعني: يعطل الحكمة من هذه الأشياء، ومعطل للشرع الذي أمر بهذه الأشياء التي ينبغي أن يفعلها الإنسان من تداوٍ وأكل وشرب ومراعاته لصحته، ومن طاعات لدخول الجنة وترك للمعاصي والنجاة من النار.

فمن ترك هذه الأسباب كلها فقد عطل الأمر والنهي، وعطل الشرع والحكمة، فالأسباب متنوعة، وترك الطاعات تعطيل للشرع، سواء أكانت مستحبة أم كانت واجبة، ترك الأسباب التي تنفع من دواء يحتاج إليه، من لبس الثوب الجيد الثخين في الشتاء، ولبس الملابس المناسبة كذلك، وتبريد الماء، أو تسخين الماء البارد، إلى غير هذا، فكلها أسباب لها حكمة، فإذا عطلها فقد عطل الحكمة التي خلقت لها.

وقوله: (فلا يجعَل عجزَه توكُّلاً ولا توكُّلَه عجزاً) هاتان كلمتان قد تشكلان، فما معناهما؟ =

....

= المعنى ـ والله أعلم ـ: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يجعل عجزه توكلاً، أي أن يجعل عدم قيامه بالأسباب وعدم عنايته بها توكلاً.

(ولا توكُّلَه عجزاً) أي: إذا بطلت القوى وانتهى كل شيء، قال: أنا توكلت على الله، فلا يعدُّ مثل هذا توكلاً!! إنما ينبغي له أن يجمع بين الأمرين، فيتوكل دائماً، ويتعاطى الأسباب دائماً، فيجمع بينهما، أي: يعتمد على الله دائماً، ويصرف إليه ﷺ مع مباشرة الأسباب.

فلا يكون ممن إذا انتهى كل شيء وعجز عن كل شيء، قال: أنا الآن متوكل على الله، فينبغي له أن يتوكل على الله، وهو قادر وقوي، فيتوكل على الله، ولو ضعفت الأسباب، فيتوكل على الله جل وعلا ويأخذ بالأسباب، ولا ينبغي له أن يجعل عجزه وضعفه وكسله توكلاً، فيقول: لا أفعل كذا، ولا أفعل كذا وكذا، وكأن يقول: لن أعمل بالمزرعة، ولن أتعاطى بالتجارة فأنا متوكل؛ فمثل هذا إنما هو عجز وما هو بتوكل*.

* س: بعض المحلات التي يطلب فيها العلاج كلها منكرات ومعاص =

....

= ونساء سافرات وكلها بلايا؟

ج: قد يكون له عذر بذلك إذا صبر على المرض، ويؤجر على ذلك بسبب قصده الصالح، أنه إذا ذهب البلاء فقد يصاب في دينه أو عقيدته لما يشاهده، فيعذر في هذا؛ لأنه ترك أسباباً مباحة؛ لئلا يقع في محرمات، فالتداوي مستحب، وهذا الأصلح، لكن قد يفضي به هذا التداوي إلى أشياء لا تحمد عقباها، لأن اللواتي يباشرنه نساء، وقد يكن جميلات، وقد لا يأمن على نفسه من الميل إليهن، فالحاصل أنه إذا رأى أن العلاج فيه مشقة عليه أكثر، وأن خطره أعظم، فيكون تركه حينئذ أفضل.

س: وهل الأفضل له أن يصبر على المرض؟

ج: إذا كان يخشى من العلاج شراً أكبر، نسأل الله العافية.

***

باب الخوف من الشرك

۞ لما كان الشِّركُ أعظمَ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به؛ ولهذا رتَّب عليه من عقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ ما لم يُرتِّبه على ذنبٍ سِواهُ، من إباحة دماءِ أهلِه وأموالهم، وسَبْيِ نسائهم وأولادِهم، وعدمِ مغفرتِه من بين الذنوبِ إلا بالتوبةِ منه.

نبَّه المصنِّفُ بهذه الترجمةِ على أنه ينبغي للمؤمنِ أن يخافَ منه، ويحذَره، ويعرفَ أسبابَه ومبادئَه وأنواعَه؛ لئلا يقعَ فيه؛ ولهذا قال حذيفةُ: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسألُه عن الشَّرِّ مخافةَ أن أقعَ فيه. رواه البخاري[1]. [١٥٩]

[شرح١٥٩] وأيضاً رواه مسلم في «الصحيح»؛ فالحديث رواه الشيخان[2]، وهو حديث طويل له شأن، وهو حديث جليل عظيم، وفي آخره لما سأله: كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال النبي ﷺ: «نعم» ثم قال حذيفة: وهل =

---

(١) ص٧٢.

(٢) البخاري: المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٧).

....

= بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قوم يهدون بغير هَديي، ويَستَنُّون بغير سُنَّتي، تَعرِف منهم وتُنكِر». قلت: صِفهُم لنا يا رسول الله. قال: «دعاةٌ على أبواب جهنَّم من أجابَهُم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صِفهُم لنا. قال: «هم من جلدَتِنا ويتكلمون بألسنتِنا». قلت: فما تأمُرُني إن أدرَكَني ذلك. قال: «تلزَمُ جماعةَ المؤمنين وإمامَهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتزِل تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ على أصلِ شجرةٍ، حتى يأتيَكَ الموتُ وأنت على ذلك»[1].

وهو حديث جليل عظيم، وهو في «الصحيحين» جميعاً، وهو في كتاب الفتن الجزء الأخير، الجزء الثالث عشر من «فتح الباري»*.

---

* س: ما معنى «تعض على أصل شجرة»؟

ج: يعني: ولو كنت وحدك، فإن لم توجد جماعة للمسلمين فلا تخالط الناس على باطلهم، بل تعتزلهم وتثبت على الحق ولو أن تموت على ذلك، وهذا واضح.

---

(١) أخرجه البخاري: المناقب (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٧).

۞ وذلك أنَّ مَن لم يَعرِف إلا الخيرَ قد يأتيه الشرُّ ولا يعرف أنه شَرٌّ، فإما أن يقعَ فيه، وإمّا أن لا ينكِرَه كما ينكِرُه الذي عَرَفه، ولهذا قال عمرُ ابن الخطاب ﷺ: إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلامِ عُروةً عُروةً إذا نشأَ في الإسلامِ من لم يَعرِفِ الجاهليةَ(١). [١٦٠]

[شرح١٦٠] الله المستعان، هذا من أسباب الفساد والشر أن الإنسان لا يعرف الجاهلية ولا يعرف الشر، فيخيل إليه أن كل شيء خير؛ فهذا يفيد أنه ينبغي للإنسان أن يعرف هذا وهذا، وأن لا يقتصر على الخير فقط ولا على الشر فقط، بل يتعلم هذا وهذا؛ يتعلم حدود الشرك والمعاصي التي حرمها الله عليه حتى يجتنبها، ويتعلم ما أوجبه الله عليه وما شرعه حتى يأتي به؛ فيكون المؤمن مجاهداً في هذا وفي هذا؛ فيتعلم ما شرع الله له وما أوجبه عليه، حتى يؤديه على بصيرة، ويتعلم ما حرمه الله عليه من الشرك وما دونه، حتى يدعَه على بصيرة، وحتى لا يلتبسَ عليه يوماً ما.

---

(١) ص٧٢.

۞ قال شيخُ الإسلامِ: وهو كما قال عمر؛ فإن كمالَ الإسلامِ هو الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكَرِ، وتمامُ ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف فلم يَعرِف غيرَه، فقد لا يكون عندَه من العلمِ بالمنكرِ وضَرَرِه ما عندَ مَن عَلِمَه، ولا يكون عندَه من الجهاد لأهلِه ما عند الخبيرِ بهم؛ ولهذا يوجد عند الخبيرِ بالشرِّ وأسبابِه ـ إذا كان حَسَنَ القصدِ ـ من الاحترازِ عنه والجهادِ لهم ما ليس عندَ غيرِه.

ولهذا كان الصحابةُ أعظمَ إيماناً وجهاداً ممن بعدَهم، لكمالِ معرفَتِهم بالخيرِ والشرِّ، وكمالِ محبَّتِهم للخيرِ وبُغضُهم للشرِّ، لما علموه من حُسنِ حالِ الإيمانِ والعملِ الصالحِ وقُبحِ حالِ الكفرِ والمعاصي.

قال: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

قال ابنُ كثيرٍ: أخبرَ تعالى أنه ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي: ﴿لَا يَغۡفِرُ﴾ لعبدٍ لقيَه وهو مشركٌ به، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ =

= ذَٰلِكَ﴾ أي: من الذُّنوبِ، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من عبادِه.

قلتُ: فتبيَّن بهذا أن الشركَ أعظمُ الذنوبِ؛ لأن اللهَ تعالى أخبرَ أنه لا يغفِرُه؛ أي: إلا بالتوبةِ منه، وما عداه، فهو داخلٌ تحت مشيئةِ الله: إن شاءَ غفرَه بلا توبةٍ، وإن شاءَ عذَّب به، وهذا يوجِبُ للعبدِ شِدَّةَ الخوفِ من هذا الذنبِ الذي هذا شأنُه عندَ الله!

وإنما كان كذلك:

١ - لأنه أقبحُ القبحِ، وأظلمُ الظُّلمِ؛ إذ مضمونُه تنقيصُ ربِّ العالمين، وصَرفُ خالص حَقِّه لغيرِه، وعَدلُ غيرِه به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

٢- ولأنه مُناقِضٌ للمقصود بالخلقِ والأمرِ، مُنافٍ له من كلِّ وجهٍ[1]. [١٦١]

[شرح١٦١] يعني: المقصود بالخلق أن يعبدوا الله وحده، والأمر =

---

(١) ص٧٢-٧٣.

....

= كذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١] فالشرك يناقض ذلك كله، وقد تنقص الله من جعل له شريكاً من معبوداته، كما كانت العرب تقول: إلا شريكاً تملكه وما ملك! فهذا تنقص لله، ثم كيف يكون شريكه ومملوكه؟! وكذلك هذا عدل بالله بمساواة غيره به؛ فهذا يعبد وهذا يعبد، فسوى غيره به، وهذا من أظلم الظلم، وسوء ظن بالله أن يظن أنه يرضى بهذا أو يقر هذا.

۞ وذلك غايةُ المعاندةِ لربِّ العالمين، والاستكبارِ عن طاعته والذُّلِّ له، والانقيادِ لأوامرِه، الذي لا صلاحَ للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خَرِبَ وقامت القيامةُ كما قال ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرضِ: اللهُ اللهُ». رواه مسلم[١].[٢] [١٦٢]

[شرح١٦٢] جاء في بعض الروايات: «حتى لا يُقال في الأرض: لا إلهَ إلا اللهُ»[٣]. نفس الكلمة كلمة التوحيد، عند مسلم: «الله الله»، والمعنى: الله موجود، أو الله أكبر، وما أشبه ذلك، يعني: أن الناس ينسون ربهم بالكلية، عندما يرفع القرآن ويجهل الناس حقيقة الدين، ويقبض الله أرواح المؤمنين والمؤمنات، ويبقى الأشرار لا يعرفون إلا آلهتهم المعبودة من دون الله، من أوثانهم وأصنامهم، ولا يبقى لهم علم بالله ﷻ بالكلية، فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٤٨).

(٢) ص٧٣.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٨).

۞ ٣- ولأن الشِّرك تشبيهٌ للمخلوقِ بالخالقِ ـ تعالى وتقدَّسَ في خصائص الإلهيةِ من مُلْكِ الضَرِّ والنَّفعِ، والعطاءِ والمنعِ، الذي يوجبُ تَعلُّقَ الدعاءِ والخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ وأنواعِ العبادةِ كلِّها بالله وحدَه، فمن عَلَّقَ ذلك لمخلوقٍ فقد شَبَّهه بالخالق، وجعلَ من لا يملك لنفسه ضَرّاً ولا نَفْعاً ولا مَوتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً ـ فَضلاً عن غيرِه ـ شبيهاً بمن له الخَلقُ كلُّه، وله المُلكُ كلُّه، وبيدِه الخيرُ كلُّه، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّه سبحانَه.

فأَزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيديه سبحانَه، ومَرجِعُها إليه، فما شاءَ كان، وما لم يشأْ لم يكُن، لا مانعَ لما أعطَى، ولا مُعطِيَ لما منعَ، الذي إذا فتحَ للناس رحمةً فلا ممسكَ لها، وما يُمسِك فلا مُرسِلَ له من بعدِه، وهو العزيزُ الحكيمُ، فأقبحُ التشبيهِ تشبيهُ العاجزِ الفقيرِ بالذاتِ بالقادرِ الغنيِّ بالذاتِ، ومن خصائصِ الإلهيةِ الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوهِ الذي لا نَقصَ فيه بوجهٍ من الوجوه.

وذلك يوجِبُ أن تكونَ العبادةُ كلُّها له وحدَه، والتعظيمُ =

= والإجلالُ والخشيةُ والدعاءُ والرجاءُ والإنابةُ والتوكُّلُ والتوبةُ والاستعانةُ وغايةُ الحبِّ مع غاية الذُّلِّ، كل ذلك يجبُ عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكونَ للهِ وحدَه، ويمتنعُ عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكونَ لغيرِه، فمَن فعلَ شيئاً من ذلك لغيرِه فقد شَبَّه ذلك الغيرَ بمن لا شبيهَ له، ولا مثلَ له، ولا نِدَّ له، وذلك أقبحُ التشبيهِ وأبطلُه، فلهذه الأمورِ وغيرِها أخبرَ سبحانَه أنه لا يغفرُه مع أنه كتبَ على نفسِه الرحمةَ.

هذا معنَى كلامِ ابنِ القيِّم.

وفي الآية رَدٌّ على الخوارجِ المُكفِّرين بالذنوب، وعلى المعتزلةِ القائلين بأن أصحابَ الكبائرِ يدخلون النارَ، ولا بُدَّ، ولا يخرجون منها، وهم أصحابُ المنزلةِ بين المنزلتينِ، ووجهُ ذلك أن اللهَ تعالى جعلَ مغفرةَ ما دونَ الشِّركِ معلَّقةً بالمشيئة، ولا يجوزُ أن يُحمَلَ هذا على التأكيدِ(١)*.

---

* سؤال من الشيخ: ما وجه الرد من الآية على الخوارج والمعتزلة؟ =

---

(١) ص٧٣-٧٤.

....

= أحد الطلبة: الخوارج لأنهم يكفرون بالمعاصي، والله ﷻ جعل أكبر معصية الشرك، وما دون الشرك إن شاء غفره وإن شاء عذب به.

الشيخ: فدل هذا على أنه ليس بكافر؛ لأن الكافر لا يغفر له إذا مات على كفره.

أحد الطلبة: والمعتزلة يقولون بالمنزلة بين المنزلتين؛ بمعنى أنه لا يعد كافراً ولا مؤمناً، وهو مخلد في النار، فيوافقون الخوارج في الآخرة.

الشيخ: والتعليق يقتضي أنه قد لا يخلد، وأنه لا يدخل النار أيضاً، ما دام أنه معلق، فقد يغفر له ولا يدخل النار، فالرد واضح عليهم.

۞ فإن التائبَ لا فَرقَ في حقِّه بين الشركِ وغيرِه، كما قال تعالَى في الآية الأُخرى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] فهنا عَمَّمَ وأطلقَ، لأن المرادَ به التائبُ، وهناك خَصَّ وعلَّقَ لأن المرادَ به من لم يتب. قالَه شيخُ الإسلامِ(١). [١٦٣]

[شرح١٦٣] هذا محل إجماع بين أهل العلم والتفسير، فآية الزمر الكريمة في التائبين بإجماع أهل التفسير وأهل العلم؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فأطلق وعمَّم، ولم يشرط الشرك، فدل على أن المراد به التائبون، وأما المشرك فلا يغفر له لو مات على شركه كما في آية النساء.

وفي آية النساء خص وعلق، خص الشرك بعدم المغفرة وعلق ما دونه على المشيئة، فدل على أن المراد غير التائبين؛ لأن القرآن لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً. =

---

(١) ص٧٤.

....

= فآية الزمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ في حق التائبين، فمن تاب تاب الله عليه في الشرك وما دونه، وآية النساء في حق غير التائبين؛ لأنه خصص وعلق، خصص الشرك بالمغفرة، وعلق ما دونه على المشيئة، فدل على أن المراد به غير التائبين*.

*** س: قيل: إن آية الزمر من أرجى الآيات، فكيف يكون هذا وبعدها الشروط المقيدة لتلك التوبة: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]؟**

ج: وعدهم المغفرة وأمرهم، فبين لهم أن المغفرة لا تكون بمجرد أنسابهم وأسمائهم ونحو ذلك، بل بأسباب؛ بالأعمال الصالحات، فالمغفرة لها أسباب مثل التوبة والعمل الصالح.

۞ قولُه: وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

الصَّنَمُ: ما كان مَنحُوتاً على صورةِ البشرِ، والوثَنُ: ما كان منحوتاً على غيرِ ذلك، ذكره الطبريُّ عن مجاهد.

والظاهرُ أن الصنمَ ما كان مصوَّراً على أيِّ صورةٍ، والوثنَ بخلافِه كالحجرِ والبُنْيةِ[1]. [١٦٤]

[شرح١٦٤] «البنية»: هي ما يبنى على أي مكان كعمود أو جدار أو قبة تعبد، والمقصود أن الصنم لا يختص بما كان منحوتاً على صورة البشر، كما قال الشارح لا كما قال ابن جرير رحمه الله، فمن حفر الصور كصورة أسد أو صورة ذئب أو صورة إنسان أو صورة ملك، فهذا يقال له: صنم إذا عُبد من دون الله، فإذا لم يعبد يقال له: صورة، وكذلك الوثن هو ما يعبد من دون الله مطلقاً، حتى الصنم يسمى وثناً، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت:١٧]. =

---

(١) ص٧٤.

....

= سمى الأصنام أوثاناً؛ فالوثن أعمّ، والصنم أخصّ، فكل صورة معبودة من صور الحيوانات فهي صنم، وكل ما يعبد من دون الله يسمى وثناً، فيطلق ذلك على الأصنام وعلى غير الأصنام، كالأشجار والأحجار المعبودة من دون الله، والصور المعبودة من دون الله، فكلها تسمى أوثاناً.

۞ وإن كان الوَثَنُ قد يُطلَق على الصنمِ، ذكر معناه غيرُ واحدٍ، ويُروَى عن بعض السلف ما يدلُّ عليه.

وقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾ أي: اجعلني ﴿وَبَنِيَّ﴾ في جانبٍ عن عبادةِ الأصنامِ، وباعِد بيني وبينها، قيل: وأرادَ بذلك بَنيهِ وبناتِهِ من صُلبِهِ، ولم يذكرِ البناتِ لدخولهم تَبَعاً في البنين، وقد استجابَ اللهُ دعاءَه وجعلَ بنيهِ أنبياءَ، وجنَّبَهم عبادةَ الأصنامِ، وإنما دعا إبراهيمُ عليه السلامُ بذلك لأنَّ كثيراً من الناس افتُتِنُوا بها، كما قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].

فخاف من ذلك ودعا الله أن يُعافِيَهُ وبَنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيمُ عليه السلامُ يسألُ اللهَ أن يجنُبَه ويجنُبَ بَنيهِ عبادةَ الأصنامِ، فما ظنُّكَ بغيرِه؟ كما قال إبراهيمُ التَّيميُّ: ومن يأمنُ من البلاءِ بعدَ إبراهيم. رواه ابنُ جريرٍ وابن أبي حاتم[1]. [١٦٥]

[شرح١٦٥] قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] =

(١) ص٧٤.

....

= كما قال الشارح يفيد أن المؤمن يسأل ربه العافية من مضلات الفتن، ومن أسباب الفتن، ولا سيما عند كثرتها ووجود أسبابها، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما رأى أنها أضلت كثيراً من الناس سأل ربه أن يقيه وبنيه عبادة الأصنام.

وبنوه يحتمل أنه ليس له بنات، ولهذا خص البنين، ويحتمل أن له بنات ولكن ترك ذكرهن تبعاً للبنين كما قال الشارح، والأقرب ـ والله أعلم ـ أنه ترك ذكرهنَّ لأنهن غير موجودات، والمقصود أنه سأل لبنيه فقط الوقاية من عبادة الأصنام، ويحتمل أنه أراد البنين المخصوصين، وهم الحاضرون الموجودون في زمانه من صلبه.

ويحتمل أنه أرادهم وغيرهم، فاستجيب له في بعض، ولم يستجب له في بعض؛ فإن قريشاً كلهم من ذرية إبراهيم، ومع هذا وقع فيهم الشرك، ومنهم أبو طالب، ومنهم أبو لهب المنصوص عليه أنه من أهل النار.

فالمقصود أن هذه الدعوة قد تكون أراد بها قوماً مخصوصين من بنيه، وهم الموجودون لديه في ذاك الوقت، فأجاب الله دعوته =

....

= فيهم، وقد يكون أراد بنيه وبني بنيه الموجودين، وقد يكون أراد آخرين منهم.

فالحاصل أنه دعا، وليس كل دعوة يدعوها نبي تستجاب، فقد يستجاب له في بعض، وقد لا يستجاب له في بعض، فدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانت مظنة الإجابة لكنها قد تستجاب وقد لا تستجاب، وقد تجاب في بعض، ولا تجاب في بعض، فقد دعا النبي ﷺ لأمته «أن لا يجعلَ بأسَهُم بينَهم» فلم يُستجَب له في ذلك عليه الصلاة والسلام[1]، وكذلك دعا على جماعة فلم يستجب له فيهم، بل هداهم الله وأسلموا.

فالحاصل أن دعوات الأنبياء وغير الأنبياء قد تستجاب لما فيها من المصالح العظيمة، وقد لا تستجاب لحكمة بالغة أرادها الله ﷻ، فليس كل دعوة من الأنبياء وغيرهم تستجاب أبداً، وإن كان الأنبياء أَولى الناس بالاستجابة، وأحقهم بالاستجابة، لفضلهم وتقدمهم على غيرهم بالعلم والعمل، ولكن ربك حكيم عليم جل وعلا، =

(١) أخرجه مسلم: الفتن (٢٨٩٠).

....

= فهو أحكم وأعلم ﷻ، فهو أعلم بأحوال عباده، فقد تكون الدعوة محل استجابة لحكم وأسرار، وقد تكون ليست محل الإجابة لحكم وأسرار خفيت على من دعا*.

---

* س: هل جميع العرب من ذرية إسماعيل؟

ج: معروف أن بعض العرب من قحطان، وقريش جماعة آخرون من العرب من ذرية إسماعيل مثل تميم وغيرهم فهم أُمم كثيرة، ولكن قريشاً مقطوع أنهم من ولد إسماعيل؛ والحاصل أن دعوته لبَنيه ليست عامة لكل ذريته إلى يوم القيامة أنهم يهتدون وأنهم يُسلِمون.

۞ وهذا يوجِبُ للقلبِ الحيِّ أن يخافَ من الشِّركِ، لا كما يقول الجُهَّالِ: إن الشركَ لا يقعُ في هذهِ الأُمةِ، ولهذا أَمِنوا الشركَ فوَقَعوا فيه، وهذا وجهُ مناسبةِ الآيةِ للترجمةِ.

قال: وفي الحديث: «أخوفُ ما أخافُ عليكُم الشِّركُ الأصغرُ» فسُئِل عنه فقال: «الرِّياءُ»[1].[2] [١٦٦]

[شرح١٦٦] إذا كان إبراهيم يخاف البلاء على بنيه وعلى نفسه، فجدير بكل مؤمن أن يخشى على نفسه، وأن يحذر الشرك وأسبابه ووسائله، وألا يتساهل؛ فإن العبد إذا أمن الشيء وتساهل فيه قد يقع فيه، وهو لا يشعر لتساهله وغفلته، لكن متى أخذ حذره، ومتى استعان بالله على السلامة من ذلك الشيء، فهو حري أن يوفق ويعان، وهكذا سنة الله في عباده، فمن حذر الشيء وخافه وابتعد عن أسبابه فالغالب عليه السلامة، ومن تساهل وتهاون بالشيء فقد يقع فيه لغفلته وتساهله.

ولما ابتلي كثير من الناس بظنهم أن الشرك لا يقع من الأمة، =

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) ص٧٤-٧٥.

....

= وأن الأمة مطهرة جهلاً منهم، وقعوا في الشرك واستحسنوه، ودعوا إليه وهم لا يشعرون، نسأل الله العافية، مثل كثير من عُبّادِ الأولياء كعُبّاد البدوي، وعباد الحسين، وعباد الشيخ عبد القادر، وعباد الأنبياء، وقعوا في الشرك، ودعوا إليه، وتمرغوا فيه، وهم يظنون أنهم سالمون، وأنهم مطهرون.

۞ هكذا أوردَ المصنِّفُ هذا الحديثَ مختصراً غيرَ مَعزُوٍّ، وقد رواه الإمامُ أحمدُ، والطبـرانيُّ، وابنُ أبي الدنيا، والبيهقي في «الزهد»، وهذا لفظُ أحمدَ قال: حدثنا يونسُ، قال: حدثنا ليثٌ، عن يزيدَ ـ يعني ابنَ الهادِ ـ قال: عن عَمرٍو، عن محمودِ بنِ لَبِيد، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشِّركَ الأصغرَ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال: «الرياءُ، يقول اللهُ يومَ القيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهِم: اذهبُوا إلى الذين كنتُم تُراؤُونَ في الدُّنيا، فانظُرُوا هل تَجِدونَ عندَهم جزاءً»(١) .

قال المنذريُّ: ومحمودُ بنُ لبيدٍ رأى النبيَّ ﷺ ولم يصحَّ له منه سماعٌ فيما أرَى، وذكر ابنُ أبي حاتم أن البخاريَّ قال: له صُحبةٌ. قال: وقال أَبي: لا تُعرَفُ له صحبةٌ. ورجَّحَ ابنُ عبدِ البرِّ الحافظُ أن له صُحبةً وقال: جُلُّ روايتِه عن الصحابةِ، وقد رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ جيدٍ عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن رافع =

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) ولم أقف عليه في المطبوع من «الزهد» له.

= بن خَدِيج، وقيل: إن حديثَ محمودٍ هو الصوابُ دون ذِكرِ رافعٍ، مات محمودٌ سنةَ ستٍّ وتسعينَ، وقيل: سنةَ سبعٍ وله تِسعٌ وتسعونَ سنةً[١]. [١٦٧]

[شرح١٦٧] تقدم في المصطلح أن مرسل الصحابي حُجة، وأن الصحابي وإن لم يكن له سماع، فإن روايته عن الصحابة غالباً، ولهذا كانت رواية طارق ابن شهاب عن أبي موسى كثيرة وعن غيره.

الحاصل أن مرسلات الصحابة حجة قائمة ومسندة، فلهذا يقول العراقي:

أما الذي أَرسلَهُ الصَّحابِيْ فحكمُهُ الوَصلُ على الصَّوابِ

وبعضهم حكى فيه الإجماع.

فهنا «الليثُ» هو الليثُ بن سعد، و«عمرو» هو عمرو بن دينار[٢]، والله أعلم، وهذا السند معروف عنده. =

---

(١) ص٧٥.

(٢) بل هو عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، لم يسمعه من محمود بن لبيد بينهما عاصم بن عمر بن قتادة، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر، =

....

= ثم ذكر الشارح أنه رواه الطبراني بسند جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج أن رسول الله ... الحديث، أي: فاتصل أيضاً.

= عن محمود بن لبيد. وقد ذكر الإمام أحمد أن عمراً هو عمرو بن أبي عمرو في «مسنده» (٥/ ٤٢٨) في الحديث الذي يلي هذا الحديث، فقال: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم ابن عمر الظفري عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم» فذكر معناه. أي: معنى الحديث المذكور.

۞ قوله: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشركَ الأصغرَ»[١] هذا مِن رحمتِه ﷺ لأُمته وشفقَتِه عليهم، وتحذيرِه مما يخافُ عليهم، فإنه ما من خيرٍ إلا دَلَّهم عليه وأمرَ به، وما من شَرٍّ إلا وأخبرَهم به وحذَّرَهم عنه، كما قال ﷺ فيما صَحَّ عنه: «ما بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلا كان حقاً عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يعلَمُه لهم، وينهاهُم عن شرِّ ما يعلَمُه لهم»[٢].[٣] [١٦٨]

[شرح١٦٨] رواه مسلم في «الصحيح»[٤] من حديث عبد الله بن عمرو، وفي آخر هذا الحديث ذكر الفتن ثم قال: «فمن أحَبَّ أن يُزَحزَحَ عن النار ويُدخَلَ الجنةَ، فلتدرِكه مَنِيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يُحبُّ أن يُؤتَى إليه»، أي: وليعامل الناس كما يحب أن يعامل» .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم: الإمارة (١٨٤٤).

(٣) ص٧٥.

(٤) مسلم: الإمارة (١٨٤٤).

۞ ولما كانت النفوسُ مجبولةً على محبَّةِ الرياسةِ والمنزلةِ في قلوبِ الخلقِ إلا من سَلَّم اللهُ، كان هذا أخوفُ ما يُخافُ على الصالحينَ لقوَّةِ الداعي إلى ذلك، والمعصومُ من عَصَمَه اللهُ[1]. [١٦٩]

[شرح١٦٩] لأن الشيطان يأتي إلى العباد والصالحين، ويزين لهم كثيراً بإظهار شيء من أعمالهم لمحبة الناس، أو ثناء الناس، أو السمعة بين الناس، وهذه من دسائس الشيطان ومكائده، يبتلي كثيراً من العباد والأخيار لإظهار بعض الأعمال للرياء، فحذر النبي ﷺ من ذلك، وأبدى عاقبة ذلك عليه الصلاة والسلام، وأن تكون أعمال العبد كلها لله وحده يبتغي بها وجهه ﷻ، وليحذر مكائد الشيطان في تزيينه إظهار بعض الأعمال من أجل مراءاة الناس أو سمعتهم.

فإذا خِيفَ على الصالحين من الشرك الأصغر، فيخاف على من غيرهم من باب أولى الشرك الأكبر والأصغر جميعاً، فإذا كان الصالح صاحب العلم وصاحب الفضل يخشى عليه ـ مع علمه =

---

(١) ص٧٥.

....

= وفضله وفقهه ـ أن يقع في الشرك الأصغر، فكيف بالجاهل الذي ليس عنده من البصيرة والعلم ما عند ذلك الصالح وذلك العالم؟! فهو يخشى عليه من هذا ومن هذا، وهذا هو الشاهد إذا كان يخشى على الصالحين من الشرك الأصغر، فمن ليس عنده صلاح بل عنده فسق يخشى عليه مما هو أكبر منه وهو الشرك الأكبر*.

*** س: سؤال حول العصمة، هل يجوز للإنسان أن يقول: اللهم اعصمني؟**

ج: لا، بل: احفظني، وإن كان ليس أحد معصوماً إلا الرسول ﷺ، بل يحفظ الله بعض العباد حتى لا يقع في الشر فضلاً منه وإحساناً ﷻ.

س: ما مدى صحة هذا الحديث أن النبي ﷺ إذا نظر في المرآة، قال: «اللهمَّ كما حَسَّنتَ خَلْقي فحَسِّن خُلُقي»؟

ج: لا أعرف هذا[1]، لكن يوجد حديث رواه جماعة، ذكره الحافظ: «اللهمَّ أحسنتَ خَلْقي فأحسِن خُلُقي»[2] وهذا غير مقيد بالنظر في المرآة، وهذا لا بأس به، أما ذكر المرآة في الحديث ما أتذكره.

---

(١) هو عند ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٣)، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣).

۞ وهذا بخلافِ الداعي إلى الشِّركِ الأكبرِ فإنه إمّا معدومٌ في قلوبِ المؤمنينَ الكاملينَ، ولهذا يكون الإلقاءُ في النارِ أسهلَ عندَهم من الكفرِ(١). [١٧٠]

[شرح١٧٠] وقد ذكر هذا ﷺ في قوله: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ... وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفرِ بعدَ أن أنقذَه اللهُ منه، كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النارِ»(٢).

---

(١) ص٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: الإيمان (١٦)، ومسلم: الإيمان (٤٣).

۞ وإما ضعيفٌ، هذا مع العافيةِ، وأما مع البلاءِ فـ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فلذلك صارَ خوفُه ﷺ على أصحابه من الرياءِ أشدَّ لقوَّةِ الداعي وكثرتِه دونَ الشركِ الأكبرِ لما تقدَّم(١). [١٧١]

[شرح١٧١] ولهذا جاء في حديث آخر قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشَى عليكم، ولكنِّي أخشَى أن تُبسَطَ عليكُم الدُّنيا»(٢)، فذاك الشرك الأكبر، لأنهم قد عرفوا من حال الجاهلية ومن حال عبادة الأصنام والأوثان ما عرفوا، فهم لا يخشى عليهم أن يقعوا في الشرك الأكبر، لكمال علمهم، وكمال بصيرتهم، وقلة الداعي إلى ذلك، ولكن خاف عليهم الفتنة في الدنيا وشهواتها وشرها، قال: «والله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشَى أن تبسطَ عليكم الدُّنيا»(٣)، وهنا خاف =

(١) ص٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٥٨)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٥٨)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

....

= عليهم الشرك الأصغر لكثرة دواعيه، ومكائد الشيطان في شأنه، وتزيينه للناس من أهل العلم والصلاح ونحو ذلك*.

* س: هل يدخل حب الدنيا والتمتع فيها في الشرك الأصغر؟

ج: قد يقع؛ لأن في الإنسان ضعفاً باتباع هواه، ويعدّه جمع من أهل العلم نوعاً من الشرك الأصغر، لأنه نوع من الهوى، لكن الصحيح في هذا أنه لا يسمى بالشرك الأصغر إلا بالنقل، فما جاء به النقل يسمى الشرك الأصغر، وما لم يأت به النقل وهو من المحرم فهو من باب المعاصي، أو من باب البدع على حسب حاله.

فالشرك يقتصر فيه على النقل، فما كان من نوع العبادة لغير الله هذا الشرك الأكبر، وما كان دون ذلك مما يسمى شركاً كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، والرياء، هذا يسمى شركاً كما جاءت به النصوص لكنه أصغر.

وأما الزنى والسرقة وأشباه ذلك فهذه تسمى معاصي وتسمى كبائر، حسب ما جاء في النصوص، لكن بعض السلف يطلق على المعاصي أنها نوع من الشرك الخفي، لأنها نوع من اتباع الهوى، فهذا من باب الاجتهاد يسميها بعض الناس من باب الاجتهاد.

س: كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]؟ =

....

= ج: هذا هو نعم.

س: والذي يقع في الفتنة وهو ليس له فيها حيلة؟

ج: يجتهد ويسأل ربه الفرج والهداية والسلامة إذا وقع، ويلجأ إلى الله ويتضرع إليه، ويسأل ربه المخرج.

س: الذي يأتي بعض الرياء من أمور الدنيا مثلاً، مثل أن يحس في نفسه أنه رامٍ أو شيء ويفتخر على غيره؟

ج: هذا شيء ثانٍ، «إن اللهَ أوحَى إليَّ أن تواضَعُوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ»[1]، ما ينبغي له أن يفخر لا برمايته ولا بسياقته، وليحمد الله الذي أعطاه ويسر له سبحانه، والحمد لله والفضل لله، فقد يبتلى بتضييع هذه المعرفة وبجهلها، ويبتلى الآخر المحقور والمسخور بالفوز والبصيرة والنجاح.

س: قول: «صدق الله العظيم» بعد قراءة القرآن، هل هو بدعة، وإذا كان كذلك فما معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥]؟

ج: هذا الذي يفعله الناس لا أصل له، وينبغي تركه، أما إذا قال في بعض الأحيان لمناسبة أو شيء للتعجب من عظم ما في الآيات، وما دلت =

---

(١) أخرجه مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥).

....

= عليه من المعنى العظيم، وما ظهر من مطابقتها، وقال: «صدق الله العظيم» من باب بيان عظم شأنه، وبيان عظم ما أخبر به ﷺ، ولا يتخذ عادة عند التلاوة، فلا بأس به.

من هذا قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥] «صدق الله» فيما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ليس هذا المراد أن يقال دائماً، إنما قاله النبي ﷺ لبيان صحة ما جاءت به التوراة والإنجيل وما جاء به القرآن.

س: عندما دخل الحسن والحسين فقال النبي ﷺ: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]»(١)؟

ج: عند المناسبة مثل ما استعمل عند الصحابة صدق الله وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يدل على عظم ما أرسل به رسوله ومعجزات الأنبياء، وأن الله أخبر عن شيء فوقع، من باب تنبيه الحاضرين على أن هذا الذي رؤي ووجد من دلائل صدق الله ورسوله ﷺ فيما أخبر عنه.

س: الآن استمر حتى في الصلاة فيقوله أحدهم في الصلاة؟

ج: هذا من الجهل لأنه اعتاده فظن أنه قربة، فهذا لا أصل له عند =

(١) أخرجه أبو داود: الصلاة (١١٠٩)، وابن ماجه: اللباس (٣٦٠٠)، والترمذي: المناقب (٣٧٧٤)، والنسائي: الجمعة (١٤١٣).

....

= السلف الصالح، ولا ينبغي أن يتخذ عادة، وقد نبهنا على هذا غير مرة.

س: بعض القراء إذا قرأ القرآن أخذ يهتز ويتمايل، ما أصل ذلك؟

ج: لا نعرف لهذا أصلاً.

س: الذي يُقَبِّلُ القرآنَ هل لهذا أصل؟

ج: إذا كان عن محبة وعن شيء في نفسه، لا نعرف في هذا شيئاً، لكن ليس مشروعاً، فالذي يضع المصحف على عينيه ويقبل المصحف ويقول: هذا كلام ربي، ما نعرف فيه شيئاً، وإنما هو من باب المباحات.

۞ مع أنه أخبرَ أنه لا بدَّ من وقوع عبادةِ الأوثانِ في أُمَّتِه، فدلَّ ذلك على أنه ينبغي للإنسانِ أن يخافَ على نفسِه الشِّركَ الأكبرَ، إذا كان الأصغرُ مَخُوفاً على الصالحين من الصحابةِ مع كمالِ إيمانهم، فينبغي للإنسان أن يخافَ الأكبرَ لنقصانِ إيمانِهِ ومعرفتِه بالله.

فهذا وجهُ إيرادِ المصنِّف له هنا مع أن الترجمةَ تشمَلُ النوعين[1]. [١٧٢]

[شرح١٧٢] ومن هذا ما جاء في الحديث «لا تقوم الساعة حتى تلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثانَ»[2]، ومن هذا الحديث الصحيح: «لَيحمِلَنَّ شِرارُ هذه الأُمَّةِ على سَنَنِ الذين خَلَوا مِن قَبلِهم أهلِ الكتابِ قبلكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ»[3].

ومعلوم أن من سنن من قبلنا عبادة الأوثان وعبادة الأصنام، =

---

(١) ص٧٥-٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٥٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٥).

....

= هذه من طرقهم فطرق اليهود والنصارى والمشركين عبادة الأصنام والأوثان، فالنبي ﷺ أخبر أن هذه الأمة تسلك مسالك من كان قبلها.

فدل ذلك على أنه يقع فيهم الشرك في الجزيرة وغير الجزيرة وليسوا معصومين، كما يظن بعض الجهلة أن أمة محمد معصومة لا يقع فيها شر، كذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَضطَرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوسٍ على ذِي الخَلَصَةِ»(١) بَوَّب عليه البخاري في «صحيحه»: «باب تغيُّر الزمانِ حتى تُعبَدَ الأوثان»، المقصود أن هذا واقع، وقد تعلق بعضهم بحديث «إن الشيطانَ قد أَيِسَ أن يُعبدَ في بلدكم هذا»(٢) . هذا قد يتعلق به بعض الناس ولا يفهم المراد ولا يدري ما معنى الله ورسوله في الحديث.

فالشيطان قد ييأس من الشيء ويحصل، وقد يرجوه ويحصل، فالشيطان غير معصوم بيأسه ولا برجائه، فهو عدو الله وليس =

---

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧١١٦)، ومسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الفتن (٢١٥٩)، وابن ماجه: المناسك (٣٠٥٥).

....

= معصوماً، فقد يرجو شيئاً لظهور أسبابه فلا يحصل، وقد ييأس من شيء لظهور أسباب اليأس فيحصل، فالشيطان لما رأى ظهور الدين وإقبال الصحابة عليه والمسلمين، وظهور الجهاد ونحو ذلك، وقوة الدواعي للحق يئس أن يعبد في الجزيرة، فيئس من عودتهم إلى الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام؛ لما رأى من الصلاح ومن ظهور العلم والفقه في الدين والجهاد الصادق، ولكنه لم يقل: إن الله يأسه، قد يئس هو ولم يقل: إن الله يأسه، ولكنه يرضى بالتحريش بينكم وبما تحتقرون من أعمالكم.

وأخبرنا ﷺ في أحاديث أخرى أن هذا الشرك يقع في هذه الأمة، وقد يقع في الجزيرة نفسها وفي غيرها، فعلم بذلك أن يأس الشيطان ليس معصوماً وليس صحيحاً، فقد يئس ولكنه وقع الشرك في الجزيرة وفي غيرها، وهذا أمر معلوم لا إشكال فيه، وظن بعض الناس أن هذا صحيح، وأن ما يقع من الشرك عند قبر الرسول ﷺ أو عند قبر خديجة بمكة أو عند غيرهما أو عند المشهور من قبور الصحابة أن هذا ليس بشرك، وأن هذه الأمة معصومة. =

....

= وهذا من الجهل الكبير فالشرك يعرف بواقعه وبأعمال أهله لا بمجرد الخبر الخالي عن كل شيء، فالرسول ﷺ حين أخبر عن يأس الشيطان لم يقل: إن الله قد حفظ يأسه وصدق يأسه، بل مجرد خبر، وأخبر في أحاديث أخرى أن هذا اليأس ليس بصحيح، وأن الشرك قد يقع في هذه الأمة في آخر الزمان، وأنها تعبد الأوثان، وأنها تسلك مسلك من كان قبلها من الأمم في الشرك وغيره، وأن الناس في آخر الزمان ينزع من قلوبهم الإيمان، ويأخذ الله المؤمنين والمؤمنات، ثم يبقى الناس في شرك وباطل وعبادة لغير الله، حتى تقوم عليهم الساعة.

فالأصول في هذا كثيرة جداً في «الصحيحين» وغيرهما، فلا ينبغي أن يغتر المؤمن وطالب العلم بما اغتر به كثير من الناس ممن لم يعرفوا حقيقة الشرك، ولم يعرفوا مراد النبي ﷺ بالأحاديث، بل أخذوا بعضاً وتركوا بعضاً، فغلب عليهم الجهل بالحقائق، ووقعوا في الشرك وهم لا يشعرون بسبب قلة العناية والجمع بين الأخبار، والنظر في النصوص وما تدل عليه، وتطبيق النصوص التي جاءت =

....

= في هذا على ما دلت عليه والنصوص الأخرى على ما دلت عليه*.

---

* س: أخبرني أحد الإخوان أنه وجد في «تاريخ نجد» لابن غنَّام أنه ذكر نساء دوس؟

ج: وقع هذا في دولة آل سعود حول بيشة، ومعروفة إلى الآن.

س: وهل يقع مرة أخرى؟

ج: قد يقع وماذا يمنع. وموجود الآن الشرك بين الحجاج وغير الحجاج والمواطنين، وإن كانوا قد يخفونه إذا خافوا لكنه يقع، فكثير من الحجاج الآن ليس عندهم من البصيرة والهدى ما يعصمهم من الشرك ويحفظهم منه، فإذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ صاحوا يستغيثون بالرسول ﷺ ويطلبون منه، هكذا في المقابر مقابر أهل البيت من الشيعة وغير الشيعة، هكذا بمكة يقع شيء كثير من هذا، وكثير من الناس الآن لا يعرفون حقيقة التوحيد كما ينبغي، ولهذا يظنوا دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات من الدين ومن الهدى.

س: إذا كان رجل يسلك طريقاً معيناً إلى المسجد ووجد في هذا الطريق الراحة النفسية، أيعد هذا من الشرك؟

ج: لا ليس فيه شيء هذا طيب؛ لأن هذا الطريق أسلم من غيره.

❁ قال المصنِّفُ: وفيه أن الرياءَ من الشِّركِ وأنه من الأصغرِ وأنه أخوفُ ما يُخافُ على الصالحين.

وفيه قُربُ الجنةِ والنارِ والجمعُ بين قربِهما في حديثٍ واحدٍ على عملٍ واحدٍ متقاربٌ في الصورةِ[1]. [١٧٣]

[شرح١٧٣] هذا يشير إلى حديث ابن مسعود الآتي وحديث جابر: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[2]. والجنة والنار قريبتان؛ هذا قد توفي على التوحيد فيكون من أهل الجنة، وهذا قد توفي على الشرك فيكون من أهل النار، وقد يكونان في مكان واحد وفي ساعة واحدة فهذا قد توفي على التوحيد والإيمان فله الجنة، وهذا توفي على الشرك والكفر بالله فله النار، وقد يكونا أخوين، وقد يكون أب وابنه هذا للجنة وهذا للنار؛ نسأل الله العافية.

وفي الحديث الصحيح: «الجنةُ أقربُ لأحدِكم من شراكِ نعلهِ، =

---

(١) ص٧٦.

(٢) هذا حديث جابر أخرجه مسلم: الإيمان (٩٢) (١٥١). أما حديث ابن مسعود فأخرجه البخاري: الجنائز (١٢٣٨) و (٤٤٩٧) وسيأتي.

....

= والنارُ مِثلُ ذلك»[١] وجه ذلك أن الرجل قد يموت على التوحيد والإيمان فيكون من أهل الجنة، والآخر يموت على ضد ذلك فيكون في النار*.

---

* س: رجال دخلوا المسجد والإمام يصلي هل يحق لهم أن يقضوا جماعةً ما فاتهم من الصلاة؟

الشيخ: هل جاؤوا والإمام قد سلم؟

السائل: لا بل بقي عليهم ركعتين، أيقضون باقي الصلاة الجماعة؟

ج: الأفضل عدم ذلك، وهو يصح إن شاء الله، ولكن الأفضل أن يصلي كل واحد منفرداً بنفسه؛ لأن النبي ﷺ لما أدرك عبد الرحمن بن عوف في صلاة الفجر، وقد صلى ركعةً فصلى معه النبي ﷺ والمغيرة الركعة الباقية، ثم قضى كل واحد بنفسه منفرداً الركعة التي فاتته مع عبد الرحمن ابن عوف[٢]، ولم يؤمَّ النبيُّ ﷺ المغيرةَ في ذلك، بل كل واحد قضى منفرداً بنفسه، هذا هو الأولى والأفضل، كل واحد يقضي منفرداً، ولو فعلوا صح إن شاء الله.

س: إذا قامت الصلاة وهم يصلون نافلة؟ =

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٨٨).

(٢) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٢١)(١٠٥).

....

= ج: الأفضل قطعها لقول الرسول ﷺ: «إذا أُقيمت الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبةُ»(١)، إلا إذا كان في آخرها فلا يقطع كأن يكون قد ركع الركوع الثاني فالأفضل عدم القطع؛ لأنه بقي منها الشيء اليسير.

س: قضاء الظهر خلف من يصلي العصر، ما حكمه؟

ج: فيه خلاف بين العلماء، من يقضي الظهر خلف العصر والعشاء ونحو ذلك والأظهر الجواز، لأن النية لا تؤثر والأعمال متماثلة، فإذا نام عن الظهر أو نسيها فلما جاء العصر صلى معهم العصر بنية الظهر، ثم إذا فرغوا قضى العصر.

س: كثير من طلبة العلم يفتي بأنه إذا أقيمت الصلاة وهو يصلي السنن يتمها ويستشهدون بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]؟

ج: هذا قول جماعة من أهل العلم يتمها خفيفة، ولكن ما جاء في الحديث أنه يقطع، وأما ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ المراد به الردة أو المراد به أمر غير شرعي، لا تبطلوا أعمالكم بالردة ولا بالأمور غير الشرعية.

س: إذا كان رجل مسافراً وأتى في جماعة وهم يصلون مقيمين، وأدرك معهم ركعتين يتمها أم لا؟

ج: يتمها أربعاً، هذه هي السنة، في قول بعض أهل العلم يصلي =

(١) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧١٠).

....

= ركعتين، ولو صلى مع المقيمين ولكنه قول ضعيف، فالصواب أنه إذا صلى مع المقيمين يتم أربعة، لأن ابن عباس لما سئل عن هذا قال: تلك سُنة أبي القاسم[1]؛ وقول الصحابي: هكذا السُّنة، في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٦).

۞ قال: وعن ابنِ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن ماتَ وهو يَدعُو لله نِدّاً دخلَ النارَ» رواه البخاري(١).

قال ابنُ القيِّم: النِّدُّ: الشِّبهُ يقال: فلانٌ نِدُّ فلانٍ ونَديدُه، أي: مثلُه وشبهُه. انتهى.

وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨] أي: من ماتَ وهو يدعو لله نِدّاً، أي: يجعلُ لله نِدّاً فيما يختصُّ به تعالى ويستحقُّه مِن الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ دخلَ النارَ لأنه مشركٌ.

فإن اللهَ تعالى هو المستحقُّ للعبادةِ لذاتِه، لأنه المألُوهُ المعبودُ الذي تألَـهُه القلوبُ، وترغبُ إليه، وتفزعُ إليه عندَ الشدائدِ، وما سواه فهو مُفتَقِرٌ إليه مقهورٌ بالعبوديةِ له، تجري عليه أقدارُه وأحكامُه طَوعاً وكَرهاً، فكيف يصلُحُ =

---

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧).

= أن يكونَ نِدّاً؟! قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:١٥].

وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فبطلَ أن يكونَ له نَدِيدٌ مِن خلقِه، تعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون][1]. [١٧٤]

[شرح١٧٤] الآيات والأحاديث تعمُّ كل تنديد، قد يكون التنديد في الربوبية؛ أي: يزعم أن لله شريكاً في تدبير الأمور وتصريف الأكوان وهذا شرك الربوبية، وهذا لا يقوله غالب الأمم، فقد =

---

(١) ص٧٦.

....

= ينكرون ذلك ويقرون بأن الله هو المستقل بهذا ﷻ، بما في ذلك كفار أهل مكة من العرب وغيرهم.

المقصود أن هذا نوع من التنبيه، وهو أن يعتقد أن لله شريكاً في التدبير والتصرف، فغالب الأمم تنكر هذا ولا تؤمن به، والتنديد المشهور بين العرب وبين الأمم هو التنديد في العبادة أي: جعلوا نديداً لله يدعى مع الله بزعم أنه وسيط، لأنه مستقل يتصرف في الكون ولكنه وسيط، كما قال الرب ﷻ عن المشركين أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

مثل ما قالوا في التلبية: «لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، هو ند ونديد بزعمهم، لكنه مقهور مربوب لهذا الرب ﷻ، فهو قول متناقض فاسد كيف يكون نديداً ونداً وهو مقهور مربوب؟! هذا كلام من لا يعقل ولكنهم لا يعقلون؛ فأهل الشرك لا يعقلون، ولهذا زعموا أن الشفعاء أنداد، وزعموا أنهم وسائط، وقالوا: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فدعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، ونصبوا القباب على قبورهم، وغير ذلك مما فعلوه، =

....

= كل ذلك للجهل والضلال الذي وقعوا فيه، وزعموا أن هذه الأنداد، سواء أكانت ملائكةً أو أنبياء أو جِنّاً أو أصناماً أو غير ذلك، زعموا أنها واسطة في تحقيق مطالبهم وتحصيل مآربهم.

فأبطل الله ذلك، وبين ﷻ أنه المعبود بحق جل وعلا، وأنه لا ند له ولا شريك له ولا ظهير ولا عون له ﷻ، وأن الواجب توجيه القلوب إليه وإخلاص العبادة له وحده ﷻ، ولهذا قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار»[1]، أي: يدعوه مع الله، أي: يتخذه نداً لله جل وعلا في العبادة، فيدعوه معه ويرجوه، أو ينذر له ويذبح له، أو يصلي له ويسجد، إلى غير ذلك.

ثم لا يلزم من الند أن يكون مماثلاً بكل الوجوه، فلا يقول أحد: إن الند مماثل لله ﷻ بكل الوجوه، إنما يدعي أنه مماثل من حيث إنه ينفع داعيه، فيجيب دعوة داعيه بالوساطة، ويقضي حاجته، ولا يزعم أنه مثل ربه، ولهذا قالوا: (تملكه وما ملك) فهو ند ببعض الوجوه، ومثيل ببعض الوجوه، لا من كل الوجوه.

---

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧)، ومسلم: الإيمان (٩٢).

....

= وهذا يبين أن التنديد مطلقاً، حتى ولو كان من بعض الوجوه، شرك بالله ﷻ، فالتنديد ممنوع وباطل مطلقاً، سواء أكان يعتقد أنه مساو لله، أو في بعض العبادات فقط، أو في بعض الأشياء فقط، كله باطل.

۞ واعلم أن دعاء النِّدِّ على قسمينِ: أكبرَ، وأصغرَ؛ فالأكبرُ لا يغفرُه اللهُ إلا بالتوبةِ منه، وهو الشركُ الأكبرُ. والأصغرُ كيسيرِ الرِّياءِ، وقول الرجل: ما شاءَ اللهُ، وشئتَ، ونحو ذلك، فقد ثبتَ أن النبيَّ ﷺ لما قال له رجلٌ: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، قال: «أجعلْتَنِي لله نِدّاً، بل ما شاءَ اللهُ وحدَه». رواه أحمدُ، وابنُ أبي شيبة، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، والنسائيُّ، وابنُ ماجه[1]. وقد تقدَّم حكمُه في باب فضلِ التوحيدِ[2]. [١٧٥]

[شرح١٧٥] والمقصود أن التنديد هو الشرك، فتقدم أن الشرك قسمان: أصغر، وأكبر.

فالتنديد كذلك يسمى شركاً، ويسمى تنديداً، فهو أكبر وأصغر. =

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وابن ماجه: الكفارات (٢١١٧). كلهم بلفظ «عدلاً» بدلاً من «نداً»، ما عدا البخاري ولفظه: «جعلت لله نداً؟!».

(٢) ص٧٦.

....

= فالأكبر: ما فيه صرف للعبادة لغير الله، ويسمى تنديداً أكبر، وشركاً أكبر، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم، والجن، والملائكة، والأشجار، والأحجار، وأشباه ذلك، فهذا يسمى شركاً أكبر، وتنديداً أكبر.

والأصغر: وهو ما دون ذلك، فلا يسمى شركاً أو تنديداً في النصوص، لكنه دون القسم الأول، وليس عبادة لغير الله، لكنه نوع شرك، بحيث إنه ساوى الله به في بعض الأمور، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، هذا من الله وفلان، فيسمى هذا تنديداً، ويسمى شركاً؛ لأن فيه شيئاً من المساواة، وشيئاً من الظلم للنفس، فلهذا قيل له: تنديد، وقيل له: شرك أصغر، مثل الرياء.

وهكذا الحلف بغير الله نوع من التنديد، ونوع من الشرك الأصغر، وقد يرتقي بعض هذه الأنواع إلى الشرك الأكبر، على حسب ما يكون بالقلب من تعظيم لغير الله، وإقبال عليه، واعتقاد فيه، ونحو ذلك، فيرتقي من هذا المعنى إلى المعنى الأكبر، وهو الشرك الأكبر، نسأل الله العافية. =

....

= جاء في بعض الروايات «عدلاً» وفي بعضها: «ندّاً، بل ما شاء الله وحده»، وفيه معنى آخر في الحديث الآخر؛ حديث قُتيلة[1]، ويأتيكم إن شاء الله، قالت اليهود للمسلمين: إنكم تنددون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فأنكر عليهم النبي ﷺ، وتقولون: والكعبة، فأمرهم إذا أراد أحدهم أن يحلف أن يقول: ورب الكعبة، وأن يقول: ما شاء الله ثم ما شاء محمد، فسموا قول: «ما شاء الله وشاء محمد»، «والكعبة»، تنديداً، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك.

فدلَّ ذلك على أن ما كان بهذا المعنى يسمى تنديداً، ومن هذا الحديث الآتي حديث الطفيل بن سَخْبرة: أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مرَّ على النصارى، فقال: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، وهكذا اليهود، قال: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: العزير ابن الله، فقالوا: إنكم لأنتم القوم يا أمة محمد لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «ما شاء الله وحده»[2]. =

(١) أخرجه النسائي: الأيمان والنذور (٣٧٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الكفارات (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢)، ولفظ أحمد: «لا تقولوا: =

....

= الحاصل أن مثل هذه الكلمات تسمى تنديداً، وتسمى شركاً، ولكنه أصغر في الأغلب*.

---

* س: التعبير بكلمة «ثبت» وخاصة ممن يدري بقواعد المحدثين ألا يدل على صحة الحديث؟

ج: عند الشارح نعم، عندما يقولها فإنه يعني بذلك صحة الحديث عنده.

س: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨] هل يدخل الشرك الأصغر في الآية؟

ج: فيه خلاف، قال بعض أهل العلم: إن الشرك الأصغر يدخل، وإنه لا يغفر إلا بالتوبة، أو برجحان الحسنات، وقال آخرون: إنه من جنس الكبائر، فيغفر بالتوبة وبالحسنات.

والمعنى متقارب، فإن الحسنات إذا رجحت زال حكم الشرك الأصغر، وكذلك إذا تاب الإنسان منه توبة صادقة، فمعلوم أنه يشمل حتى الشرك الأكبر، أي: جنس عموم الشرك.

وقد يقال: إنه لا يغفر؛ لأنه نوع من الشرك، والآية عامة، فلا يغفر إلا =

= ما شاء الله وما شاء محمد»، وفي «المستدرك» للحاكم (٣/ ٤٦٣) بلفظ: «فلا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده لا شريك له».

....

= بالتوبة منه، وإنما يبقى على صاحبه، لكن متى عظمت الحسنات وتكاثرت الأعمال الصالحات رجح الميزان، وصار في الكفة المرجوحة، فعند ذلك يبقى لا أثر له، ويبقى الحكم للراجح.

۞ قال: ولمسلمٍ عن جابرٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لقيَ الله لا يُشرِكُ به شيئاً دخلَ الجنةَ، ومَن لقيَه يُشرِكُ به شيئاً دخلَ النارَ»[١].

جابر: هو ابنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بن حَرامٍ ـ بمهملتين ـ الأنصاريُّ، ثم السَّلَميُّ بفتحتين[٢]. [١٧٦]

[شرح١٧٦] من بني سَلِمة، بخلاف السُّلَميّ بالضم فمن بني سُلَيم المعروفين، وهي قبيلة معروفة من العرب، يقال لهم: بنو سُلَيم، والنسبة إليهم سُلَميّ بالضم لا بالفتح، مثل جُهَني.

أما بنو سَلِمة فمن الأنصار، فالنسبة إليهم سَلَميّ بفتحتين، مثل النسبة إلى بني نَمِر ـ بكسر الميم ـ: نَمَري، بفتح النون والميم، ومنهم ابن عبد البر.

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٩٢) (١٥٢).

(٢) ص٧٧.

۞ صَحابيٌّ جليلٌ مُكثِرٌ، ابنُ صحابيٍّ، له ولأبيهِ مناقبُ مشهورةٌ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ مات بالمدينة بعدَ السبعينَ، وقد كُفَّ بَصَرُه، وله أربعٌ وتسعونَ سنةً[1]. [١٧٧]

[شرح١٧٧] رحمه الله، وأبوه عبد الله بن عمرو بن حرام، وهو من النقباء والأخيار، قتل يوم أحد شهيداً، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) ص٧٧.

۞ قولُه: (مَن لقي اللهَ لا يُشرِكُ به شيئاً) قال القُرطُبيُّ: أي: مَن لم يتَّخِذ معه شريكاً في الإلهيةِ، ولا في الخلقِ، ولا في العبادةِ، ومن المعلومِ مِن الشرعِ المُجمَعِ عليه عندَ أهلِ السُّنَّةِ أن من ماتَ على ذلك فلا بُدَّ له من دخولِ الجنةِ، وإن جَرَت عليه قبلَ ذلك أنواعٌ مِن العذابِ والمِحنَةِ.

وإن ماتَ على الشركِ لا يدخلُ الجنةَ، ولا ينالُه من الله رحمةٌ، ويخلدُ في النارِ أبدَ الآبادِ، من غيرِ انقطاعِ عذابٍ، ولا تَصرُّم آمادٍ، وهذا معلومٌ ضروريٌّ من الدينِ، مجمَعٌ عليه بين المسلمين.

وقال النوويُّ: أما دخولُ المشرِك النارَ فهو على عمومِه، فيدخلُها ويخلدُ فيها ولا فرقَ فيه بين الكتابيِّ اليهوديِّ والنَّصرانيِّ وبين عبدةِ الأوثانِ وسائرِ الكفرةِ من المرتدينَ والمُعَطِّلينَ، ولا فرقَ عندَ أهلِ الحقِّ بين الكافرِ عناداً وغيرِه، ولا بين من خالَف مِلَّةَ الإسلامِ وبين مَن انتسبَ إليها، ثم حُكِمَ بكُفرِه بجَحدِه وغيرِ ذلك. =

= وأما دخولُ من ماتَ غيرَ مشركٍ الجنةَ، فهو مقطوعٌ له به، لكن إن لم يكن صاحبَ كبيرةٍ ـ ماتَ مُصِرّاً عليها ـ دخلَ الجنةَ أولاً، وإن كان صاحبَ كبيرةٍ ماتَ مُصِرّاً عليها فهو تحت المشيئةِ، فإن عفا عنه، دخلَ الجنةَ أولاً، وإلا عُذِّبَ في النارِ ثم أُخرِجَ فيدخلُ الجنةَ.

وقال غيرُه: اقتَصَر على نفي الشركِ لاستدعائه التوحيدَ بالاقتضاءِ، واستدعائه إثباتَ الرسالةِ باللُّزومِ؛ إذ مَن كَذَّب رسلَ الله، فقد كَذَّبَ الله، ومَن كَذَّبَ اللهَ فهو مشركٌ، وهو كقولكَ: مَن توضَّأ صَحَّت صلاتُه، أي: مع سائرِ الشروطِ.

فالمراد: من مات حالَ كونِه مؤمناً بجميع ما يجبُ الإيمانُ به إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي.

قلت: قد تقدَّمَ بعضُ ما يتعلَّقُ بذلك في باب فضلِ التوحيد.

قال المصنِّفُ: وفيه تفسير «لا إلهَ إلا اللهُ» كما ذكره البخاريُّ في «صحيحه» يعني: أن معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» تركُ =

= الشركِ وإفرادُ الله بالعبادةِ، والبراءةُ ممن عَبَدَ سواه؛ كما بينه الحديث، وفيه فضيلةُ مَن سَلِمَ من الشركِ[١]. [١٧٨]

[شرح١٧٨] وما قاله الشارح معلوم، فلا بد منه لما يعلق على نفي الشرك من دخول الجنة والنجاة من النار، فالمراد مع بقية أمور الدين.

أما من ترك الشرك بالله ﷻ، لكن وُجِد منه أمور أخرى توجب خروجه من الدين،فلا يدخل في هذا الوعد، فلا بد في هذه النصوص من مراعاة النصوص الأخرى، فهذا الأمر لا شك فيه، وأهل العلم يضمون النصوص بعضها إلى بعض، ويكملون المعنى بضم هذا إلى هذا، ويبينون أن من فرق بين النصوص فقد فرق بين ما جمع الله بينه.

فمن مات على ترك الشرك، لكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ، أو جحد شيئاً مما أخبر الله به ورسوله مما جرى في الماضي، أو جحد شيئاً مما أوجب الله، أو جحد شيئاً مما حرم الله، فهذا كله غير داخل في الوعد في دخول الجنة والنجاة من النار. =

---

(١) ص٧٧.

....

= فالحاصل أنه لا بد من نفي الشرك، بالإضافة إلى ما جاء في النصوص الأخرى من الإيمان بالله ورسوله، والتصديق بما أخبر الله به ورسوله، وعدم الجحد بما جاءت به النصوص، وعدم وجود مكفر من استهزاء بالدين، أو سب لله ورسوله، أو غير هذا مما يوجب الكفر، فهذا لا بد من مراعاته في جميع الأمور.

فهذه قواعد لا بد أن تراعى في كل ما يقال فيه إنه من أسباب دخول الجنة، أو من أسباب تكفير السيئات، أو ما أشبه ذلك، فلا بد من مراعاة الأصول*.

---

* س: جاء في الحديث أنه يخرج من النار من دخلها، ولم يعمل خيراً قط[1].

ج: أي: ليس له أعمال أخرى إلا التوحيد والإيمان؛ لأن النصوص بينت أنه لا بد من التوحيد، ولا بد من الإيمان، وإلا فالجنة عليه حرام، ولهذا جاء في الروايات أنهم يُخرَجون من النار لأنهم يقولون: لا إله إلا الله[2].

فالمقصود أنه إذا جاء لفظ مجمل يقيَّد بالنصوص الأخرى الواضحة الدالة على أنه لا نجاة إلا بتوحيد وإيمان. =

---

(١) انظر «مسند أحمد» (٢/ ٣٠٤)، وفيه: «ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد».

(٢) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٤١٠)، ومسلم: الإيمان (١٩٣)(٣٢٥).

....

= س: إذا احتج بهذا الحديث من يقول بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، فما الجواب عن ذلك؟

ج: يحتج عليه بالنصوص الأخرى، فأهل السنة والجماعة لا يفرقون بين النصوص، ولا يكذبون بعضها ببعض، ولا يضربون كتاب الله بعضه ببعض، لكنهم يصدقون كتاب الله كله، ويفسرون هذا بهذا، فيقال: دلت النصوص على أن الأعمال من الإيمان.

وليس لك أن تكذب بعضاً وتؤمن ببعض، بل عليك أن تصدق الجميع، وتتلى عليه الآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

س: قال غيره: اقتصر على نفي الشرك؟

ج: لأن ترك الشرك يقتضي توحيد الله والإخلاص، وإلا ما كان تركاً للشرك، فإذا ترك الشرك ولكن ما وحد الله ولا عبده، فمعناه أن قد عطل الله وأعرض عنه.

فالمقصود من هذا مدحه بأنه خاف لله، وتوجه إليه بقلبه، ووحده سبحانه، وليس المراد مجرد ترك الشرك، ولكنه لم يوحد الله، فإن هذا ليس محل مدح ولا ثناء، فلو أنه أعرض عن الله، فلا عبده وحده، ولا أشرك به، بل أعرض عن الله بالكلية، فهذا ليس بمسلم وليس بموحد، لكن في عرف المخاطبين من لا يشرك بالله يقتضي أنه موحد بالله ومؤمن به ﷻ، فخاطبهم بما يعقلون، فإذا قيل: إن فلان لا يوالي أعداء فلان، أو لا يحب =

....

= أعداء فلان، فليس لأنه يحبه ويواليه، ولا يوالي غيره، وما أشبه ذلك، فالمقام يدل على المقصود.

س: من لم يعمل خيراً قط هل يقال: إنه من الموحدين؟

ج: بمراعاة القرائن، أي: خيراً قط منفصلاً عنه التوحيد، مثل: الصدقات والصيام، فقد يكون أسلم وشهد شهادة الحق ثم مات في الحال، وأيضاً قد يكون عنده سيئات، وعنده معاص، فأدخل النار بها، ثم طهر؛ لأن معه أصل التوحيد، أصل الإيمان بالله، وأن الله ربه وإلهه الحق، «خيراً قط» أي: خيراً عملياً بعيداً عن القلوب.

كما لو قال قائل: يقول الله جل وعلا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠] أليس القول السديد من التقوى؟ هو من التقوى، لكنه نبه عليه، لعظم شأنه، وكذلك ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] أليس من العمل الصالح؟ أليس من الإيمان التواصي بالحق والتواصي بالصبر؟

هو من الإيمان، ومن العمل الصالح، لكنه نبه عليه لعظم شأن المعنيين التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهكذا أشباه ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] أليس الصدق من التقوى؟ هو من التقوى، لكنه نبه على الصدق لعظم شأنه، وأن الواجب على المتقي أن يكون مع الصادقين وأن يحذر الكذب. =

....

= س: يقولون بأنه لو كان بين الإيمان والأعمال تلازم، أي: أمور متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر، لما حصل له دخول الجنة، وهو لم يعمل خيراً قط؟

ج: الإيمان كلٌّ يتبعض، فبعض يكفَّر به الإنسان إذا تركه، وبعضه لا يكفَّر به إذا تركه، مثل ما قال النبي ﷺ: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شُعبَةً» أو قال: «بِضعٌ وستونَ شُعبةً»، على روايتيه، «فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»[1]، فهل قول: «لا إله إلا الله» وهي الشعبة الأولى مثل الشعبة الأخيرة إماطة الأذى عن الطريق؟ هل يتساويان؟!

لا يتساويان، فلو مرَّ بالطريق ولم يزل الأذى الذي فيه من حديد أو غيره ما صار كافراً، بل عاصياً، ناقص الإيمان، ولو أنه ترك «لا إله إلا الله» ولم يؤمن بها أو لم يقلها، لصار كافراً بإجماع المسلمين، فشعب الإيمان غير متساوية، فيها ما هو واجب وفرض لا بد منه، وإلا زال الإيمان بالكلية، وفيها ما هو واجب وفرض ولكن ما يزول الإيمان بزواله، بل ينقص ويضعف.

س: بعض الناس يعصون الله جل وعلا، ويداومون على المعاصي، ويقولون: إن الله جل وعلا يغفر ما دمت موحداً، فالله يغفر لك، والذنوب =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥).

....

= هذه تحت مشيئة الله، ويداوم على المعاصي ـ والعياذ بالله ـ وهو على علم.

ج: هذا من جهله، وهو على خطر إن أصر على المعاصي، فقد يحال بينه وبين التوبة، وعلى خطر أيضاً من وقوعه في الكفر لتساهله، فقد يعاقب، ولكنه صادق ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩] سبحانه وتعالى، كما في القرآن الكريم، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

لكنك هل تدري أنك ممن يغفر له، وأنت مصر على المعاصي، فأنت على خطر من أن تحرم المغفرة ومن أن يحال بينك وبين المغفرة، وأن تدخل النار بما أصررت عليه من الذنوب، قال الله في التائبين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦] فوعدهم المغفرة والجنة على عدم الإصرار.

فإذا أصر فهو غير موعود بالمغفرة ولا بالجنة، بل هو على خطر؛ لأنه معلق، والمعلق غير المجزوم له، فالمعلق على خطر، فقد يحصل له، وقد لا يحصل له، فهل يرضى العاقل أن يكون معلقاً، فالعاقل هو الحريص على النجاة لنفسه، ولا يرضى أن يكون معلقاً، بل يحرص أن يكون مع الناجين المجزوم لهم بالنجاة، والله المستعان.

والحمد لله الذي جعل مَن على المعاصي تحت المشيئة، الحمد لله أنه ما جعل كل من على معصية مخلداً في النار لا حيلة له، فمن فضل الله أن جعل للناس حيلة، يتوبون ويرجعون ويستغفرون عما مضى، فهذا من فضله =

....

= وإحسانه جل وعلا.

س: سؤال غير مسموع.

ج: إن جاء الشرك نقض التوحيد، فإن جاءت الكلمات الشركية صارت نقضاً للتوحيد، والمراد أنه من يقول: «لا إله إلا الله» ويعتقد معناها، من توحيد الله وإفراده بالعبادة، أما من قال: «لا إله إلا الله» ونقضها بأقواله وأفعاله فلا تنفعه «لا إله إلا الله»، فلا بد أن يقولها وأن يوحد الله، ولهذا في اللفظ الآخر، يقول ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ على أن يُعبدَ الله ويكفرَ بما دونه»(١)، فلا بد من توحيد الله، وفي حديث معاذ: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله»(٢)، فلا بد من توحيده.

أما مجرَّد قول: «لا إله إلا الله» مع الشرك فلا ينفع، لا من قالها معتقداً، ولا من قالها غير معتقد كالمنافقين، فكلهم لا ينفعهم ذلك؛ ولهذا يقولها المنافقون، ولا يصدقون بمعناها، فلا تنفعهم، وهكذا اليهود يقولونها، وهكذا النصارى قد يقولها كثير منهم، ولا تنفعهم؛ لأنهم لا يؤمنون بمعناها، وهكذا عباد الأوثان إذا قالوها، ثم عبدوا البدوي، وعبدوا الحسين، وعبدوا عبد القادر، وعبدوا اللات والعزى، فما تنفعهم؛ لأنهم قالوها لغواً، فما تفيد ـ نسأل الله العافية ـ فالمقصود المعاني. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦).

(٢) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم: الإيمان (١٩).

....

= س: فهل يعذروا مع الجهل بمعناها؟

ج: هذا محل نظر، إن لم يعلموا، يوضح ويبين لهم الحق الذي جاءت به الرسل، حتى يفهموا ويعقلوا.

أما إن ماتوا عليها فهل لهم عذر أم لا؟ على قولين لأهل العلم: منهم من قال لهم عذر، ويمتحنون يوم القيامة مثل أهل الفترة، ومنهم من قال: لا يعذرون؛ لأن الإيمان واضح في كتاب الله وفي سنة رسوله، فالإيمان والتوحيد واضح لا يعذر بجهالته.

أحد الطلبة: ذكر ابن ماجه رحمه الله في الحديث رقم (٤٠٤٩):

حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن رِبعِيٍّ بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشيُ الثوبِ، حتَّى لا يُدرَى ما صيامٌ ولا صلاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ، ولَيُسرَى على كتابِ الله ﷻ في ليلةٍ، فلا يبقَى في الأرضِ منه آيةٌ، وتبقَى طوائفُ من الناسِ، الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءَنا على هذه الكلمةِ: لا إلهَ إلا اللهُ، فنحن نقولُها».

فقال له صِلَةُ: ما تُغنِي عنهم: لا إلهَ إلا اللهُ، وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرضَ عنه حذيفةُ، ثم ردَّها عليه ثلاثاً، كُلَّ ذلك يُعرِضُ عنه حذيفةُ، ثم أقبلَ عليه في الثالثةِ فقال: يا صِلَةُ تُنجِيهِم من النارِ، ثلاثاً. =

....

= الشيخ: وهذا سند جيد عند ابن ماجه، وهو يدل على أن هؤلاء الذين جهلوا الشرائع وما جاء به القرآن في زمانهم، ولم يبق عندهم إلا ما حفظوه عن آباءهم، أن إيمانهم بـ«لا إله إلا الله» وقولهم: «لا إله إلا الله» الذي ليس معه شرك، بل معها توحيد وإخلاص ـ أن هذا ينجيهم من عذاب الله، ولا يلزم من النجاة من عذاب الله أن لا يكون هناك عذاب.

بل يدل ذلك على مصيرهم إلى النجاة والسعادة، فإن كانوا معذورين، لم يدروا عن الصلاة ولا عن الصيام شيئاً، ولا قامت عليهم حجة، فحكمهم حكم أهل الفترات في هذا الشيء، فيكون معهم الأصل، أصل السعادة وأصل الإيمان، فينجون من عذاب الله جل وعلا.

هذا، وليس في الحديث حجة لمن ترك الصلاة عامداً وهو يعلم أنها فريضة.

الطالب: وقال الحاكم في «مستدركه»، المجلد الرابع (ص٤٧٣):

أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد الحفيد، قال: حدثنا جدي قال: حدثنا أبو كريب، قال: أنبأنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة ﷺ بلفظه، غير أنه قال: قال صِلَةُ بنُ زُفَر. وقوله في آخره: يا صلةُ تنجيهم من النار.

فلفظ «ثلاثاً» غير موجودة عند الحاكم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. =

....

= الشيخ: هذا سند جيد.

س: السندان جيدان؟

ج: كلا، سند الحاكم لا أعرف صحته، ولكن سند ابن ماجه جيد، ولكن انتهى إليه الحاكم.

س: وهل إذا سكت عنه الذهبي يكون موافقاً له؟

ج: نعم يكون موافقاً له؛ والذي يظهر أنه إذا تركه أهل العلم يكون ثابتاً، وهذا الأرجح من القولين، وهذا مشهور بين العلماء، فبعضهم يرى أنه كفر دون كفر، ولا يراه كافراً، لكن ظاهر النصوص تقتضي تكفيره إذا كان يعرف ذلك، نسأل الله السلامة.

أحد الطلبة: بعض الإخوان أعطاني هنا سطرين من كتاب اسمه «كتاب الإنتاج» يدرس بالرياض في كلية التجارة، وهو مقرر على البنات والأولاد، فيه سطران نحب من سماحتكم أن تطَّلع عليهما، يقول:

أهم من ذلك كله تطوير عقلية ومفاهيم السكان، وبالتالي تغيير معتقداتهم وعاداتهم التي قد تقف عقبة في سبيل أي تقدم، والمثل الواضح على ذلك ما ترتب على إقامة المصانع في الصعيد من تطوير في عقلية السكان الموجودين في هذه المناطق، من كان يتصور أن سكان منطقة مثل كوم أمبو، أو قنا، سيقبلون أن تتخلص بناتهم من الحجاب وتخرج للعمل والمصانع، هذا ما حدث فعلاً في قلب الصعيد، نجد الآن في المناطق الصناعية =

....

= العاملات يعملن جنباً إلى جنب مع العمال، وقد تخلصن تماماً من الحجاب، انتهى الموضوع.

الشيخ: هذا على كل حال كلام قبيح خليع، أوله مجمل وهو محل نظر، لكن آخره واضح وبيِّن في مسألة محاربة الحجاب، وأن هذا من التقدم الذي ينبغي أن ينظر فيه، والله المستعان.

الطالب: تغيير المعتقدات والعادات...!

الشيخ: هذا مجمل، فيه شر تحت الرماد، فالمعتقدات الفاسدة في الحسين والبدوي لا بأس في تغييرها، لكن المعتقدات الصالحة لا تغير، أقول: هذا كلام مجمل، في مصر وأشباه مصر معتقدات فاسدة ينبغي أن تغير، كعبادة البدوي وعبادة الحسين وأشباه ذلك، لكن العقيدة الصالحة وأهل التوحيد لا يجوز أن تغير عقائدهم؛ وهذا مطلوب من حراس المسلمين.

س: حديث «لا يأتي زمانٌ إلا الذي بعدَه شَرٌّ منه»؟

ج: صحيح، رواه البخاري[1]، أي: في الجملة، فقد يأتي بالنسبة إلى بعض الأزمنة فرج من الكرب، وهدى من الضلال على أيدي بعض الدعاة إلى الله ﷻ، لكن في الجملة لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ولكن لا يمنع من كون بعض الزمان بالنسبة إلى بعض البلاد أحسن من الذي قبله؛ =

---

(١) البخاري: الفتن (٧٠٦٨).

....

= كما جرى في عهد عمر بن عبد العزيز، بالنسبة إلى من قبله في الجملة، وكما جرى في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بالنسبة للتي قبلها، وقد تأتي أشياء تكون أصلح بالنسبة لما قبلها.

وجاء في الحديث: «طُوبَى للغرباءِ الذين يُصلِحُون ما أفسدَ الناسُ»[(١)] أي: غرباء يأتون لإصلاح الناس، فيكون زمانهم أصلح من الزمان الفاسد الذي قبلهم، وهو ثابت من طرق كثيرة، وأصله في «مسلم»[(٢)]، لكن الزيادة جاءت في طرق أخرى ثابتة غير «مسلم»، وذكر الهيثمي جملة منها في «مجمع الزوائد»[(٣)] وغيرُه.

* * *

يليه الجزء الثاني وأوله:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠).

(٢) مسلم: الإيمان (١٤٥).

(٣) بالأرقام (١٢١٩١) و(١٢١٩٣) و(١٢١٩٤).

فهرس الموضوعات

سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣

الفوائد العلمية من الدروس البازية

فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

(القسم الثاني)

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩

راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله السليمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثالث

الرسالة العالمية

الفوائد العلمية

من الدروس البازية

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السليمان، عبد السلام بن عبد الله

الفوائد العلمية من الدروس البازية./ عبد السلام بن عبد الله السليمان — الرياض ، ١٤٢٩هـ

١٠ مج . — (سلسلة الفوائد العلمية)

ردمك ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٣-١٥٣١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- الاسلام- مبادئ عامة ٢- الثقافة الاسلامية أ- العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢١١ ١٤٢٩/٦٠٩٥

رقم الإيداع :١٤٢٩/٦٠٩٥

ردمك : ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٣-١٥٣١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(ج ٣)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الرسالة العالمية

دار الرسالة العالمية

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460

سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣

الفوائد العلمية

من الدروس البازية

فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد

للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

(القسم الثاني)

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩

راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبدالسلام بن عبدالله السليمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثالث

طبع بإذن من سماحة المفتي العام للمملكة ومؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:
فقد اطلعت على المجموعة المسماة: سلسلة الفوائد العلمية
من الدروس البازية جمع الشيخ: عبد السلام بن عبد الله السليمان
فوجدتها مجموعة مفيدة حافلة بدرر من دروس الشيخ عبد العزيز بن باز
وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتب أجر العاملين تعلم بها
ومن جمعها - وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
[توقيع]
١٤٢٩/٧/٢٨هـ

تقــريـــظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصـــحبه وبعد،

فقد اطلعت على المجموعة المسماة : سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع الشيخ : عبد السلام بن عبد الله السليمان فوجدهـــا مجموعة مفيدة حافلـــة بـــدرر مـــن دروس الشيخ عبد العزيز بن باز وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتـــب أجرها لمن تكلم بها ومن جمعها- وصلى الله وسلم على نبينـــا محمد وآله وصحبه.

كتبـــه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

١٤٢٩/٠٧/٢٨ هـــ

مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فيطيب للجنة العلمية بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية أن تقدم بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع النافع الموسوم بـ(سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) وقد قام بجمعه وإعداده فضيلة أخينا الشيخ/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان وفقه الله وسدده .

وقد اشتمل هذا الجمع المبارك على فوائد جليلة ودرر بهية من دروس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز _ رحمه الله _ وتعليقاته النافعة .

نسأل الله تعالى أن يثيب من جمعها وأعدها ،كما نسأله سبحانه أن يضاعف الأجر والمثوبة لسماحة شيخنا / عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وأن يجعل هذه الفوائد من العلم النافع الذي يجري عليه أجره في قبره، وأن يجمعنا به والمعدّ والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه .

اللجنة العلمية

بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

مقدمه معالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

سماحة الشيخ العلامة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العليمة والإفتاء ورئيس رابطة العالم الإسلامي فقد تشرفت بمعرفته رحمه الله واستفدت من سماحته مدرساً في كلية الشريعة بالرياض حيث تلقيت عنه علم الفرائض في هذه الكلية واستفدت من دروسه ومحاضراته خارج الكلية منذ قدمت إلى الرياض لطلب العلم سنة ١٣٧٨ للهجرة، فهو العالم الفذ في علمه وفي عمله وفي أخلاقه وفي حبه للخير وأهله وفي سعيه الجاد في نشر العلم، يعرف ذلك القاصي والداني عنه ، ولقد تشرفت بالمشاركة في العمل تحت رئاسته عضواً للجنة الدائمة للإفتاء وفي هيئة كبار العلماء وفي المجمع الفقهي فاستفدت منه كثيراً، من توجيهاته العلمية وآراءه السديدة لأنه رحمه الله آية في الإلمام بمسائل الفقه وأقوال العلماء ومعرفة الأدلة واستحضارها، وحفظ الأحاديث ومعرفة متونها وأسانيدها ومخرجيها ودرجاتها، فكان لا يأخذ من الأقوال إلا ما ترجح لديه بالدليل، ولا من الأدلة إلا ما صح عنده، كان لا يمل من قراءة الكتب النافعة، والاستزادة من العلم، وكان رجاعاً

إلى الحق لا يمنعه قول قاله بالأمس أن يرجع عنه إلى الصواب إذا تبين له اليوم، عملاً بوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان يحرص على البحث والمشورة حتى مع من هو أقل منه علماً وخبرة بحثاً عن الحق والأخذ به؛ لأن الحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذه، كان يحرص رحمه الله على نفع المسلمين بماله وجاهه وشفاعته، يحب المشاركة في المشاريع الخيرية، ويساعد المحتاجين، ويفتي السائلين شفهياً وتلفونياً وتحريرياً، لا يقتصر على عمله الرسمي فعمله دائم في البيت مع سعة صدر، وسماحة بال، وتيسر لقاء به، حيث يجلس لإستقبال الناس الساعات الطويلة من كل يوم ويفتح بابه لمن يريد الدخول واللقاء به دون مانع أو حائل مع قيامه بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية التي يلقيها في المسجد ويحضرها المئات من الطلاب والمستفيدين ومن خلال المحاضرات التي يلقيها في المساجد والمنتديات واللقاءات، فكان لا يتوقف، إذا طلب منه إلقاء محاضرة في أي مكان قريب أو بعيد أو طلب منه لقاء فقهي يجيب من خلاله على أسئلة الحضور حتى بواسطة المهاتفة من مكان بعيد وله مشاركات كبيرة في وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة في إلقاء الكلمات والنصائح والإجابة على الأسئلة، وله مواقف عظيمة و كثيرة في الرد على أهل الضلال وكشف شبهاتهم وتعرية باطلهم وبيان الحق، يظهر ذلك من ردوده المطبوعة والمسجلة على الأشرطة، ومن كتبه الكثيرة، وفي جانب

الأمر المعروف والنهي عن المنكر كان له دوره الفعال في القيام بهذا الأمر ومساندة ومساعدة القائمين عليه ونصيحة ولاة الأمور ونصيحة الرعية عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم) ، ومهما قلت فإنني أراني مقصراً في وصف ما لهذا العالم الجليل من جهود عظيمة وما تحلى به من فضائل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد هيأ الله عز وجل لهذا الإمام الجليل من قام بجمع علمه ونشره في الآفاق حتى يكون من العلم الذي ينتفع به بعد وفاته يرحمه الله، وهذه المجموعة المعنونه بـ (سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) هي جزء من علم شيخنا الجليل يرحمه الله، التي قام بجمعها وإخراجها أخونا الشيخ عبدالسلام بن عبدالله السليمان جزاه الله خيرا، وقد حوت فوائد جليلة يدركها من طالعها وقرأ فيها.

رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه عما قدم خير الجزاء وأوفاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢١/١٠/١٤٢٩هـ

باب
الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

۞ لما بَيَّنَ المصنِّفُ ـ رحمه الله ـ الأمرَ الذي خُلِقَت له الخَلِيقةُ وفَضلَه، وهو التوحيدُ، وذكرَ الخوفَ من ضِدِّه الذي هو الشِّركُ، وأنه يوجبُ لصاحبِه الخلودَ في النارِ، نَبَّه بهذه الترجمةِ على أنه لا يَنبَغِي لمن عَرَفَ ذلك أن يَقتَصِرَ على نفسِه كما يظنُّ الجُهّالُ، ويقولون: اعمل بالحقِّ واتركِ الناسَ وما يعنيكَ من الناسِ، بل يدعو إلى الله بالحِكمَةِ والموعظةِ الحسنةِ والمجادلةِ بالتي هي أحسنُ، كما كان ذلكَ شأنَ المرسلين وأتباعِهم إلى يومِ الدِّين، وكما جَرَى للمصنِّفِ وأشباهِه من أهلِ العلمِ والدِّينِ والصبرِ واليقينِ[1]*.

* س: الذي يقول: أخشى إن أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، أو دعوت إلى الله ﷻ، أن يحصل لي أذى ويحصل لي كذا؟

ج: هذه أوهام من الشيطان، وهو لا يود له أن يخالف هذه الأوهام. =

(١) «تيسير العزيز الحميد» ص٧٨. ط١، الناشر: دار ابن حزم.

....

= س: يستدل بحديث: «لا يَنبغِي للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسَه» قالوا: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟ قال: «يَتعرَّض من البلاءِ لما لا يُطيقُ»[(١)].

ج: هذا ليس له فيه حجة؛ إنما ذلك إذا تعرض لأمور لا يطيقها، والله يقول: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ [المجادلة:٤] فإذا كان إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم ضرب وسجن فهذا عذر له، أما إذا كانت مجرد أوهام فلا عذر له.

بل يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ كما كان ذلك شأن المرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين، وكما جرى للمصنف وأشباهه من أهل العلم والدين والصبر واليقين.

يعني: أنهم أوذوا واتهموا بتهم كثيرة، وقالوا لهم: إنكم تبغضون الرسول، وتبغضون الأولياء، وما ضرهم ذلك؛ لأن من عادة عباد القبور وعادة الكفرة أن من قام يدعو إلى الله، وينصح الناس أن لا يعبدوا الأولياء والأنبياء، وأن يعبدوا الله وحده؛ أن يقولوا في حقه: إنه يبغض الأنبياء، وإنه يبغض الأولياء.

فظنوا بجهلهم أن من حب الأولياء والأنبياء أن يُعبَدوا من دون الله، وأن تصرف لهم العبودية بدلاً من الله؛ فهذا من الجهل العظيم؛ فإذا رأوا من يقول: لا تعبدوا إلا الله، ولا تدعوا ولياً، ولا تقولوا: يا رسول الله افعل بنا، =

---

(١) أخرجه الترمذي: الفتن (٢٢٥٤)، وابن ماجه: الفتن (٤٠١٦).

....

= أو يا عبد القادر أو يا فلان ويا فلان؛ قالوا: هذا يبغض الأولياء والأنبياء؛ فهذا من الجهل الكبير الذي جعله الشيطان سلماً لصد الناس عن الحق والعياذ بالله.

ولا شك أن الذي يدعو إلى عبادة الله ليس بمعاد للأولياء والأنبياء؛ بل هو الذي يواليهم في الحقيقة، فولي الأنبياء والأولياء هو الذي يدعو إلى ما دعوا إليه، وينذر الناس مما نهوا عنه، فهو وليهم في الدنيا والآخرة؛ لأنه دعا إلى ما دعوا إليه، ونهى عما نهوا عنه؛ فهو وليهم.

أما الذي يقر الشرك ولا يبالي وينكر على من دعا إلى التوحيد والإخلاص، ويزعم أنه يبغض الأولياء والأنبياء؛ فهذا من الجهل الكبير والباطل العظيم، وهكذا قالوا في شيخ الإسلام ابن تيمية، وقالوا في ابن القيم، وقالوا في غيرهم من علماء الحق الذين أظهروا العداء لمن تعلق بالأولياء والأنبياء، وجعلهم آلهةً، فقالوا: هذا ليس ممن يحب الصالحين والأنبياء.

۞ وإذا أرادَ الدعوةَ إلى ذلك، فليبدَأ بالدعوةِ إلى التوحيدِ الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ إذ لا تصحُّ الأعمالُ إلا به؛ فهو أصلُها الذي تُبنَى عليه، ومتى لم يوجد؛ لم ينفعِ العملُ؛ بل هو حابطٌ؛ إذ لا تصحُّ العبادةُ مع الشِّركِ، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧](١). [١]

[شرح١] والمعنى في هذا أنه إذا كان في مجتمع شركي ككفار قريش وأشباههم قبل دخولهم في الإسلام؛ فيأمرهم أولاً بالتوحيد، وينهاهم عن الشرك قبل كل شيء، أي: إذا كان المجتمع مجتمعاً كفرياً، فهذا يبدأ قبل كل شيء بالتوحيد، ويكون معهم في بيان التوحيد وبيان الشرك؛ حتى يقبلوا التوحيد ويتركوا الشرك.

أما إذا كان المجتمع يدعي الإسلام، ويصلي ويصوم، ويدعي أنه مسلم؛ ولكن وقع في الشرك، يظن أنه ليس بشرك؛ فهذا يعمل ما =

---

(١) ص٧٨.

....

= يراه أقرب إلى قبوله للحق، ويجتهد في الطرق التي تمكنه من إدخال الحق والتوحيد عليهم؛ فيأمرهم بما جاءت به النصوص من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحو ذلك، ويدخل في ذلك أمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك.

ولا يجابههم بأنهم مشركون؛ فإنه متى جابههم لم يقبلوا منه شيئاً؛ بل ربما أخرجوه من بينهم أو ربما قاتلوه، وربما فعلوا معه الأفاعيل؛ ولكن يسلك الطرق التي تمكن من إدخال التوحيد عليهم، وإزالة الشرك عنهم، وبيانه بالأساليب الحسنة، وبالأساليب الممكنة التي يتوصل بها إلى إخراجهم من الظلمات إلى النور.

۞ ولأن معرفةَ معنَى هذه الشهادةِ هو أولُ واجبٌ على العبادِ؛ فكان أولَ ما يبدأ به في الدعوةِ.

قال: وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال ابنُ كثيرٍ: يقول تعالى لرسولِه ﷺ آمِراً له أن يخبرَ الناسَ أن هذه سبيلُه؛ أي: طريقتُه وسُنَّته، وهي الدعوةُ إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، يدعو إلى الله بها على بَصِيرةٍ من ذلك ويقينٍ وبرهانٍ، هو وكلُّ من اتبعَه، يدعو إلى ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ على بصيرةٍ وبرهانٍ عقليٍّ شرعيٍّ.

وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وأُنزِّهُ اللهَ وأجلُّ وأُعظِّم عن أن يكون له شريك ونَدِيدٌ، تباركَ وتعالَى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

قلت: فتبيَّنَ وجهُ المطابقةِ بينَ الآيةِ والترجمةِ قيل: ويظهر ذلك إذا كان قولُه: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطفاً على الضميرِ في =

= ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فهو دليلٌ على أن أتباعِه هم الدعاةُ إلى الله تعالَى، وإن كان عطفاً على الضميرِ المنفصلِ، فهو صريحٌ في أن أتباعَه هم أهلُ البصيرةِ فيما جاءَ به دون مَن عداهم.

والتحقيقُ أن العطفَ يتضمَّن المَعنيَين؛ فأتباعُه هم أهلُ البصيرةِ الذين يدعونَ إلى الله[1]. [٢]

[شرح٢] وهذا واضح ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، فسبيل الله التي هي سبيل محمد ﷺ، وهي الدعوة إلى الله على علم وهدًى؛ فسبيل الرسول ﷺ التي قال الله فيها: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فقد بينها في قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.

فسبيل الرسل ـ وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ ـ هو الدعوة إلى الله على علم وبصيرة، وليس هو عن جهالة وضلالة، قد يدعون إلى الله على بصيرة وعلى علم بما دعوا إليه وبما نهوا عنه، هكذا يكون الدعاة إلى الله. =

---

(١) ص٧٨.

....

= أما الدعاة والدعوة بالجهل، فقد يفسدون أكثر مما يصلحون، ويضرون أكثر مما ينفعون؛ فيجب أن تكون الدعوة إلى الله على بصيرة، أي: على علم، أي: يتعلم الشيء الذي يدعو إليه، ويتبصر فيه، ويعلم دليله، ثم يتكلم، سواء كان هذا الشيء يتعلق بالتوحيد والشرك، أو بمسائل أخرى من مسائل الدين.

فكل داعية يلزمه أن يعلم ما يدعو إليه، ويلزمه أن يعلم ما ينهى عنه بدليل؛ حتى لا يكون في نهيه أو في دعوته على غير هدًى، وحتى لا يدعو إلى خلاف ما شرع الله؛ بل لا بد في حق الداعية من العلم الذي يراد به البصيرة هنا، والمراد بالبصيرة هنا هو العلم؛ فلا بد أن يكون الداعي عنده علم بأي شيء يدعو إليه، وعنده برهان من شرع الله على ما دعا إليه، وعلى ما نهى عنه؛ حتى لا يدعو على جهالة، وحتى لا ينكر ما هو حق، أو يدعو إلى ما هو باطل بسبب جهله.

ويبين ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ أن أتباع الرسول ﷺ هم أهل البصائر، وهم أهل العلم، وهم أهل الهدى، ﴿ٱدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ =

....

= بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ فالدعاة إلى الله جل وعلا على بصيرة وعلى علم هم أتباع النبي ﷺ، فأهل العلم يجمعون بين الأمرين: دعوة إلى الله، وعلى علم وبصيرة؛ فهم الأتباع إذا جمعوا بين الأمرين*.

---

* **س: أحسن الله إليك هذا القول هل يكون حجة للشخص الذي يقول: لا أقدر أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وليس عندي بصيرة؟**

ج: إذا لم يكن عنده بصيرة فلا يفعل؛ لكن عليه أن يتعلم، والله فتح له باب العلم، ودعاه إليه، وأرشد إليه، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «مَن سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سَهَّل اللهُ له به طريقاً إلى الجنةِ»(١)، وقال النبي ﷺ: «مَن يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهُهُ في الدِّينِ»(٢)، فهو مأمور بأن يتعلم، أما أن يترك التعلم ويحتج بهذا فلا.

لكن ما دام لم يتعلم فلا يشتغل بالدعوة إلى شيء لا يعلمه؛ لكن عليه أن يتعلم؛ حتى يبدأ بنفسه، وحتى يعمل بطاعة الله، وينتهي عن معاصي الله بنفسه، فيتعلم ما أوجب الله عليه، ويتعلم ما حرم الله عليه، ثم يعلم الناس. =

---

(١) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (٧١)، ومسلم: الزكاة (١٠٣٧)(١٠٠).

....

= والأمور قسمان:

أمور ظاهرة معلومة للمسلم لا تحتاج إلى التعلم، يعلمها بنشوئه بين المسلمين، وظهوره بينهم؛ مثل تفاصيل العبادة لله وحده، وترك التعلق بغير الله من الأوثان، والأصنام، والأنبياء، والأولياء، فهذه أمور يعرفها المسلم الذي نشأ بين المسلمين من أهل التوحيد، لا يتعلقون بالقبور والأولياء، يعرفها وحده؛ مثل تحريم الزنى، وتحريم الخمر، وتحريم اللواط، وتحريم العقوق، وتحريم قطيعة الرحم، وتحريم شهادة الزور.

فهذه يعرفها المسلم بنشوئه بين المسلمين، وهي أمور مجمع عليها، ليس فيها خلاف ولا نزاع، ففي إمكانه أن ينهى الزاني، ومن تعاطى وسائل الزنى، فينهاه ويقول له: يا أخي، هذا لا يجوز لك، وهذا منكر، وهذا حرام عليك، وفيه خطر وغضب الله عليك، وفيه الحدود الشرعية.

وكذلك المسكرات يستطيع أن ينهى عنها؛ لأنها معلومة وهو إذا دعا على علم وعلى بصيرة، كذلك يستطيع أن يحذر العاق والديه من العقوق، ويحذر من يسب والديه ويسيء إليهم بأفعاله وأقواله، ويكتم شهادة الحق، ويتعاطى الربا إلى غير ذلك؛ ولكن بعض مسائل الربا قد تخفى على بعض الناس.

فالحاصل أن الإنسان إذا كان عنده علم في شيء من الأشياء فهو عالم فيه، وله الدعوة إليه، وإذا كان عالماً بأشياء منكرات فكذلك هو فيها عالم، يدعو إلى تركها، ويحذر منها. =

....

= أما الأمور الأخرى التي قد تشتبه؛ مثل بعض مسائل الربا، وبعض مسائل المعاملات، فهذه لا يقدم عليها إلا على علم، كذلك بعض شبه الشرك، وبعض الأنواع المشتبهة التي تتعلق بالشرك، فلا يعجل حتى يبحث، وحتى يتأمل مع إخوانه ولا يتكبر؛ بل يفرح بمشاورة إخوانه، والبحث معهم، والمذاكرة معهم فيما أشكل عليه.

س: أحسن الله إليك إذا قال: إن دعوت على بصيرة وعلى علم سقط الناس في النار وضلوا، فأفرغ نفسي وجهدي للدعوة ثم بعد ذلك لعله يحصل العلم، فإذا تعلمت وجلست أطلب العلم، ضاع الوقت، وهلك الناس؟

ج: هو أهلكهم، لا يقول: الناس هلكوا، ولا يدعو حتى يتعلم، وإلا فإنه يفسد أكثر مما يصلح.

س: الذي منَّ الله عليه بالعلم من الكتاب والسنة، والمعرفة، والأخذ بالدليل؛ فلا يعمل شيئاً إلا بالدليل من الكتاب والسنة، فماذا يجب على هذا المتعلم تجاه الذي يضل الناس، ويدعو إلى غير الدليل، ويتعصب إلى رأيه ودليله؟

ج: يبين له أنه أخطأ، وتعريضه وتلميحه يكون أحسن من تعيين الشيء فيقول مثلاً: أما ما يدعو إليه بعض الناس من كذا وكذا؛ فيبينه.

س: إذا بينت ولم يقبل؟ =

....

= ج: هذا الذي عليك؛ فإذا بينت الحق بدليله، ووضحت الباطل بدليله، فقد أديت الذي عليك، والله يهدي من يشاء، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]؛ إلا إذا كنت سلطاناً أو قاضياً تستطيع أن تحكم بسجنه، أو تحكم بضربه؛ فهذا شيء آخر لمن يستطيع ذلك.

۞ وفي الآية مسائلُ نَبّه عليها المصنِّف:

منها: التنبيهُ على الإخلاصِ؛ لأن كثيراً ولو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"[1]. [٣]

[شرح٣] وهذا واضح، فالإخلاص من أهم المهمات أما إذا كان يدعو ليقال: إنه داعية أو ليقال: إنه طيب؛ فهذه خسارة في الدنيا والآخرة.

---

(١) ص٧٨-٧٩.

۞ ومنها: أن البصيرةَ من الفرائضِ، ووَجهُ ذلك أن اتِّباعه ﷺ واجبٌ، وليس أتباعُه حقّاً إلا أهلَ البصيرةِ، فمن لم يكن منهم؛ فليس مِن أتباعِه؛ فتعيَّن أن البصيرةَ من الفرائضِ.

ومنها: أن من دلائلِ حُسنِ التوحيدِ أنه تَنزِيهٌ لله ﷻ عن المَسبَّة[1]. [٤]

[شرح٤] يعني: أن من أشرك بالله فهو في المعنى سابّ لله؛ لأنه ظن أنه سبحانه يجيز هذا الشيء، أي: يجيز أن يعبد معه غيره فهو في الحقيقة سبّ؛ ولهذا سمي عمل النصارى سبّاً.

فالمقصود أن وصف الله بما لا يليق به نوع من السب.

---

(١) ص٧٩.

۞ ومنها: أن من أقبحِ الشِّركِ كونُه مَسبَّةً لله[1]. [٥]

۞ ومنها إبعادُ المسلمِ عن المشركينَ لا يصيرُ معهم ولو لم يُشرِك[2]. [٦]

[شرح٥] صواب العبارة «مِن قُبح الشركِ»، هذا الذي أحفظ فهو ضد الحسن، فحسن التوحيد كونه تنزيهاً لله، ومن قبح الشرك كونه مسبةً لله؛ ماذا عندك في النسخة الخطية؟

الطالب: «من أقبح الشرك».

الشيخ: هذه الهمزة التي في قوله: «أقبح» غلط.

[شرح٦] لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]؛ لأن في وجوده معهم تكثيراً لسوادهم؛ فلا ينبغي أن يكون معهم؛ ولهذا في الحديث: «أنا بريءٌ مِن كلِّ مسلمٍ يُقيمُ بينَ أظهرِ المشركينَ»[3]، فلا يستثنى من هذا إلا ما جاء الدليل بجواز وجوده بينهم؛ كالداعي =

---

(١) ص٧٩.

(٢) ص٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود: الجهاد (٢٦٤٥)، والترمذي: السير (١٦٠٤)، والنسائي: القسامة (٤٧٨٠).

....

= إلى الله ﷻ، والمضطر، وما أشبه ذلك*.

* س: والمبتعد؟

ج: لا يجوز الابتعاد إلى بلاد الشرك؛ فهو أصل البلاء الذي وقع فيه الناس اليوم، فالابتعاد إلى بلاد المشركين خطره عظيم، وإذا كان ابتعاد الشباب الجاهل فهذا أشد وأشد وأخطر.

س: هل يبدأ الإنسان الذي يدعو إلى الله بالتوحيد، أم يبدأ بمعالجة البصيرة قبل التوحيد؟

ج: إذا كان مجتمعاً شركياً يبدأ بالشرك، وإذا كان مجتمعاً إسلامياً؛ ولكن قد يقع فيهم بعض الشركيات، يبدأ يعمل هذا وهذا، فيفعل الجميع، فينهى عن الشرك وينهى عن المعاصي ينهى عن الجميع.

۞ وكل هذه الثلاثِ في قولِه: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨].

قال: وعن ابن عباسٍ: أن رسولَ الله ﷺ لـمّـا بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنَّكَ تأتي قوماً من أهلِ الكتابَ، فليكن أوَّلَ ما تَدعُوهم إليه شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ـ وفي رواية: أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوكَ لذلكَ، فأعلِمْهم أن اللهَ افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوكَ لذلكَ، فأعلِمْهم أن اللهَ افترضَ عليهم صدقةً تُؤخَذ من أغنيائِهم فتردُّ على فقرائِهم، فإن هم أطاعوكَ لذلك فإياكَ وكرائمَ أموالِهم، واتقِ دعوةَ المظلومِ، فإنه ليسَ بينها وبين الله حجابٌ» أخرجاه(١).

قوله: (لما بعثَ معاذاً إلى اليمن) قال الحافظُ: كان بعثُ معاذاً إلى اليمن سنةَ عشرٍ قبلَ حَجِّ النبيِّ ﷺ كما ذَكَره المصنِّفُ ـ يعني البخاريَّ ـ في أواخرِ المغازي، وقيل: كانَ =

(١) البخاري: الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم: الإيمان (١٩).

= ذلكَ في آخرِ سنةِ تسعٍ عندَ مُنصَرفِهِ من تبوكَ، رواه الواقديُّ باسنادِهِ إلى كَعْب بن مالكٍ، وأخرجه ابنُ سعدٍ في «الطبقات» عنه، ثم حَكَى ابنُ سعدٍ أنه كان في ربيعِ الآخرِ سنةَ عشرٍ، وقيل: بَعَثه عامَ الفتح سنةَ ثمانٍ، واتفقوا أنه لم يَزَلْ على اليمن إلى أن قَدِمَ في عهدِ أبي بكر ثم توجَّه إلى الشام فمات بها، واختُلِفَ هل كان معاذٌ والياً أو قاضياً، فجَزَمَ ابنُ عبد البر بالثاني، والغَسَّاني بالأول.

قلت: الظاهرُ أنه كان والياً قاضياً.

قوله: (إنك تأْتي قوماً من أهلِ الكتاب) قال القُرْطُبي: يعني به اليهودَ والنصارى، لأنهم كانوا في اليمن أكثرَ من مُشْرِكِي العرب أو أغلبَ، وإنما نبَّهه على هذا ليتهيَّأَ لمناظرتِهم ويُعِدَّ الأدلة لامتحانهم، لأنهم أهلُ عِلْم سابق، بخلاف المشركينَ وعَبَدة الأوثان، وقال الحافظُ: هو كالتوطئةِ للوصيَّة، ليجمعَ هِمَّتَه عليها، ثم ذكر معنى كلام القُرْطُبي.

قلت: وفيه أنَّ مخاطبةَ العالَم ليست كمُخاطَبة الجاهل، =

= والتنبيهُ على أنه ينبغي للإنسانِ أن يكونَ على بَصِيرة في دينِه لئلّا يُبتَلى بمن يُورِدُ عليه شُبْهةً من علماءِ المشركين، ففيه التنبيهُ على الاحترازِ من الشُّبَه والحرصِ على طلب العِلم.

قوله: (فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله) يجوز رفعُ «أول» مع نَصْب «شهادة» وبالعكسِ.

قوله: (وفي روايةٍ: إلى أن يوحِّدوا الله) هذه الروايةُ في التوحيد من «صحيح البخاري»[1]، وفي بعضِ الروايات: «فادْعُهم إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله»[2]، وفي بعضها: «وأن محمداً رسولُ الله»[3]، وأكثرُ الرواياتِ فيها ذِكْر الدعوة إلى الشهادتين، وأشار المصنفُ ـ رحمه الله ـ بإيرادِ هذه الروايةِ إلى التنبيهِ على معنى شهادةِ أن لا إله إلا الله، إذْ معناها توحيدُ الله بالعبادة وتركُ عبادةِ ما سواه، فلذلكَ جاء الحديثُ مرةً بلفظِ: «شهادة أن لا إله إلا الله» ومرةً «إلى أن =

---

(١) رقم (٧٣٧٢).

(٢) البخاري: الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم: الإيمان (١٩)(٢٩).

(٣) البخاري: الزكاة (١٤٩٦).

= يوحِّدوا الله» ومرة «فليكنْ أولَ ما تَدعُوهم إليه عبادةُ الله، فإذا عَرفُوا الله فأَخبِرهم أن الله افترَض عليهم خمسَ صلواتٍ»(١) وذلك هو الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ بالله الذي قال الله فيه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومعنى الكُفرِ بالطاغوتِ هو خَلعُ الأندادِ والآلهةِ التي تُدعَى من دونِ الله من القلبِ، وتَـرْكُ الشِّرك بها رأساً، وبغضُه وعداوتُه، ومعنى الإيمان بالله: هو إفرادُه بالعبادة التي تتضمَّن غايةَ الحبِّ بغاية الذلِّ والانقيادُ لأمره، وهذا هو الإيمانُ بالله المستلزِم للإيمان بالرسل عليهم السلام، المستلزِم لإخلاصِ العبادة لله تعالى، وذلكَ هو توحيدُ الله تعالى ودينُه الحقُّ المستلزِمُ للعِلم النافعِ والعملِ الصالحِ، وهو حقيقةُ شهادةِ أن لا إله إلا الله، وحقيقةُ المعرفةِ بالله، وحقيقةُ عبادتِه وحدَه لا شريكَ له، فلِلّهِ ما أفقهَ مَن رَوَى هذا الحديثَ بهذه الألفاظِ المختلفةِ لفظاً، المتَّفقةِ معنًى، =

(١) البخاري: الزكاة (١٤٥٨).

= فعرفوا أن المرادَ من شهادةِ أن لا إله إلا الله هو الإقرارُ بها علماً ونُطقاً وعملاً، خِلافاً لما يظنُّه بعضُ الجُهَّال أنَّ المرادَ من هذه الكلمةِ هو مجرَّدُ النُّطْق بها، أو الإقرارُ بوجودِ الله أو ملكِه لكلِّ شيء من غير شريكٍ، فإنَّ هذا القَدْر قد عَرَفَه عُبَّاد الأوثان وأقرُّوا به، فضلاً عن أهلِ الكتاب، ولو كان كذلك لم يحتاجُوا إلى الدَّعْوة إليه.

وفيه دليلٌ على أن التوحيدَ ـ الذي هو إخلاصُ العبادة لله وحدَه لا شريكَ له، وتركُ عبادةِ ما سِوَاه ـ هو أولُ واجبٍ، فلهذا كان أولَ ما دَعَتْ إليه الرسلُ عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال شيخُ الإسلام ـ رحمه الله ـ: وقد عُلِمَ بالاضطرارِ من دين الرسول ﷺ، واتَّفقَت عليه الأمةُ أن أصلَ الإسلام وأولَ ما يُؤمَر به الخلقُ شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً =

= رسولُ الله، فبذلك يصيرُ الكافرُ مسلماً، والعدوُّ وليّاً، والمباحُ دمُه ومالُه معصومَ الدمِ والمالِ، ثم إنْ كان ذلك من قلبِه فقد دَخَل في الإيمانِ، وإنْ قاله بلسانِه دونَ قلبِه فهو في ظاهرِ الإسلام دون باطنِ الإيمان.

وفيه البَدَءاةُ في الدعوة والتعليم بالأهمِّ فالأهمِّ، واستدلَّ به مَن قال من العلماءِ: إنه لا يُشتَرَط في صِحَّة الإسلام النطقُ بالتبرِّي من كل دينٍ يخالفُ دينَ الإسلام، لأنَّ اعتقادَ الشهادتينِ يستلزمُ ذلك، وفي ذلك تفصيلٌ.

وفيه أنه لا يُحكَم بإسلام الكافرِ إلا بالنُّطْق بالشهادتينِ. قال شيخُ الإسلام: فأما الشَّهادتانِ إذا لم يَتكلَّم بهما مع القُدْرة فهو كافرٌ باتفاق المسلمين، وهو كافرٌ باطناً وظاهراً عند سَلَف الأُمَّة وأئمَّتها وجماهير علمائها.

قلت: هذا ـ والله أعلمُ ـ فيمن لا يُقِرُّ بهما أو بإحداهما، أمَّا مَن كُفْرُه مع الإقرار بهما، ففيه بحثٌ، والظاهرُ أن إسلامَه هو توبتُه عما كَفَر به. =

= وفيه أن الإنسان قد يكون قارئاً عالماً وهو لا يعرفُ معنى: لا إله إلا الله. أو يعرفُه ولا يعملُ به؛ نبَّه عليه المصنِّف.

وقال بعضهم: هذا الذي أَمَر به النبي ﷺ معاذاً هو الدعوةُ قبلَ القتال التي كان يُوصِي بها النبيُّ ﷺ أمراءَه.

قلت: فعَلَى هذا فيه استحبابُ الدَّعْوة قبلَ القتال لمن بَلَغتْه الدعوةُ، أمَّا من لم تَبلُغْه فتجبُ دعوتُه.

قولُه: (فإن هم أطاعوكَ لذلكَ) أي: شهدُوا وانقادُوا لذلك.

قولُه: (فأعلِمهُم أن الله افترَض عليهم خمسَ صلواتٍ) فيه أن الصلاةَ بعدَ التوحيدِ والإقرارِ بالرسالةِ أعظمُ الواجباتِ وأحبُّها[1]. [٧]

[شرح٧] يصلح هكذا، ولكن إذا قلنا: «أعظم الواجبات وأوجبها» فإن أوجبها أحسن؛ لأن الكلام هنا في الفرضية، يعني: أعظم =

---

(١) ص٧٩-٨١.

....

= الواجبات بعد شهادة أن لا إله إلا الله هي الصلاة، فهي أعظم الواجبات وأوجب الواجبات، فالصلاة أعظم الأمور وأهم الأمور بعد الشهادتين، بعد توحيد الله والإقرار برسالة محمد، عليه الصلاة والسلام.

۞ واستُدِلَّ به على أن الكفارَ غيرُ مخاطَبِينَ بالفروعِ؛ حيث دعاهُم أولاً إلى التوحيدِ فقط، ثم دُعُوا إلى العملِ، ورَتَّب ذلك عليها بالفاءِ.

وأيضاً فإن قولَه: (فإن هم أطاعوكَ لذلك فأخبِرهُم...) يُفهَم منه أنهم لو لم يطيعوا لم يَجِب عليهم شيءٌ.

قال النوويُّ: وهذا الاستدلالُ ضعيفٌ؛ فإن المرادَ: أَعلِمهُم بأنهم مطالَبون بالصلواتِ وغيرِها في الدنيا، والمطالبةُ في الدنيا لا تكون إلا بعدَ الإسلامِ، ولا يلزمُ من ذلك ألا يكونوا مُخاطَبينَ بها، ويزادُ في عذابِهم بسبَبِها في الآخرة[1]. [٨]

[شرح٨] وهذا هو الصواب؛ فالكفار مخاطبون بفروع الشريعة الواجبة والمحرمة، ولكنهم لا يطالبون بأدائها إلا بعد الإسلام، فهم مطالبون بالتوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وكل شيء، مطالبون بأن يخضعوا لدين الله، وأن ينقادوا لشرع الله، =

---

(١) ص٨١-٨٢.

....

= ولكن يبدؤون بتوحيد الله أولاً؛ لأنه شرط لصحة أعمالهم، فلا تصح أعمالهم وتقرباتهم وعبادتهم إلا بأن يشهدوا لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، عليه الصلاة والسلام.

وقبل ذلك لا تصح عباداتهم؛ فإذا ضيعوا هذا وهذا استحقوا العذاب على الجميع، وإذا وحدوا الله وأخلصوا له وآمنوا برسوله محمد ﷺ طولبوا بعد ذلك ببقية الشرائع من الصلاة والزكاة وغير ذلك.

۞ ثم اعلَمْ أن المختارَ أن الكفارَ مخاطَبونَ بفروعِ الشريعةِ المأمورِ به والمنهيِّ عنه، هذا قولُ المحقِّقينَ والأكثرين.

قلت: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ الآيات [المدثر: ٤٣-٤٨][(1)]. [٩]

[شرح٩] يعني: لما سئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ ما الذي أدخلكم النار؟ قالوا: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر:٤٣-٤٦] فدل ذلك على أنهم أخذوا بهذه الأشياء وعوقبوا عليها، نعوذ بالله!

---

(١) ص٨٢.

۞ وفيه دليلٌ على أن الوترَ ليس بفرضٍ؛ إذ لو كان فرضاً لكان صلاةً سادسةً، لا سيَّما وهذا في آخرِ الأمرِ(١). [١٠]

[شرح١٠] لأن بعث معاذ على الصحيح كان في السنة العاشرة في آخر حياة النبي ﷺ كما ذكره البخاري رحمه الله في المغازي، وفيه أنه طالبهم بالصلوات الخمس، كما طالب الوفود الذين وفدوا عليه وسألوا عن الصلاة: قال: «الصلوات الخمس». فقال السائل: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تَطَّوَّعَ»(٢).

فحديث معاذ موافق للأحاديث التي جاءت في شأن الصلاة، والتي خاطب بها النبي ﷺ الوفود الذين وفدوا عليه في السنة التاسعة والعاشرة، عليه الصلاة والسلام، فالوتر سنة مؤكدة عند جماهير أهل العلم وليس فريضة، وإنما الفريضة مختصة بالصلوات الخمس.

---

(١) ص٨٢.

(٢) أخرجه البخاري: الصوم (١٨٩١)، ومسلم: الإيمان (١١).

۞ قوله: (فإن هم أطاعوكَ لذلكَ) أي: آمنوا بأن الله افترضَها عليهم وفَعلُوها.

قولُه: (فأعلِمهم أن اللهَ افترَض عليهم صدقةً تُؤخَذُ من أغنيائِهم فتردُّ على فقرائِهم) فيه دليلٌ على أن الزكاةَ أوجبُ الأركانِ بعدَ الصلاةِ، وأنها تُؤخَذُ من الأغنياءِ وتُصرَف إلى الفقراء، وإنما خصَّ النبيُّ ﷺ الفقراءَ بالذِّكرِ مع أنها تُدفَع إلى المجاهِدِ والعاملِ ونحوِهما وإن كانوا أغنياءَ؛ لأن الفقراءَ ـ واللهُ أعلمُ ـ هم أكثرُ مَن تُدفَع إليهم، أو لأن حقَّهم آكدُ[1]. [١١]

[شرح١١] هو للأمرين معاً؛ لأن حقهم آكد؛ ولهذا بدئ بهم في آية الصدقات ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة:٦٠] إلى آخره؛ فذكر الله الزكاة مواساة للفقراء والمحاويج، وإحساناً إلى الجماعة الآخرين، لما في دفعها إليهم من الخير، ولأنهم في الغالب أعم الأصناف وجوداً وأكثر الأصناف وجوداً، بخلاف من بعدهم، فقد يوجد وقد لا يوجد، أما هم فهم أكثر الناس وجوداً من بقية الأصناف السبعة في الدنيا. =

(١) ص٨٢.

۞ وفيه أن الإمامَ هو الذي يتولّى قبضَ الزكاةِ وصرفَها، إما بنفسِه أو نائبه، فمن امتنعَ عن أدائِها إليه أُخِذَت منه قهراً، قيل: وفيه دليلٌ على أنه يكفي إخراجُ الزكاة في صِنفٍ واحدٍ، كما هو مذهبُ مالكٍ وأحمدَ(١). [١٢]

[شرح١٢] وهو الصواب؛ إذ لا يشترط أن توزع على الأصناف المذكورة كلها، بل إذا صرفت في واحد كفى: في الفقراء، في المساكين، أو في المجاهدين، أو في الرقاب والغارمين... فكل ذلك مجزئ، في واحد أو أكثر.

---

(١) ص٨٢.

۞ وعلى ما تقدَّمَ لا يكون فيه دليلٌ، وفيه أنه لا يجوزُ دفعُها إلى غنيٍّ ولا كافرٍ، وأن الفقيرَ لا زكاةَ عليه، وأنَّ مَن مَلَكَ نصاباً لا يُعطَى من الزكاة من حيثُ إنَّه جَعَلَ المأخوذَ منه غنياً وقابَلَهُ بالفقيرِ، ومَن مَلَكَ النِّصَابَ فالزكاةُ مأخوذةٌ منه، فهو غنيٌّ، والغِنَى مانعٌ مِن إعطاءِ الزكاةِ إلا مَن استثنيَ، وأن الزكاةَ واجبةٌ في مالِ الصبيِّ والمجنونِ، كما هو قولُ الجمهورِ لعمومِ قولِه: «مِن أغنيائِهم...»[1]. [١٣]

[شرح١٣] وهذا عامٌّ، يعم العقلاء وغير العقلاء، الصبيان وغيرهم.

وقوله: «جعل المأخوذ منه غنياً» جعل؛ أي: الشارع.

وقوله رحمه الله: «والغنَى مانع من إعطاء الزكاة...» يدل على أن الغني لا يُعطَى من الزكاة إذا ملك نصاباً؛ وهذا قول مشهور عن جماعة من أهل العلم.

وهناك قول ثانٍ: وهو أن الغنَى قسمان، فالذي يوجب الزكاة مثلاً لا يمنع من صرف الزكاة، فوجود النصاب هذا غنًى يوجب =

---

(١) ص٨٢.

....

= الزكاة؛ ولكن ليس غنًى يمنع من أخذ الزكاة في حق من ماله لا يقوم بحاجاته ولا يفي بها، قد يكون عنده نصاب من الذهب أو من الفضة أو من الغنم أو من الإبل؛ ولكن لا يقوم هذا النصاب بحاله، ولا يغنيه عن الحاجة إلى الناس وعن الدَّين وعن السؤال؛ فيعطى ما يكفيه وما يسد حاجته، وهذا هو المختار أن الغنى الذي يمنع صرف الزكاة غير الغنى الذي يوجب الزكاة، فهما غنيان*.

---

* س: ما السبب في حذف النون في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَكُ﴾ [المدثر:٤٣] أليست هذه نون الجماعة؟

ج: حذفت تخفيفاً، وهذه قاعدة في اللغة العربية أنه يجوز حذف النون في حالة الجزم؛ فيصح (لم نكن) أن تكون (لم نك) تخفيفاً؛ أي: من باب التخفيف.

س: قوله: (وأن الفقير لا زكاة عليه)؟

ج: لأن الفقير لا يملك نصاباً.

۞ قولُه: (فإياكَ وكرائمَ أموالِهم) هو بنصب (كرائم) على التحذيرِ؛ والكرائمُ جمعُ كريمةٍ، أي: نَفيسةٍ.

قال صاحبُ «المطالع»: هي جامعةُ الكمالِ المُمكِنِ في حَقِّها من غزارةِ لبنٍ، وجمالِ صورةٍ، أو كثرةِ لحمٍ وصوفٍ؛ ذكره النوويُّ، وفيه أنه يَحرُم على العاملِ أخذُ كرائمِ المالِ في الزكاة؛ بل يأخذ الوسطَ، ويَحرُم على صاحبِ المالِ إخراجُ شَرِّ المالِ؛ بل يُخرِجُ الوسَطَ، فإن طابَت نفسُه بإخراج الكريمةِ جاز[1]. [١٤]

[شرح١٤] هذا هو الواجب؛ فالعامل ليس له أخذ الكريمة، والمالك ليس له إخراج اللئيمة؛ ولكن من أوسط الأموال، فالله جعل الزكاة وسطاً، فلا يلزم المالك بإخراج الكريمة، ولا يقبل منه إخراج اللئيمة المريضة ونحوها؛ ولكن من وسط المال، إلا إذا طابت نفسه بالكريمة وأخرجها لله؛ فالله يعوضه خيراً، ويأجره كثيراً ﷻ.

---

(١) ص٨٢.

۞ قولُه: (واتَّقِ دعوةَ المظلومِ)، أي: احذَرْ دعوةَ المظلومِ، واجعَل بينك وبينها وقايةً بفِعلِ العدلِ وتَركِ الظلمِ؛ لئلا يَدعُوَ عليكَ المظلومُ، وفيه تنبيهٌ على المنع من جميعِ أنواعِ الظلمِ[1]. [١٥]

[شرح١٥] والظلم هو العدوان على الناس، والتعدي عليهم في أقوالهم، أو في أبدانهم، أو في أموالهم، أو في أعراضهم.

وأصل الظلم: عدم وضع الأشياء في مواضعها؛ ولهذا تنزه الله عنه، وأخبر أنه ﷻ ليس بظلام، وأنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة؛ لأنه الحكم العدل البصير بأحوال عباده؛ فهو يضع الأشياء مواضعها ﷻ.

والظلم بين بني آدم هو العدوان عليهم، وعدم إعطائهم حقوقهم، فالظالم هو الذي يتعدى بضرب، أو قتل، أو هتك عرض، أو ما أشبه ذلك، أو بامتناعه من الحقوق التي عليه لإخوانه؛ فيكون ظالماً بامتناعه من أداء الحقوق من دين وإرث =

---

(١) ص٨٣.

....

= ونحو ذلك*.

* س: ما حكم دفع الرشوة من أجل دفع الظلم؟

ج: هذا محل تفصيل ومحل نظر وعناية؛ لأن كثيراً من الناس يتخذ هذا لمنع الظلم، وهو يريد تحصيل حقه وتقديمه على الناس ولو هلك الناس.

فالرشوة: هي ما يدفع للإنسان الذي يحكم بغير الحق، أو الذي يتعاون ليجور فيها ولي عليه؛ من أجل هذا لا يجوز دفع الرشوة، فإذا كانت الرشوة تتضمن التعدي على الغير وإيذاء الغير وظلم الغير، صارت رشوة محرمة، أما إذا كان المال المدفوع لتخليص الحق واستخلاص الحق اللازم والواجب من هذا الظالم المتعدي، فلا تسمى رشوة بالنسبة إلى الدافع؛ ولكنها رشوة بالنسبة إلى الآخذ؛ لأنه ظالم، فإذا كان عنده لك مال وحق ولن يعطيك مالك إلا بجزء منه فلا حرج عليك؛ ولكنه ظالم ومتعد وآكل حرام.

وهذا مثل السارق ومن يشبهه الذي يتعدى على غنمك وعلى إبلك؛ فتقول: خذ بعضها وأعطني بعضها، وتقول: لعل الله يهديه فيعطيني البعض ولا يأخذ الجميع، فهذا ظالم متعدٍّ، وأنت مباح لك أن تفتدي مالك ببعضه؛ فأن تقول له: خذ هذا البعير وأعطني الباقي، أو: خذ هذه الشاة أو الشاتين أو الثلاثة وهات الباقي، وهكذا في الأموال الأخرى.

وهكذا قطاع الطريق إذا صادفوك في الطريق فأخذوا مالك؛ قلت لهم: =

....

= خذوا البعض وأعطوني البعض، وأنت ما لك صلة بهذا؛ لكن لقصد تخليص البعض؛ فأنت بهذا مظلوم لا حرج عليك.

وهكذا لو وجد حق عند وزير أو عند موظف وجحده أو ماطل به، وليس في إعطائه مالاً أذى للغير، ولا ظلماً لأحد؛ ولكن هو بنفسه تعدى عليك، وظلمك، ولم يعطك حقك إلا بشيء منه؛ فهذا جائز لك؛ لكنه حرام عليه هو؛ لكن جائز لك أن تدفع شيئاً منه حتى يعطيك حقك الذي لا شبهة فيه، ولا ظلم منك على أحد إذا أعطيته شيئاً.

أما إذا أعطيته وقدَّمك على غيرك، وآثرك على غيرك، وعطل على مال غيرك، وعطل حقوق غيرك، فهذه الرشوة تضر الجميع، نسأل الله تعالى السلامة.

س: أقول: هذا إذا عجز عن استخلاص حقه، وعجزت السلطة؛ لكن ما دامت السلطة تناصره فلا؟

ج: نعم؛ إنما هذا عند العجز وعدم التعدي على الغير، أما إذا كان يبلغ المال لهذا الطالب، ويتضمن ضرراً على الغير، وضرراً على الآخرين، بأن يقدم هذا الشخص على الآخرين، في حقوقهم التي يقوم بها أو معاملاتهم التي يقوم بها هذا الموظف، فيعطلها من أجل هذا الشخص الذي يعطيه الرشوة، أو الطبيب يعطل المرضى الآخرين ويقدم هذا من أجل الرشوة وما أشبه ذلك؛ فهذا كله لا يجوز. =

....

= س: **هو لا يدفعها إلا عند وجود بعض الأسباب.**

ج: لا يدفعها إلا عند العجز، وإذا كان لا يتضمن دفعها ضررَ أحدٍ، ولا يتيسر حصول الحق إلا بها، نسأل الله العافية.

۞ والنُّكتةُ في ذكرِه عَقِبَ المنعِ من أخذِ الكرائمِ إشارةٌ إلى أن أخذَها ظلمٌ، ذكرَه الحافظُ.

قولُه: (فإنه) أي: الشأنُ (ليسَ بينَها وبينَ الله حجابٌ)، أي: لا تُحجَب عن الله تعالى؛ بل تُرفَع إليه فيقبلُها وإن كان عاصياً؛ كما في حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعاً: «دعوةُ المظلومِ مُستَجابةٌ، وإن كان فاجراً ففجورُه على نفسِه»[١]. وإسنادُه حسنٌ، قاله الحافظُ[٢]. [١٦]

[شرح١٦] وقد تقبل من الكافر أيضاً؛ فالمظلوم دعوته حرية بالاستجابة مطلقاً، سواء كان مسلماً أو كافراً، عاصياً أو مؤمناً، فالظلم عاقبته وخيمة، ودعوة صاحبه حرية بالإجابة، وإن كان كافراً لا ترد عليه؛ ولهذا أطلق النبي ﷺ فقال: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»؛ فجنس الظلم منكر وحرام على الظالم، ومن أسباب غضب الله عليه، ومن أسباب العقوبات العاجلة والآجلة، والمظلوم حري بالنصر، وحري =

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧).

(٢) ص٨٣.

....

= بالاستجابة لدعوته سواء كان طيباً أو خبيثاً، وسواء كان مسلماً أو كافراً، فالظلم عاقبته وخيمة، نعوذ بالله*.

---

* س: وإذا كان هذا الشخص المظلوم مطعمه ومأكله ومشربه حرام؟

ج: قد يستجاب له وإن كان مطعمه ومشربه حرام، ولو أن مثلثاً من النصارى أو من اليهود، إذا أخذت الجزية منه، فلا تظلمه، ودعوته مستجابة لعموم الأدلة، الحاصل أن دعوة المظلوم مستجابة مطلقاً من أي جنس كان لإطلاق الأحاديث.

س: كتابي ذمي تحت أيدي المسلمين، فلا يجوز لأحد أن يظلمه؟

ج: حتى ولو كان غير ذمي، لو كان معاهداً أو مستأمناً وظلم، فصاحب هذا الظلم على خطر، نسأل الله العافية. فالظلم كله محرم عند الجميع بلا خلاف بين أهل العلم من نصوص القرآن العظيم والسنة المطهرة.

س: هل يستدل بهذه النقطة على استجابة دعوة المظلوم الكافر؟

ج: هذا شيء وهذا شيء، فالمظلوم دعوته مستجابة، أما كونه يدعو ربه ويطلب بحاجاته، فبعيد أن يستجاب له في حاجاته ـ هو ـ التي يطلبها من جهة أخرى، أما إذا تعدي عليه وظلم فهو حري بأن يستجاب له خاصة على من ظلمه، أما في دعوته في نفسه في طلباته الخاصة، وهو يتعاطى الأكل الحرام، فهذا حري بألا يستجاب له، يأكل الحرام ويقول: اللهم اغفر لي =

....

= وارحمني، اللهم أدخلني الجنة، اللهم أنجني من النار...؟!

فهذا حري بعدم الاستجابة من باب الوعيد والعياذ بالله؛ ولكن إذا تعدى عليه غيره وإن كان هو في نفسه يأكل الحرام، أو كان في نفسه كافراً إذا تعدى عليه غيره، فهذا الظالم المتعدي يستجاب للمظلوم عليه ـ نسأل الله السلامة ـ وإن كان المظلوم كافراً أو يأكل الحرام أو ما أشبه ذلك.

۞ وقال أبو بكرِ بنُ العربيِّ: هذا وإن كان مطلقاً فهو مُقيَّدٌ بالحديثِ الآخرِ: أن الداعي على ثلاثِ مراتبَ: «إما أن يُعَجَّلَ له ما طَلَب، وإما أن يُدَّخَرَ له أفضلُ منه، وإما أن يُدفَعَ عنه مِن السوءِ مثلُه»[1].[2] [١٧]

[شرح١٧] هذا الحديث: «ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثٍ: إما أن تُعجَّل له دعوتُه في الدنيا، وإما أن يدَّخرَها له في الآخرة، وإما أن يَصرِفَ عنه من السوء مثلَها» قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: «اللهُ أكثر»[3].

هذا الحديث حديث عظيم جليل وهو صحيح، وهو يدل على أن دعوات الداعي لا تضيع عليه؛ بل هو على خير؛ فإما أن تعجل له الدعوة في الدنيا ويعطى مطلوبه، وإما أن تدخر له في الآخرة؛ لأن ذلك أنفع له، والله أعلم بمصالح عباده، وهو أعلم بأحوالهم ﷻ، وهو أعلم بما يصلحهم. =

---

(١) انظر حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه أحمد (٣/ ١٨).

(٢) ص٨٣.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٨).

....

= وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك، أشياء وقاه الله شرها بسبب دعواته، فيحتمل أن هذا يكون مقيداً باتقاء دعوة المظلوم كما قال ابن العربي، ويحتمل أن هذا شيء وهذا شيء، وأن دعوة المظلوم تستجاب للتعدي عليه وظلمه، وأن الدعوات الأخرى هي التي فيها التفصيل، محتمل هذا ومحتمل هذا، فجزمه بأنه مقيد بالحديث محل نظر.

۞ وهذا كما قَيَّد مُطلَق قولِه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] بقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام:٤١] وفي الحديث أيضاً قَبولُ خبرِ الواحدِ العدلِ ووجوبُ العملِ به"(1). [١٨]

[شرح١٨] لأنه أرسل معاذاً، ومعاذ واحد، فدل على أنه يجب الأخذ بأخبار الواحد، وإلا لم تقم الحجة على اليهود وعلى غير اليهود؛ فدل على أن الرسول الواحد تقوم به الحجة؛ وإذا بعث قوم من جهة ولي الأمر في شيء؛ فإنه تقوم الحجة عليهم بذلك فإذا عصوه، وردوا عليه؛ فقد خالفوا ولي الأمر.

وهكذا ـ بل أعظم من ذلك ـ الرسول ﷺ إذا بعث مبعوثاً إلى قوم، وجب عليهم الأخذ به إذا ظهر أنه رسول من هذا المرسل، وعلموا ذلك من دلائل وأمارات، وجب عليهم الأخذ بذلك؛ فإن لم يتضح لهم وجب أن يستثبتوا، وأن يرحلوا إلى هذا الرسول وإلى هذا الإمام؛ حتى يعرفوا الحقائق، إذا طرحوا الشك. أما أن يردوا المبعوث ولا يبالوا، فالحديث حجة عليهم. =

---

(١) ص٨٣.

۞ وأن الإمامَ يبعثُ العمالَ لِجبايةِ الزكاةِ، وأنه يَعِظُ عُمّاله ووُلاتَه، ويأمرُهم بتقوى الله، ويعلِّمهم ما يحتاجون إليه، وينهاهُم عن الظلمِ، ويُعرِّفهم قُبحَ عاقبتِه، والتنبيه على التعليم بالتدريج، ذكرَه المصنِّفُ(١). [١٩]

[شرح١٩] كل هذا واضح من القصة، وأن الواجب على ولاة الأمور أن يعظوا عمالهم، ويذكروهم، ويعلموهم ما قد يجهلون، وينصحونهم كثيراً؛ لئلا يقعوا فيما يضر وفيما يخالف أمر الله ﷻ، والبداءة بالتدريج، أي: التعليم بالتدريج، والابتداء بالأهم فالأهم؛ لأنه بدأ أولاً بتوحيد الله، ثم بالصلاة، ثم بالزكاة، ثم حذر من الظلم*.

*** س: موجب هذا الحديث أن الجار الذي لا يشهد الصلاة أو عنده بعض التقصير في العبادة، أليس الأولى دعوته إلى «لا إله إلا الله»؟**

ج: يدعى إلى «لا إله إلا الله» إذا لم يكن مسلماً، فإذا كان مسلماً يدعى إلى ترك ما هو فيه من الباطل، ويخاطب بترك ما هو فيه من الباطل، ويذكر بأن هذا حق عليه، وواجب الإسلام يقتضي ذلك فيقال له: أنت بحمد الله =

---

(١) ص٨٣.

....

= مسلم، تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فكيف تفعل هذا؛ فإن حق الإسلام عليك أن تدع ما حرم الله عليك، وأن تؤدي ما أوجب الله عليك، وهكذا الإسلام، فترك المحارم من حق الله، وأداء الفرائض من حق الله، وهو من حق لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيبين ويوضح له وجه الدلالة على هذه الأشياء.

س: أقصد التدرج.

ج: لا، التدرج مع الكفرة وليس هو مع المسلم؛ فالمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي.

س: بعض الناس ينفر من العبادة.

ج: يحاسب بالذي يعمله؛ فإذا كان يزني ينصح في الزنى، وإن كان يشرب الخمر ينصح في الخمر، وهكذا، ويعالج بما وقع فيه من الشر، أو يعالج هذا الشر الذي وقع فيه، ويذكر بأن هذا من حق لا إله إلا الله، ومن حق الشهادتين، ومن حق الإيمان بالله، فالمؤمن هكذا يلزمه هذه الأشياء بمقتضى إيمانه، يلزمه ترك المحارم وأداء الفرائض.

س: لكن أهل اليمن استجابوا أولاً إلى لا إله إلا الله ثم إلى الصلاة، وبعد الصلاة بدأ يتدرج بهم، أي: أنهم آمنوا وأسلموا ثم أمروا بالصلاة؟

ج: نعم، يعلمون هكذا؛ لأنهم جهال، فيعلمون الشريعة هكذا.

باب تفسير التوحيد
وشهادة أن لا إله إلا الله

۞ وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الآية... [الإسراء:٥٧].

وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ الآية ... [الزخرف:٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية... [التوبة:٣١].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:١٦٥][1]. [٢٠]

[شرح٢٠] يقول المؤلف رحمه الله: (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان تفسير التوحيد الذي =

---

(١) ص٨٩-٩٤.

....

= هو معنى «لا إله إلا الله» بما دل عليه الكتاب والسنة من معناه ومن ضده، فإن الضد يبين المعنى أيضاً.

فالمؤلف ذكر الآيات التي دلت على الشرك؛ فإذا عرف الشرك عرف التوحيد، فالشرك ورد تارة بمعناه وتارة بضده وتارة بهما جميعاً، وقوله: وشهادة أن لا إله إلا الله، بعطف الدال على المدلول؛ لأن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، فعطفها على التوحيد من باب عطف الدّالّ على المدلول، وشهادة أن لا إله إلا الله هو التوحيد، توحيد الله وإخلاص العبادة له، فإن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وخلق الله من أجله الخليقة؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وقال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والرسل بُعِثوا بهذا الذي خُلِقت له الخليقة، وهو توحيد الله، والإخلاص له، وصرف العبادة له ـ جل وعلا ـ وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده؛ لهذا خلق الله الثقلين، ولهذا =

....

= بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقوله سبحانه: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧] قبلها قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦] ثم قال: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ الآية [الإسراء:٥٧].

فبيَّن ﷻ أن المعبودين من دون الله لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويلاً؛ فدل على بطلان عبادتهم، وهذا من باب تفسير التوحيد بضده؛ فإن دعوة غير الله والتعلق بغيره ضد التوحيد؛ فالتوحيد هو إخلاص العبادة لله وحده وإفراده بها ـ جل وعلا ـ فبيَّن ﷻ أن هؤلاء المدعوين من دون الله من أصنام وملائكة وأنبياء وغير ذلك لا يملكون كشف الضر عن عابديهم بالكلية ولا تحويلهم من مكان إلى مكان، ولا من إنسان إلى إنسان، فهم عاجزون عن ذلك.

فإذا كانوا بهذه الصفة بطلت عبادتهم، ووجب أن يتركوا، وأن =

....

= يعبد الله وحده ﷻ الذي يكشف الضر، ويجلب النفع، ويحول وجهتهم ﷻ، ثم بين ﷻ أن المعبودين من دون الله هم الذين يدعون ربهم - جل وعلا - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾، أي: يدعوهم أهل الشرك، ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾، يتقربون إلى الله بالعبادات والطاعات، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾، فهذه حال من يدعون من دون الله من الأنبياء والصالحين.

قال المفسرون فيها: إنها نزلت فيمن يدعون غير الله من الأنبياء والصالحين لأن هذا وصفهم، يدعون إلى ربهم الوسيلة، القربى إلى الله، بطاعة من الطاعات وترك المعاصي، هذه هي الوسيلة، فإن الرسل والصالحين الذين يعبدهم أولئك المشركون، هم في أنفسهم يعبدون الله ويوحدونه ﷻ، ويتقربون إليه بالوسائل التي هي الطاعات، ويرجون رحمته، ويخشون عذابه، فكيف يُعبَدوا من دون الله وهم عباد مربوبون مخلوقون، وهذا لبيان بطلان عبادتهم، وأن هذا الذي فعلوه هو الشرك الأكبر، وهو الذنب الذي لا يغفر، وأن العبادة حق الله وحده، وهو الذي يدعى ويرجى ويخاف ﷻ. =

....

= قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٧] الآية، وهذا في بيان التوحيد أيضاً و﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا في معنى «لا إله» و﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هو «إلا الله»؛ فالآية توضح أن التوحيد والبراءة من عبادة غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانها هو من موالاة الله بالعبادة وحده ﷻ.

فالموحد هو الذي يكف عن عبادة غير الله، ويتبرأ منها، ويعادي عابدي غير الله، ويؤمن بالله وحده، ويواليه ويعبده وحده ﷻ، ولذلك قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يتبرأ من معبوداتهم وفيه البراءة من عابديها، وفي الآية الأخرى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ الآية [الممتحنة:٤].

فتبرَّأ منهم ومن معبوداتهم جميعاً؛ فدل ذلك على أن التوحيد والإيمان يقتضي البراءة من عبادة غير الله، والبراءة من العابدين أيضاً والمعبودين، ويتبرأ منهم ومن عابديهم، ويحب الله وحده، ويؤمن به وحده ﷻ، وهذا معنى: لا إله إلا الله، فإن معناها: لا =

....

= معبود بحق إلا الله، فـ«لا إله»: نفي العبادة لغير الله، وإبطال لها، وبراءة منها، واعتقاد لبطلانها، و«إلا الله»: إفراد العبادة له وحده، وأنه معبود بحق ﷻ دون ما سواه جل وعلا.

قوله ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا أيضاً يبين معنى «لا إله إلا الله» وأن «لا إله إلا الله» تقتضي أن يكون الله هو المعبود المحكم في ما يأمر به وينهى عنه ﷻ، ومن اتخذ أحباراً علماء أو رهبانه عباداً يحكمهم، ويحلوا ما أحلوا، ويحرموا ما حرموا، فقد جعلهم آلهة مشرعين فيكون هذا ضد التوحيد، وضد الإيمان، وضد اتّباع الرسل، صلَّى الله عليهم وسلَّم.

وهذا من عمل اليهود والنصارى، استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فحكموا علماءهم وعبادهم، وأحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا، وإن خالف ما في التوراة والإنجيل، وهذا هو الكفر الظاهر، والشرك الواضح، وهو شرك الطاعة (شرك طاعة الله ورسوله)، وهذا مما يضاد قول: «لا إله إلا الله» ويضاد شهادة «أن محمداً رسول الله» وإن شهادة «محمد رسول الله» =

....

= تقتضي اتباع الرسول ﷺ وتحكيمه، كما أن «لا إله إلا الله» تقتضي إفراد الله بالحكم، وأنه الحاكم بين عبادِه مما جاء الرسول محمد، عليه الصلاة والسلام.

فاتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، ومشرعين ومعبودين من دون الله، مضاد لقول: «لا إله إلا الله» ولكن يطاع العالم في المعروف، ويطاع العابد في المعروف، ويطاع الرئيس في المعروف، ويطاع الأب في المعروف، ويطاع الزوج في المعروف، والزوجة كذلك، أما أن يطاع في معاصي الله فلا، لكن طاعته في معاصي الله قسمان: إذا أطاعهم في معاصي الله مع اعتقاد ذلك أنه مخالف لشرع الله أو أنه جائز أو حسن، هذا ردة عن الإسلام.

وأما إذا أطاعهم للهوى والرغبة في دنياهم أو رئاستهم، وهو يعلم أنه عاصٍ؛ فهذه كبيرة من الكبائر ومعصية من المعاصي، ولا يكون كفراً أكبر، ولا ردة عن الإسلام؛ لإيمانه أنه مخطئ وأنه عاصٍ؛ ولهذا فعل ما فعل والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «لا طاعةَ في معصيةٍ، إنما الطاعةُ في المعروفِ»[1]. وقال: «لا طاعةَ =

---

(١) أخرجه البخاري: أخبار الآحاد (٧٢٥٧)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠).

....

= لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ»[١].

فطاعة المخلوق تنقسم عدة أقسام، وهناك قسم ثالث: وهو الطاعة فيما أخطأ فيه العالم عن اجتهاد، فإذا أطاعه عن اجتهاد، وظن أنه هو الحق، وثبت عليه الأدلة، هذا إن كان عن اجتهاد؛ فله أجر الاجتهاد، ويفوته أجر الصواب، وإذا أصاب في اجتهاده فله أجران؛ فهذا لا يعد عاصياً، ويعد مجتهداً إذا نظر في الدليل واعتنى، ووافق هذا العالم في هذا الشيء على أنه صواب، ولكنه بان في الأدلة أنه خطأ.

فهذا الموافق إذا كان عن اجتهاد وعن تحري الحق يكون معذوراً، ويكون له أجر اجتهاده، ويفوته أجر الصواب؛ فصار بذلك الموافق لمن خالف الحق على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: يأخذ بقوله لاعتقاد أنه يجوز له ذلك، وأنه لا بأس أن يحل ما حرمه الله، وأن يحرم ما أحله الله، وأن هذا جائز، وأنهم أولى منا بالشرع؛ أو ما أشبه ذلك فهذا كفر والعياذ بالله ردة. =

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٣١).

....

= القسم الثاني: يطيعه وهو يعلم أنه عاصٍ، وأنه مخطئ، ولكنه أطاعه في ضرب فلان، أو في قتل فلان، أو ما أشبه ذلك من أجل الرياسة والهوى، أو من أجل المال أو ما أشبه ذلك، مثل ما يفعل بعض الحكام وبعض القضاة الذين لا يخافون الله، يأخذون الرشوة فيحكمون بغير ما أنزل الله، فهذه معصية وكبيرة ومنكر؛ لأنه يعرف أنه عاصٍ ولم يستحل هذا الشيء.

القسم الثالث: أن يوافق على الباطل من اجتهاد لا عن تعمد، ولكن اجتهد في هذا الحكم الشرعي، فظن أن هذا هو الصواب الذي قاله العالم الفلاني، فوافقه عليه عن اجتهاد ونظر في الأدلة، ولكن هذا الذي ظهر له، فيكون مجتهداً مخطئاً له أجر اجتهاده ويفوته أجر الصواب، وفق الله الجميع وصلى الله على نبينا محمد.

۞ بابُ تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ. أي: تفسيرِ هاتين الكلمتينِ، والعطفُ لتغايُرِ اللفظين، وإلّا فالمعنَى واحدٌ، ولما ذكرَ المصنِّفُ في الأبواب السابقة التوحيدَ وفضائلَه، والدعوةَ إليه، والخوفَ من ضِدِّه الذي هو الشِّركُ(١). [٢١]

[شرح٢١] أشار المهذِّب الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد»، أن التوحيد ليس مجرد تغيير الألفاظ، بل أراد المؤلف أن يبين أن الأول هو معنى الثاني، وأن تفسير التوحيد هو «شهادة أن لا إله إلا الله»، يريد أن التوحيد هو معنى «شهادة أن لا إله إلا الله»، وهو من عطف الدّالِّ على المدلول، الدّالُّ: هو «شهادة أن لا إله إلا الله»، والمدلول: هو توحيد الله.

وحين قال: «باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله»، أي: باب بيان معنى التوحيد ومعنى «شهادة أن لا إله إلا الله»؛ والتوحيد هو مدلول «شهادة أن لا إله إلا الله» هذه الكلمة دالَّة والتوحيد مدلول. =

---

(١) ص٨٩.

....

= والتوحيد مصدر وَحَدَ، أي: اعتقد وحدانية الله، وأنه منساق للعبادة لله ﷻ، والتوحيد يكون في الربوبية، ويكون في الأسماء والصفات، ويكون في العبادة، فيكون في الأنواع الثلاثة.

فالموحد الكامل هو الذي وحَّد الله بالأنواع الثلاثة، وحده من جهة ربوبيته، وأنه رب الجميع لا شريك له، ووحده بالأسماء والصفات، وأنه لا شريك له في أسمائه وصفاته، بل له الكمال المطلق في كل ما سمى به نفسه ووصف به نفسه ﷻ لا شريك له في ذلك، ووحده في العبادة، فلم يشرك معه أحداً، فخصه بالعبادة دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الكامل، وهذا هو توحيد المرسلين وأتباعهم.

بخلاف التوحيد الأول وهو توحيد الربوبية؛ فهذا يشارك فيه عباد الأوثان الذين أقروا بالربوبية، وأن الله ربهم وخالقهم، وكذلك توحيد الأسماء والصفات يشارك فيه من أثبت أسماء الله وصفاته، ولكنه لم يوفق لإخلاص العبادة لله وحده ﷻ.

فلا يسلم من الشرك، ولا يسلم من الخلل إلا من جمع الأنواع =

....

= الثلاثة، وحد الله في ربوبيته، ووحد الله في أسمائه وصفاته، ووحده سبحانه في العبادة.

فالمؤلف رحمه الله حين قال: (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) ليلفت الأنظار، ولينتبه الطالب لمعنى هذا الكلام، فـ«شهادة أن لا إله إلا الله» هي الكلمة الدالّة، وهي الكلمة التي دعا إليها ﷺ وأمر بها، وحث عليها، لماذا؟ لا لمجرد اللفظ بل لما تحتها من المعنى، ولهذا لو قالها ولم يأت بالمعنى كالمنافقين واليهود وأشباههم والمرتدين ما نفعتهم حتى يأتوا بالمعنى.

فـ«شهادة أن لا إله إلا الله» هي الدالّة وهي الكلمة التي يراد معناها وهي التوحيد، وأداء الأحكام الشرعية هو المدلول وهو المقصود من «لا إله إلا الله».

فالمقصود منها أن يوحد الله ﷻ من جميع الوجوه، وأن تؤدى الأحكام التي شرع، وأن يحذر مما نهى عنه، فيكون المؤدي لها عاملاً بمقتضاها من جهة الإخلاص في الوجوه الثلاثة، ومن جهة الالتزام بالأحكام التي هي حق «لا إله إلا الله»*.

*** س: قوله: «والعطف لتغاير اللفظين» كيف نفهمه؟** =

....

= ج: قوله ضعيف ليس المراد هذا فقط، بل مثل ما قال الشيخ في التوحيد فأراد المؤلف التنبيه على هذه الكلمة، وليعلم الطالب أن هذه الكلمة لها مدلول وهو التوحيد، فهو من عطف الدّالّ على المدلول، فالدال «شهادة أن لا إله إلا الله» والمدلول هو التوحيد.

ولهذا في حديث ابن عمر في «صحيح مسلم» قال: «بُني الإسلام على خمسة: على أن يُوَحَّدَ اللهُ، وإقامِ الصلاةِ...» إلى آخره[1]، وفيه أيضاً قال: «أن يُعبَد الله ويُكفَر بما دونه»[2]، وحديث جبرائيل من حديث أبي هريرة لما سأل عن الإسلام قال: «أن تعبد اللهَ ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة...» إلى آخره[3].

ففسر «شهادة أن لا إله إلا الله» بـ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وفسر «لا إله إلا الله» في حديث ابن عمر على أن يوحد الله، وفي لفظ «أن يعبد الله ويكفر بما دونه» المقصود هو المعنى وليس المراد مجرد اللفظ، فلو أن إنساناً قال: «لا إله إلا الله» وصلى وصام ولكنه يعبد غير الله، فقد نقضها.

أو قال: «لا إله إلا الله» ولكن يسب الله، فهو لا يلزمها حقها، فإن =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦)(١٩).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦)(٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: الإيمان (٥٠)، ومسلم: الإيمان (١٠).

....

= مقتضى «لا إله إلا الله» أن توحده سبحانه وتعظمه وتقدسه، فإذا جمعت بين توحيده وسبّه، فتعبده وحده، ولكن تسبه أو تسب رسوله أو تسب دينه، أو تستهزئ بدينه، فقد نقض هذا العمل منك ما دلت عليه الكلمة من توحيد الله وكماله ﷻ.

۞ وكأنَّ النفوسَ اشتاقت إلى معرفةِ هذا الأمرِ الذي خُلِقَت له الخليقة، والذي بلغَ من شأنِه عندَ الله أن مَن لقيَه به غُفِر له وإن لقيَه بمِلءِ الأرضِ خطايا، بيَّن ـ رحمه الله ـ في هذا البابِ أنه ليس اسماً لا معنَى له، أو قولاً لا حقيقةَ له كما يظنّه الجاهلون الذين يظنّون أن غايةَ التحقيقِ فيه هو النُّطقُ بكلمة الشهادةِ من غيرِ اعتقادِ القلبِ بشيءٍ من المعاني.

والحاذِقُ منهم يظنُّ أن معنى «الإله» هو الخالقُ المتفرِّدُ بالمُلكِ، فتكون غايةُ معرفتِه هو الإقرارَ بتوحيدِ الربوبية[1]. [٢٢]

[شرح٢٢] أي: ما دمت أعرف أن الله هو الخالق الرازق، وأنه الضّارّ النافع، هذا معنى كلام الجهلة، وقد غلب هذا على أغلب النفوس، ما دمت على هذا الاعتقاد لا شيء يضرني، كوني أعبد البدوي أو أعبد الرسول، أو أعبد عبد القادر الجيلاني أو التيجاني أو فلاناً أو فلاناً، ما دمت أعتقد أنهم لا يتصرفون بأنفسهم، =

---

(١) ص٨٩.

....

= ولكنهم كوسائط أو شفعاء، وأن الله قد يعطيهم هذه الأشياء فيتصرفون في الكون، لا شيء يضرني، هذا هو الذي بُلِيَ به الأكثرون.

ونفس هذا المعنى قاله كفار قريش، فهم لم يفتهم هذا، فقد قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] فهل عذروا؟! لم يعذروا، قال الله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٨] ﷻ قال ـ جل وعلا ـ لما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

فالمعنى أن من كذب كفر، كذب في قوله: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وكفر بهذا الصنيع وهذا العمل.

۞ وهذا ليسَ هو المرادَ بالتوحيد، ولا هو أيضاً معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وإن كان لا بُدَّ منه في التوحيد، بل التوحيدُ اسمٌ لمعنًى عظيم، وقولٌ له معنًى جليلٌ هو أجلُّ من جميع المعاني، وحاصلُه: هو البراءةُ من عبادةِ كلِّ ما سوى الله، والإقبالُ بالقلبِ والعبادة على الله.

وذلك هو معنَى الكفرِ بالطاغوتِ والإيمانِ بالله، وهو معنَى «لا إلهَ إلا اللهُ»، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال تعالى حكايةً عن مؤمنِ يس: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي =

= عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر][(١)]. [٢٣]

[شرح٢٣] قوله: ﴿مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ معناه: مخلصاً له العبادة، أي: الدين هنا العبادة، فما قبله يدل عليه، فالدين كلمة مشتركة تطلق على الطاعة والجزاء والحساب وأشباهها، فكل مقام له مقال، والمعنى يفهم من السياق.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] أي: الطاعة التي أرادها ـ جل وعلا ـ وطلبها من عباده، والذي أمرهم بها هو الإسلام، فالدين هنا بمعنى الطاعة والتذلل والخضوع؛ لأنه قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ المعنى أن الشيء المطلوب من الله، والذي هو طاعته والتقرب إليه والتذلل له ﷻ هو الإسلام، فهو المطلوب*.

---

* س: قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، هل يدخل فيه الدين؟

ج: كل أنواع العبادة يدخل في الدين، العبادة بجميع أنواعها.

---

(١) ص٨٩-٩٠.

۞ وقال تعالى حكايةً عن مؤمن آلِ فرعونَ: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [غافر:٤١-٤٣][١]. [٢٤]

[شرح٢٤] من هذا الباب قوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار] يعني: جزاء الناس وحسابهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤].

---

(١) ص٩٠.

۞ والآياتُ في هذا كثيرةٌ تبين أن معنَى «لا إلهَ إلا اللهُ» هو البراءةُ من عبادةِ ما سوى الله من الشفعاءِ والأندادِ، وإفرادُ الله بالعبادةِ(1). [٢٥]

[شرح٢٥] يعني: يتضمن معنى «لا إله إلا الله» إفراده بالعبادة وموالاته على ذلك، ومحبته سبحانه، ويتضمن أيضاً ترك الشرك والبراءة منه ومن أهل الشرك والموالاة على هذا التوحيد، والمعاداة على هذا الشرك، فهي تضمنت إفراد الله بالعبادة، وموالاة الله سبحانه، ومحبته وتعظيمه، والتذلل له والخضوع، فليس التوحيد مجرداً، ولكن معه خضوع، ومعه ذل، ومعه خوف، ومعه رجاء، ومعه إخلاص لله ﷻ، ومعه براءة وتنصل من هذا الشرك، وبراءة من أهله ومعاداة لهم، حتى يعلم موالاته لهذا المعنى، ومعاداته لهذا المعنى الآخر المضاد، والله المستعان.

---

(١) ص٩٠.

۞ فهذا هو الهدَى ودينُ الحقِّ الذي أرسلَ اللهُ به رُسلَه، وأنزلَ به كُتبَه، أما قولُ الإنسانِ: «لا إلهَ إلا اللهُ» من غيرِ معرفةٍ لمعناها ولا عملٍ به، أو دعواه أنه من أهلِ التوحيدِ، وهو لا يعرفُ التوحيدَ، بل ربما يُخلصُ لغيرِ الله من عبادته من الدعاءِ والخوفِ والذبحِ والنَّذرِ والتوبةِ والإنابةِ وغير ذلك من أنواعِ العباداتِ، فلا يكفي في التوحيدِ، بل لا يكون إلا مشركاً والحالةُ هذه، كما هو شأنُ عُبّادِ القبورِ.

ثم ذكرَ المصنِّفُ آياتٍ تدلُّ على هذا فقال:

وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ الآية [الإسراء:٥٧].

قلت: يُبيِّن معنَى هذه الآيةِ التي قبلَها وهي قولُه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ الآية [الإسراء:٥٦-٥٧].

قال ابنُ كثيرٍ: يقول تعالى: ﴿ قُلِ ﴾ للمشركينَ ﴿ٱدۡعُواْ =

= ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأندادِ، وارغبُوا إليهم فإنهم لا ﴿يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾ ، أي: بالكلية، ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ أي: أن يُحوِّلوه إلى غيرِكم.

والمعنى: إن الذي يقدرُ على ذلك هو اللهُ وحدَه لا شريكَ له، قال العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ في الآية: كان أهلُ الشِّركِ يقولون: نعبدُ الملائكةَ والمسيحَ وعزيراً، وهم الذين يَدعُون، يعني: الملائكة وعزيراً[1].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ الآية، رَوَى البخاريُّ عن ابنِ مسعودٍ في الآيةِ، قال: ناسٌ من الجِنِّ كانوا يُعبَدون فأَسلَمُوا[2].

وفي رواية: كان ناسٌ من الإنس يَعبُدون ناساً من الجِنِّ فأسلَمَ الجِنُّ وتمسَّكَ هؤلاء بدينِهم[3].

وقال السُّدِّيُّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ في الآية =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: أهلُ الشرك هم الذين يدعون الملائكة وعزيراً.

(٢) أخرجه البخاري: التفسير (٤٧١٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٣٨٠).

= قال: عيسى وأُمُّهُ وعُزَيرٌ(١).»(٢) [٢٦]

[شرح٢٦] ما دام لم ينصبها فإن «عيسى وأمه وعزير» أخبار لمبتدأ محذوف، يعني: الذي يعبدون، ويجوز: «عزيراً» بالنصب، يعني تفسير المعبودين، يعني: يعبدون عيسى وأمه وعزيراً، لكن ما دام ليس هناك ألف في عزير، فالإعراب: عيسى وأمه وعزير.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٣٨٥).

(٢) ص٩١.

۞ وقال مُغيرةُ، عن إبراهيمَ: كان ابنُ عباسٍ يقول في هذه الآية: هم عيسى وعُزيرٌ، والشمسُ والقمرُ[1].

وقال مجاهد: عيسى وعزيرٌ والملائكةُ[2][3]. [٢٧]

[شرح٢٧] وهذا دخل على المشركين من جهة اليهود والنصارى؛ فأهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ يعظِّمون العزير والمسيح، العزير تعظمه اليهود، والمسيح تعظمه النصارى، ويعبدونهما، فدخل هذا على كفار قريش والعرب من جهتهم؛ لأنهم يخالفونهم، وقد اتصلوا بهم في اليمن وفي الشام وفي غير ذلك، فدخل عليهم عبادة المسيح وعبادة العزير من هذا الطريق*.

---

* س (من الشيخ): قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ هل هذا الأمر يعني إباحة ذلك للناس؟ أو هل الأمر إذن لهم بالدعوة؟ فما معنى ﴿ٱدۡعُواْ﴾ هل هو إذن لهم بالدعوة؟

أحد الطلبة: هذا استفهام إنكاري. =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٣٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٣٨٧).

(٣) ص٩١.

....

= الشيخ: كلا، ليس باستفهام.

الطالب: هذا للتوبيخ والتهديد.

الشيخ: نعم، توبيخ وتهديد لهم، يعني: افعلوا ما شئتم فلن تفلتوا من الله؛ من باب ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت:٤٠]، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩].

۞ وقولُه: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧] لا تتمُّ العبادةُ إلا بالخوفِ والرجاءِ.

وفي التفسيرِ المنسوب إلى الطبريِّ الحنفيِّ: ﴿قُلْ﴾ للمشركينَ يدعُون أصنامَهم دعاءَ استغاثةٍ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦] إلى غيرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء:٥٧] أي: الملائكة المعبودة لهم، يتبادرون إلى طلبِ القُربَة إلى الله فيرجون ﴿رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي: مما يَحذَرُه كلُّ عاقلٍ.

وعن الضّحاك وعطاءٍ: أنهم الملائكةُ.

وعن ابن عباس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ عيسى وأمه وعزيراً[1].

قال شيخُ الإسلام: وهذه الأقوالُ كلُّها حقٌّ؛ فإن الآيَةَ تعمُّ مَن كان معبودُه عابداً لله، سواء كان من الملائكةِ أو مِن =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢٣٨٥).

= الجِنِّ أو من البشرِ.

والسَّلَفُ في تفسيرِهم يذكرون جنسَ المرادِ بالآية على نوعِ التمثيلِ، كما يقول التَّرجُمانُ لمن سأله: ما معنَى لفظِ الخُبزِ؟ فيُرِيهِ رغيفاً، فيقول: هذا. فالإشارةُ إلى نوعِه لا إلى عينِه، وليس مرادُهم بذلك تخصيصَ نوعٍ دونَ نوعٍ مع شمولِ الآيةِ للنوعينِ.

فالآيةُ خطابٌ لكلِّ من دعا دون الله مَدعوّاً، وذلك المدعوُّ يَبتغِي إلى الله الوسيلةَ، ويرجوُ رحمتَه، ويخافُ عذابَه، فكلُّ من دعا مَيتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين، سواء كان بلفظِ الاستغاثةِ أو غيرِها، فقد تناولته هذه الآيةُ كما تتناول مَن دعا الملائكةَ والجِنَّ.

ومعلومٌ أن هؤلاء كلُّهم يكونون وسائطَ فيما يقدِّرُه اللهُ بأفعالِهم، ومع هذا فقد نهَى اللهُ عن دعائِهم وبَيَّنَ أنهم لا يملكونَ كشفَ الضُّرِّ عن الداعين ولا تحويلَه، لا يرفعونَه بالكليَّةِ، ولا يُحوِّلُونَه مِن موضعٍ إلى موضعٍ، كتغييرِ صِفَتِه أو =

= قدرِه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فذُكر نكرةً تعمُّ أنواعَ التحويل.

فكلُّ مَن دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحينَ، أو دعا الملائكةَ أو دعا الجِنَّ، فقد دعا مَن لا يُغيثُه، ولا يملكُ كشفَ الضُّرِّ عنه ولا تحويلَه، انتهى»[1]. [٢٨]

[شرح٢٨] هذا كلام عظيم من كلام الشيخ الإمام ابن تيمية، فالآية الكريمة نزلت فيمن يعبد غير الله ممن هو في نفسه عابد لله، فإذا كان عبادة من يعبد الله من الأنبياء والصالحين لا تنفع، وهي في ذاتها شرك، فعبادة غيرهم من الفجار والفساق والأصنام والأشجار أقبح وأقبح، فإن من هو موصوف بالصلاح، وموصوف بأنه يدعو الله ويرجوه ويخافه، لا يملك كشف الضر عن عابديه ولا تحويله من حال إلى حال، ولا من شخص إلى شخص، ولا من مكان إلى مكان، بل دعاؤهم له باطل.

فإذا كان هذا مع الأنبياء والصالحين، ومع العزير وعيسى =

---

(١) ص٩١-٩٢.

....

= وأمه، ومع الملائكة وما أشبه ذلك؛ فإن من سوى أولئك ومن هم دونهم من الأصنام والأشجار والأحجار والكفرة، عبادتهم أبعد عن الصواب، وأظهر في الباطل.

۞ وبنحوِ ما تقدَّم من كلامِ هؤلاء قال جميعُ المفسرينَ، فتبيَّن أن معنَى التوحيدِ وشهادةَ أن «لا إلهَ إلا اللهُ» هو ترك ما عليه المشركون من دعوةِ الصالحين، والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضُّرِّ وتحويلِه، فكيف ممن أخلصَ لهمُ الدعوةَ، وأنه لا يكفي في التوحيدِ دعواه[1]. [٢٩]

[شرح٢٩] يعني: إذا كان تشريكهم شركاً، فالذي يخصهم بالدعاء وينسى الله أقبح، نسأل الله العافية.

(١) ص٩٢.

۞ والنطقُ بكلمةِ الشهادةِ من غيرِ مفارقةٍ لدينِ المشركينَ، وأن دعاءَ الصالحينَ لكشفِ الضُّرِّ أو تحويلِه هو الشركُ الأكبرُ. نَبَّه عليه المصنِّفُ.

قال: وقولُه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الآية [الزخرف:٢٦-٢٧].

قال ابْن كثيرٍ: يقول تعالى مُخبِراً عن عبدِهِ ورسولِهِ وخليلِهِ إمامِ الحُنفاءِ، ووالدِ مَن بُعِثَ بعدَه من الأنبياءِ، الذي تَنتسِبُ إليه قريشٌ في نسبِها ومذهبِها أنه تبرأ[1] من أبيه وقومِه في عبادتِهمُ الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨] أي: هذه الكلمةُ، وهي عبادةُ الله وحدَه لا شريكَ له، وخَلعُ ما سواهُ من الأوثانِ، وهي «لا إلهَ إلا اللهُ» أي: جعلَها في ذُريَّتِه، يَقتدِي به فيها مَن هداهُ اللهُ من ذريةِ إبراهيمَ عليه السلامُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: يخبر عنه أنه تبرأ، أو بأنه تبرأ.

= أي: إليها[1]. [٣٠]

[شرح٣٠] والمعنى أنه أوصاهم بها وحرضهم عليها؛ كما دل عليه القرآن الكريم: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢] .

---

(١) ص٩٢.

۞ قال عكرمةُ ومجاهدٌ والضَّحاكُ وقَتادةُ والسُّديُّ وغيرُهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]: يعني: «لا إلهَ إلا اللهُ» لا يزالُ في ذريتِه مَن يقولُها[١]. [٣١]

[شرح٣١] «وجعلها» تحتمل معنيين:

أحدهما: أن يعود إلى الله جل وعلا، أي: جعلها الله، وهذا من فضله ورحمته لذرية إبراهيم أن جعل الأنبياء فيهم وفي نسلهم، والمعنى في الجملة، أي: إلى آخر الدهر، فكما لا يخفى أنه في آخر الزمان يرفع القرآن، وتقبض أرواح المؤمنين، ويبقى البقية على الشرك بالله جل وعلا، فعليهم تقوم الساعة، فالمعنى أنه لا يزال فيهم في الجملة من يقولها ويعتقدها ويدين بها.

والمعنى الثاني: أن إبراهيم هو الذي جعل الوصية، أي: أوصاهم بها ودعاهم إليها وحرضهم عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢].

فالمقصود أن المعنى هو وجود هذه الكلمة، سواء أكان من =

---

(١) ص٩٢.

....

= جعل الله، وكل شيء من جعل الله ﷻ، حتى ولو وصى بها إبراهيم؛ فالله هو الذي أمر بهذا، وشرع له هذا، ويسر له هذا.

وفي هذا منقبة لإبراهيم من حرصه على هداية ذريته، وصلاحهم، وتمسكهم بالتوحيد، وفيه دلالة على أنه ينبغي التأسي بالأنبياء في هذا، وأنه على الإنسان أن يوصي أهله وذريته بالتمسك بتوحيد الله والإخلاص لله، وأن يثبتوا على هذا ويستمروا عليه حتى يلقوا ربهم.

۞ وقال ابنُ زيدٍ: كلمةُ الإسلامِ، وهو يرجعُ إلى ما قالَه الجماعةُ.

قلتُ: وروى ابنُ جريرٍ عن قتادةَ في قولِه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٧] قال: خلقني[1]. [٣٢]

[شرح٣٢] ابن زيد: هو ابن زيد بن أسلم ـ وأسلم مولى عمر ـ وهو مشهور؛ لأن زيد بن أسلم له ثلاثة أولاد: عبد الله بن زيد، وأسامة ابن زيد، وعبد الرحمن بن زيد، وكلهم من حملة العلم ومن الرواة، لكنهم ضعفاء في الرواية، فليس عندهم ضبط كامل، وعبد الرحمن هذا هو أشهرهم، وهو المعروف في التفسير، فله عنايةٌ به*.

---

* س: ما المقصود بأن إبراهيم تبرأ من أبيه؟

ج: المقصود أنه تبرأ من دينه، أي: الشرك، فتبرأ من ديانته ومن كفره بالله، ولم يتبرأ من إحسانه، وإنما أحسن إليه ورفق به كثيراً ودعا له واستغفر له كثيراً.

---

(١) ص٩٢.

۞ وعنه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧] قال: إنهم يقولون: إن اللهَ ربُّنا ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] فلم يبرأ من ربه. رواه عبد بن حميد[1]. [٣٣]

[شرح٣٣] لأنهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، فتبرأ من معبوداتهم ما عدا الله، فقريش وغيرها، تعبد الله وتعبد غيره، فيحجون ويتصدقون ويعتمرون يرجون ثواب الله، فيعبدون الله بهذا، لكن لما كانت عبادتهم لله مخلوطة، فيها شرك، وفيها عبادة لله بطلت كلها؛ لأن الشرك إذا خالط العمل أبطله، فإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ تبرأ من معبوداتهم كلها ما عدا المعبود بالحق، وهو الله وحده، فلا يتبرأ منه؛ لأنه المعبود بالحق ﷻ.

---

(١) ص٩٢.

۞ قلتُ: يعني أن قومَ إبراهيمَ يعبدون الله ويعبدون غيرَه، فتبرّأ مما يعبدون إلا اللهَ، لا كما يظن الجُهّالُ أن الكفارَ لا يعرفون اللهَ، ولا يعبدونه أصلاً.

وروى ابنُ جريرٍ وابنُ المنذرِ عن قتادةَ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] قال: الإخلاصُ والتوحيدُ، فلا يزالُ في ذريتِه مَن يوحِّد اللهَ ويعبدُه[1].

فتبين بهذا أن معنَى «لا إلهَ إلا اللهُ» هو البراءةُ مما يُعبَد من دونِ الله، وإفرادُ الله بالعبادةِ، وذلك هو التوحيدُ، لا مجردُ الإقرارِ بوجودِ الله وملِكه وقدرتِه وخلقِه لكلِّ شيءٍ، فإن هذا يُقِرُّ به الكفارُ. وذلك هو معنَى قولِه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧] فاستثنى من المعبودِينَ ربَّه، وذكر سبحانَه أن هذه البراءةَ وهذه الموالاةَ هي شهادةُ أن «لا إلهَ إلا اللهُ»، قالَه المصنفُ[2]. [٣٤]

[شرح٣٤] قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذه =

---

(١) أخرجه الطبري «في تفسيره» (٣٠٨١٩).

(٢) ص٩٢-٩٣.

....

= الموالاة، فهو تبرأ من معبوداتهم غير الله، ووالى ربه فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فوالاه بالعبادة وحده، والمحبة له وحده، والخضوع لعظمته، وتبرأ منهم؛ لاعتقاده بطلان ما هم عليه من الباطل؛ لأنهم معبودون بالباطل.

۞ قال: وقولُه تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [التوبة:٣١] الأحبارُ: هم العلماءُ، والرهبانُ: هم العُبّادُ.

وهذه الآيةُ قد فسَّرها رسولُ الله ﷺ لِعَدِيِّ بنِ حاتمٍ، وذلك أنه لما جاءَ مُسلِماً دخل على رسولِ الله ﷺ، وهو يقرأُ هذه الآيةَ، قال: فقلتُ: إنهم لم يعبدُوهم، فقال: «إنهم حَرَّموا عليهم الحلالَ، وأحلُّوا لهمُ الحرامَ، فاتَّبَعوهُم، فذاك عبادتُهم إياهم»(١).

رواه أحمدُ، والترمذيُّ وحسَّنَه، وعبدُ بن حُمَيد، وابنُ سعد، وابنُ أبي حاتم، والطبرانيُّ، وغيرُهم من طُرُقٍ.

وهكذا قال جميعُ المفسرين(٢). [٣٥]

[شرح٣٥] كذلك هذا الحديث يحتاج إلى جمع طرقه؛ لأن هذا حديث عظيم مهم، وفي بعض طرقه ضعف، وهو حديث مهم في =

---

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وانظر «تفسير الطبري» (١٦٦٤٦–١٦٦٤٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٠٥٧) و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٣٥).

(٢) ص٩٣.

....

= تفسير الآية*.

* س: هل في بعض الطرق أنه جاء إليه كافراً في المسجد، وأخذه؟

ج: أصله موضوع، وبعضه في «الصحيح»(١)، لكن بهذه الألفاظ أنهم كانوا يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، هذا عند الترمذي وجماعة، وأصله أنه جاء من الشام بعد ما ذهبت إليه أخته ونصحته فذهب معها إلى النبي ﷺ حتى دخل بيته، فقال: أقرك على الإسلام... إلى آخره، ثم هداه الله.

س: هل كل طاعة تسمى عبادة؟

ج: الطاعات تختلف، فتارةً تكون عبادة، وتارة لا تكون عبادة، فمن أطاع إنساناً وهو يعتقد أنه يطيعه في كل شيء، فيما وافق الشرع وفيما خالف الشرع، فهذه عبادة، وإن أطاعه في المعروف، لا في المعصية، فهذه طاعة لله ﷻ، وإن أطاعه في المعصية من غير اعتقاد، فهذه معصية، وليست عبادةً.

فهي أقسام، ومن جعل الطاعة مطلقاً عبادةً للمطاع فقد غلط، فالمسلمون يطيعون الرسول فهل معنى ذلك أنهم عبدوه، أطاعوا الرسول لأن طاعته من طاعة الله، وهكذا طاعة ولاة الأمور في المعروف والمباح ليست عبادةً له.

س: الشيخ المودودي قال غير هذا. =

(١) انظر «مسند أحمد» (٤/ ٢٥٧).

....

= ج: كلا؛ هذا ليس صحيحاً، فقد كتبت إليه وكتب إلي، وبيَّن لي أن مقصوده الطاعة التي بها الاستحلال لما حرَّم الله، ممن يطيع الأمراء أو نحوهم فيما أمروه به، وإن كان مخالفاً لشرع الله، ويعتقد أن هذا جائز.

۞ قال السُّديُّ: استنصَحوا الرجالَ، ونبذوا كتابَ الله وراءَ ظهورِهم[1].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة:٣١] أي: الذي إذا حَرَّم شيئاً فهو الحرامُ، وما حلَّلَه حَلَّ، وما شَرَعَه اتُّبِعَ.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تعالى ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، أي: تعالَى وتقدَّسَ عن الشركاءِ والنُّظَراءِ والأضدادِ والأندادِ، لا إلهَ إلا هو، ولا ربَّ سواه.

ومرادُ المصنِّفِ ـ رحمه الله ـ بإيرادِ الآيةِ هنا أن الطاعةَ في تحريمِ الحلالِ، وتحليلِ الحرامِ من العبادةِ المنفيةِ عن غيرِ الله تعالى[2]. [٣٦]

[شرح٣٦] قوله: (المنفية عن غير الله) أي: الطاعة في التحليل والتحريم، أي: طاعة المخلوق من زوج أو أمير أو سلطان أو والد =

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٣٥).

(٢) ص٩٣.

....

= أو كبير عشيرة أو ما أشبه ذلك في جعل الحرام حلالاً، وأن ما قاله الرئيس فهو حلال، وإن كان حراماً، وما قاله الرئيس أو الشيخ أو ما أشبه ذلك فهو حرام، وإن كان حلالاً في الشرع فهذه العبادة، ويكون هذا كفراً*.

---

* س: فإذا أجبره؟

ج: الإكراه شيء آخر.

س: لا يكون عبادةً.

ج: ليس في الإكراه عبادة، فالعبادة محلها القلب، فإن أكره على شيء كأن يشرب الخمر فلا شيء عليه في هذا، إنما الإثم على من أكرهه.

لكن إن استحل بقلبه هذا الشيء، لأن شيخه صاحب الطريقة أباحه له، يكون كفراً، أو لأن الرئيس قال له: افعل هذا، فقال: ما قاله الرئيس فهو حلال، وإن كان يخالف شرع الله، فهذا جعله إلهاً مع الله، أما إن أطاعه فقط، كأن قال له مثلاً: افعل كذا، فأطاعه، وهو يعلم أنه ليس بحلال، بل يعتقد أنه معصية، ولكنه أطاعه للهوى أو للفلوس، فلا يكون عبادةً، بل يكون معصيةً.

مثال ذلك: لو قال الأمير أو شيخ القبيلة أو أستاذه: اضرب فلاناً، وهو =

....

= يعرف أنه لا يستحق الضرب، فضربه وهو يعلم أنه لا يستحق الضرب، لكنه فعل حتى لا يخالف رئيسه، فهذه معصية، وأما أن يرى أن ما قاله رئيسه حلال وطيب ولو خالف شرع الله، فهذه عبادة.

س: بعض الناس الآن إن نهيتهم عن المحرمات مثل الأغاني، قالوا: لو كانت حراماً ما جاءت بها الدول...

ج: لأنه يعتقد فيهم أنهم متبعون للشرع، لا أنهم مشرعون، فمقصوده أنهم دول إسلامية تعظم الشرع، فهذا جاهل، فيبين له، ويعلم أنهم ليسوا بمعصومين، فالدولة والزوج والأب والأمير ليسوا معصومين، إنما يأتون بالحرام وبالحلال.

س: إنه يعرف أن البشر ليسوا معصومين.

ج: يبين له؛ لأنهم يعتقدون أن المشايخ لا يعصون، وهذا غلط، فلو كان أعلم الناس فقد يأتي المعصية؛ لأنه ليس معصوماً.

س: إن أكره إنسان آخر على شرب الخمر فهل يكون معافًى؟

ج: المكره ليس بآثم.

س: وإن ألزمه؟

ج: كذلك، فالإثم على من ألزمه، فالقاعدة «المُكرِهُ هو الآثم، والمُكرَهُ ليس بآثم» حتى في الكفر ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]. =

....

= س: ما حد الإكراه؟

ج: الإكراه معروف، الضرب والتهديد الشديد والسجن وما أشبه ذلك مما يظن أنه في الإمكان فعله.

س: وما حد الضرورة ؟

ج: ما لا بد له منه في معيشته وحياته، ونحو ذلك، فيضطر لهذا الشيء، بحيث يستطيع التصرف والأخذ والإعطاء ومحاجاة الكفرة ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩] فمن ليس له حاجة ليس بمضطر.

س: وإن كان في المسألة خلاف وحابى الدولة؟

ج: هذا لا يسمى مكرَهاً، هذا متبع للهوى.

۞ ولهذا فُسِّرَتِ العبادةُ بالطاعةِ، وفُسِّرَ الإلهُ بالمعبود المُطاعِ، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك فقد عَبَدَه، إذ معنى التوحيدِ وشهادةِ أن «لا إلهَ إلا اللهُ» يقتضي إفرادَ الله بالطاعةِ، وإفرادَ الرسولِ بالمتابعةِ، فإنَّ مَن أطاعَ الرسولَ ﷺ فقد أطاعَ اللهَ.

وهذا أعظمُ ما يُبيِّنُ التوحيدَ وشهادةَ أن «لا إلهَ إلا اللهُ»؛ لأنها تقتضي نفيَ الشركِ في الطاعةِ، فما ظَنُّكَ بشِركِ العبادةِ؛ كالدعاءِ والاستغاثةِ والتوبةِ وسؤالِ الشفاعةِ وغيرِ ذلك من أنواعِ الشِّركِ في العبادةِ.

وسيأتي مَزيدٌ لهذا ـ إن شاءَ اللهُ تعالى ـ في (باب من أطاعَ العلماءَ والأمراءَ).

قال: وقولُه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة:١٦٥] .

قال المصنِّفُ رحمه الله في «مسائله»: ومنها، أي: من الأمورِ المبيِّنةِ لتفسيرِ التوحيدِ، وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، =

= آيةُ البقرةِ في الكفارِ الذين قال اللهُ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، وذكرَ أنهم يحبُّون أندادَهم كحبِّ الله، فدلَّ على أنهم يحبُّون اللهَ حُبّاً عظيماً، ولم يُدخِلهم في الإسلامِ، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ حبّاً أكبرَ من حُبِّ الله؟ فكيف بمن لم يحبَّ إلا النِّدَّ وحدَه، ولم يُحبَّ اللهَ؟

قلت: مرادُه أن معنَى التوحيدِ، وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ هو إفرادُ الله بأصلِ الحبِّ الذي يَستلزمُ إخلاصَ العبادةِ لله وحدَه لا شريكَ له، وعلى قدرِ التفاضلِ في هذا الأصلِ، وما يَنبني عليه من الأعمالِ الصالحةِ، يكون تفاضُلُ الإيمانِ، والجزاءُ عليه في الآخرة، فمن أشركَ بالله تعالى في ذلك فهو المشركُ لهذهِ الآية.

أخبرَ تعالى عن أهلِ هذا الشِّركِ أنهم يقولون لآلهتِهِم وهم في الجحيمِ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] ومعلومٌ أنهم مع ما ساوَوْهُم به في الخَلقِ والرزقِ والمُلكِ، وإنما ساوَوْهُم به في المحبَّةِ والإلهيةِ والتعظيمِ والطاعةِ، فمن قال: لا إلهَ إلا اللهُ =

= وهو مشرِكٌ بالله في هذه المحبَّةِ- فما قالها حقَّ القولِ وإن نَطَقَ بها؛ إذ هو قد خالفَها بالعملِ كما قال المصنفُ: فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ حبّاً أكبر مَن حبِّ الله؟

وسيأتي الكلامُ على هذه الآيةِ في بابِها ـ إن شاءَ اللهُ تعالى ـ(1). [٣٧]

[شرح٣٧] والمراد هنا حب العبادة، فإن الحب حبان: حب طبعي عادي ليس له تعلُّقٌ في العبادة، وهذا غير داخل في هذا المعنى، كحب الإنسان وما يهواه من مأكل ومشرب أو زوجة أو قرابة أو ما أشبه ذلك، غير الحب الذي أراده الله ﷻ، فإن حب العبادة يقتضي الخضوع للمحبوب، والذل له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه ونحو ذلك.

فالمشركون أحبوا أندادهم حباً شارك حب الله، فصاروا يصرفون لهم بعض العبادة، ويدعون بعض أشياء تقرباً إليهم، فصاروا بهذا مشركين؛ لأنهم عبدوا الأنداد من أصنام أو أحجار أو أشجار أو كواكب لهذا السر؛ لأنهم يعتقدون فيهم أنهم يشفعون =

---

(1) ص٩٣-٩٤.

....

= لهم عند الله في كذا، أو يصرفون عنهم كذا، أو يعطونهم كذا من الأولاد أو ما أشبه ذلك، زعماً أن هذا من الله كرامة لهم، وأنهم مشفعون عند الله وإلى غير ذلك، ثم قد يقع في قلوبهم من المحبة لهذا الند الذي زعم أنه واسطة،فيجعله يحبه أكثر من حب الله؛ بل قد يقع في ذلك أنهم يحبون الند حباً كاملاً، وينسون الله ﷻ بالكلية، فيكون قلبه معلقاً بهذا الشفيع، وبهذه الواسطة، وينسى الله بالكلية ـ نعوذ بالله ـ فهذه حالهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شارك في المحبة؛ وإن لم يحب الند أكبر من حب الله؛ بل أحبه مع الله فقط سواء كان مساوياً أو أقل.

القسم الثاني: أحبهم أكثر.

القسم الثالث: ومنهم من أقبل على نده وصار يحبه حباً كاملاً، ونسي حب الله ﷻ وغفل عنه بالكلية؛ بسبب استيلاء حب من ألهه مع الله، سواءً كان النبي ﷺ أو البدوي، أو ولياً من الأولياء، أو صنماً، أو كوكباً، أو جنياً، أو غير ذلك، نسأل الله العافية.

۞ قال: في «الصحيح» عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وكَفَرَ بما يُعبَدُ مِن دونِ الله، حَرُمَ مالُه ودمُه، وحسابُه على الله»(١).

قولُه: (في «الصحيح») أي: «صحيح مسلم» عن أبي مالكٍ الأشجعيِّ، عن أبيه، عن النبي ﷺ فذكره، وأبو مالكٍ: اسمُه: سعدُ بنُ طارقٍ، كوفيٌّ ثقةٌ، ماتَ في حدودِ الأربعين ومئةٍ، وأبوه طارقُ بنُ أشْيَمَ ـ بالمعجمةِ والمثناةِ التحتيةِ، وزنُ (أحمَرَ) ـ ابنِ مسعودٍ الأشجعيِّ: صحابيٌّ له أحاديثُ، قال مسلمٌ: لم يروِ عنه غيرُ ابنِه(٢)*.

---

* س: ماذا قصد بقوله: (في الصحيح)؟

ج: «الصحيح» المراد به «صحيح مسلم»، فقد يطلق الشيخ «الصحيح» يريد به «صحيح مسلم»، وقد يريد به «صحيح البخاري»، فالشيخ يتساهل في هذا اتكالاً على ما يعلمه أهل العلم، وعلى أن كلًّا منهما صحيح.

وذلك مثل ما في باب ما جاء في النذر لغير الله: هذا في «الصحيح» عن =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٣).

(٢) ص٩٤.

....

= عائشة؛ والمراد به «صحيح البخاري». لكن الغالب إذا قال: «الصحيح» المراد «صحيح مسلم»، ويعرف هذا من طريق الاستقراء.

وقد يكون المؤلف فعل ذلك اعتماداً على فهم القارئ، وقد يكون حين جمع الرسالة لم يكن عنده علم بأن ذلك هل هو في هذا أو في هذا؛ فقال: (في الصحيح)؛ لأنه جاز أن يكون في أحدهما.

۞ قولُه: (مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وكفرَ بما يُعبَدُ من دونِ الله) اعلمْ أن النبيَّ ﷺ في هذا الحديثِ عَلَّقَ عصمةَ المالِ والدمِ بأمرين:

الأول: قولُ لا إلهَ إلا اللهُ.

الثاني: الكفرُ بما يُعبَدُ من دونِ الله؛ فلم يكتفِ في اللفظِ المجرَّدِ عن المعنى؛ بل لا بدَّ من قولِها والعملِ بها.

قال المصنِّفُ: وهذا من أعظمِ ما يبيِّنُ معنَى لا إلهَ إلا اللهُ؛ فإنه لم يجعَل التَّلفُّظَ بها عاصِماً للدمِ والمالِ؛ بل ولا معرفة معناها مع التلفظِ بها؛ بل ولا الإقرارَ بذلكَ، بل ولا كونَه لا يدعُو إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، بل لا يَحرُمُ دمُه ومالُه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دونِ الله؛ فإن شَكَّ أو تَردَّدَ لم يَحرُم مالُه ودمُه، فيا لَها من مسألةٍ ما أجلَّها! ويا لَه من بيانٍ ما أوضحَهُ! وحُجَّةٍ ما أقطعَها للمنازِعِ!"(١). [٣٨]

[شرح٣٨] هذا كلام جيد عظيم للمؤلف ـ رحمه الله ـ وهو واضح؛ =

---

(١) ص٩٤-٩٥.

....

= فإن قوله: (من قال: لا إلهَ إلا اللهُ وكفرَ بما يُعبَد من دون الله) واضح في ذلك، وهو مطابق لقوله ـ جل وعلا ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

فلا بد من الأمرين، والأمر الثاني مأخوذ من الأول، ومن نفس تفسير الأول، ومن معنى الأول؛ لأن قول: لا إله إلا الله يقتضي الكفر بالطاغوت، ويقتضي الإيمان بالله، وأنه رب العالمين، وأنه الإله الحق، وأنه المستحق للعبادة.

فالأمران مأخوذان من نفس الآية، من نفس الكلمة «لا إله إلا الله»؛ لكن على ما تقدم من أن النصوص يفسر بعضها بعضاً؛ فقد يجمل المعنى في آية أو في حديث، ثم يفسر في آخر، وكما تقدم في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٢٧٧]، أتى بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنه داخل في الإيمان، وللإيضاح ولعظم شأن هذا، وأنه لا بد منه، وهكذا ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠]، وهكذا =

....

= ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] تنبيهاً على بعض المعنى وإن كان داخلاً في الأول المجمل.

وهكذا قوله: (وكفر بما يعبد من دون الله) داخل في قوله: (من قال: لا إله إلا الله)، وهكذا قوله في الحديث الصحيح: «أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. حتى يقولوها قولاً يشهد على المعنى، فيقولونها مُعتقِدين لمعناها، وأنها توجب إفراد الله بالعبادة، والبراءة من عبادة ما سواه، وليس مجرد قولها باللسان.

وهكذا بقية الأحاديث؛ فالأحاديث مثل الآيات يفسر بعضها بعضاً، ويبين بعضها بعضاً،ويشهد بعضها لبعض، فمن أخذ لفظاً دون لفظ فقد غلط؛ بل لا بد من أخذ المجموع والاعتماد على المجموع؛ لأن كل واحد يفسر الآخر.

فالذي مثلاً يأخذ بعض القرآن وينكر بعضه فهو كافر، وهكذا الذي يأخذ بعض السنة ويضيع بعضها كذلك؛ فكلاهما له حكم واحد. =

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم: الإيمان (٢٠).

....

= فالأولى أخذ السنة كلها، ولا بد من الإيمان بها كلها، فمن كان يصدق بقوله دون فعله أو بفعله دون قوله، أو يأخذ بما وافق أهواءنا دون ما خالف أهواءنا؛ فلم يؤمن بالسنة؛ كالذي أخذ بعض القرآن وترك بعضه؛ فلا بد من الإيمان بالجميع.

والكفر بالطاغوت معناه البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلانها، وأنها لا يجوز الأخذ بها ولا اعتقادها؛ بل يجب البراءة منها، وأن عبادة غير الله باطلة وكفر به سبحانه، وشرك به ـ جل وعلا ـ سواء كانت عبادة غير الله تتعلق بالأشخاص كالأولياء والأنبياء، أو تتعلق بالأصنام، أو تتعلق بالكواكب، أو بغير ذلك.

فالمقصود إنكار عبادة غير الله، والكفر بها، والبراءة منها، وموالاة الله ﷻ، والإيمان بأنه معبود بالحق دون كل ما سواه ـ جل وعلا ـ وفي رواية لمسلم وعند أحمد أيضاً قال: «مَن وَحَّدَ اللهَ وكفرَ بما يُعبَدُ من دونِ الله»[1] بدل «من قال: لا إلهَ إلا اللهُ»، فعبَّر عن قول: لا إله إلا الله، بالتوحيد؛ لأنه معنى لا إله إلا الله، والتوحيد =

(١) مسلم: الإيمان (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢).

....

= هو توحيده بالعبادة، وإفراده بها ﷻ.

فالأقوال والنصوص يفسر بعضها بعضاً، ولأن الرواة يعلمون ذلك، فقد يعبر الواحد منهم عن الكلمة بمعناها، فقول من روى (من وَحَّدَ الله) عبر عنها بالمعنى، وهكذا قوله في حديث ابن عمر عند مسلم: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحَّد الله»[1]، فهذا في اللفظ الآخر: «شهادة أن لا إله إلا الله»[2]. فمن روى «على أن يُوَحَّدَ اللهُ» فقد رواها بالمعنى، وكذلك في الرواية الأخرى: «على خمس، على أن يُعبَدَ اللهُ ويُكفَرَ بما دونَه»[3]، رواه بالمعنى أيضاً.

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦) (١٩).

(٢) أخرجه البخاري: الإيمان (٨)، ومسلم: الإيمان (١٦).

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦) (٢٠).

۞ قلتُ: وقد أجمعَ العلماءُ على معنَى ذلك؛ فلا بدَّ في العصمةِ من الإتيانِ بالتوحيدِ، والتزامِ أحكامِه، وتَركِ الشِّركِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩] والفتنةُ هنا: الشِّركُ؛ فدَلَّ على أنه إذا وُجدَ الشِّركُ فالقتالُ باقٍ بحالِه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:٣٦][(١)]*.

* س: هناك لفظ «حتى يعرف الله» يحتج بها من يقول: التوحيد هو المعرفة، فما صحة هذه اللفظة؟

ج: لا أتذكرها؛ لكن لو صح فيها الحديث فهي المعرفة التي تتضمن العمل؛ فالنصوص ـ مثلما تقدم ـ يفسر بعضها بعضاً؛ فالمعنى حتى يعرفوا الله بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، وهذا لو صح اللفظ؛ فالروايات المشهورة المعروفة: «حتى يقولوا»[(٢)]، و«حتى يشهدوا»[(٣)].

أما المعرفة وحدها فلا تكفي؛ فإبليس يعرف الله؛ بل هو من أشد =

(١) ص٩٥.

(٢) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم: الإيمان (٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: الإيمان (٢٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢).

....

= الناس معرفةً بالله، فهل نفعه ذلك؟! وفرعون يعرف الله ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢] وهو من أكثرهم كفراً؛ فالمعرفة وحدها لا تكفي، واليهود يعرفون الله وهم من أشد الناس كفراً؛ فالمعرفة من دون الإيمان والتزام العمل لا تنفع شيئاً.

۞ وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:٥] فأمرَ بقتالِهم على فعلِ التوحيدِ وتَركِ الشِّركِ، وإقامةِ شعائرِ الدِّينِ الظاهرةِ، فإذا فعلوها خُلِّيَ سبيلُهم[١]. [٣٩]

[شرح٣٩] على فعل التوحيد؛ يعني: على إيجاد التوحيد، حتى يوجِدوا التوحيد، يقاتَلون حتى يفعلوا أعمال التوحيد وحتى يوجدوا التوحيد، وحتى يوحدوا الله.

---

(١) ص٩٥.

۞ ومتى أَبَوْا عن فِعلِها أو فعلِ شيءٍ منها، فالقتالُ باقٍ بحالِه إجماعاً، ولو قالوا: لا إلهَ إلا اللهُ.

وكذلك النبيُّ ﷺ علَّقَ العصمةَ بما علَّقَها اللهُ به في كتابه؛ كما في هذا الحديث؛ وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يَشهدُوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، ويُؤمِنُوا بي وبما جئتُ به؛ فإذا فعلُوا ذلكَ، عصمُوا مني دماءَهُم وأموالَهم، إلّا بحقِّها، وحسابُهم على الله»[1].[2][٤٠]

[شرح٤٠] قوله: (ويُؤمنُوا بي وبما جئتُ به) هذا لفظ عظيم مهم، مفسر للنصوص الأخرى، فلا بد من الإيمان به وبما جاء به مع القول، فلفظ (حتى يشهدوا) وهنا (حتى يؤمنوا) ينبه عليه الصلاة والسلام بأن القول لا يكفي حتى يحصل الإيمان؛ ولهذا فالمنافقون يقولون، ولكن لما كان الإيمان معدوماً في قلوبهم غير موجود لم ينفعهم قولها، وصاروا من أكفر الناس، وصاروا في الدرك الأسفل من النار ـ نعوذ بالله ـ فلا بد من قولها، ولا بد من الإيمان بما دلت =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٢١).

(٢) ص٩٥.

....

= عليه من المعنى الذي جاء به عليه الصلاة والسلام*.

---

* **س: هل الحديث عام في جميع الناس، أم هو خاص بالرسول ﷺ؟**

ج: نعم، عام ولكن من أدى الجزية يوقف عنه، فمن أداها من أهلها كاليهود والنصارى والمجوس ـ عند الجميع، أو عموم الكفار عند بعض أهل العلم ـ فمن أدى الجزية من هؤلاء يستثنى من النصوص الأخرى المطلقة، فهذه النصوص المطلقة تقيد بنصوص أهل الكتاب ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] وكذا من مثلهم.

س: يقول: فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خُلِّيَ سبيلُهم، ومتى أبوا عن فعلها أو فعل شيء منها فالقتال باق، بحاله إجماعاً.

ج: نعم، فلو قالوا: نعبد الله؛ ولكن لا نصوم رمضان، يقاتلون، أو قالوا: نفعل ذلك؛ ولكن لا نحج، ولو مع الاستطاعة، يقاتلون إذا أصروا على هذا.

كذلك إذا أبوا إلا الشرك يقاتَلون حتى يعبدوا الله وحده ويدعوا الشرك، نسأل الله العافية.

فلو كان هناك جهاد صالح ـ الآن ـ يجب أن تقاتل البلاد العربية كلها حتى تقيم توحيد الله، وحتى تحكم شريعة الله، ولكن أين الجهاد؟!! الله =

....

= المستعان، فالشرك موجود، وطاعة الحكام من دون الله موجودة.

فهذه الطوائف يجب أن تقاتل في مصر، والشام، والعراق، وكل مكان عطلت فيه الشريعة؛ فيجب أن تقاتل حتى تقيم الشريعة، فإما هذا، وإما هذا، إما أن تقام الشريعة وأنتم على بلادكم وعلى أموالكم وعلى كراسيكم، فمطلوبنا مثل ما قال الصحابة للروم وفارس، مطلوبنا أن تقيموا أمر الله، فإذا أقمتم أمر الله رجعنا عنكم.

۞ وفي «الصحيحين» عنه قال: لما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وكَفَرَ مَن كَفَرَ من العربِ فقال عمرُ بنُ الخطابِ لأبي بكرٍ: كيف تُقاتِلُ الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: «أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، فمن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، فقد عَصَمَ مني مالَه ونفسَه إلا بحقِّه، وحسابُه على الله»؟

فقال أبو بكر: والله لأُقاتِلَنَّ مَن فرق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، والله لو مَنعُوني عِقالاً كانوا يؤدونَه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتُهُم على منعِه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ فعرفتُ أنه الحقُّ. لفظُ مسلمٍ(١).(٢) [٤١]

[شرح٤١] وهذا أمر أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وهو قتال أهل الردة وقتال مانعي الزكاة، وذلك أن النبي ﷺ عندما توفي حصل عند الناس ـ يعني: عند كثير من الناس ـ ريبة =

---

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم: الإيمان (٢٠).

(٢) ص٩٥.

....

= وشك؛ لماذا يموت رسول الله ﷺ وهو خاتم الأنبياء؟ وهذا سببه الجهل، فقام فيهم الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وخطب الناس، وذكرهم بالله ـ جل وعلا ـ وبين لهم أن محمداً ﷺ كالرسل السابقين كما ماتوا يموت، وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً بشر قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا قوله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ الآية [آل عمران:١٤٤].

وكأن الناس ما سمعوها إلا ذاك الوقت، وكان عمر قد تكلم في الناس، وظن أن ما قيل من موت النبي ﷺ أنه غشية، وأنه لم يمت، وأنه سوف يفعل كذا ويفعل كذا ويقتل أقواماً ويفعل كذا، وظن عمر رضي الله عنه وأرضاه أن موت النبي ﷺ لم يحصل ذلك الوقت، فهو يعلم أن محمداً سيموت عليه الصلاة والسلام، ويقرأ الصحابة وغيرهم ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠].

وقد مات الرسل قبله كلهم عليهم الصلاة والسلام، فالذي أصاب الرسل سوف يصيبه والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ =

....

= مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٣-٣٤].

فالموت لا بد منه، ولكن ظن بعض الصحابة أن هذا لم يحن وقته، وأنه هناك بقية، فلما أشكل هذا على بعض الناس أخذهم الصديق وأزال الشبهة، فكأن الناس ما سمعوا الآية إلا حين تلاها الصديق رضي الله عنه وأرضاه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية [آل عمران:١٤٤] خرج الناس كل يتلوها في طريقه وفي بيته وفي غير ذلك لما فيها من العزاء.

ثم إن بعض العرب بعد ذلك حصل عندهم أيضاً ريب وشك، وقالوا: لو كان نبياً لم يمت، ثم تنوعوا في الردة، فمنهم من صدق مسيلمة في دعواه الرسالة، هذا كفر بالله كفراً أكبر...

«لا إله إلا الله» فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. فعند ذلك قال الصديق: أليست الزكاة من حق «لا إله إلا الله»، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

فقال عمر عند ذلك: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدري =

....

= لمثل ما شرح صدر أبي بكر، فعرفت أنه الحق.

وعند ذلك أجمع الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ على تصديق الصديق فيما ذهب إليه، وعلى موافقته، وأنه لا بد من إتيان حق «لا إله إلا الله»، وأن من قالها من المرتدين وغيرهم لا ينفعه ذلك حتى يؤدي حقها، فيكذبوا مسيلمة، ويعلموا أن محمداً خاتم النبيين، وحتى يؤدوا الزكاة، وحتى يلتزموا حق الله في الإسلام، وإلا فلا.

فلهذا شرع الصديق في جمع الجيوش وإرسال السرايا لقتال المرتدين ودعوتهم إلى دين الله ﷻ ونجح في ذلك غاية النجاح ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ووافقه الصحابة كلهم على هذا، وصمموا على القتال، وأمروا الأمراء، وجيشوا الجيوش لقتال الردة كما هو معلوم في التاريخ الإسلامي.

والمقصود من هذا كله أن يبين الصديق وغيره من الصحابة أن قول: «لا إله إلا الله» لفظاً لا يكفي، ولا ينجي أهله، ولا ينفعهم في الدنيا، ولا في الآخرة، بل لا بد من قولها مع العمل، والتصديق =

....

= والإيمان بما دلت عليه من توحيد الله، والإخلاص له.

ولا بد من أداء حقوقها من صلاة وزكاة وغير ذلك، وإلا أجري على من تأخر عن الصلاة ما يجب عليه من القتل، وأجري التعزير على من منع الزكاة، أو ترك الصيام، أو ترك الحج مع القدرة، مع إقامة الحجة عليهم؛ وإلى غير ذلك.

فلا بد من إقامة حق الله في أرض الله على من تعدى حدود الله ﷻ، وهذا هو الذي يزيل الإشكال، ويوضح الحق في كل من قد يعتريه شبهة في هذا المقام.

وأكثر الناس عندهم فقه في الدين، ولكن مع الظواهر، وليس عندهم نفوذ في المعاني والحقائق، ولهذا تجد الآن وقبل الآن من أزمان طويلة، يقولون: «لا إله إلا الله»، وينتسبون إلى الإسلام، ثم هم يعبدون غير الله، عند القبور، وعند غير القبور.

فتجد من يعبد غير الله، ويصلي ويسجد لصاحب القبر، ويطوف بقبره، ويدعوه ويستغيث به، ويقول: مدد، وربما ناداه من بعيد ومن مسافات طويلة، ويشير إلى جهته، ويقول: مدد مدد يا =

....

= عبد القادر، مدد مدد يا فلان، فيستغيث به من بعيد، ويدعوه، ويلجأ إليه، ويسأله قضاء حاجته، وتفريج كروبه، وهو يقول: «لا إله إلا الله»، فلا يعرف أن هذه الكلمة تقتضي أن يعبد الله وحده، وأن يدعوه وحده، وأن يتوجه إليه بقلبه وقالبه، وأن ينزل حاجاته به ﷻ.

فلم يعرف هذه الأمور؛ لأنه نشأ في جاهلية وبعد عن حقائق الإسلام؛ حتى صار إلى ما صار إليه من جهل بالله وبدينه وعبادة لغيره ﷻ.

وهذا هو الغالب الآن على المنتسبين للإسلام في غالب الأمصار، فما عرفوا معنى «لا إله إلا الله» كما ينبغي، والمتبصرون منهم قليل.

ومن عرف هذا ودعا إليه وأنكر على عباد القبور ما هم عليه من الباطل فهؤلاء هم القليل جداً، وأغلب الناس الآن تجده عالماً ويحمل الدكتوراه ويحمل علوماً كثيرة في أنواع من العلوم، ولكنه أجهل الناس بتوحيد الله وبمعنى «لا إله إلا الله»، ولا حول ولا =

....

= قوة إلا بالله*.

* س: هل من الحذر أن يقتني المسلم السلاح لديه؟

ج: ولا سيما إذا دعت الحاجة إليه، ومن الحذر التدرب على حمل السلاح، وعلى استعماله؛ لأنه من إعداد القوة، وإذا كان هناك خوف من أن يختل الأمن، فلا شك أن أخذ السلاح من الحيطة، وأما إذا كان الأمن سابغاً فالحمد لله، ولكن يتدرب حتى إذا ما احتاج إليه حمله؛ لأن هذا من إعداد القوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

۞ فانظُر كيف فَهِمَ صِدِّيقُ الأُمةِ أن النبيَّ ﷺ لم يُرِد مجرَّدَ اللفظِ بها من غير إلزام لمعناها وأحكامِها.

ومن إعداد القوة التدرب البدني على السلاح المتنوع حتى إذا حمله استطاع أن يستعمله في جهته، أما السلاح وكيف يستعمله فلا بد من التدرب البدني على أنواع السلاح، وأنواع الأخطار التي قد يأتي بها العدو حتى يقابلها بما يضادها، والله المستعان.

فكان ذلك هو الصوابُ، واتفقَ عليه الصحابةُ، ولم يختلف فيه منهُمُ اثنان، إلا ما كان من عُمرَ حتى رجعَ إلى الحقِّ، وكان فَهمُ الصدِّيقِ هو الموافقُ لنصوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ(١). [٤٢]

[شرح٤٢] وفي هذا المقام ظهر تدين الصديق على غيره من الصحابة، وظهر فضل علمه ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ لما اختلف الناس وحصل منهم الريبة، ورأى النبي ﷺ قد توفي، فقال: بأبـي =

---

(١) ص٩٥-٩٦.

....

= أنت يا نبيَّ الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أمَّا الموتة التي كتبها الله عليك فقد متَّها(١).

يبين بذلك بطلان ما يظنه بعض الناس من أن هذه غشية وليست موتة، وأن هذه هي الموتة التي كتبها الله عليه، وأن هذا الموت.

ثم لما شك الناس في هذا المقام وحصل عند عمر وعند غيره من باب التردد صار هو في غاية الثبات يبين للناس موت النبي ﷺ، ويتلو الآية الكريمة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤] ، ويبين ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ أن العبادة لله وحده، فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً بشر وقد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

وهذا الثبات العظيم في هذا المقام الذي يزلزل الجبال، وهو موت النبي ﷺ.

ثم لما تنازعوا في قتالهم ثبت الثبوت العظيم وصمد حتى =

(١) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٤١، ١٢٤٢).

....

= رجعوا إلى قوله، وعرفوا صحة ما ذهب إليه رضي الله عنه وأرضاه، وهذا كله يبين فضله وعلمه وبصيرته وبلوغ علمه إلى الغاية من جهة الأصول والتقعيد لما جاءت به الشريعة، والله المستعان.

۞ وفي «الصحيحين» أيضاً عن عبدِ الله بنِ عمرَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يَشهدُوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، ويُقيمُوا الصلاةَ، ويُؤتُوا الزكاةَ، فإذا فعلُوه عَصمُوا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابُهم على الله»[1].

فهذا الحديثُ كآيةِ «براءة» بُيِّنَ فيه ما يُقاتَل عليه الناسُ ابتداءً، فإذا فعلُوه وجبَ الكَفُّ عنهم إلا بحقِّه، فإن فعلُوا بعدَ ذلك ما يناقضُ هذا الإقرارَ والدخولَ في الإسلام وجبَ القتالُ حتى يكونَ الدِّينُ كلُّه لله.

بل لو أَقرُّوا بالأركان الخمسةِ وفعلُوها، وأَبَوْا عن فِعلِ الوُضوءِ للصلاةِ ونحوه، أو عن تحريم بعض محرماتِ الإسلامِ كالربا أو الزنى أو نحو ذلك، وجبَ قتالُهم إجماعاً، ولم تعصِمهُم «لا إلهَ إلا اللهُ»، ولا ما فعلُوه من الأركانِ.

وهذا من أعظمِ ما يُبيِّنُ معنَى «لا إلهَ إلا اللهُ»، وأنه ليس =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٢٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢).

= المرادُ منها مجرَّدَ النُّطقِ، فإذا كانت لا تعصِمُ مَن استباحَ مُحرَّماً، أو أبىَ عن فعلِ الوُضوءِ مثلاً، بل يُقاتَلُ على ذلك حتى يفعلَه، فكيف تعصمُ مَن دان بالشِّركِ، وفَعَلَه، وأحبَّه، ومدحَه، وأثنى على أهلِه، ووالى عليه، وعادى عليه، وأبغضَ التوحيدَ الذي هو إخلاصُ العبادةِ لله، وتبرّأَ منه، وحاربَ أهلَه، وكَفَّرَهم، وصَدَّ عن سبيلِ الله، كما هو شأن عُبّادِ القبورِ[1]. [٤٣]

[شرح٤٣] ويسمون التوحيد تنقصاً للصالحين وتنقصاً للأنبياء، أو يسمونهم خارجيين أو وهابيين على حسب الألقاب التي يعرفونها، كل طائفة لها جنس ولها طريقة في التنفير عن التوحيد، فتارة يقولون: هذا ما يحب الصالحين، أو هذا ما يحب الأنبياء؛ كما هي الطريقة المعروفة قديماً.

ثم إن عرفوا أحداً يدعو إلى هذا وينتسب إليه قالوا هذا لقبه، فإن كان وهابياً قالوا وهابي، وإن كان من جهة تكفير من كفر بالله أو صد عن سبيل الله قالوا: هذا خارجي، على حسب ما يعرفون، =

---

(١) ص٩٦.

....

= فكل يتكلم بما يعرف؛ من باب التنفير عن الحق، ومن باب الدعوة إلى الباطل والثبات عليه*.

---

* س: بمناسبة أنكم شربتم ماءً - وكان الشيخ رحمه الله شرب هنا ماءً - يجري عند أكثر الناس إذا شرب أحدهم أن يقال له: هنيئاً مريئاً، وهكذا، فهل ورد فيه شيء عن السلف الصالح؟

ج: ما هو بشيء، بل هو من باب الدعاء.

س: أقصد الالتزام.

ج: هذا مما تنازع فيه بعض الإخوان، فيقال: إن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وجماعة كانوا يكرهون التزام هذا الشيء؛ لأنه لم ينقل، وكان الشيخ عبد اللطيف وجماعة يقولون: هذا من باب الدعاء، وليس من باب السنن، من باب الدعاء لمن شرب شيئاً أو تيسر له نعمة من النعم أن يقال: هنيئاً مريئاً، أو ما أشبه ذلك.

وكان الشيخ عبد اللطيف يقول لمن شرب عنده: هنيئاً خلافاً لزيد، ولا يقول: خلافاً لأبي؛ من باب التأدب مع أبيه، خلافاً لزيد بن محمد صاحب الحديث القاضي. فما لا يلتزمه الإنسان، بل يفعله بعض الأحيان، فهو من باب الدعاء. =

....

= س: في الحديث «إذا شرب أحدكم قائماً فليستقئ»[(١)].

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذا منسوخ؛ لأن الرسول ﷺ شرب قائماً مرات كثيرة ولم يستقئ، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ أكثر الناس امتثالاً، فلعله منسوخ، أو وهم من بعض الرواة.

س: بعض الناس يقول: إنه لا يجوز الشرب قائماً.

ج: لا، غلط، شرب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قائماً وقاعداً[(٢)]. والشرب قائماً جائز، ولكن قاعداً أفضل؛ لأنه ثبت عن الرسول ﷺ هذا وهذا. والقاعدة أنه إذا أمر بشيء ثم فعل خلافه فهو يدل على أن الأمر ليس للوجوب بل للأفضلية.

س: التدرب على السلاح أو الأمور التي فيها شيء من أسباب القوة والتي لا يمكن أن يعرفها المسلم إلا من طريق الكفار، فهم الذين يدربونه، ولا يمكن أن يعلموا المسلم إلا إذا اكتسب شيئاً من أخلاقهم، فهل هذا يسوغ شرعاً؟

ج: ليس بلازم، فما يجوز إلا أن يدربوه على السلاح وأن يستعين بهم بالسلاح، مثلما يستفيد من صناعاتهم، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فالحمد لله =

(١) رواه مسلم بنحوه (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الأشربة (١٨٨٣).

....

= لهم دينهم وله دينه.

فإن دعت الحاجة إلى أن يدربوا ولا يوجد مسلمون يدربون، فهذا من باب الاستعانة بالشيء الذي عرفوه مثلما استعار النبي ﷺ السلاح من كفار قريش، قالوا: أغصباً يا محمد، فقال: «بل عارية مضمونة»(١). فاستعان به على قتال أهل الطائف، ولم يمنعه من ذلك كونهم كفاراً.

فالحاصل أنه إذا استعان بشيء من أمور الكفرة للحاجة فلا بأس، فالتدرب من الاستعانة، فإذا لم يكن في المسلمين من يعرف هذا السلاح، فيأتون بالكافر بصفة مؤقتة ليعلم الناس هذا السلاح حتى يستفيدوا ويعرفوا فلا حرج.

وإن قدرنا أنه محرم فهو من باب ارتكاب أدنى المفسدتين لاجتناب أكبرهما، فجهل المسلم بالسلاح الذي يقاتل به عدوه مفسدة كبرى، وتقريب الكافر واستئجاره ليعلم ويفيد الناس، فهذا وإن كان فيه بعض المفسدة، لأن الناس قد يتعلمون من أخلاقهم، أو قد يعرفون بعض العورات أو كذا، لكنها مفسدة صغرى بالنظر إلى ما يترتب على التعليم من المصالح الكبرى.

وأيضاً من باب استئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط الديلي للدلالة =

---

(١) أخرجه أبو داود: البيوع (٣٥٦٣).

....

= على المدينة لما احتاج إليه النبي ﷺ، وكان مشركاً على دين قريش[(١)]، ولكن لما عرف أنه ناصح، وأنه يريده في الطريق استأجره النبي ﷺ، وذهب معه إلى المدينة للحاجة.

س: في حال أنه لا بد من دخول إحدى المدارس العسكرية، ولها نظامها وما تحتوي عليه من ناحية الصور والإشارة بالأكف واللباس المخالف للشرع والإلزام بحلق اللحى وغير ذلك؛ فما حكم ذلك؟

ج: والله ما فيها إلزام للناس بحلق اللحى، ثم لو قدرنا أن الإنسان قد يبتلى بمثل هذه الأشياء فلينظر إلى المفاسد أيها أكبر، فلينظر إلى ارتكاب الدنيا لتفادي الكبرى؛ على القاعدة الشرعية.

فإذا كان الأمر داعياً إلى التدرب، ولا حيلة إلا من طريق المدارس العسكرية فلا مانع، وليلتزم بالحق الذي يستطيعه، حتى يعرف السلاح الذي ينبغي أن يقاتل به عدوه.

وإذا وجد من المسلمين من يقوم بهذا كفى، وقد وجد الآن من يكفي لهذا، فمن المسلمين من تدربوا وعرفوا، فالإنسان الذي يكون في الحالة المناسبة للتدرب وقد تكون هناك ساحات في الصحراء، ويطلب الضباط الجيدون والناس العالمون الطيبون ليدربوا الشباب، فليس النظام الخاص الذي أشرت إليه بلازم، والله المستعان.

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٩٧.

۞ وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّ مَن قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» وهو مشركٌ أنه يُقاتَلُ حتى يأتيَ بالتوحيد.

ذكر التنبيه على كلام العلماء في ذلك؛ فإن الحاجةَ داعيةٌ إليه لدفع شُبَهِ عُبّادِ القبورِ في تعلُّقِهم بهذه الأحاديث وما في معناها؛ مع أنها حجةٌ عليهم بحمد الله، لا لهم[1]. [٤٤]

[شرح٤٤] المصيبة هي سوء الفهم عن الله، إن ما أصاب الناس ودهاهم سوء الفهم عن الله؛ حتى ظنوا ما هو حجة عليهم حجةً لهم، وتعلقوا بظواهر بعض الأحاديث التي هي حجة عليهم لا لهم، في شركهم وكفرهم بالله، وتعلقهم بالأنبياء والأولياء وغير ذلك، ولو عقلوا لفهموا الحق، ولكن المصيبة عدم العقل وعدم الفهم.

---

(١) ص٩٦.

۞ قال أبو سُليمانَ الخطابيُّ في قولِه: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولُوا: لا إلهَ إلا اللهُ»[1]: معلوم أن المرادَ بهذا أهلُ الأوثانِ دونَ أهلِ الكتابِ؛ لأنهم يقولون: «لا إلهَ إلا اللهُ» ثم يُقاتَلون، ولا يُرفَع عنهم السيفُ[2]. [٤٥]

[شرح٤٥] أبو سليمان الخطابي هذا صاحب «معالم السنن» على «سنن أبي داود»، واسمه حَمْد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، من أهل المئة الرابعة*.

وقوله: «ولا يرفع عنهم السيف» أي: أهل الكتاب، ومقصود الخطابي في قول النبي ﷺ: أن عباد الأوثان هؤلاء الذين يمتنعون من قول: «لا إله إلا الله»، إذا قالوها كف عنهم حتى ينظر في أمرهم، ويحكم بإسلامهم، أما أهل الكتاب فهم يقولونها، ولا يمنعهم ذلك، ولا يرفع عنهم السيف حتى يلتزموا بنبوة محمد ﷺ والدخول في دينه، أو يعطوا الجزية، يعني: أهل الكتاب اليهود والنصارى.

---

* س: حَمْد أم حَمَد؟ =

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٢٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢).

(٢) ص٩٦.

....

= ج: حَـمْد بالتسكين؛ وهو أول من نعرفه يسمى بحَمْد أو حَـمَد، فالمشهور في الأسماء القديمة أحمد، ولكن قد يقال:حَـمْد، وقد يقال: حَـمَد، لكن في الشعر حَـمْد كما ذكره العراقي، على وجه التسكين؛ لأن الشعر لا يستقيم إلا بالتسكين.

۞ وقال القاضي عِيَاض: اختصاصُ عَصمِ المالِ والنفسِ لمن قال: «لا إلهَ إلا اللهُ»، تعبير عن الإجابةِ إلى الإيمانِ، وأن المرادَ بذلك مشرِكُو العربِ وأهلِ الأوثانِ ومن لا يُوحِّد، وهم كانوا أولَ من دُعِيَ إلى الإسلام، وقُوتِل عليه، فأما غيرُهم ممن يقرُّ بالتوحيدِ فلا يُكتَفَى في عصمتِه بقوله: «لا إلهَ إلا اللهُ» إذ كان يقولها في كفرِه، وهي من اعتقادِه، فلذلك جاء في الحديثِ الآخر: «ويُقيمُوا الصلاةَ ويُؤتُوا الزكاةَ»[1].

وقال النوويُّ: لا بُدَّ مع هذا من الإيمانِ بجميع ما جاءَ به رسولُ الله ﷺ، وكما جاءَ في الروايةِ الأُخرى: «ويُؤمنوا بي وبما جئتُ به»[2] .

وقال شيخُ الإسلامِ لما سُئلَ عن قتالِ التتارِ مع التمسُّك بالشهادتينِ، ولِـما زعموا من اتِّباع أصلِ الإسلامِ، فقال: كلُّ طائفةٍ ممتنعةٌ من التزامِ شرائعِ الإسلامِ الظاهرةِ المتواترةِ من هؤلاء القومِ أو غيرِهم، فإنه يجبُ قتالُهم حتى يلتزموا =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٢٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢١).

= شرائعَه، وإن كانوا مع ذلك ناطقينَ بالشهادتينِ، ملتزمينَ بعضَ شرائِعه، كما قاتلَ أبو بكر والصحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ مانعي الزكاةِ، وعلى ذلك اتفقَ الفقهاءُ بعدَهم.

قال: فأيُّما طائفةٌ ممتنعةٌ؛ امتنعَت عن بعضِ الصلواتِ المفروضاتِ، أو الصيامِ، أو الحجِّ، أو عن التزامِ تحريمِ الدماءِ، أو الأموالِ، أو الخمرِ، أو الميسرِ، أو نكاحِ ذواتِ المحارمِ، أو عن التزامِ جهادِ الكفارِ، أو ضربِ الجزيةِ على أهلِ الكتابِ، أو غيرِ ذلك من التزامِ واجباتِ الدِّينِ، أو محرماتهِ التي لا عُذرَ لأحدٍ في جحودِها أو تَركِها، التي يُكفَّر الواحدُ بجحودِها، فإن الطائفةَ الممتنعةَ تُقاتَلُ عليها وإن كانت مُقِرّةً بها، وهذا مما لا أعلمُ فيه خلافاً بين العلماء.

قال: وهؤلاء عندَ المحققينَ من العلماءِ ليسوا بمنزلةِ البُغاةِ، بل هم خارجون عن الإسلامِ بمنزلةِ مانعي الزكاةِ، ومثلُ هذا كثيرٌ في كلامِ العلماءِ، والمقصودُ التنبيهُ على ذلك.

ويكفي العاقلَ المنصفَ ما ذكرهَ العلماءُ من كلِّ مذهبٍ في بابِ حُكمِ المرتدِّ، فإنهم ذكروا فيه أشياءَ كثيرةً يُكفَّر بها =

= الإنسانُ، ولو أتَى بجميع الدِّين، وهو صريحٌ في كفرِ عُبّادِ القبورِ، ووجوبِ قتالِهم إن لم ينتهوُا حتى يكونَ الدينُ لله وحدَه.

فإذا كان من التزمَ شرائعَ الدِّينِ كلَّها إلا تحريمَ الميسرِ أو الربا أو الزنَى يكون كافراً يجبُ قتالُه، فكيف بمن أشركَ بالله ودُعِي إلى إخلاصِ الدِّينِ لله، والبراءةِ والكفرِ بمن عُبِدَ غيرَ الله، فأبَى عن ذلك، واستكبرَ، وكان من الكافرين.

قولُه: (وحسابُه على الله) أي: إلى الله تباركَ وتعالى، هو الذي يتولَّى حسابَه، فإن كان صادقاً من قلبِه جازاه بجناتِ النعيمِ، وإن كان منافقاً عَذَّبَه العذابَ الأليمَ، وأما في الدنيا فالحكمُ على الظاهرِ، فمن أتى بالتوحيدِ والتزمَ شرائعَه ظاهراً، وجبَ الكفُّ عنه حتى يتبينَ منه ما يخالفُ ذلك، واستَدلَّ الشافعيةُ بالحديث على قَبولِ توبةِ الزِّنديقِ، وهو الذي يُظهِر الإسلامَ ويُسِرُّ الكفرَ.

والمشهورُ في مذهب أحمدَ ومالكٍ أنها لا تُقبَلُ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]، =

= والزِّنديقُ لا يتبيَّنُ رجوعُه؛ لأنه مُظهِرٌ للإسلامِ مُسِرٌّ للكفرِ، فإذا أظهرَ التوبةَ لم يَزِد على ما كان منه قبلَها.

والحديثُ محمولٌ على المشركِ، ويتفرعُ على ذلك سقوطُ القتلِ وعدمُه، أما في الآخرةِ فإن كان دخلَ في الإسلامِ صادقاً قُبِلَت[1]*.

---

* أحد الطلبة: ليس عندي قوله: (دخل في الإسلام).

الشيخ: والمراد بقوله: «فإن كان صادقاً» في توبته؛ أي: الزنديق، أي: بينه وبين الله إن كان صادقاً فهي مقبولة، إنما هذا في الحكم الظاهر بين الناس.

(١) ص٩٦-٩٧.

۞ وفيه: وجوبُ الكَفِّ عن الكافر إذا دخلَ في الإسلام ولو في حالِ القتالِ؛ حتى يتبيَّنَ منه ما يُخالفُ ذلك.

وفيه: أن الإنسانَ قد يقول: «لا إلهَ إلا اللهُ» ولا يكفرُ بما يُعبَد من دونِ الله.

وفيه: أن شرطَ الإيمانِ الإقرارُ بالشهادةِ، والكفرُ بما يُعبَد من دونِ الله، مع اعتقادِ ذلك، واعتقادِ جميع ما جاءَ به الرسولُ ﷺ.

وفيه: أن أحكامَ الدنيا على الظاهرِ، وأن مالَ المسلمِ ودمَه حرامٌ إلا في حقٍّ، كالقتلِ قِصاصاً ونحوِه، وتغريمِه قيمةَ ما يُتلِفُه.

قولُه: (وشرحُ هذه الترجمة[1] ما بعدَها من الأبوابِ) يعني: أن ما يأتي بعدَ هذه الترجمةِ من الأبوابِ شرحٌ للتوحيدِ، وشهادةِ «أن لا إلهَ إلا اللهُ»؛ لأن معنَى التوحيدِ =

(١) يعني باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، انظر ص٥٩، وكان الأولى أن يقول: قال المصنفُ: (وشرح هذه الترجمة...) بدل: قوله: (وشرحُ هذه الترجمة...)، لأنه لم يسبق ذكر ذلك.

= وشهادةِ «أن لا إلهَ إلا اللهُ»: أن لا يُعبَدَ إلا اللهُ، ولا يُعتَقدَ النفعُ والضرُّ إلا في الله، وأن يُكفَرَ بما يُعبَدُ من دونِ الله، ويُتبرَّأَ منها ومن عابديها.

وما بعدَ هذا من الأبوابِ بيانٌ لأنواعٍ من العباداتِ والاعتقاداتِ التي يجبُ إخلاصُها لله تعالى، وذلك هو معنى التوحيدِ وشهادةِ «أن لا إلهَ إلا اللهُ»، والله أعلم*.

---

* س: هل البنوك الربوية استحلال لما حرم الله؟

ج: الاستحلال شيء، والفعل شيء ثان، قد يكون استحلالاً، وقد يكون فعلاً من الاستحلال وطاعةً للهوى والشيطان.

فالواجب منعهم مطلقاً، ولو قالوا: إنهم غير مستحلين، ليس هذا شرط الاستحلال، المقصود أن فعل الربا يجب أن يمنع مطلقاً ولو قالوا: إننا غير مستحلين، وأما جنس استحلال الربا محرم مطلقاً، ولو لم يفعله، فإذا استحل الربا أو الزنى ولو لم يفعله فهو كافر، لكن إذا فعله فهو محل تفصيل، إذا ما استحله أوفعله من أجل الهوى والطمع في المال أو غير ذلك.

س: لو كان الفعل من قبل النصارى في استحلال الربا؟

ج: هذا من فروع دينهم فأولاً يطالبون بالدخول في الإسلام، وإنما الكلام في هذا المجال مع المسلمين فقط. =

....

= س: يقول الشيخ «عدم التزام تحريم الدماء أو الأموال، أو الخمر أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم... إلخ»؛ على كل حال « أو عن التزام جهاد الكفار»؛ أي: ما المانع من ترك الجهاد؟

ج: إذا كان هذا وجهاً من وجهات الشبه ـ إذا كان له شبه ـ فلا مانع من ذلك، لأنه قد يكون هناك شبه مثل العجز عن الجهاد، وعدم القدرة على الجهاد، وعدم التمكن من الجهاد، أما إذا كان لجحد الشرعية وأنه جاحد للجهاد فهذا يكون ردةً. فالترك يجب أن يكون له أسباب، إذا كان الترك لإنكار الشريعة، أي: شرعية الجهاد هذا يكون كفراً، أما إذا كان الترك لشبهة، إما لعجز أو ضعف أو جبن فلا يكون كفراً بل قصاراه أن يكون معصيةً، لأن ترك الواجبات يختلف.

باب من الشرك لُبسُ الـحَلْقةِ والخيطِ ونحوِهما لرفع البلاء أو دفعه

۞ رفع البلاء: إزالتُه بعدَ حصولِهِ، ودَفعُه: منعُه قبلَه، ومن هنا ابتدأ المصنف في تفسير التوحيد وشهادة «أن لا إلهَ إلا اللهُ» بذكرِ شيءٍ مما يُضادُّ ذلك من أنواعِ الشِّركِ الأكبرِ والأصغرِ(١). [٤٦]

[شرح٤٦] ابتدأ بالتفصيل، أي: بالأمور التفصيلية، وإلا فالكتاب كله من أوله بيان للتوحيد والشرك، من الأول كله بيان للتوحيد وضده، ولكن هذه الأضداد فيها بعض التفاصيل بالتنويع.

---

(١) ص٩٨.

۞ فإن الضَّدَّ لا يُعرَفُ إلا بضدِّه، كما قِيل:

وبضدِّها تتبيَّن الأشياءُ[1] [٤٧]

[شرح٤٧] أصل البيت:

والضدُّ يُظهِرُ حُسنَه الضدُّ   وبضدِّها تتميزُ الأشياءُ

ضدّانِ لما استجمعا حَسُنا   والضدُّ يُظهِرُ حُسنَه الضدُّ

---

(١) ص٩٨.

۞ فمن لا يعرفُ الشركَ لا يعرفُ التوحيدَ وبالعكسِ، فبدأ بالأصغرِ الاعتقادي انتقالاً من الأدنَى إلى الأعلَى فقال: وقولُ الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٨].

قال ابنُ كثيرٍ في تفسيرِها: أي: لا تستطيعُ شيئاً من الأمرِ ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٣٨] أي: اللهُ كافٍ مَن توكَّلَ عليه، وعليه يتوكل المتوكلون، كما قال هودٌ عليه السلام حين قال له قومُه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٤-٥٦].

قلت: حاصلُه أن الله تعالى أمرَ نبيَّه ﷺ أن يقولَ للمشركينَ: (أرأيتم) أي: أخبروني عما تَدعُونَ من دونِ الله، أي: تعبدُونَهم وتسألونَهم من الأندادِ والأصنامِ والآلهةِ المُسمَّياتِ بأسماءِ الإناثِ، الدالَّةُ أسمؤهنَّ على بُطلانِهنَّ وعَجزِهنَّ، لأن الأنوثةَ من باب اللينِ والرَّخاوَةِ =

= كاللاتِ والعُزَّى.

﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: بمرضٍ أو فقرٍ أو بلاءٍ أو شدَّةٍ ﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ أي: لا يقدرون على ذلك أصلاً ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ أي: صحة وعافية وخير وكشف بلاء ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾.

قال مقاتلٌ: فسألَهُمُ النبيُّ ﷺ فسكتُوا، أي: لأنهم لا يعتقدُون ذلك فيها، وإنما كانوا يَدعُونها على معنى أنها وسائطُ وشفعاءُ عندَ الله، لا لأنهم يكشفونَ الضُّرَّ، ويجيبونَ دعاءَ المضطَرِّ، فهم يعلمون أن ذلك لله وحدَه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣-٥٤].

وقد دخلَ في ذلك كلُّ مَن دُعِي من دونِ الله من الملائكةِ والأنبياءِ والصالحينَ؛ فضلاً عن غيرِهم، فلا يقدرُ أحدٌ على كشفِ ضُرٍّ ولا إمساكِ رحمةٍ، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ =

= ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢][1]. [٤٨]

[شرح٤٨] وهذا من باب تقرير توحيد العبادة لبيان بطلان ما يتعلق بتوحيد الربوبية، فإنهم معترفون بأن الله ربهم ورازقهم ومدبر أمورهم، وأنه كاشف الضر وجالب النفع، ولهذا في حال الشدائد يخلصون لله العبادة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

فهم يعرفون أن الشدائد لا يمكن التخلص منها إلا من الله ﷻ، هو الذي يخلص من الشدائد والكروب.

فهذا شيء يعرفونه وهو تفرده بالتدبير والخلق والرزق والتصرف في الأمور ﷻ، فلهذا يعتبرون آلهتهم شفعاء ووسائط، فاحتج عليهم بالشيء الذي يقرون به من توحيد الربوبية ويعرفونه ويعلمونه على ما أنكروا من توحيد العبادة والتنديد.

فالمقصود أن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، حجة قائمة على المشركين فيما أشركوا فيه غير الله من أصنام وأوثان وملائكة وغير ذلك، وأن الذي عبدوه في الشدائد، وأقروا بأنه =

---

(١) ص٩٩.

....

= المالك لكل شيء، هو المستحق لأن يعبد في الرخاء، ويخص بالعبادة في الرخاء كالشدة سواء؛ لأنه قائم في الحالين، وهو منفرد في الحالين بالتصرف في الأمور، وأن هؤلاء الشفعاء إنما ينفعون إذا رضي وأذن لهم في الشفاعة وبغير ذلك لا يشفعون.

فلو شفعوا كلهم جميعاً ولم يرد ذلك، ولم يأذن لهم بالشفاعة، ولم يوكلهم للشفاعة، ولم يرض بشفاعتهم، ما نفعت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]*.

---

* س: (فسألهم النبي ﷺ فسكتوا) أي: الآلهة، ما الحديث الذي ورد في هذا؟

ج: سأل المشركين أي: أهل الشرك، لما ألقى عليهم السؤال سكتوا؛ لأنهم يعرفون أنهم لا جواب لهم، هذا قول مقاتل وهو تابعي؛ فهو مرسل، لكن آيات القرآن كلها دالة على أنهم مقرون بهذا الشيء، ولهذا قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

فنص القرآن ذكر أنهم أقروا بهذا، فالقرآن موضح لهذا ويبين ما قالوه، نفس القرآن يبين أنهم مقرون بهذا الشيء وليس عندهم جحد له. =

....

= فمقاتل أخذ هذا من نفس القرآن، أي: أخذ (وسكتوا) من دلائل القرآن، ولكن في الحقيقة هم لم يسكتوا بل أقروا أي: أقروا، بأنه المتصرف في الكون ـ جل وعلا ـ وأن هذه الآية لا تنفع، ولا تكشف ضراً ولا تجلب نفعاً، بل هذا كله لله وحده، ولهذا ذكر عنهم سبحانه أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

فقول مقاتل في المعنى ضعيف، بل هم مقرون ومعترفون بأن الله هو المتصرف في الكون ﷻ، فليس مجرد سكوت بل اعتراف﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

۞ وإذا كان كذلك بطلَت عبادتُهم من دونِ الله، وإذا بطلَت عبادتُهم فبُطلانُ دعوةِ الآلهةِ والأصنامِ أَبطَلُ وأَبطَلُ[١]. [٤٩]

۞ ولُبسُ الحَلْقَةِ والخيطِ لرفعِ البلاءِ أو دَفعِه كذلك، فهذا وجهُ استدلالِ المصنفِ بالآية، وإن كانت الترجمةُ في الشِّركِ الأصغرِ، فإن السلفَ يَستدلُّون بما نزلَ في الأكبرِ على الأصغرِ، كما استدلَّ حذيفةُ وابنُ عباسٍ وغيرُهما[٢]. [٥٠]

[شرح٤٩] أي: إذا بطلت عبادة الأنبياء والملائكة والصالحين والأخيار، فبطلان عبادة الأصنام أبطل، وأبطل، أي: أظهر في المعنى.

[شرح٥٠] استدل حذيفةُ وابنُ عباس بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، فعن ابن عباس، قال: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله وهم مع هذا يعبدون غيره[٣]، ودخل حذيفة على مريض فرأى في عضده =

---

(١) ص٩٩.

(٢) ص٩٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٣٤).

....

= سيراً فقطعه أوانتزعه ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][1]، فحذيفة استدل بذلك من الخيط على الحمى وقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

وابن عباس استدل بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر في قوله جل وعلا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] احتج بهذا على الحلف بغير الله أن تقول: (وحياتي) (وحياتك)[2] وغير ذلك، فاحتج به على أنواع من الشرك الأصغر.

وما هذا إلا لأن الشرك على نوعين كلاهما يسمى شركاً، وكلاهما يسمى محرماً، فلما اجتمع في جنس التحريم جنس الشرك، ساغ للمستدل أن يستدل بالآيات التي دلت على الأكبر على ما هو من الأصغر بهذا الجامع؛ جامع الشرك وجامع التحريم، وإن كان الشرك الأكبر أعظم من الأصغر بوجوه، لكن كلاهما يسمى شركاً، وكلاهما محرم، وكلاهما من أسباب غضب الله، ومن =

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٩).

....

= أسباب العذاب.

فلما اجتمعت هذه الأمور ساغ أن يستدل بالآيات والنصوص التي في الأكبر على الأصغر للتنفير والتحذير.

ولبس الحلقة والخيط ونحوهما كالتميمة، وتعليق مسمار أو عظام أو ما أشبه هذا من هذا الباب؛ لأنه يجره إلى الأكبر، إذا اعتقد في هذه الأشياء أنها تنفعه، وأنها تسبب زوال المرض وما أشبه ذلك، فقد يجره ذلك إلى اعتقاد ما هو أعظم من الشرك الأكبر، من عبادة الأموات والأصنام والأشجار والأحجار، فحرم هذا لما فيه من تعليق القلوب بغير الله، ولما فيه من كونه يجره إلى عبادة غير الله ووقوع الشرك الأكبر. ولهذا جاء النهي عن التمائم وتعليقها وأنها من الشرك، وينهى عن تعليق الأوتار على الدواب؛ لأن هذا كله يجر إلى الشرك وإلى تعلق القلوب بغير الله ﷻ.

۞ وكذلك مَن جعلَ رؤوس الحُمرُ ونحوها في البيتِ والزرعِ لدفعِ العينِ، كما يفعلُه أشباهُ المشركين، فإنه يدخلُ في ذلك[1]. [٥١]

[شرح٥١] من يقوم بتعليق رؤوس الحمير في المزرعة أو في البيت، أو رؤوس الذئاب أو رؤوس الأسود أو أشباه ذلك، ويقول: تفعل كذا وكذا، فهذا من جنس تعليق الحلقة والخيط.

---

(١) ص٩٩.

۞ وقد يحتجُّون على ذلك بما رواه أبو داود في «المراسيل»، عن عليٍّ بنِ الحسينِ مرفوعاً «احرُثوا فإن الحَرثَ مباركٌ، وأكثِروا فيه من الجماجِمِ»(١)، وعنه أجوبةٌ:

أحدها: أنه حديثٌ ساقطٌ مرسلٌ، وأبو داود لم يشترط في «مراسيله» جمعَ المراسيلِ الصحيحةِ الإسنادِ، وقد ضعَّفَه السيوطيُّ وغيرُه(٢). [٥٢]

[شرح٥٢] إذا ضعفه السيوطي مع تساهله فكيف يكون حاله؟! إذا ضعفه السيوطي فهو من أسقط الأشياء، ثم لو صح سنده فهو مرسل، والمرسل لا حجة فيه على الصحيح، ثم الجماجم أمر ليس بواضح كما سيأتي.

فالحاصل أن هذا الأثر على أي وجه لا حجة فيه في جعل رؤوس الحمر أو ما أشبه ذلك في الحرائث أو في البيوت أو غير ذلك، الحاصل أن الواجب على المؤمن أن يكون دائماً معلقاً قلبه بالله، متوكلاً عليه، آخذاً بالأسباب المباحة والأسباب الشرعية، أما =

---

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٥٤٠).

(٢) ص٩٩-١٠٠.

....

= أن يأتي بأسباب لا أصل لها، أو بأسباب منكرة، هذا لا يجوز للمسلم،وإنما يتعاطى الأسباب المباحة، والأسباب المفيدة، والأسباب النافعة، أما الأسباب التي أنكرها الشرع أو تفضي إلى الشرك فذلك لا يجوز*.

---

* س: هل المرسل لا يكون حجة بدون تفصيل؟

ج: هذا هو الصحيح، الصواب لا يكون حجة إلا إذا جاء ما يعاضده.

س:إذا صار الحديث ضعيفاً ومرسلاً؟

ج: إرساله ضعف.

س: إذا كان حديث من طريقين، أتى من طريق مرسل وطريق ضعيف؟

ج: لا ينفع، إذ لا بد أن يكون الضعيف أو ما يشبهه يحسن أن يقوى به المرسل؛ حتى يكون من باب الحسن لغيره، وأما إذا كان ضعيفاً ضعفاً شديداً لا ينجبر بالمرسل فلا ينفع.

والحاصل أنه لا بد أن يكون ضعيفاً ضعفاً خفيفاً حتى ينجبر، كما قال العراقي:

فإنْ يُقَلْ: يُحتجُّ بالضعيفِ فَقُلْ: إذا كان مِن الموصوفِ
رواتُه بسوءِ حفظٍ يُجبَرُ بكونِهِ من غيرِ وجهٍ يذكَرُ =

....

= فالحاصل أنه إذا كان ضعفه ضعفاً خفيفاً لسوء حفظ، وجاء حديث مرسل يعضده، أو جاء حديث آخر فيه سوء حفظ، فإنه ينجبر به.

ويكون هذا في الأمور التي لا تخالف نصاً أصح منه، ولا قاعدة أصح منه، بل يكون في شيء مستقل ليس فيه معارض، وهذا يكون من قبيل المقبول في القسم الرابع؛ لأن المقبول أقسام أربعة:

الأول: الصحيح لذاته.

الثاني: الصحيح لا لذاته.

الثالث: الحسن لذاته.

الرابع: الحسن لا لذاته بل بالجبر.

فيكون هذا الحديث المنجبر بالدرجة الرابعة، إذا سلم من المعارضة من الأقسام الثلاثة الأولى، فإذا كان هناك من الأقسام الثلاثة الأولى ما يعارضه لم يلتفت إليه.

۞ الثاني: أنه اختُلِفَ في تفسيرِ الجماجمِ فقيل: هي البَذرُ، ذكَرَهُ العَزِيزي في «شرح الجامع» وقيل: الخشبةُ التي يكونُ في رأسِها سِكَّةُ الحَرْثِ(١)، قاله أبو السَّعاداتِ بنُ الأثيرِ في «النهاية».

وقيل: هي جماجمُ رؤوسِ الحيوانِ. ذكره العَزيزيُّ وغيرُه. وعلى هذا فقيل: أَمَرَ بجعلِها لِدَفعِ الطَّيرِ. ذكَرَهُ العزيزيُّ وغيرُه، وهذا هو الأقربُ لو ثبتَ الحديثُ مع أنه باطلٌ.

وقيل: بل لدفع العَينِ، وفيه حديثٌ ساقطٌ: أَنَّه أمرَ بالجماجمِ في الزَّرعِ من أجلِ العينِ(٢)، وهو مع ذلك منقطعٌ. ذكره السيوطيُّ وغيرُه، وهذا المعنَى هو الذي تعلَّق به أشباهُ المشركينَ(٣). =

---

(١) يعني: المساحي وأشباهها.

(٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٥٤١).

(٣) هذا البحث حذفه الشيخ عبد الرحمن من «فتح المجيد»، كأنه رأى أنه لا حاجة إليه فحذفه وهو بحث مفيد طيب.

= ولا ريب أنه معنًى باطلٌ لم يردهُ النبيُّ ﷺ لو كان الحديثُ صحيحاً، وكيف يريدهُ وقد أَمرَ بقطع الأوتارِ كما في «الصحيح»[١]، وقال: «مَن تَعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه»[٢]. وقال: «مَن تَعلَّقَ وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له»[٣].

وكانوا يجعلُون ذلك مِن أجلِ العينِ كما سيأتي، فهلّا أرخَصَ لهم فيه!

الثالث: أن هذا مضادٌّ لدينِ الإسلامِ الذي بعثَ اللهُ به رُسُلَه، فإنه تعالى إنما أرسلَ الرسلَ، وأنزلَ الكُتُبَ، لِيُعبَدَ وحدَه، ولا يُشرَكَ به شيءٌ لا في العبادةِ ولا في الاعتقادِ، وهذا من جنسِ فعلِ الجاهليةِ الذين يعتقدون البركةَ والنفعَ والضَّرَّ فيما لم يجعلِ اللهُ فيه شيئاً من ذلك، ويُعلِّقون التمائمَ والوَدَعَ ونحوَهما على أنفسِهم لدفعِ الأمراضِ والعينِ فيما زَعمُوا. =

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٥)، ومسلم: اللباس والزينة (٢١١٥).
(٢) أخرجه النسائي: تحريم الدم (٤٠٧٩).
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤).

= فإن قيل: الفاعلُ لذلك لم يعتقِدِ النفعَ فيه استقلالاً، فإن ذلك لله وحدَه فهو النافعُ الضّارُّ، وإنما اعتقدَ أن اللهَ جعلَه سبباً كغيره من الأسبابِ، قيل: هذا باطلٌ أيضاً، فإن اللهَ لم يجعَل ذلك سبباً أصلاً، وكيف يكون الشِّركُ سبباً لجلبِ الخيرِ ولدفع الضرِّ، ولو قُدِّرَ أن فيه بعضَ النفعِ فهو كالخمر والميسر ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩][1]. [٥٣]

[شرح٥٣] يعني: كون بعض الشركيات قد يحصل بها نفع، لا يسوغها ولا يجعلها هذا جائزةً، فإن ما عظم ضرره وغلب شره وجب منعه، فكون المستعين برؤساء الجن ـ مثلاً ـ ينفعه ذلك في أنهم قد يمنعون سفهاءهم من ضره، لا يدل على الجواز؛ لأن ما ترتب على ذلك من عبادة الجن، والخضوع لهم، ودعائهم والاستغاثة بهم أكبر وأعظم، فإنه يوقع في الشرك الأكبر، فلا يليق أن يقال: ما قد يحصل من نفع يسير يسوّغ الشر الكثير.

فكثير من الأمور الشركية يحصل لأهلها بها منافع، فعباد الجن =

---

(١) ص١٠٠.

....

= الذين يعبدونهم، ويستعينون بهم، قد يحصل لهم بذلك أشياء، فقد يأتون لهم بأشياء يسرقونها من ثياب وحيوانات، فقد ينفعونهم في أشياء، لكن هذا لا يسوغ أن يعبدوا من دون الله، ولا يدعوا من دون الله، ولا يستعان بهم من دون الله.

وكذلك عباد الأصنام قد تكلمهم الجن من أصنامهم، وقد تقضي بعض حوائجهم، وهذا أمر معلوم، فلا يكون هذا سبباً للجواز، ولا يدل على الجواز.

فالمقصود أن الله جل وعلا حمى عباده من الشرك، لما يترتب من الأضرار العظيمة، من صرف القلوب إلى غير الله، واعتمادها على غير الله، وسؤالها غير الله، واستعانتها بغير الله، فأمر العباد سبحانه بأن يوجهوا قلوبهم إليه، وأن يعتمدوا عليه ﷻ وأباح لهم من الأسباب الطيبة والوسائل الطيبة ما يغنيهم عن الوسائل الشركية، وعما هو سبب لكفرهم ووقوعهم فيما حرم الله تعالى عليهم.

فالوسائل المباحة مغنية وكافية عما حرم الله، كما أن الأطعمة المباحة والأشربة المباحة، والملابس المباحة، كافية ومغنية عما =

....

= حرَّم الله من المطاعم والمشارب والملابس، فما حرم شيئاً إلا أباح ما يقوم مقامه ويغني عنه ﷻ.

۞ فإن قِيل: كيف يكونُ شِركاً وقد روَى أبو داود ذلك في «مراسيله» وغيرُه من العلماء يروون الحديثَ ولم ينكره؟

قيل: أهلُ العلم يروون الأحاديثَ الضعيفةَ والموضوعةَ لبيانِ حالِها وإسنادِها، لا للاعتمادِ عليها واعتقادِها، وكُتُبُ المحدثينَ مشحونةٌ بذلك، فبعضُهم يذكر علَّةَ الحديثِ ويُبيِّنُ حالَه وضعفَه إن كان ضعيفاً، ووضعَه إن كان موضوعاً، وبعضُهم يكتفي بإيرادِ الحديثِ بإسنادِه، ويرَى أنه قد بَرِئَ من عُهدَتِه إذا أوردَه بإسنادٍ لظهورِ حالِ رواتِه، كما يفعلُ ذلك الحافظُ أبو نُعَيم، وأبو القاسم بنُ عساكرٍ وغيرُهما(١). [٥٤]

[شرح٥٤] ثم أيضاً قد يروون ذلك ويقصدون من هذا جمع الأحاديث الواردة والعناية بأسانيدها، ثم النظر بعد ذلك، وقد يكون الحافظ المحدث حين يروي السند ليس عنده العلم الكافي بإسناده ورجاله، ولكن أراد أن يحفظه ويقيده أولاً، ثم ينظر بعد =

---

(١) ص١٠٠-١٠١.

....

= هذا في إسناده وصحته وضعفه ووضعه ونحو ذلك.

وهذا واقع عند الطبراني وأبي نعيم والبيهقي والدارقطني، وجمع لا يحصون، يجمعون الأحاديث ويجتهدون في جمعها وفي تقييدها، وكذا فعل أحمد وأبو يعلى والشافعي وغيرهم.

ثم يكون بعد هذا النقد، فقد يجمعونها ثم يضربون على بعضها، ويشطبون على بعضها، وقد يبينون بعد الرواية أنه لا يصح من هذا الطريق، إلى غير ذلك.

فالمقصود أن جمعها شيء والاحتجاج بها شيء آخر، ثم جمعها شيء ونقدها وبيان ضعفها شيء آخر، فلا يلزم من ذكر الحديث في كتاب أنه صحيح، فالبيهقي في «السنن الكبرى» جمع ما لا يحصى من ضعيف وصحيح، وغير ذلك، والدارقطني كذلك، والطبراني في «المعاجم» جمع أشياء كثيرة، وحتى «مسند أحمد» رحمه الله لا يخلو من أشياء ضعيفة مع جلالة مؤلفه وحفظه وعنايته إلى غير ذلك.. بل إن البخاري نفسه في غير «الصحيح»، وكذلك مسلم نفسه في غير «الصحيح»، لم يلتزما الصحة، بل جمعا كما في «الأدب المفرد» =

....

= للبخاري وغيره، وكذلك أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وغيرهم.

فالحاصل أن هذه الكتب حرص أهلها ـ رحمة الله عليهم ـ على جمع الروايات، ثم كانوا ينقدونها بعد ذلك؛ ينقدونها في نفس الكتاب أو في كتاب آخر وضع لهذا الشيء، أو ينقدها غيرهم إذا لم يتيسر نقدهم لها لأسباب اقتضت ذلك، من اخترام المنية قبل أن يوضحوا، أو من جهل بعضهم لحال الإسناد، أو لم يتوفر لديه ما يوضح به الإسناد، فيأتي غيره ويوضح، إلى غير ذلك مما هو معلوم من كتب أهل الحديث.

فذكر أبو داود في «المراسيل»: «وأكثروا فيه من الجماجم» لا يلزم منه أنه يرى صحة ما ذهب إليه عباد القبور، أو من أجاز الوسائل الشركية، لا يلزم، فهو جمع الروايات التي حصلت له من المراسيل لينقدها، أو لينقدها غيره من أهل العلم*.

---

* س: كتابا البخاري ومسلم ألا يوجد فيهما أحاديث ضعيفة؟

ج: نعم، لا يوجد في «الصحيحين» ضعيف، لا سيما البخاري =

....

= رحمه الله، وأما مسلم فقد وجد عنده حديث غلط فيه راويه، حديث الخلق في سبعة أيام[١]، والصواب: ستة أيام، غلط فيه بعض الرواة فرفعه إلى النبي ﷺ، وإنما الصواب عند الحفاظ أنه من كلام كعب الأحبار، رواه عنه أبو هريرة، وهو يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام[٢].

س: والمعلق؟

ج: المعلق فيه الصحيح وفيه الضعيف عندهم جميعاً، فإذا جزموا فهو الصحيح عندهم، وإذا علقوا بصيغة التمريض، فهو ضعيف عندهم غالباً، وقد يكون صحيحاً، ولكن تساهل في تعليقه وتمريضه بعض الأحيان لأسباب.

س: هل «الأدب المفرد» فيه موضوع؟

ج: ما تتبعته، ولكن فيه ضعيف.

س: إذا قال مثلاً: رواه أحمد بإسناد قائم أو أبو داود، فهل يعتمد عليه؟

ج: إذا كان قائله جيداً يفهم، ومن أهل الحديث وأهل البصيرة، نعم يعتمد عليه.

---

(١) مسلم: (٢٧٨٩).

(٢)انظر «مسند الإمام أحمد» (٨٣٤١)، طبعة مؤسسة الرسالة.

۞ فليس في روايةِ مَن رواهُ وسكوتِه عنه دليلٌ على أنه عندَه صحيحٌ أو حسنٌ أو ضعيفٌ، بل قد يكون موضوعاً عندَه فلا يدلُّ سكوتُه عنه على جوازِ العملِ به عندَه(١). [٥٥]

[شرح٥٥] ما لم يبين ذلك وما لم يشترط ذلك، فإذا اشترط أنه جمع في هذا الكتاب الصحيح فيكون صحيحاً عنده إذا سكت، أو أنه حسن فيكون حسناً عنده، ولكنه قد يغلط فيعتقده صحيحاً أو يعتقده حسناً، ويأتي غيره من أهل العلم فينقده ويرد عليه في تحسينه، كما وقع للترمذي وغيره..

فالحاصل أنه إذا جمع الشيء واشترط فهو على شرطه، لكن كون شرطه صواباً وكونه وفى بالشرط، شيء ثانٍ، كالبخاري ومسلم؛ اعتنيا وجمعا، فما ذكراه في كتابيهما فقد اعتقدا صحته؛ لأنهما شرطا ذلك وجمعاه لذلك، وهكذا غيرهم كالحاكم، وابن حبان، وابن خزيمة، وابن الجارود، وغيرهم يزعمون أنهم اعتنوا بالصحيح وجَدّوا في هذا، لكن مع هذا انتُقِد عليهم ما انتقد من ذلك، فقد انتُقِد على ابن حبان عدة أحاديث، وعلى الحاكم أكثر =

---

(١) ص١٠١.

....

= وأكثر وعلى غيرهم*.

* س: وصف الحديث بكونه صالحاً كما يقول أبو داود هل يجعله حسناً؟

ج: بعض المصطلحات مثل: (صالح) و(جيد) و(حسن) متقاربة المعنى، والمعنى: أنه صالح الاحتجاج به، والذي يصلح الاحتجاج به هو الحسن.

س: في أول الكلام قلت: يروى عن أبي موسى عندما ذهب إلى عمر ومعه الحاسب، فهل هذا ضعيف؟

ج: ما أتذكر حاله، إن كان جاء بصيغة من صيغ التمريض، ولم أقف على أسانيده، ذكره ابن كثير في «التفسير»[1] وغيره عند قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة:٥١]، ولكن ما تتبعت أسانيده، فينبغي تتبع أسانيده ومراجعته.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٥١٠).

۞ قال رحمه الله تعالى: وله عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ مرفوعاً: «مَن تَعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومَن تَعلَّق وَدْعةً فلا وَدَعَ الله له»(١). وفي رواية: «من تعلَّق تميمةً فقد أَشركَ»(٢).(٣) [٥٦]

[شرح٥٦] قال المؤلف رحمه الله: (وله) يعني: أحمد رحمه الله في «المسند»، فقد رواه أحمد بسند لا بأس به (عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ) أن النبي عليه السلام قال: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»، وهذا دعاء من النبي ﷺ على من تعلق التميمة والودع، ومعنى: «لا أتم الله له»، أي: لا أدرك مقصوده؛ لأنه علَّقها من أجل مقصود وهو دفع العين أو دفع الجن، والرسول دعا عليه بألّا يتم هذا الأمر.

وهذا من باب الإنكار والتحذير من هذا العمل؛ لأنه شيء يصرف القلوب عن التعلق بالله والتوكل عليه، ويجعل لها تعلقاً وتشبثاً بهذه الأشياء، وقد جاءت الشرائع بالحث على تعلق القلوب =

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).

(٣) ص١٠٣.

....

= بالله وتوكلها عليه ﷻ، وانصرافها إليه جل وعلا في دفع المكروه وجلب المطلوب.

والتمائم يسميها الناس اليوم الحجب، ويسمونها الحروز، ويسمونها الجوامع، ولها أسماء، وهي أشياء تعلق في العنق أو في العضد لأجل دفع العين، يزعمون أنها تدفع العين عن الصبي أو الدابة أو ما أشبه ذلك، ويسمون المعلق على الدواب الأوتار، وربما علقوا هذه الأشياء على الإنسان بقصد دفع الجن عنه، وأن هذه من أسباب دفع الجن عنه.

وقد تكون هذه التمائم من أحجار، وقد تكون من ودع، وقد تكون من خرازات يسمونها العوذه، وقد تكون أيضاً من عظام، وقد تكون من شعر الذئب، وقد تكون من أشياء أخرى.

والحاصل أنها بجميع أنواعها ممنوعة لهذا الحديث «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» فهذا يدل على تحريم هذا العمل، وأنه لا يجوز لما فيه من التعلق بغير الله، ولما فيه من اتخاذ أسباب كان أهل الجاهلية يفعلونها ويتعلقون بها، ففي =

....

= فعلها تشبه بهم، وعمل مثل عملهم، والأصل في أعمال الجاهلية المنع، لما في ذلك من نوع التعلق بغير الله والإعراض عن الله ﷻ.

ولهذا جاء في الروايات الأخرى «من تعلق تميمة فقد أشرك» هذه رواية رواها أحمد أيضاً من حديث عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ: أنه جاءه جماعة ـ عشرة ـ فبايعهم إلا واحداً منهم لم يبايعه، فقيل له: يا رسول الله، لِمَ لَمْ تبايعه؟ قال: «إن عليه تميمة» فقطعها الرجل فبايعه النبي ﷺ وقال: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[1]. وسنده لا بأس به عند أحمد رحمه الله.

والمقصود أنها تدل على أن مثل هذا التعلق نوع من الشرك، قال أهل العلم: هو شرك أصغر؛ لأنه من الأشياء التي يقصد أهلها أنها أسباب في زعمهم تدفع ما أرادوا دفعه من الجن أو من العين، فإذا أراد بذلك أنها مستقلة بالنفع والضر، وعلق قلبه بها دون الله ﷻ، كان من الشرك الأكبر، أما إذا ظن واعتقد أنها أسباب مثل القراءة ومثل الأشياء الأخرى فهذه من باب الشرك الأصغر؛ لأن =

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).

....

= الرسول نهى عنها ومنع من استعمالها؛ لأنها من عمل الجاهلية، ولأنها قد تصد عن الثقة بالله والاعتماد عليه والتوكل عليه ﷻ، فنهي عنها.

وهذه الأشياء يعلقها أصحابها لدفع البلاء، ودفع العين، ودفع الجن، فهي داخلة في الترجمة: باب من الشرك لبس الحَلْقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، فهؤلاء يعلقونها من أجل دفع البلاء وعدم وقوعه، وقد تعلق لرفع البلاء الموجود مثل ما ورد في حديث عمران من أجل الواهنة(١)، كأن يكون به مرض حاضر فيعلق شيئاً، في يده يرجو من تعليقه رفع البلاء، فهذا كله من باب الشرك الأصغر ما لم يقع في قلبه شيء من الاعتقاد المضاد للتوحيد؛ فيكون من الشرك الأكبر.

وفي هذا من الفوائد أن معلِّق التمائم وكذلك من فعل المنكرات الظاهرة يستحق أن يهجر حتى يتخلص منها، ولهذا توقف النبي =

(١) أخرجه ابن ماجه: الطب (٣٥٣١)، وأحمد (٤/ ٤٤٥)، وفيه: أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفر، فقال: «ما هذه الحلقة؟» قال: هذه من الواهنة. قال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً».

....

= عن بيعة هذا الرجل حتى تخلص من هذه التميمة وقطعها، فبايعه النبي ﷺ على الإسلام بسبب قطعه هذا المنكر الظاهر.

والرسول ﷺ والله أعلم إنما أراد بذلك بيان هذا الأمر لما توقف عن بيعته لينتبهوا لهذا المنكر، وليعلموا أنه منكر، وليكون أبلغ في البيان والتحذير والإنذار من مواد الشرك وفروع الشرك، وإن كان أصغر؛ لأنه قد يفضي إلى الأكبر، ولأنه من المنكرات الظاهرة، فوجب أن يمنع وينبه على شره حتى يحذر منه.

۞ الحديث الأول رواه أحمد(١) كما قال المصنف، ورواه أيضاً أبو يَعلى(٢) والحاكم(٣) وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي.

قولـه: (وفي رواية) هذا يُوهِم أن هـذا في بعض روايات الأحاديث المذكورة(٤).

وليس كذلك، بل المرادُ أنه في حديثٍ آخرَ رواه أحمدُ أيضاً، فقال: حدثنا عبدُ الصَّمد بن عبد الوارِث قال: حدثنا عبدُ العزيز بن مُسلِم، قال: حدثنا يزيدُ بن أبي منصور، عن دُخَين الحَجْري(٥)، عن عُقبةَ بنِ عامرٍ الجُهَني: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رَهطٌ، فبايع تِسعةً وأمسك عن واحدٍ، فقالوا: يا رسولَ الله، بايعتَ تِسعةً وأمسكتَ عن هذا؟! قال: «إن عليه تـميمةً» فأدخل يدَه فقطعها فبايعه، وقال: «مَن عَلَّق =

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤).

(٢) في «مسنده» (١٧٥٩).

(٣) في «المستدرك»: الطب (٤/ ٢١٦، ٤١٧).

(٤) «الحديث المذكور» هذا أصح وأحسن، يعني: حديث عقبة.

(٥) الحَجْر بالتسكين نسبةً إلى حَجْر اليمامة.

= تميمةً فقد أشركَ»[١]. ورواه الحاكم بنحوه ورواته ثقات[٢]. (ص١٠٣).[٥٧]

[شرح٥٧] قول الشيخ: (وفي رواية) «من تعلق تميمةً» إلى آخره، المقصود أنه من رواية عقبة، لهذا قال: (وفي رواية) لأن الراوي واحد، وهو عقبة، لكن هذه قصة وهذه قصة، هذا وجه قوله: «وفي رواية»، أي في حديث آخر، في رواية من روايات عقبة؛ لأن عقبة هو الصحابي.

هذا وجه قوله: «وفي رواية»، والله أعلم، لكن قصة اللفظ الأول «من تعلق» خبر من النبي ﷺ بما ينفر عن هذا الأمر، ويحذر منه، وأن تعليق التمائم يستحق صاحبه الدعاء وعذاب الله في الآخرة؛ لأنه من الشرك.

وفي رواية عقبة الثانية قصة أن من تعلق تميمةً استحق الهجر في البيعة؛ لينتبه إلى هذا الأمر، فأراد أن ينتبهوا لقبح هذا العمل، فلما تركه ولم يبايعه انتبهوا، فسألوا فأخبرهم، فقطع التميمة وبايع. =

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم: الطب (٤/ ٢١٩).

(٢) ص١٠٣.

....

= فالحاصل أن الحديث الثاني يؤيد الحديث الأول في النهي عن هذا الأمر.

۞ وقولُه في هذا الحديث: (فأدخَل يدَه فقطَعها) أي: الرجلُ، بَيَّنه الحاكمُ في روايته[١].

قولُه: (عن عقبةَ بنِ عامر) هو الجُهَنيُّ صحابيٌّ مشهورٌ، وكان فقيهاً فاضلاً، وليَ إمارةَ مصرَ لمعاوية ثلاثَ سنين، ومات قريباً من الستين.

قولُه: (مَن تَعَلَّق[٢] تميمةً) أي: مُتمسِّكاً بها عليه، وعلى غيره من طفل أو دابَّةٍ ونحوِ ذلك.

قال المُنذريُّ: يقال: إنها خَرَزةٌ كانوا يعلِّقونها، يَرَوْنَ أنها تدفع عنهم الآفاتِ، واعتقادُ هذا الرأي جهلٌ وضلالة إذ لا مانعَ ولا دافعَ غيرُ الله تعالى.

وقال أبو السعادات: التمائمُ جمع تميمةٍ[٣]، وهي خَرَزات كانت العربُ تُعلِّقها على أولادهم، يَتَّقون بها العينَ في زعمهم، فأبطله الإسلامُ، قال: كأنَّهم كانوا يعتقدون أنها تمامُ =

(١) في «المستدرك»: الطب (٤/ ٢١٩): فقال: فقطع الرجل التميمة.

(٢) «علق» أعم، و«تعلق» يشعر بشيء من ميول القلب إليه.

(٣) «تمام» من باب التفاؤل، أي: تميمة يتمم بها الدواء والشفاء، أي: تمام الدواء.

= الدَّواءِ والشفاء[1].[2] [٥٨]

[شرح٥٨] وكونها خرزات أو خرزة لا يمنع إلحاق غيرها بها.

ولهذا قال المؤلف، رحمه الله: «باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما»، أي: ذكر الخرزة، فالتميمة قد تكون خرزة، ولا يمنع كونها من ودع أو من حلقات أو من عظام أو من أسماء أو غير ذلك، أي: لا فرق بين هذا وهذا وهذا؛ بجامع العلة، وأنها شيء تتعلق به بالقلوب عن غير الله، ويظن به أنه يدفع عن صاحبه، ويقيه شر العين أو شر الجن أو شر بعض الأمراض الظاهرة، فكل هذا دربه سواء، وطريقه واحد.

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (تمم) (١/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) ص١٠٣.

۞ قولُه: «فلا أتمَّ الله له» دعاءٌ عليه بأن الله لا يُتمُّ له أمورَه.

قولُه: «ومَن تعلَّق وَدْعةً» بفتح الواو وسكون المهملة، قال في «مسند الفردوس»: شيءٌ يخرج من البحر يشبه الصَّدَفَ، يَتَّقون به العينَ.

قولُه: (فلا وَدَعَ الله له) بتخفيف الدال، أي: لا جعلَه في دَعَةٍ وسكونٍ، وقيل: هو لفظ بُنيَ من الوَدْعَة[1]، أي: لا خَفَّفَ الله عنه ما يخافُه، قالَه أبو السعادات[2].

وهذا دعاءٌ عليه، فيه وعيدٌ شديد لمن فعل ذلك، فإنه مع كونه شركاً، فقد دعا عليه رسولُ الله ﷺ بنقيض مقصودِه[3]. [٥٩]

[شرح٥٩] لا أتم الله له، ولا ودع الله له دعاء عليه بنقيض مقصوده؛ لأن مقصوده الراحة والدَّعَة والعافية، فدعي عليه بضد ذلك، فدل ذلك على أن هذا من المنكر، وإلا فكيف يدعى على صاحبه. =

---

(١) من الودعة بتسكين الدال.

(٢) «النهاية» لابن الأثير (ودع) (٢/ ٨٣٦).

(٣) ص١٠٣-١٠٤.

....

= فلما دعي على صاحبه دل على أنه منكر، ثم هو من المنكرات الشركية، وهو من الشرك الأصغر في الجملة، وقد يكون أكبر إذا قصد صاحبه أو اعتقد أن هذا الشيء يتصرف في الكون، وأنه لا تعلق له بقدر ولا بالله ﷻ، بل هو مستقل بالنفع والضر، أو اعتقد شيئاً يخرجه من الإسلام بسبب أعمال شركية، يفعلها من أجل هذا الشيء.

فالحاصل أن جنس هذا الشيء من المحرمات الشركية والشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان وما أشبه ذلك.

وينبغي أيضاً أن يعلم أن ما يفعل من الأدوية الوقائية ضد الأوبئة أو ضد الأمراض غير داخلة في التعليق هذا، فالتعليق شيء، وما يتعاطى من أدوية أو حقن أو دهون أو شراب أو أكل أو ما أشبه ذلك ليتقى به البلاء أو الوباء شيء آخر، وليس من هذا الباب.

فقد ظن من علق على هذه الترجمة أن استعمال الحقن ضد الجدري أو ضد أنواع الوباء كالكوليرا وأشباه ذلك، داخل في لبس =

....

= الحلقة والخيط، وليس الأمر كذلك، بل هذا غلط.

والصواب أن الأدوية الوقائية غير داخلة في هذا الشيء، وهو شيء خاص؛ كالحلقة وغيرها، يعلق على الأبدان كالعضد والرقبة وما أشبه ذلك. أما ما يتعاطى من الأدوية فهو غير داخل في ذلك لوجوه كثيرة: منها أن الله شرع للعباد اتقاء ما يضرهم وفعل ما ينفعهم، كاتقاء الجوع بالأكل، واتقاء البرد بما يدفئ، واتقاء الحر بما يبرد، واتقاء الحروب بالأسلحة والعدة، وما أشبه ذلك.

وشرع أيضاً للمسلمين ألّا يقدموا على بلاد الطاعون؛ لأن هذا نوع من المخاطرة، فهذا نوع من الوقاية.

كذلك حديث: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يَضُرَّه سحر ولا سُمّ»[1]، وفي رواية: «من أكل سبع تمرات عجوة ما بين لابتي المدينة على الريق، لم يضره سم حتى يمسي»[2] هو من باب الوقاية أيضاً، فليس التطعيم ضد الأوبئة من باب تعليق الخيط والحلقة .

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٦٨)، ومسلم: الأشربة (٢٠٤٧) (١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم: الأشربة (٢٠٤٧) (١٥٤)، وأحمد (١/ ١٦٨).

۞ قولُه: (مَن تعلَّق تميمةً فقد أَشرك) قال ابن عبد البَـرِّ: إذا اعتقد الذي علَّقَها أنها تردُّ العينَ فقد ظن أنها تردُّ القدرَ، واعتقادُ ذلك شركٌ.

وقال أبو السعادات: إنما جعلَها شِركاً؛ لأنهم أرادوا دفعَ المقاديرِ المكتوبة عليهم، وطلبوا دفعَ الأذى من غيرِ الله الذي هو دافعه[1].

قال: ولابن أبي حاتم عن حذيفةَ أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ مِن الحُمَّى فقطعه وتلا قولـه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦][2].[3] [٦٠]

[شرح٦٠] قال: (ولابن أبي حاتم) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو حاتم هو محمد بن إدريس الرازي الحافظ المشهور، وابنه الحافظ عبد الرحمن كذلك، وله مؤلفات في التفسير منها المنشور والمخطوط، ومنها كتاب «الجرح والتعديل» المطبوع، و«علل ابن =

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (تمم) ١/ ١٩٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٤٠).

(٣) ص١٠٤.

....

= أبي حاتم» مطبوعة، و«المراسيل» مطبوعة، وهو إمام حافظ رحمه الله، كانت وفاته سنة سبع وعشرين وثلاث مئة بعد النسائي بأربع وعشرين سنة، رحمة الله على الجميع.

(عن حذيفة) هو حذيفة بن اليمان العبسي، صاحب السر، وهو صحابي مشهور رضي الله عنه وأرضاه.

أنه دخل على مريض وجده قد علق خيطاً فسأله عن ذلك، فقال: هذا الخيط من أجل الحمى، فقطعه حذيفة وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

واستدل بالآية الكريمة التي نزلت في الشرك الأكبر على هذا النوع من الشرك الأصغر من باب التنفير والتحذير، يعني: أن بعض الناس يؤمن بالله و هو من أهل التوحيد والإيمان ولكن يقع في بعض الأشياء الشركية جهلاً منه.

ولهذا نبهه حذيفة على هذا الأمر، وقطع هذا السلك الذي تعلق به هذا الشخص، مثل ما أمر النبي ﷺ بقطع التميمة، فالمعنى واحد؛ فالخيط الذي من أجل الحمى أو الحلقة أو التميمة كلها من =

....

= باب واحد، وهو التعلق بأشياء تعلق على الإنسان لدفع ضر نازل، أو لدفع ضر يخشى نزوله، من عين، أو جن، أو ما أشبه ذلك.

فهذا كله من باب الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر كما تقدم على حسب ما يكون في قلب صاحبه من التعلق بهذا الشيء، واعتقاده به النفع والضر مستقلاً أو متسبباً.

فالحاصل أن هذه الأشياء كلها ممنوعة، وكلها مما يعمله أهل الجاهلية، وقد وقعت عند بعض المسلمين، فيجب أن يحذروا منها، وأن يمنعوا منها.

وأما ما يكون من القرآن والأحاديث النبوية فهذا يأتي بحثه إن شاء الله في الباب الذي بعد هذا؛ لأن المؤلف أتى بترجمة أخرى في الموضوع يأتي الكلام عليها إن شاء الله بعد هذا*.

*** س: في «مسند الإمام أحمد»[1] يقول: حدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا عبد الله بن عياش بن عباس القِتباني قال: سمعت أبي يقول: سمعت عيسى بن هلال الصدفي وأبا عبد الرحمن الحُبُلي يقولان: سمعنا عبد الله بن =**

(١) (٢/٢٢٣).

....

= عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سُروج كأشباه الرِّحال، ينزلون على أبواب المسجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهم كأسنمة البُخت العجاف، العنوهنَّ، فإنهن ملعونات، لو كانت وراءكم أُمة من الأمم لخدَمنَ نساؤُكم نساءَهم، كما يخدِمنكم نساءُ الأمم قبلكم».

ج: الشيخ التويجري ذكر هذا أيضاً أظنه في كتابه «الإيضاح» ساقه عن أحمد، وظاهر سنده لا بأس به.

وظاهر الواقع يشهد بهذا، أما السروج، الله أعلم.

س: ما درجة سنده؟

ج: لا بأس به.

س: الرسول ﷺ قال: «العنوهن فإنهن ملعونات»، يعني: إذا رأينا متبرجة نقول: لعنة الله عليك؟

ج: يحتاج إلى تأمل، فقد يكون فيه شيء من جهة ولد عياش بن عباس القتباني، قد يكون له أوهام، أما أبو عبد الرحمن الحبلي فمعروف بالثقة، والبقية معروفون، فالتأمل أحسن، ثم يكفي قولك: لعن الله من عصى الله، أو يكفي لعن العصاة على سبيل العموم.

س: يقول بعضهم: إن استعمال التطعيم على أنه اتقاء للمرض ادعاء لشيء من علم الغيب. فهل يجوز هذا؟ =

....

= ج: هذا من باب توقي الأخطار، فلا بأس، وليس من التعليق في شيء، ولهذا قال النبي ﷺ كما في «الصحيحين»: «من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره سحر ولا سم»[1]، فإذا تصبح بها قاصداً ألا يضره ذلك فلا بأس عليه، فمن باب الوقاية أن يتصبح بسبع تمرات، يرجو أن يعافيه الله، وألا يضره سحر الساحرين ولا سمهم.

س: هل حديث عمران بن حصين الذي فيه: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً»[2] سنده واهٍ؟

ج: فيه ضعف لأجل مبارك بن فضالة، فهو يدلس، ولكن جاءت رواية أبي عامر الخزاز[3] تعضد رواية مبارك بن فضالة، وهو معروف عندهم بالتدليس القبيح، ولعل المؤلف وقف على سند آخر فيه التصريح بالسماع.

وأيضاً رواية أبي عامر الخزاز التي ذكرها الشارح تعضد السند، والمدلس إذا عضده غيره زال الضعف وانجبر.

كما قال الحافظ رحمه الله في «النخبة»: متى توبع سيئ الحفظ بمعتبَر، =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٦٨)، ومسلم: الأشربة (٢٠٤٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الطب (٣٥٣١).

(٣) أخرجها ابن حبان (٦٠٨٨)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٣٤٨)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠-٣٥١).

....

= وكذا المستور والمرسل والمدلس ـ صار حديثاً حسناً، لا لذاته بل بالمجموع.

س: أين ورد قول أنس: كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر؟

ج: في «صحيح مسلم»[1] بشرح النووي، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب.

س: تدليس المبارك بن فضالة هل هو من تدليس التسوية ؟

ج: تدليسه تدليس تسوية مثل ابن جريج.

س: لو أن أحدهم علق بعض الآيات القرآنية، هل في هذا شيء؟

ج: لا يعلق؛ الصحيح أن لا يعلق. يأتي هذا إن شاء الله في الباب الذي بعده.

---

(١) برقم (٨٣٦).

۞ هذا الأثرُ رواه ابنُ أبي حاتم كما قال المصنِّف، ولفظه: قال: حدَّثنا محمدُ بنُ الحسين بنِ إبراهيمَ بنِ إشكاب، قال: حدَّثنا يونُس بن محمد، قال: حدثنا حماد بن سَلَمة، عن عاصمٍ الأحولِ، عن عَزْرَة، قال: دخل حذيفةُ على مريض، فرأى في عضده سَيراً فقطعه أو انتزعه، ثم قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦][(١)].

وابنُ أبي حاتم: هو الإمامُ أبو محمد عبدُ الرحمن بنُ أبي حاتم محمد بن إدريس الرازيُّ التَّمِيميُّ الحَنظَلِيُّ، الحافظُ ابنُ الحافظ، صاحب «الجرح والتعديل» و«التفسير» وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين وثلاث مئة.

وحذيفة: هو ابنُ اليَمانِ، واسم اليمان حُسَيل بمهملتين مصغراً، ويقال: حِسْل بكسر ثم سكون، العَبسِيُّ بالموحدة، حليفُ الأنصارِ، صحابيٌّ جليلٌ مِن السابقين، ويقال له: =

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٤٠)، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ٤١٨/٤ وفيه: عن عاصم بن أبي النجود، عن عروة، قال: دخل حذيفة.

= صاحب السِّرِّ[١]، وأبوه أيضاً صحابي، مات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين[٢]*.

---

* س: ما حال رجال سند ابن أبي حاتم؟

ج: عاصم بن أبي النجود صدوق وعاصم الأحول ثقة، وعزرة ثقة كذلك، ومحمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب لا أعرف حاله، راجعته قديماً، لا بأس به، والباقون معروفون.

س: ويونس بن محمد؟

ج: جيد مؤدّ ثقة.

س: وحماد بن سلمة؟

ج: كذلك.

---

(١) يسمى: صاحب السر؛ لأن النبي ﷺ أسر إليه أسماء المنافقين الذين أرادوا طرح النبي ﷺ من العقبة حين رجع من تبوك (انظر البخاري: ٣٧٤٣).

(٢) ص١٠٤.

❁ قولُه: (رأى رجلاً في يديه خيطٌ مِن الحُمَّى) أي: من أجل الحمى؛ لدفعِها، وكان الجُهَّالُ يُعلِّقون لذلك التمائمَ والخيوطَ ونحوَها.

ورَوَى وكيعٌ، عن حذيفة: أنه دخلَ على مريضٍ يعودُه، فلمس عضدَه، فإذا فيه خيطٌ، فقال: ما هذا؟ فقال: شيءٌ رُقِيَ لي فيه، فقطعَه، فقال: لو مُتَّ وهو عليك ما صَليتُ عليكَ(١).

قولُه: (فقَطَعَه) فيه إنكارُ هذا، وإن كان يعتقد أنه سببٌ، فإن الأسبابَ لا يجوز منها إلا ما أباحه اللهُ ورسولُه ﷺ مع عدمِ الاعتمادِ عليه، فكيف بما هو شركٌ؛ كالتمائمِ والخيوطِ والخرزِ والطلاسِمِ ونحوِ ذلك مما يعلِّقُه الجُهّالُ(٢). [٦١]

[شرح٦١] وسبق في أول الترجمة (باب من الشرك لبس الخيط والحلقة ونحوهما) وهذا شاهد الخيط، رواه ابن أبي حاتم، وفيه =

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٦٣).
(٢) ص١٠٤-١٠٥.

....

= دلالة على أن عائد المريض يعلمه إذا رأى منه ما يحتاج إلى تعليم، فيعلمه ويرشده، وينكر عليه المنكر، ولو جاء عائداً، فلا يقول: أنا عائد ولا أحب أن أكدره، فالعائد يكون ناصحاً ومفيداً، فإن رأى من المريض ما يحتاج إلى تنبيه نبه، كوصيته، وكإنكار المنكر، وكحثه على قضاء دينه، وحثه على التوبة، إلى غير ذلك، فيكون في العيادة مصالح، ومن مصالح العيادة أن يوجه إلى الخير، وأن ينكر عليه ما قد يفعله من المنكر، وما أشبه ذلك مما يحتاجه المريض.

وفيه أيضاً جواز الاحتجاج بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الأصغر، فإن قوله جل وعلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] نزل في عباد الأصنام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فسيقولون: الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره[1]، ففي قولهم: «إن الله هو الخالق الرازق المدبر» نوع من الإيمان، ولكنه لا ينجيهم من عذاب الله، ولا يدخلهم في الإسلام، ولهذا صاروا =

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٣٤).

....

= مشركين بتعلقهم بالأوثان والأصنام.

فالإيمان الذي معه شرك، يبطل ويحبط ولا ينفع، فلا بد في الإيمان الذي ينفع أن يكون معه التوحيد والإخلاص، فإذا كان معه شرك بطل وفسد، فعباد القبور وعباد الأصنام كأبي جهل وأصحابه، هؤلاء عندهم إيمان بالله وبعض المعرفة به، لكنها ناقصة، فلهذا استحسنوا الشرك، وأقاموا عليه وقاتلوا دونه، فصارت تلك الأعمال وذلك الإيمان الذي ليس معه ما يصححه، باطلاً *.

---

* س: ما الطلاسم؟

ج: الحروف التي لا تفهم، والحروف المقطعة التي يشار بها إلى أشياء لا يفهمها من يراجعها إلا أهل الخبرة الذين يعرفون هذه الطلاسم، فيضعون «حاء» أو«جيماً» أو نقطة، أو أشياء يكتبونها في أوراق أو في عظام أو في حجارة أو في أي شيء، فهذه الحروف المقطعة لا تعرف إلا عند من رسمها أو عرف اصطلاحها، وقد يشار بها إلى جن أو بعض رؤساء الشياطين أو بعض رؤساء الجن، أو يشار بها إلى شيء مجهول.

س: الذي يموت وهو متعلق بتميمة،هل تترك الصلاة عليه ؟ =

....

= ج: هذا من الشرك الأصغر، فترك الصلاة عليه هذا من باب الوعيد والتحذير من هذا الأمر، مثلما تترك الصلاة على العاصي والغال وقاتل نفسه وأشباه ذلك، وإن كان مسلماً، لكنه من باب التحذير.

س: الذين يكتبون كتابات ويعلقونها؟

ج: هذا ضرب واحد، فالصحيح أن كل الكتابات التي تعلق حتى ولو كان فيها قرآن، كما سيأتي في باب العبادة.

س: الذين يتعلقون هذه الأشياء ويأخذونها للعلاج، وليست شعوذة، ويعتقدون أنها سبب، فهل يجوز لنا إذا ماتوا أن نصلي عليهم بعد أن حذرناهم وعلمناهم؟

ج: من يترك الصلاة عليهم لأجل أن ينتبه غيرهم فلا بأس، فمن باب التحذير، ولكن يصلي عليهم غيرهم، فلا يتركوا بلا صلاة؛ لأنهم مسلمون ناقصو الإسلام، فيصلي عليهم غير من أنكر عليهم، فإذا ترك الصلاة عليهم طالب العلم الذي أنكر عليهم أو الداعية المعروف بمحلهم، وقال لغيره: صلوا عليهم فمن باب الإنكار الشديد والتحذير.

س: إذا زرت مريضاً في المستشفى، ثم وجدته قد ترك الصلاة لمدة أسبوع، فهل آمره بالقضاء؟

ج: تعلمه، وتقول له: اقضها، ولو أنك على فراشك، فيقضيها ولو أنه =

....

= جنبه أو مستلق أو قاعد، على حسب حاله، فبعض المرضى يتساهلون في هذا كثيراً، ويقولون: إن شاء الله إذا شفيت صليت، ومن لك بهذا؟! أعندك عهد من الله أنك تشفى؟! فهذا غلط.

س: كيف يقضي أربعة عشر يوماً أو ثمانية أيام؟

ج: يقضيها بالترتيب.

س: أي: كل وقت مع وقته؟

ج: لا، حالاً بحسب طاقته وقدرته.

س: لا بد من القضاء؟

ج: يبادر بها ظهراً أو عصراً أو مغرباً أو عشاء، بحسب طاقته ونشاطه، أما قول العامة: «صلاة الظهر مع الظهر، والعصر مع العصر» فلا أصل له.

۞ وفيه إزالةُ المنكرِ باليد بغيرِ إذنِ الفاعلِ، وإن كان يظنّ أن الفاعلَ يزيلُه، وأن إتلافَ آلاتِ المنكرِ واللهوِ جائزٌ، وإن لم يأذن صاحبُها(١). [٦٢]

[شرح٦٢] من باب الغيرة، فإن أزالها بنفسه فلا بأس، ولا سيما إن كان له شأن، أما إذا كانت إزالته بيده قد تثير المفاسد، فلا، فينصحه، ويقول له: يا فلان، هذا ما يجوز، أزله عنك، اقطعه عنك، فلكل مقام مقال، فحذيفة رجل كبير وصحابي، فإن قال شيئاً فلا يخالفونه.

لكن إذا كان الإنسان عند قوم مساوون له، أو أرفع منه، أو أعظم منه، أو قد لا يجيبون له، فعليه الإنكار فقط، ولا يزيله بيده، فيراعي المقام، فإن كان المقام لإنسان كبير لا يعارض، فيزيله بيده، وإذا رأى أن يأمره بأن يزيله فلا بأس، أما إذا كان المقام يخشى منه إن أزاله بيده أن يكون فتنة فلا يزيله بيده، ولكنه يعلم ويرشد.

يفعل ذلك قياساً على الخيط لما قطعه حذيفة، فهكذا آلات الملاهي، إن أزالها الداعي أو صاحب الحسبة، فهذا من الواجب،=

---

(١) ص١٠٥.

....

= وليس علم صاحبها من شرطه، لكن إن رأى والي الحسبة أو الداعي إلى الله ـ جل وعلا ـ أن صاحبها هو الذي يزيلها، أو الذي يكسرها، أو رأى أنه ليس بيده إلا مجرد التوجيه والإنكار، كفى ذلك، فيراعي المقام والأحوال، ولا يقدم على شيء يخشى من عواقبه*.

---

* **س: أليس الأولى بالمؤلف هنا أن يقول: واجبة بدل جائزة، في قوله: «وأن إتلاف آلات المنكر واللهو جائزة»، أليس الأولى أن يقول: واجبة؟**

ج: هو الأَولى بالمقام، أن يقول: واجبة أو متأكدة أو متحتمة، أي: عبارة أقوى من هذا، لكنه لما كان مقام حذر، أتى بالجواز؛ لئلا يظن ظان أن هذا التصرف في ملك الغير، فقد يذكر الجواز في مقام المنع، والمراد به الوجوب.

س: أي: يقصد أنها جائزة باليد.

ج: هو واجب مع القُدرة.

۞ قولُه: وتلا قولَه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، استدلَّ حذيفةُ بهذه الآية على أن تعليقَ الخيطِ ونحوِه مما ذُكِر شِركٌ، أي: أصغرُ، كما تقدَّم في الحديث، ففيه صحةُ الاستدلالِ بما نَزَلَ في الأكبرِ على الأصغر[١]. [٦٣]

[شرح٦٣] وتقدم وجه ذلك؛ لأن الأصغر والأكبر يشتركان في وصف التسمية، وأنه شرك، ويشتركان في أنهما محرمان وممنوعان، فلهذا جاز أن يستدل بما نزل في هذا على هذا، كما تقدم عن ابن عباس، وكما يأتي ـ إن شاء الله ـ في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] قال: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي؛ إلخ[٢]*.

---

* س: لكن عقوبة هذا الشرك هل تساوي الشرك الأكبر؟ =

---

(١) ص١٠٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٩).

....

= ج: في الآخرة يختلفان، في الآخرة الشرك الأكبر يحبط الأعمال ويوجب الخلود في النار، وكذا في الدنيا يحبط الأعمال، وأما الشرك الأصغر فلا يحبط الأعمال ولا يوجب الخلود في النار كالمعاصي.

س: هل هو كبيرة تساوي مثلاً السحر وما أشبه ذلك؟

ج: السحر ليس من كبائر الذنوب، بل هو أكبر من كبائر الذنوب، هو من الشرك الأكبر.

س: هل يكون أعظم مثلاً من ناكح أمه، نعوذ بالله؟

ج: ردة عن الإسلام إذا استحل هذا، نعوذ بالله، ولا يفعل هذا مسلم، نسأل الله العافية.

۞ ومعنى الآية: أن الله أخبر عن المشركين أنهم يجمعون بين الإيمان بالله، أي: بوجوده وأنه الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ، ثم مع ذلك يشركون في عبادته، فسَّرها بذلك ابنُ عباس وعطاء ومجاهد والضحاك وابن زيد وغيرهم.

باب ما جاء في الرُّقَى والتمائم

أي: في حكمِها، ولما كانت الرُّقى على ثلاثة أقسام: قسمٌ يجوز، وقسمٌ لا يجوز، وقسمٌ في جوازه خلافٌ، لم يجزم المصنِّفُ بكونهما من الشِّركِ؛ لأن في ذلك تفصيلاً، بخلاف لُبسِ الحَلْقة والخيطِ ونحوِهما؛ لما ذُكِر، فإن ذلك شِركٌ مطلقٌ(١). [٦٤]

[شرح٦٤] لما ذكر، أي: من تفصيل؛ لأن ذاك ليس فيه خلاف، فلهذا جزم، أما هنا فقال: «باب ما جاء في الرقى والتمائم» ولم يجزم بشيء؛ لأن المقام مقام تفصيل، أما لبس الحلقة والخيط ونحوهما فلا تجد فيه تفصيلاً، فكله ممنوع، ولهذا جزم بقوله: «من الشرك =

---

(١) ص١٠٥.

....

= لبس الحلقة والخيط».

والرُّقَى: جمع رقية، وهي ما يرقى به المريض من الآيات والدعوات الطيبة يقال لها: رقية.

والتمائم: جمع تَـمِيمة، وهي ما يعلَّق على الأولاد من العين أو ضد الجن، سواء كانت التميمة عوذة يقرأ فيها، أو يجعل فيها شيء من الدواء، أو كانت خرزات، أو كانت من الودع أو كانت من غير ذلك مما يعلق، يعلق في العضد أو في الرقبة نسميها تمائم، ويسميها الناس بالحروز والحجب ولهم فيها أسماء.

المؤلف ما جزم، ما قال كذا ولا كذا، قال: باب ما جاء في الرقى والتمائم، أراد أن يبين ما ورد فيها ثم يحكم بعد ذلك.

۞ قال: في «الصحيح» عن أبي بَشيرٍ الأنصاريِّ: أنه كان مع النبيِّ ﷺ في بعض أسفارِه فأرسلَ رسولاً: أن لا يَبقَينَّ في رَقَبةِ بعيرٍ قِلادةٌ من وَتَرٍ، أو قلادةٌ إلا قُطِعَت»(١)(٢). [٦٥]

[شرح٦٥] شك بها الراوي، والصحيح «صحيح البخاري».

هذا فيه دليل على أن الرسول ﷺ أمر بقطع الأوتار والقلائد التي تعلق على الدواب لدفع العين عنها، وكانت الجاهلية تعلق الأوتار وهي: أوتار قسي بعد ما تخلولق وتضعف، يأخذونها ويعلقونها على الإبل لدفع العين عنها، وهذا من جهلهم، إذ لا نافع ولا رافع إلا الله ﷻ هو الذي بيده كل شيء ـ جل وعلا ـ لكن من اعتقادهم وظنهم الفاسد أن هذه الأشياء إذا علقت عليها لم تصبها العين.

فالرسول ﷺ أراد قطع هذه العقيدة وإزالتها ومحوها من القلوب بقطع هذه الأشياء، فأرسل رسولاً يتبع هذه الأشياء ويزيلها، ففي هذا إنكار المنكر، وبعث ولاة الأمور من ينكر المنكر =

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٥)، ومسلم: اللباس والزينة (٢١١٥).

(٢) ص١٠٥.

....

= على من فعل بإزالة الأوتار، وبإزالة التمائم، وبتعليم الناس ما شرع الله لهم ﷺ وقوله: «أو قلادة» هذا شك من الراوي، وإلا أنه قال: قلادة ووتر، أو قال قلادة وسكت، والصواب أنها مقيدة في الأحاديث الأخرى، فالقلائد قسمان:

قسم من الأوتار وأشباهها بقصد دفع العين هذه تقطع، وأما القلائد الأخرى التي تجعل في رقبة الدابة لتقاد بها وأشباه ذلك لا بأس بها، أو للزينة لا بأس بها، إنما المحرم الممنوع ما يعلق لدفع العين من أوتار، أي هي الأوتار التي تقلد بها الدواب لدفع العين، وهو من جنس التمائم للأولاد.

فالأوتار وأشباهها في الدواب من جنس التمائم للأولاد، كلها تقطع، وكلها من الشرك الأصغر، وقد تكون من الأكبر على حسب ما يكون في قلب صاحبها المعلق، فإن علقها وهو يظن أو يعتقد أنها تدفع، وأن نفس الدفع أو النفع يحصل بها فهذا شرك أكبر والعياذ بالله.

وأما إذا قصد أنها أسباب، هذا من جنس التمائم التي تقدم =

....

= الكلام فيها، وأنها تدخل في الشرك الأصغر من أجل حماية القلوب من الشرك وحفظها وحياطتها، ومن باب سد الذرائع التي توصل إلى الشرك فهذا من باب سد الذرائع.

۞ قولُه: (في الصحيح) أي: في «الصحيحين».

قولُه: (عن أبي بَشِير) بفتح أوله وكسر المعجمة (الأنصاريّ) قيل: اسمهُ قيسُ بن عُبيد، قالَه ابنُ سعدٍ.

وقال ابنُ عبد البَرِّ[١]: لا يُوقَف له على اسمٍ صحيحٍ، وهو صحابيٌّ شهد الخندقَ، ومات بعد الستين، يقال: جاوز المئة.

قولُه: (في بعض أسفارِه) قال الحافظ[٢]: لم أَقف على تعيينِها.

قولُه: (فأرسل رسولاً) هو زيدُ بنُ حارثةَ، وروى ذلك الحارثُ ابن أبي أسامة في «مسنده»؛ قاله الحافظ[٣].

قولُه: (أن لا يَبقَيَنَّ) هو بالمثناة التحتية والقافِ المفتوحتين، وفي رواية: (لا تَبقين) بحذف (أن) والـمثناةِ =

(١) ابن عبد البر اشتهر بكنيته؛ وغالباً ما يذكر بها أكثر من اسمه.

(٢) إذا قالوا: (الحافظ) فالمقصود ابن حجر.

(٣) ما ورد في «فتح الباري» (٦/ ١٤١) هو: قال ابن عبد البر: في رواية روح بن عبادة عن مالك «أرسل مولاه زيداً». قال ابن عبد البر: وهو زيد بن حارثة فيما يظهر لي. انظر «الاستذكار» (١٠/ ٩٨) ط. مؤسسة النداء.

= الفوقية والقافِ المفتوحتين أيضاً.

و(قلادةٌ) مرفوعٌ على أنه فاعل، و(وَتَر) بفتحتين واحد أوتار القوس.

قوله: (أو قلادةٌ إلا قُطِعَت) هو برفع قلادة أيضاً عطف على الأول، ومعناه أن الراوي شَكَّ هل قال شيخُه: (قلادةٌ مِن وَتَرٍ) فقيَّد القلادةَ بأنها مِن وَتَرٍ أو قال: (قلادةٌ) وأطلقَ ولم يقيِّد.

ويؤيِّده ما رُوي عن مالكٍ أنه سُئل عن القلادةِ فقال: ما سمعتُ بكراهتها إلا في الوَتَرِ[١]*.

---

* س: هو يؤيد التقليد، هل يصح هذا؟

ج: هذا من كلام مالك في التقليد بالأوتار، لقوله ﷺ: «قلِّدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار»[٢].

---

(١) ص١٠٥-١٠٦.

(٢) أخرجه النسائي: الخيل (٣٥٦٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٥٥٣).

۞ وفي رواية أبي دوادَ: (ولا قِلادةٌ) بغير شكٍّ، والأُولى أصحُّ؛ لاتِّفاق الشيخينِ عليها وللرُّخصةِ في القلائدِ إلا الأوتارَ، وكما رَوَى أبو داود والنسائيُّ من حديثِ أبي وَهْب الجُشَميُّ مرفوعاً: «اربِطُوا الخيلَ وقَلِّدوها ولا تُقلِّدُوها الأَوتارَ»[١].

ولأحمد عن جابر مرفوعاً مثله، وإسنادُه جيِّد[٢]*.

---

* س: هل كانوا يعتقدون في تعليق الأوتار شيئاً أم ماذا؟

كان بعض الجاهلية يعتقدون في الأوتار ويقولون: هذا ثواب ونرد به العين وأنها تمنع العين، وهذا من الجهل فأنكرها النبي ﷺ عليهم، أما إذا كان علقها للزينة والجمال أو ليقود الدابة بها فلا بأس.

س: مثل الأجراس التي تعلق في رقاب الغنم؟

ج: كذلك هذا لا ينبغي إلا أن تكون للزينة فقط.

س: يعلقونها لأن صوتها يخيف الذئب ونحوه.

ج: كلا، هذا لا يعلق على الدواب.

---

(١) أخرجه النسائي: الخيل (٣٥٦٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢).

۞ قال البغويُّ في «شرح السنة»[١]: تأوَّل مالكٌ أمرَه عليه السلام بقطع القلائِد على أنه من أجل العَينِ، وذلك أنهم كانوا يَشدّون بتلك الأوتارِ والتمائمِ والقلائدِ[٢] ويعلقون عليها العُوَذَ، يظنّون أنها تَعصِمُ من الآفاتِ، فنهاهم النبيُّ ﷺ عنها، وأعلمَهم أنها لا تَـرُدُّ من أمرِ الله شيئاً.

وقال أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سَلّام: كانوا يُقلِّدون الإبلَ الأوتارَ لئلا تُصيبَها العينُ، فأمرَهم النبيُّ ﷺ بإزالتها؛ إعلاماً لهم بأن الأوتارَ لا تَـرُدُّ شيئاً.

وكذلك قال ابنُ الجـوزيِّ وغيرُه.

قال الحافظُ: ويؤيدُه حديثُ عقبةَ بنِ عامرٍ رفعَه: «مَن تَعلَّق تميمةً فلا أتم الله له» رواه أحمد[٣]، وهي ما عُلِّق من القلائدِ خشيةَ العينِ ونحو ذلك[٤]، انتهى. =

(١) (١١/ ٢٧).

(٢) هكذا وردت العبارة في الأصول المطبوعة، والصواب: كانوا يَشدّون بتلك الأوتارِ والقلائدِ التمائمَ. كما وردت في «شرح السنة» (١١/ ٢٧).

(٣) أحمد (٤/ ١٥٤).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ١٤١).

= فعلى هذا يكون تقليدُ الإبلِ وغيرِها الأوتارَ وما في معناها لهذا المعنى حراماً بل شركاً؛ لأنه من تعليقِ التمائمِ المحرَّمة و«مَن تَعلَّقَ تميمةً فقد أشركَ»[١]. ولم يُصِب من قال: إنه مكروهٌ كراهةَ تنزيهٍ.

قال: وعن ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن الرُّقَى والتمائمَ والتِّوَلَةَ شِركٌ» رواه أحمد وأبو داود[٢][٣]. [٦٦]

[شرح٦٦] حديث ابن مسعود هو من هذا الباب أيضاً، فالرقى المراد بها الرقى التي ليس لها وجه شرعي، إما بدعوات مجهولة، وما أشبه ذلك، أو بلسان لا يعرف منه المعنى، ويخشى أن يكون فيه شرك بلغة لا تعرف، فينكر حتى يعرف المعنى، أو بقصد الاعتقاد والاعتماد عليها فهذا كله ينكر. =

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠).

(٣) ص١٠٦-١٠٧.

....

= فالرقية الشرعية لا بأس بها كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما سألوه عن الرقى قال: «اعرِضُوا عليَّ رُقاكُم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكن فيه شرك»[١] وقد رقى النبي ﷺ بعض أصحابه[٢] ورقي هو رقاه جبرائيل[٣] ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالرقية لا بأس بها إذا جمعت ثلاث شروط:

الشرط الأول: أن تكون بلسان معروف المعنى.

الشرط الثاني: ألا يدخل فيها شيء من المحظور كالتوسل بالجن، أو التوسل بأسماء مجهولة، أو بأسماء مخلوقين أو ما أشبه ذلك، أو يدخل فيها معصية لله.

الشرط الثالث: أن يكون على سبيل التسبب لا على سبيل الاعتقاد أنها شافية كافية، بل يعتقد أنها أسباب، وأن الله تعالى جعلها أسباباً، لا يعتقد أنها هي الشافية، وهي مفيدة دون ما أراده الله ﷻ بل يعتقد أنها أسباب، إن شاء ربنا رتب عليها مسبباتها، =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٦).

(٢) انظر البخاري: الطب (٥٧٤٢-٥٧٤٦)، ومسلم: السلام (٢١٩١).

(٣)أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

....

= وإن شاء لا، فهي كسائر الأسباب، فالأسباب كلها بيد الله ﷻ إن شاء الله ربنا نفع بها، وإن شاء لم ينفع بها ﷻ، وإذا استوفت الشروط الثلاثة زاد الرقى في الآيات والأدوية المباحة كل هذا لا بأس به كما تقدم.

وأما التمائم: فتقدم حكمها وهي ممنوعة مطلقاً.

وأما التِّوَلَة: فهي ضرب من السحر ليحبب المرأة إلى زوجها، وأكثر ما يتعاطاه النساء، وهي ممنوعة أيضاً، لأنها نوع من السحر وهي قربة من الشياطين وخدمتها وعبادتها والتقرب إليها، فهي ممنوعة وكل أنواع السحر ممنوعة بنص القرآن الكريم وبما جاء في السنة، قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

فيكون من باب الكفر ومن باب الضلال، وهو شيء يضر ولا ينفع فالواجب الحذر منه وعدم فعله وتأديب من فعله واستتابته.

۞ الحديث[1] رواهُ أحمدُ وأبو داود كما قال المصنفُ، وفيه قِصةٌ كأن المصنفَ اختصرَها، ولفظُ أبي داود: عن زينبَ امرأةِ عبدِ الله بن مسعودٍ: أن عبدَ الله بنَ مسعود رأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟ قلت: خيطٌ أُرْقِيَ لي فيه، قالت: فأخذَه، فقطَعه، ثم قال: أنتم آلَ عبد الله[2] لَأغنياءُ عن الشركِ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الرُّقَى والتمائمَ والتِّوَلَةَ شِركٌ»[3][4]. [٦٧]

[شرح٦٧] (أنتم آلَ عبد الله لأغنياءُ عن الشرك) «أنتم» مبتدأ، «أغنياء» خبر، «آلَ» مفعول لفعل محذوف، أي: أخصُّ آلَ ... =

---

(١) يعني حديث ابن مسعود: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١). وقد سلف ذكره قبل قليل.

(٢) أي: أنتم أخص آل عبد الله. والوارد في الأصول المطبوعة و«مسند أحمد» (١/ ٣٨١): إن آل عبد الله لأغنياء...

(٣) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١). واللفظ لأحمد، وليس لأبي داود كما ذكر المصنف.

(٤) ص١٠٧.

....

= وكلاهما مستقيم، فقد تتصل اللام بالخبر، والغالب أن تتصل بالمبتدأ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ [يوسف:٨].

۞ فقلتُ: لِمَ تقولُ هكذا، لقد كانت عيني تَقذِفُ، وكنت أَختلِفُ إلى فلانٍ اليهوديِّ يَرقِيها، فإذا رقاها سَكَنت[١]. [٦٨]

۞ فقال عبد الله: إنما ذلك عَمَلُ الشيطانِ يَنْخَسُها بيده فإذا رَقَيتِها كفَّ عنها[٢]. [٦٩]

[شرح٦٨] رَقَى يَرقِي إذا نَفَث، ورَقِي يَرقَى إذا صَعِد، ورَقَى يَرقِي مثل رمى يرمي في الوزن، فإذا رقاها، أي: نَفَث عليها.

[شرح٦٩] فإذا رقيتِ: يعني العينَ، أما إذا كانت «فإذا رقى»: يعني: اليهودي.

---

(١) ص١٠٧.

(٢) ص١٠٧.

۞ إنما كان يكفيكِ أن تقولي كما كان رسولُ الله ﷺ، يقول: «أَذهِبِ البأسَ ربَّ الناسِ، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شِفاؤُكَ، شفاءً لا يغادِرُ سَقَماً»(١).

رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي(٢). [٧٠]

[شرح٧٠] سنده جيد، فيه ابن أخي زينب، وسماه بعضهم، فهو معروف.

وهذا يفيد أن الداء قديم، وتشبث المريض بما يظن فيه الشفاء، فانظر إلى امرأة رجل من أصلح عباد الله بسبب المرض وحب الشفاء، صارت تذهب إلى يهودي يرقي عليها بالخيط، انظر العبر.

ويبين أيضاً أن تشبث المريض بما يظن به الشفاء، ويرجوه فيه ـ ولو من عدو ـ قضية قد تفضي بالإنسان إلى أشياء كثيرة خطيرة. =

---

(١) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١)، وبنحوه ابن حبان: الرقى والتمائم (٦٠٩٠)، والحاكم: الطب (٤/ ٢١٦-٢١٧ و٢١٨)، والرقى والتمائم (٤/ ٤١٧-٤١٨).

(٢) ص١٠٧.

....

= وفيه التحرز مما يغضب الله، وأن المريض لا ينبغي له أن يحمله حب الشفاء ورغبته فيه على شيء لا يليق بمقام المسلم، ولا يرضي الله ﷻ، ولهذا استنكر عبد الله هذا، وقال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك.

وقد فعل مثلما فعل حذيفة، سواء بسواء؛ فقطع حذيفة الخيط، وتلا الآية الكريمة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] [يوسف:١٠٦] وقطع عبد الله الخيط، وقال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٤٠).

۞ قولُه: (إن الرُّقَى) قال المصنف: الرُّقَى هي التي تُسمَّى العزائمُ، وخَصَّ منه الدليلُ ما خلا من الشركِ[1]. [٧١]

[شرح٧١] (خَصَّ منه الدليلُ) «الدليل» فاعل، و «ما خلا» المفعول: خص الدليل إجازة ما خلا من الشرك، والرقى جمع رقية.

فالدليل خصَّ بعضَ أنواع الرقى التي ليس فيها شرك، بخلاف غيرها من الرقى المجهولة، والتي فيها شرك، التي هي محل المنع كما سيأتي. «خص» فعل ماض، و«الدليل» فاعل، و«ما خلا»: «ما» موصولة بمعنى: الذي خلا؛ مفعول.

---

(١) ص١٠٧.

۞ فقد رخَّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمَةِ، يشير إلى أن الرُّقَى الموصوفةَ بكونها شركاً هي الرُّقَى التي فيها شركٌ، من دعاء غيرِ الله، والاستغاثةِ والاستعاذةِ به، كالرُّقَى بأسماء الملائكةِ والأنبياءِ والجنِّ، ونحوِ ذلك.

أما الرُّقَى بالقرآن، وأسماءِ الله وصفاتِه ودعائه، والاستعاذةِ به، وحدَه لا شريكَ له، فليست شركاً، بل ولا ممنوعةً، بل مستحبةً أو جائزةً.

قولُه: (فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة)، تقدَّم ذلك في باب «مَن حقق التوحيد»، وكذلك رخص فيه من غيرها؛ كما في «صحيح مسلم»، عن عوف بن مالك، قال: كُنَّا نَرقِي في الجاهلية، فقلنا: يا رسولَ الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرِضُوا عليَّ رقاكُم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكن فيه شركٌ»[1][2]*.

---

* س: وهل يجوز التذكير في مثل ذلك؟

ج: يجوز على وجه، والآخر أحسن؛ لأنها جمع تكسير لغير عاقل.

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

(٢) ص١٠٧.

۞ وفيه عن أنسٍ، قال: رَخَّص رسولُ الله ﷺ في الرُّقيةِ من العين والحُمَةِ والنَّملَةِ[1].

وعن عمرانَ بنِ حصينٍ، مرفوعاً: «لا رقيةَ إلا مِن عَينٍ أو حُمَةٍ أو دمٍ»[2] رواه أبو داود، وفي الباب أحاديث كثيرة[3]. [٧٢]

[شرح٧٢] على ظاهره يكون المراد بالدم خروج الدم على شكل نزيف والنملة مرض خاص تعرفه العرب.

هذه المسميات تفيد أن الرقى فيها أكثر فائدة، وخاصة من العين والحمة وما جاء في معناها، فالرقى فيها أولى وأكثر نفعاً، فمعنى «لا رقية» أي: لا رقية أولى وأشهر وأحق من هذه الأشياء، =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري موقوفاً: الطب (٥٧٠٥)، والترمذي: الطب (٢٠٥٧)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٤)، وأحمد (٤/ ٤٣٦)، كلهم دون قوله: أو دم. وأخرجه أبو داود: الطب (٣٨٨٩) من حديث أنس ولفظه: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم يرقأ».

(٣) ص١٠٧.

....

= وهو جائز في غيرها كما في الحديث السابق الذي رواه مسلم من حديث عوف بن مالك «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[1].

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٦).

۞ قال الخطابيُّ: وكان ـ عليه السلام ـ قد رَقَى، ورُقِيَ، وأمر بها، وأجازَها، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى، فهي مباحةٌ، أو مأمورٌ بها، وإنما جاءت الكراهيةُ والمنعُ فيما كان منها بغير لسانِ العربِ، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخلُه الشركَ.

قال: ويحتملُ أن يكونَ الذي يُكرَه من ذلك ما كان على مذاهبِ الجاهليةِ التي يتعاطَوْنها، وأنها تَدفَع عنهم الآفاتِ، ويعتقدون ذلك من قِبَلِ الجنِّ ومعونتهم.

قلتُ: ويدل على ذلك قولُ عليٍّ بن أبي طالب: إن كثيراً من هذه الرُّقَى والتمائمِ شركٌ فاجتنبوه. رواه وكيع[1]، فهذا يبين معنى حديث ابن مسعود، ونحوه[2].

وقال ابن التِّين: الرُّقَى بالمُعوِّذاتِ وغيرِها من أسماء الله تعالى هو الطبُّ الربانيُّ، فإذا كان على لسانِ الأبرارِ من =

---

(١) أورده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٦٧).

(٢) قال الشيخ ـ رحمه الله ـ هنا عن وكيع: له جامع، لكن ما سمعت أنه مطبوع. وهو أحد شيوخ أحمد ـ رحمه الله ـ وهو وكيع بن الجراح الإمام المشهور.

= الخلقِ، حصلَ الشفاءُ بإذن الله تعالى، فلما عَزَّ هذا النوعُ فَزِعَ الناسُ إلى الطبِّ الجسماني[1].[2] [٧٣]

[شرح٧٣] عزَّ، بالتشديد: قَلَّ هذا النوع، قَلَّ الأبرارُ والأخيار الذين يرقون المرضى، فلما عز هذا الطب الرباني لجأ الناس إلى أطباء آخرين كأصحاب الشعوذة وأصحاب الجهل.

يقال: عَزَّ يَعِزُّ إذا قل، ومنه الحديثُ العزيزُ لقلَّته، وهو الذي يرويه شخصان، والعزيز سمي عزيزاً لقلَّته. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤] أي: قوينا، وهذا معنى آخر، وشيء عزيز، أي: قليل.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٦).

(٢) ص١٠٧-١٠٨.

۞ وتلك الرُّقَى المنهيُّ عنها التي يستعملها المعزِّمُ وغيرُه ممن يدَّعي تسخيرَ الجنِّ له، فيأتي بأمور مشتبهة، مركَّبةٍ من حقٍّ وباطلٍ، يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبُه من ذِكرِ الشياطين، والاستعانةِ بهم، والتعوُّذِ بمردَتِهم.

ويُقال: إن الحيةَ لعداوتها الإنسانَ بالطبع تُصادِقُ الشياطين؛ لكونهم أعداءَ بني آدمَ، فإذا عزمَ على الحية بأسماء الشياطين أجابت، وخرجت من مكانها، وكذا اللديغُ إذا رُقِي بتلك الأسماء سالَت سمومُها مِن بدنِ الإنسانِ[1]. [٧٤]

[شرح٧٤] ومن الممكنات أن يطلع الله جل وعلا الجن والشياطين على أشياء تسبب خضوع الحيات لهم، ويكون هذا من الفتنة، ويمكن ألا نعرف شيئاً من النصوص في هذا، لكنه ممكن.

وابن التين، ما أعرف ترجمته، وأنا حريص عليها، ما وقفت له على ترجمه، وهو من شراح البخاري، وينقل عنه الحافظ كثيراً، =

---

(١) ص١٠٨.

....

= ويمكن أن يكون من المائة السادسة أو في أول السابعة[1].

(١) هو المحدث المالكي المغربي عبد الواحد بن التين السفاقسي له «شرح الجامع الصحيح للبخاري» في مجلدات. انظر «هدية العارفين» (١/ ٣٣٨). وكان حياً في أوائل القرن السابع الهجري، لأنه سمع منه عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد، ابن عساكر الدمشقي ثم المكي (٦١٤-٦٨٠) كما ذكره العلامة صديق بن حسن القنوجي في كتابه «أبجد العلوم» (٣/ ١٠٤).

۞ ولذلك كُرِه الرُّقَى ما لم تكن بآيات الله وأسمائه خاصةً، وباللسانِ العربيِّ الذي يُعرَف معناهُ؛ ليكون بريئاً من شَوبِ الشركِ، وعلى كراهيةِ الرُّقَى بغير كتابِ الله علماءُ الأمة[1].[2] [٧٥]

[شرح٧٥] (علماءُ الأمةِ) هذا فاعل بعيد، فصارت العبارة قلقة وطويلة، هي: ولذلك كره الرقى علماء الأمة، والكراهة هنا بمعنى التحريم.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٦). وهذا تتمة كلام ابن التين.

(٢) ص١٠٨.

۞ قال شيخُ الإسلام: كلُّ اسمٍ مجهولٍ فليس لأحد أن يَرقيَ به فضلاً عن أن يَدعَوَ به، ولو عرف معناه؛ لأنه يُكرَه الدعاءُ بغير العربية، وإنما يُرخَّص لمن لا يَعرفُ العربية(1). [٧٦]

[شرح٧٦] أي: من هو عارف بها، أما من لا يعرفها فيدعو الله بلغته، ويحذر المعاني المنكرة، يدعو الله بالألفاظ السليمة بلغته، وأما من يعرف العربية فلا ينبغي له أن يدعو بغيرها؛ لأن هذا نزول عن الأفضل، ولأنه إن دعا بغيرها وهو يعرفها يتهم، فما عدل عنها إلى غيرها إلا لأن هناك أشياء يريد أن يخفيها عمن يسمع دعاءه.

---

(١) ص١٠٨.

۞ فأما جَعلُ الألفاظِ الأعجمية شعاراً فليس من الإسلام.

قلتُ: وسُئل ابنُ عبد السلام عن الحروف المقطَّعَةِ، فمنع منها ما لا يُعرَف؛ لئلا يكون فيه كُفرٌ.

وقال السيوطيُّ: قد أجمع العلماءُ على جواز الرُّقَى عند اجتماع ثلاثةِ شروطٍ: أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاتِه، وباللسان العربي، وبما يُعرَف معناهُ، وأن يعتقدَ أن الرقيةَ لا تؤثِّر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى، فتلخَّص أن الرقيةَ ثلاثةُ أقسام[1]. [٧٧]

[شرح٧٧] وبهذا يعلم أن الرقى الجائزة هي التي تنتظم هذه الشروط الثلاثة:

أولاً: أن تكون الرقى بلسان معروف، واضح المعنى، ليس فيه خفاء.

ثانياً: أن تكون كذلك المعاني واضحة ليس فيها محظور من الشرع. =

---

(١) ص١٠٨.

....

= ثالثاً: ألا يعتمد عليها بذاتها، بل يعتقد أنها سبب من الأسباب، وأن الله هو الشافي والمعافي، وأن ما يحدث بالرقى والأسباب كله بتقدير الله.

ووجه ذلك:

الأمر الأول: أنه إن كان بلسان مجهول فقد يكون فيه أشياء منكرة، تخفى على المسلم، أو يكون الداعي قد أدخل فيها ما لا يجيزه الشرع، فينبغي له أن ينظر فيه، ويعنى به، حتى لا يكون فيه ما يخالف الشرع، فلا بد أن يكون بلسان معروف المعنى، إن كان عربياً يعرفه، وإن كان غير عربي فيعرف معناه من يعرف تلك اللغة.

الأمر الثاني: أن تكون المعاني ليس فيها محظور من الشرع بل تكون جائزة شرعاً.

الأمر الثالث: ألا يعتقد أنها تشفي بنفسها، أو تؤثر بنفسها، بل هي من الأسباب؛ كالكي والعسل، وسائر الدواء فكله من الأسباب، والله يسبب الأسباب، فكل شيء بقدر الله ﷻ، =

....

= فالأسباب لا تؤثر بنفسها ولا تحدث الأشياء بنفسها، سواء أكانت رقى أو كياً أو شرباً أو أكلاً أو غير ذلك، وإنما هي أسباب، والله سبحانه هو الذي يشفي ويعافي جل وعلا، وهو القادر على كل شيء ﷻ.

۞ قوله: (والتمائم) تقدَّم كلامُ المنذريِّ وابنِ الأثيرِ في معناه في الباب قبله، وظاهره تخصيص التمائمِ بما ذكراه[1]. [٧٨]

[شرح٧٨] التمائم شيء يعلق لدفع الأذى عن العين، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فقد رخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﷺ وهكذا أصحابه، هذا تفسير المؤلف للتمائم.

تقدم حديث أبي بشير: أن الرسول ﷺ أمر ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت[2]. وتقدم حديث ابن مسعود: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[3].

وسيأتي حديث عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه»[4] وتقدمت الأحاديث الدالة على وجوب قطع التمائم والأوتار، وأنه لا يجوز تعليق الأوتار والتمائم، فالأوتار من عادة =

---

(١) ص١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٥) ومسلم: اللباس والزينة (٢١١٥).

(٣) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠).

(٤) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٧٢).

....

= الجاهلية، وتعليقها على الدواب وعلى الخيل وعلى الإبل، ونحو ذلك، فيزعمون أنها تدفع العين عنها؛ فأبطل النبي هذا عليه الصلاة والسلام وأمر بقطعها حتى تتعلق القلوب بالله وحده لا بالأوتار وأشباهها.

فالمطلوب أن تكون هذه القلوب معلقة بالله، متوكلة عليه ﷻ، تعلم أنه مصرف الكائنات ومدبر الأمور جل وعلا، وتميزت الجاهلية بضعف دينها وقلة بصيرتها وجهلها بالله ودينه، فتعلقوا الأوتار والتمائم وليس عندها بصيرة وإن كانت تؤمن بأن لها رباً وخالقاً؛ لكن ليس عندها بصيرة بالتوحيد؛ ولهذا عصت الرسل، وأنكرت على الرسل التوحيد، ولم تقبل ما جاءت به الرسل إلا من هداه الله منهم.

فالحاصل أن الجاهلية كان من شأنها تعليق الأوتار على الدواب وتعليق التمائم على الأولاد لدفع العين وربما لدفع الجن، وسلك مسلكهم كثير من المسلمين؛ فصاروا يعلقون التمائم والحروز ويسمونها الحجب أيضاً والجوامع على الأولاد وعلى =

....

= النساء وعلى المرضى، فيزعمون أنه تدفع العين وتدفع الجن، وهذا من الباطل ومن الجهل بالله ﷻ، وهو نوع من أنواع الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر على حسب ما يكون بقلب صاحبه، وإن علقه البعض معتقداً أنه ينفع ويضر، وأنه له التصرف في هذه الأشياء؛ فهذا الشرك الأكبر والعياذ بالله.

أما من علقه كالعادة المتبعة أن هذا من أسباب الحفظ، وأسباب دفع العين، وهو يعلم أن الله هو الدافع وهو النافع وهو الضار، هذا من نوع الشرك الأصغر فيمنع سداً لباب الشرك وحسماً للذرائع.

والتمائم قسمان:

تمائم تكون من غير القرآن والدعاء النافع؛ بل تكون من العظام والخرزات، أو تكون من أسماء الشياطين، أو تكون من الطلاسم التي لا تعرف، أو تكون من غير من الودع، ولأهل الجاهلية لهم في هذا أشياء فإذا علقت بهذا الوصف؟! فهذا منكر، ولا يجوز، ويجب قطعها وإزالتها؛ لأنها في هذا داخلة في النهي. =

= أما إذا كان المعلق من القرآن بآيات جمعها وعلقها كما يفعل بعض الكتاب الآن، جعلوه مكسباً لهم، يكتبون ويعلقون ويبيعون على الناس، فهذا اختلف فيه العلماء؛ فقال قوم: إذا كان من القرآن فهو مثل الرقية ولا بأس، فيكتب آيات أو أدعية ويعلقها ولا بأس بهذا؛ كالرقية، ويقول هذا بعض السلف.

وقال آخرون: لا يجوز هذا؛ بل يجب منعه، قال: هذا معروف عند ابن مسعود وجماعة، وهذا قوله، وهو الصواب، وهو الأرجح: أن التمائم كلها ممنوعة، سواء كان من القرآن أو من غير القرآن لأمرين:

أحدهما: عموم الأحاديث، وأن الأحاديث عامة في التمائم وليس فيها استثناء بخلاف الرقى فيها استثناء، أما التمائم فليس فيها استثناء؛ لأن الرسول نهى عن التمائم، وأخبر بأنها شرك، وأمر بقطعها، ولم يرخص فيه شيئاً ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤].

فالرسول ﷺ لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، فلما أمر بقطع التمائم ولم يرخص فيه شيئاً، دل على العموم، وأن لا فرق بين التميمة التي من عظام ذئب، أو شعر ذئب، أو من ردع، أو من خرزات، أو ما أشبه ذلك، وبين التميمة التي فيها آيات أو أدعية =

....

= مباحة قد جمعت وعلقت، لا فرق في ذلك فالحديث عام.

والثاني: أن إجازة التمائم من القرآن فتح لباب الشرك، وفتح لوسيلة من وسائله وانتشاره، وقد جاءت الشريعة بسد الذرائع عن الشرك، فالنهي عن التمائم من القرآن ومن الدعوات المباحة فيه سد لباب الشرك ودفع لذرائعه ووسائله، وقد جاءت الشريعة بهذا الباب في مواضع كثيرة، سدت فيها الذريعة وسائل الشرك المحرمات.

وهذان الأمران يوجبان منع التمائم كلها؛ كما قال ابن مسعود وغيره.

وهناك أمر ثالث ذكره بعضهم أيضاً وهو أنها وسيلة لامتهانها، والدخول بها الغائط ونحو ذلك، هذا واقع أيضاً، قد يكون فيها آيات تدخل بها الغائط، وحرام أن تدخل الغائط بآيات ومصحف، هذا أيضاً من الوسائل التي قد تقع، فالحاصل أن التعميم للتمائم كلها أولى من أجل هذه الأمور الثلاثة:

الأمر الأول: عموم الأحاديث وليس هناك مخصص. =

....

= الأمر الثاني: سد الذرائع.

الأمر الثالث: أنك قد تمتهن بهذا في مواضع قذرة.

وأما الرقى وهي تسمى العزائم. عزم على مريض: قرأ عليه، فهذه فيها تفصيل جنس الرقى الشرعية لا بأس بها. النبي عليه الصلاة والسلام قال: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[1]، وقد رقى عليه الصلاة والسلام؛ فلا حرج في الرقى؛ فهي جائزة، وهي من أسباب العافية بشرط من الشروط الثلاثة كما تقدم:

الشرط الأول: أن تكون؛ بلسان معروف المعنى أما إذا كانت؛ بلسان مجهول نمنعها حتى نعرف المعنى ما هو إذا كان شيء مجهولة أو رواية مجهولة فلا بد أن نترجمها ونعرف ما فيها؛ فإن كان كلاماً طيباً ونعرف حروفه فلا بأس وإلا فلا.

الشرط الثاني: ألا يكون فيها محذور من جهة الشرع، لا بد أن تكون سليمة ما فيها محذور لا أسماء شياطين ولا الدعوات المنكرة؛ =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

....

= بل الدعوات المباحة ليس فيها شيء محذور وهذا لا بأس.

الشرط الثالث: ألا يعتمد عليها؛ بل يعتقد أنها فعل من الأسباب والعمدة على الله وحده ﷻ، فالرقى فعل كالدواء الآخر كالكي وغيره، والأدوية أسباب والعمدة على الله ﷻ هو الذي يشفي ويكفي جل وعلا، أما هذه الرقى فهي أسباب ولها شروط ثلاثة:

الأول: أن تكون؛ بلسان معروف المعنى.

الثاني: وألا يكون فيها محذور من جهة الشرع.

الثالث: وألا يعتمد عليها في ذاتها؛ بل يعتقد أنها سبب من الأسباب إن شاء الله نفع بذلك وإن شاء لم ينفع.

أما ما يفعله الناس اليوم من الكتابات في الصحون والأوراق كتابة الآيات بالزعفران ونحو ذلك، هذا تركه أولى وإن كان عليه عمل كثير من الناس، ولكن فيما يعتقد ويعتقده كثير من أهل العلم أن تركه أولى؛ لأنه ليس هناك عليه دليل واضح وإن كان مروياً عن ابن عباس أنه فعل ذلك[1]. وعن جماعة من أهل العلم من القرون =

---

(١) روى ذلك ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٠).

....

= المفضلة؛ لكن تركه أولى، والاكتفاء بالرقية الشرعية بالمس على المريض أولى، أو في ماء يقرأ فيه ويشربه وهذا لا بأس به، أو يرش به لا بأس به.

أما الكتابة أن تجعل في الأوراق أو في الصحون ممن يغسلها ويشربها فهذا تركه أولى، ولا أقوّل إنه محرم؛ بل فعله كثير من أهل العلم في القرون المفضلة؛ وليس هو محرم؛ لكن تركه أولى، فأن يشتغلون بالقراءة الشرعية على المريض فيقرؤون في إناء فيه ماء فيشربه، هذا أسهل وأولى وبه جاءت الأخبار عنه عليه الصلاة والسلام.

أما الكتابة في أشياء فمروية عن ابن عباس وغيره؛ لكن لا يعرف إسناد صحيح عن ابن عباس، ولا يعرف عن غيره من السلف أنه ﷺ فعل ذلك؛ إنما جاءت في القرن الثاني وما بعده؛ فقد فعله أحمد وفعله جماعة من السلف وفعله من بعدهم، فيكتبون في الأوراق ثم تمسح بالماء فتشرب، هذا فعله كثير؛ لكننا لا نعرف فيه شيئاً من السنة؛ فتركه أولى وأحسن وأفضل. =

....

= وأما التِّوَلَة: فهي نوع من السحر تتعاطاه في الغالب النساء ويتعاطاه الرجال، والسحر كله محرم، وليس يحصل إلا بواسطة الجن والشياطين والتقرب إليهم، فمن سحر فقد أشرك، فالشرك داخل وواقع في السحر؛ لأنه بواسطة الشياطين، فلا يجوز التعاطي بسبب العطف، وهو تحبيب المرأة لزوجها والرجل لامرأته بالطرق الشيطانية، وهي تسمى سحراً، وتسمى تولة، والله جل وعلا أخبر أن السحر من الشرك، وأن السحر من الكفر.

فالواجب على المؤمن الحذر من أنواع الشرك كله، ومن أنواع السحر كله، وألا يتعاطى إلا ما أباح الله له في رقيته وفي دوائه وفي كل شيء يكون معتبراً في الشريعة ويحذر الخروج عنها في كل شيء*.

---

* س: كفارة اليمين بالترتيب؟

ج: مخيرة بين الإطعام والكسوة والعتق مخيرة، فإذا عجز عن ذلك صام ثلاثة أيام؛ فالطعام والكسوة والعتق ثلاثة أشياء؛ فإن عجز عن الجميع صام ثلاثة أيام. =

....

= س: إدراك الركعة بالفاتحة أم بالركوع؟

ج: بالركوع وهو فيه خلاف، لكن عامة أهل العلم ذهبوا إلى أنه إذا أدرك الركوع فقد أدرك الركعة، فالنبي ﷺ أقر أبا بكرة الثقفي ولم يأمره بالإعادة لما أتى وأدرك الركوع فركع[1]، وهذا خاص يستثنى من العموم إذا قلنا بوجوب الفاتحة للمأموم، والجمع عند أهل العلم وهو الأظهر في الأدلة، وإذا كان جمهور أهل العلم يقولون: لا تجب على المأموم وإنما تجب على الإمام والمنفرد، ويحملون الأحاديث على الإمام والمنفرد.

ولكن الأرجح من هذا الدليل أنه لا ينبغي للمأموم أن يسكت؛ بل يقرأ لعموم الأحاديث؛ لكن إذا أدرك الركوع فقط أجزأته الركعة، ويكون هذا خاص من حديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ الفاتحة»[2]، لأن الرسول أقره على الركعة ولم يأمره بالإعادة، وجاءت في هذا أدله أخرى تؤيد هذا.

س: يقرأ والإمام يقرأ؟

ج: إذا سكت يقرأ وإلا فيتم الوصل.

س: الرقية إذا وضعت يدك على موضع الألم وقرأت القرآن؟

ج: السنة هنا إذا عزمت فقل: باسم الله ثلاثاً، أعوذ بالله وقدرته من =

---

(١) أخرجه البخاري: الأذان (٧٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: الأذان (٧٥٦)، ومسلم: الصلاة (٣٩٤).

....

= شر ما أجد وأحاذر، سبع مرات فهذه هي السنة[1].

يضع يده موضع الألم ثم يقول: بسم الله بسم الله بسم الله، ثم يقول: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر، سبع مرات، هذا يكفي، والغالب بإذن الله أنه يشفى.

س: ولو في أولادك مثلاً أصيب أحدهم بألم ووضعت يدك موضع الألم وقلت ثلاث مرات؟

ج: يجوز.

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٢).

۞ وقال المصنفُ: التمائمُ شيءٌ يُعَلَّق على الأولاد من العَين.

وقال الخَلخاليُّ: التمائمُ جَمعُ تميمةٍ، وهي ما يعلَّق بأعناق الصبيانِ من خرزاتٍ وعظامٍ لدفع العَينِ، وهذا منهيٌّ عنه؛ لأنه لا دافعَ إلا الله، ولا يُطلَب دفعُ المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاتِه[1]. [٧٩]

[شرح٧٩] الناس يسمونها الآن بأسماء كثيرة، منهم من يسميها الجوامع، ومنهم من يسميها الحجب، ومنهم من يسميها الحروز، وقل من يسميها تميمة.

والحاصل أنها أشياء تعلق على الأولاد يقصد منها حفظهم ـ بزعم المعلق ـ من الجن أو من العين، وبعضهم يعلقها على المرضى من الكبار، حتى تجدها في بعض البلدان وفي بعض القبائل على الشيوخ الكبار والعجائز، يزعمون أنها تدفع عنهم الشرور.

وهذا كله من الباطل، كله من الشرك الذي حرمه الله، وكله من عمل الجاهلية، فلا يجوز للمؤمن أن يتخلق بالجاهلية، ويعمل =

---

(١) ص١٠٨.

....

= بأعمال الجاهلية الذين قد غلب عليهم الجهل، وقَلَّ علمهم بما شرع الله ﷻ.

فلا يليق بالمؤمن أن يتشبه بأولئك مع عصيانه للأوامر وركوبه للنواهي، ثم هي أيضاً من أسباب إعراض القلوب عن الله ﷻ، فإن من تعلقها صار قلبه معلقاً بها، وصار لا يلتفت إلى توكله على الله وثقته بالله واعتماده عليه، بل تكون القلوب معلقة بهذه الحجب وهذه الحروز، ويزعم أنها تحفظه وتصونه وتعصمه.

فهو معلق القلب بها، فلهذا صارت من الشرك، لما فيها من نوع التأله، وإن كان شركاً أصغر، لكن هو وسيلة إلى الشرك الأكبر وهو محرم ومنكر.

فلهذا جاءت النصوص بالمنع والتحذير منه، لما يترتب عليه من صرف القلوب عن الله إلى غيره، وما يترتب عليه أيضاً من اعتبار هذه الأشياء كحافظة وعاصمة، فيحال بها عن الأذكار الشرعية وعن الأذكار التي أمر الله بها، وعن الأخذ بالأسباب المشروعة إلى غير ذلك مما يترتب عليها من الشرور. =

....

= وهي تكون من خرزات مخصوصة، وتكون من ودع، وتكون من طلاسم حروف مقطعة تكتب في أوراق، وتكون من عظام، وتكون من شعر الذئب عند بعض الناس، وتكون من أشياء أخرى، وبعض الناس يكتب آيات، ويجعل مع الآيات أشياء من كيسه من أدعية خاصة أو حروف مقطعة أو غير ذلك.

وقد رأينا من ذلك شيئاً كثيراً، يلفونها ويجعلونها ويخيطونها، ويربطونها، وبعضهم يجعلها في رقاع مضبوطة، إلى غير ذلك.

وربما جعلوا فيها أشياء من التوسلات بالجن، وأسماء مجهولة يقولون لهم: افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، في تلك الأوراق التي يكتبونها، ويزعمون أن ذلك من التوكل، أو التحرز برؤساء الجن ورؤساء الشياطين وقادتهم، حتى يحفظوا هذا الولد أو هذه الصبية أو هذا الشيخ أو هذه العجوز، وهذه كلها من البلاء العظيم*.

---

* س: الباكستانيون يفعلون هذا مع أولادهم، ونكلمهم ولا نعرف لغتهم؟

ج: هذا لا يصلح، ينبغي أن تبحث عمن يعرف لغتهم، وإذا كانوا =

....

= جماعة ينصحون خوفاً للفتنة، لأن الإقبال على هذا قد يترتب عليه فتنة ونزاع ومضاربة.

س: بعضهم يكتب بعض الآيات من القرآن ويعلقونه على صدور الأطفال ؟

ج: كلها، حتى ولو كان من القرآن، فبعضهم يطبعون مصاحف صغيرة جداً ويعلقونها، وهذا منكر في أصح أقوال العلماء، فالمصاحف والقرآن لم ينزله الله ـ جل وعلا ـ ليعلق على الأولاد والشيوخ، وإنما نزل ليعمل به أو للتدبر والتعقل والعمل، لا لهذه الأشياء، ولهذا كان عبد الله ابن مسعود يحذر من ذلك ﷺ، وكان أصحابه يقطعونها وينكرونها، سواء كان من القرآن أو غير القرآن، وهكذا أهل التحقيق من العلم والإيمان من بعد الصحابة، وإن كان بعض العلماء أجاز ما كان من القرآن وقاسه على الرقية.

ولكن هناك فرق فالرقية نفث على المريض ليست شيئاً يعلق، وأما هذا الذي يعلق ففيه مضار ومفاسد:

أولها: وهو أعظمها وأكبرها أنه خلاف لظاهر الأحاديث؛ لأن الأحاديث عامة ليس فيها استثناء، نهى عن التمائم وحذر منها ولم يستثن.

والأمر الثاني: وهو من أعظمها أيضاً أنه فتح باب لمسائل الشرك، فإنه =

....

= إذا علق هذا وهذا اشتبه الأمر وبقيت هذه المعلقات، فهذا يقول: هذا من القرآن، وهذا يقول: ليس من القرآن، ربما أفضى إلى نزاع وفتح باب الشرك بسبب ذلك.

فمن قواعد الشرع العمل بالعموم ما لم يأت مخصص، ومن قواعد الشرع سد الذرائع، فلهذا وجب منع الجميع.

ولأنه أيضاً قد يفضي إلى الاستهانة بالآيات والمصاحف الصغيرة فيدخل بها الحمامات ويحملها في وقت قضاء حاجته، هذا نوع من الاستهانة كما قال جمع من أهل العلم.

س: فهمنا من معنى كلامك أن بعض السلف الذين أجازوه إنما قاسوه على الرقى هل هذا صحيح؟

ج: نعم، قياساً على الرقى.

س: والذي يأبى أن يخلعها من رقبته هل نقطعها منه؟

ج: إذا كان لك سلطان، وإذا لم يترتب عليه مفسدة، فهذا من إنكار المنكر، مثلما فعل حذيفة فقطع الخيط(١)، فإذا لم يخش فتنة يزيل المنكر، ولكن إذا كان يخشى فتنة يكتفي بالكلام، أو يأتي بمن له قدرة من أعضاء الهيئة أو المسؤولين ليزيل هذا، أي: أن المؤمن يلاحظ المصالح ويلاحظ دفع المفاسد =

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٤٠).

....

= حسب الإمكان.

س: وماذا عن وضع المصاحف تحت المخدة؟

ج: تحت المخدة أم على المخدة؟

س: على المخدة.

ج: ليس فيه شيء، إذا وضع على الكرسي أو على المخدة أو على الفراش في محل لا يمتهن ولا يوطأ بالرجل فيه فلا بأس، فإذا كان في محل مرتفع يكون أحسن مثل فرجة ومثل كرسي أو وسادة، ففي «سنن أبي داود»[1] وغيره عن النبي ﷺ لما جحد اليهود آية الرجم: وقال: «ائتوني بالتوراة» ـ وذكر في الحديث أنهم وضعوا للرسول ﷺ وِسادةً فجلس عليها، ولما أُتي بالتوراة، نزع الوسادة من تحته فوضع التوراة عليها.

المقصود الشاهد أنه وضع التوراة على وسادة، فإذا كانت التوراة وهي كتاب فيه ما فيه من التحريف، وإن كان أصلها كلام الله ـ جل وعلا، ولكن فيه من التحريف ما فيه، فجعلها النبي ﷺ على وسادة رعايةً لما فيها من بقايا آيات الله ـ جل وعلا، فالقرآن الكريم الذي هو أعظم الكتب وأشرفها أولى بالعناية وبالرفع والصيانة، وعدم جعله محل إهانة أو يخشى أن يدوسه أو يلطمه أو يمر عليه بالأرجل، فلا بد أن يكون محله رفيعاً مصوناً. =

(١) برقم (٤٤٤٩).

....

= كذلك الذي يضعه في الجيب لا أرى ذلك لأنه إن جلس صار عند مقعدته على الأرض، فالمقصود لا ينبغي أن يوضع في الجيب في الخلف، بل يكون في الصدر أو يحفظه بيده أو في إبطه حتى يصل إلى محل يضعه فيه، ومن جعله في الجيب الذي عند المقعدة فليس هذا طيباً.

س: وما حكم وضعه للاستشفاء؟

ج: ما له أصل، فهذا منكر، فوضعه على البطن أو على الرأس أو على أي مكان من المريض للاستشفاء ما له أصل، المقصود إنما هو النفث به، وهو أن يقرأ على المريض، أما أن يوضع المصحف فلا؛ فهذا يشبه التميمة.

س: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الهيئة ما فيه ضرر على المسلمين؟

ج: كلا، هو يحصل في الهيئة، لكن الأمر عام للمسلمين كلهم، ولكن الأمر باليد يحتاج إلى قدرة، إما من الهيئة وإما من سلطان آخر، أو إنسان في بيته وسلطانه، فالمقصود القدرة؛ لأن الإنكار باليد إذا لم يكن من سلطان أو من الهيئة ـ سيترتب عليه ما هو أنكر، ولا يخفى على طالب العلم أن إنكار المنكر له أحوال مثل ما قال ابن القيم وغيره، له أربعة أحوال:

الحال الأولى: أن ينكر المنكر ويزول ولا يترتب عليه ما هو أنكر منه، وهذا واجب.

الحال الثانية: أن ينكر المنكر ويترتب عليه ما هو أنكر وأشد، فهذا لا =

....

= يجوز أن يغير؛ لأنه إذا كان يترتب ما هو أنكر، فما الفائدة؟ يعني: يأتي بأزيد من المعصية، كأن يأتي على إنسان يشرب الخمر فينكر عليه فيترتب على إنكاره أن يقوم فيقتل الناس قتلاً، وما شابه ذلك.

والحال الثالثة: أن ينكر المنكر فيجد مثله، وهذه حال اجتهاد للآمر والناهي، هل ينكره أم لا ينكره؟ ذلك إذا كان سيترتب عليه مثله أو مقاربه.

الحال الرابعة: أن ينكر المنكر فيوجد منكر دونه، فهذا ينكر؛ لأنه دونه وأسهل، فها هي الأحوال الأربع.

۞ وظاهرهُ أن ما عُلِّق لدفع العَينِ وغيرِها فهو تميمةٌ من أي شيء كان، وهذا هو الصحيحُ، وقد قالوا: إن كلامَ المنذريِّ وابنِ الأثيرِ وغيرِهما لا يخالفه[1]. [٨٠]

[شرح٨٠] ومن مثل هذا ما يعلق من التمائم على بني آدم، ومن الأوتار على الدواب، فما كان من جنس ذلك الذي يعلق على البهائم من إبل أو خيل أو غير ذلك من أوتار، مثلما تقدم من حديث أبي بشير- فالواجب قطعه إذا كان لقصد حفظها من العين.

كذلك ما يعلق من أشياء أخرى في البيوت أو على السيارات، لهذه المقاصد من صور أسود أو نمور أو أشياء أخرى تتخذ لهذا المعنى، فإذا كان المقصد هذا المعنى فهي من جنس الأوتار ومن جنس التمائم، فتمنع.

وهي بخلاف الزينة، فما يعلق على الدابة من قلادة حسنة للجمال أو لتقاد بها، فهذا لا بأس بها، فالرسول ﷺ قلَّد الإبل وأشباهها، وكذلك ما كان في البيوت من نقوش أو أوراق فيها نقوش أو ما أشبه ذلك، لا للقصد الفاسد بل للجمال، فهذا غير =

---

(١) ص١٠٨.

....

= داخل في هذا، بخلاف الصور التي يجب منعها ولا يجب أن تعلق مطلقاً.

فالحاصل أن الناس لهم في هذه الأمور طرق وأشياء بعضها من جنس الجاهلية السابقة، وبعضها قد يكون أكثر شراً من الجاهلية، فينبغي أن تراعى المقاصد مع مراعاة ما يوافق الشرع وما لا يخالفه*.

*** س: بعض الناس يعلقون بعض الآيات القرآنية أو يكتبون أبياتاً من الشعر لقصد حماية السيارة، وبعضهم يكون معه صورة لفظ الجلالة خلف السيارة أو أمامها؛ فما حكم ذلك؟**

ج: هذا محل نظر، فإذا كان كتبها لقصد حماية السيارة أو صيانتها على كل حال فهذا لا يجوز، وإن كان كتب بعض الآيات أو بعض أبيات الشعر على السيارة لقصد إيناس الراكبين أو لمقاصد أخرى لا لقصد حفظ السيارة فهذا لا نعلم فيه شيئاً، إلا أن ترك ذلك أحسن لئلا يكون ذريعة لمقاصد أخرى، ولكن لا نعلم في هذا شيئاً إذا كان مطلقاً من غير قصد حفظ السيارة أو عمل ما يعمله أصحاب التمائم والأوتار.

س: ما الرأي في كتابة بعض الآيات بالخط الذهبي كآية الكرسي =

....

= والفاتحة وتعليقها في البيت؟

ج: لا ينبغي هذا، فهذا يتهم بأنه قصده كتميمة، أما ما يقع من بعض الناس من كتابة القرآن بالزعفران وشربه، فهذا مستعمل من قديم، ويروى عن ابن عباس وفعله كثير من الأئمة، والأمر فيه واسع، ولكن فيما يظهر لي أن تركه أولى، وأن استعمال الرقى الشرعية بالنفث على المريض أولى من هذا؛ لأن هذا غير ثابت فيما نعلم عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، ولكن ليس محل إنكار إنما هو من باب التطبب.

س: بعضهم يكتب الآيات القرآنية بالقلم ثم يمحوها ويشربها ؟

ج: المقصود كتب الآيات ثم تمحى وتشرب؛ مثل هذا ينبه؛ فهذا جاهل.

س: وإذا وضع مصحفاً في سيارة محتجاً بالآية ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

ج: كلا، ليس من جهة السيارة، ولكن لا يأتيه الباطل من جهة نفسه، يعني: ما يتناقض ولا يدل على باطل ولا يعين على باطل، فهو نفسه كتاب عظيم محكم يدل على الخير ويدعو إلى الخير، وليس معناه أنه يحمي السيارة من الباطل أو يحمي الإنسان دون أن يعمل به، كلا، فهذا خطأ وتأويل على غير تأويله، وهذا من الجهل، يقال له: إن هذا غلط منه، لا يجوز تأويل القرآن على هذا.

۞ قال المصنِّفُ: لكن إذا كان المعلَّقُ من القرآن فرخَّص فيه بعضُ السلفِ، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعلُه من المنهيِّ عنه كابن مسعود.

اعلم أن العلماءَ من الصحابة والتابعين فمن بعدَهم اختلفوا في جواز تعليقِ التمائم التي هي من القرآن وأسماء الله وصفاتِه، فقالت طائفةٌ: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص[١] وغيرِه، وهو ظاهرُ ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية، وحملوا الحديثَ على التمائمِ الشركيةِ، أما التي فيها القرآنُ وأسماءُ الله وصفاتُه، فكالرقية بذلك.

قلت: وهو ظاهرُ اختيارِ ابن القيِّم[٢].

وقالت طائفةٌ: لا يجوز ذلك، وبه قال ابنُ مسعود وابنُ عباس، وهو ظاهرُ قولِ حذيفة وعُقبةَ بن عامر وابن عُكَيم رضي الله عنهم، وبه قال جماعةٌ من التابعين، منهم أصحابُ =

(١) انظر ما أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٢٨)، وأبو داود: الطب (٣٨٩٣).

(٢) يعني: قياساً عليها، ولعله في كتاب «زاد المعاد» فصل الطب النبوي.

= ابنِ مسعودٍ، وأحمد في رواية اختارها كثيرٌ من أصحابه، وجَزَم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديثِ وما في معناه، فإن ظاهرَه العمومُ لم يفرق بين التي في القرآن[1] وغيرِها، بخلاف الرُّقَى؛ فقد فرَّق فيها، ويؤيد ذلك أن الصحابةَ الذين رووا الحديثَ فهموا العمومَ كما تقدَّم عن ابن مسعودٍ[2]. [٨١]

[شرح٨١] وفي هذه المسألة وأشباهها يعرض النزاع على القاعدة ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء:٥٩].

فهذه مسألة تنازع فيها الناس من السلف ومن بعدهم، فطائفة قالت: هي من جنس الرقى، فلا بأس إذا كانت التمائم من القرآن والدعوات الطيبة، ولا بأس بتعليقها، فالقرآن كالرقية بالقرآن للمرضى.

وقالت طائفة أخرى: كلا، تُمنع؛ فهي أشبه بالتمائم المحرمة =

---

(١) «من القرآن» أحسن، و«في» غير مناسبة.

(٢) ص١٠٩.

....

= ويترتب عليها من الشر كما يترتب على الأولى فيجب أن تمنع، فيعرض النزاع على النصوص، والنصوص تحكم بمنع التمائم مطلقاً، والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وهو أفصح الناس وأقدرهم على الاستيفاء والبيان، ولم يقل: إن التمائم والتولة شرك إلا ما كان من القرآن، ولم يقل: من تعلق تميمة إلا ما كان من القرآن فلا أتم الله له، فأطلق ولم يستثن فدل ذلك على العموم، إذ لو كان هناك شيء يستثنى من التمائم لنص عليه النبي ﷺ وقال: إلا لو كان كذا وكذا.

وأمر ثان هو أن الشريعة جاءت بسد الذرائع التي توصل إلى الشرك والمحارم، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في «الإعلام» الأدلة على سد الذرائع، وأن الشريعة جاءت بسد الذرائع، وذكر من جملة الأدلة تسعة وتسعين وجهاً، كلها تدل على وجوب سد الذرائع، والأدلة أكثر من ذلك، لكنه ساق من الأدلة تسعة وتسعين دليلاً من القرآن والسنة في وجوب سد الذرائع.

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ =

....

= ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨] فنهى عن سب آلهة المشركين لئلا يسب الله عز و جل.

وإذا نظرنا في هذه المسألة وتأملناها، ظهر لنا أن إجازة ما كان من القرآن ومن الدعوات يفتح الباب للوجه الآخر ويلتبس هذا بهذا، والناس لا يقفون عند حد، فهذا قد يعلق ما هو من القرآن والآخر يعلق ما هو من العظام والطلاسم وما أشبه ذلك، ومن هذا الذي سيراقب الناس ويفتش عليهم وينظر في هذه التميمة وهذه، ويمنع هذه ويجيز هذه؟

وسد الذرائع واجب، فاتضح من الأدلة أن القول بالمنع أولى وأظهر في الدليل، فوجب المصير إليه.

۞ وروى أبو داود عن عيسى بن حمزة قال: دخلت على عبد الله بن عُكَيم(١) وبهِ حُمَرَةٌ فقلتُ: ألا تُعلِّقُ تميمةً؟ فقال: نعوذُ بالله من ذلك، قال رسول الله ﷺ: «مَن تَعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه»(٢).

وروى وكيعٌ، عن ابنِ عباسٍ قال: اتفِلْ بالمُعَوِّذَتين ولا تُعلِّق(٣)، وأما القياسُ على الرقية بذلك، فقد يُقال بالفرقِ، فيقاسُ التعليقُ الذي لا بد فيه من وَرَقٍ أو جلودٍ ونحوِهما على ما لا يوجد ذلك فيه، فهذا إلى الرُّقى المركَّبة من حقٍّ وباطل أقربُ(٤). [٨٢]

[شرح٨٢] «من حق وباطل» هناك واو؛ لأن الرقى لا بد أن تكون واضحة، وليس فيها معنًى منكر، فالرقى التي فيها حق وباطل =

---

(١) عبد الله بن عكيم قيل: صحابي، وقيل من ثقات التابعين.

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٧٢)، وأحمد (٤/ ٣١١، ٣١٠)، وليس هو عند أبي داود، والراوي للحديث هو عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى كما ورد في مصادر التخريج، وليس عيسى بن حمزة كما ذكر المصنف.

(٣) أورده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٦٨).

(٤) ص١٠٩.

....

= تمنع، هكذا التمائم فيها القرآن وهو الحق، وفيها شبهة تعليق القلوب عليها، فتبقى معلقةً من جنس التمائم الأخرى، وهذا باطل.

۞ هذا اختلافُ العلماء في تعليق القرآنِ وأسماء الله وصفاته، فما ظنُّكَ بما حدث بعدهم من الرُّقَى بأسماء الشياطين وغيرِهم وتعليقها؟ بل والتعلقِ عليهم، والاستعانةِ بهم، والذبحِ لهم، وسؤالهم كشفَ الضُّرِّ وجلبِ الخيرِ مما هو شركٌ محضٌ، وهو غالبٌ على كثير من الناس إلا من سَلَّم الله؟

فتأمَّل ما ذكَرهُ النبيُّ ﷺ وما كان عليه أصحابُه والتابعون، وما ذكَرهُ العلماء بعدهم في هذا الباب وغيرِه من أبواب الكتاب، ثم انظرْ إلى ما حدث في الخُلُوفِ المتأخرةِ، يتبيَّنْ لك دينُ الرسول ﷺ وغربتُه الآن في كلِّ شيء، والله المستعان[1]*.

---

* س: ما الرأي في النفث في الماء؟

ج: لا بأس به، فالنفث في الماء من الطب الشرعي، ومثله الطعام والعسل ونحوه، وقد ثبت في أبي داود[2] أن النبي ﷺ كان ينفث في يديه =

---

(١) ص١٠٩.

(٢) برقم (٣٩٠٢).

....

= ويمسح، فلما مرض كانت عائشة تنفث وتمسح بيده على وجهه[(١)].

س: ما حكم كتابة آيات قرآنية بالزعفران؟

ج: تقدم الكلام على هذا، وأن هذا قد فعله السلف والخلف والأمر فيه واسع إن شاء الله، لكن القراءة على المريض والنفث على المريض أولى.

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣٩)، ومسلم: السلام (٢١٩٢).

۞ قولُه: (والتِّوَلَةَ شِركٌ) قال المصنفُ: هو شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يُحبِّب المرأةَ إلى زوجها، والزوجَ إلى امرأتِه.

وكذا قال غيرُه أيضاً، وبهذا فسَّره ابنُ مسعود راوي الحديثِ؛ كما في «صحيح ابن حبان» والحاكم، قالوا: يا أبا عبدِ الرحمن، هذه الرُّقَى والتمائمُ قد عرفناهما، فما التِّوَلَةُ؟ قال: شيءٌ يصنعُه النساءُ يتحبَّبنَ إلى أزواجِهن[1].

قال الحافظ: التِّوَلَةُ؛ بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً: شيءٌ كانت المرأةُ تَجلِب به محبةَ زوجِها، وهو ضَربٌ من السحر، وإنما كان ذلك من الشركِ؛ لأنهم أرادوا دفع المضارِّ وجَلبَ المنافع من عند غير الله[2].[3] [٨٣]

[شرح٨٣] والحاصل أن التِّوَلَة شيء يصنعه النساء أو يصنع لهن، مقصوده جلب محبة الزوج إلى امرأته وتحبيبها إليه. =

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: الرقى والتمائم (٦٠٩٠)، والحاكم في «المستدرك»: الطب (٤/ ٢١٧-٢١٨، ٤١٧-٤١٨).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٦).

(٣) ص١٠٩-١١٠.

....

= وقد يعمل للبغضاء نوع من التولة؛ لتبغيضها إليه أو لتبغيضه إليها، حتى تتم الفرقة، فهو نوع من أنواع السحر الذي يتعاطاه النساء في الغالب، وقد يتعاطاه غيرهن من الرجال؛ للإفساد، ويكون بواسطة الشياطين.

فيعمل الشيطان للإنسان أشياء يحصل بها تقبيح الرجل عند زوجته، أو تقبيحها عنده حتى يعافها وينفر منها، بأشياء تخيل إليه، يسببها هذا الشيطان أو هذا الجني؛ بما يفعله من أشياء تجعل صورة الرجل بالنسبة إلى امرأته صورة قبيحة، تنفر منها المرأة وتخافها، وهكذا العكس، وهو إنما يكون بعبادة الشياطين وخدمتهم وطاعتهم، ولهذا صار من السحر.

۞ قال: وعن عبدِ الله بن عُكَيم مرفوعاً: «مَن تعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه»(١) رواه أحمد والترمذي، ورواه أيضاً أبو داود والحاكم.

قوله: (عن عبدِ الله بن عُكَيم) هو بضم المهملة مُصَغَّراً، ويُكنَى أبا مَعبَدٍ الجُهَنيَّ الكوفيَّ.

قال البخاريُّ: أدرك زمنَ النبيِّ ﷺ ولا يُعرَف له سماعٌ صحيحٌ، وكذا قال أبو حاتم، وقال معناه أبو زُرعَة وابنُ حِبّان وابن مَندَه وأبو نُعيم(٢).(٣) [٨٤]

[شرح٨٤] أي: أنه أدرك النبي ﷺ ولكن لا يحفظ له سماع، مثل طارق بن شهاب ليس له سماع، وقيل: إنه تابعي، فيكون مرسلاً، فهو على الأول مرسل صحابي، وعلى القول بأنه تابعي فيكون من باب المراسيل، لكن معناه صحيح.

---

(١) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٧٢)، وأحمد (٤/ ٣١٠، ٣١١)، والحاكم في «المستدرك»: الطب (٤/ ٢١٦). وليس الحديث عند أبي داود.

(٢) انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٨٧) ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) ص١١٠.

۞ وقال البغويُّ: يُشَكُّ في سماعه.

وقال الخطيب: سكن الكوفةَ، وقَدِمَ المدائنَ في حياة حذيفة، وكان ثقةً، وذكر ابنُ سعدٍ عن غيرِه: أنه ماتَ في ولايةِ الحَجّاج، وظاهرُ كلامِ هؤلاء الأئمة أن الحديث مرسل[1].

قوله: (مَن تعلّق شيئاً وُكِلَ إليه) التعلُّق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعاً، أي: أن من تَعلَّق شيئاً بقلبه أو تَعلَّقه بقلبه وفعلِه.

(وُكِلَ إليه) أي: وَكَلَه الله إلى ذلك الشيء الذي تَعلَّقه، فمن تعلَّقت نفسُه بالله، وأنزل حوائجَه بالله، والتجأ إليه، وفوَّضَ أمرَه إليه، كفاه كلَّ مُؤنَة، وقرَّب إليه كلَّ بعيد، ويَسَّر له كلَّ عسير[2]. [٨٥]

[شرح٨٥] كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ =

---

(١) ومرسل الصحابي حجة عند غالب أهل العلم؛ إذا كان صحيحاً.

(٢) ص١١٠.

....

= [الطلاق:٣] أي: كافيه، قال عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] وإذا كان التوكل على الله والتعلق به سبحانه وتعالى لا ينافي الأسباب، بل يجب مع ذلك الأخذ بالأسباب، فلا يتم التوكل إلا بالأخذ بالأسباب، فمن توكل مع طرح الأسباب، فتوكله عجز، وليس بتوكل شرعي.

فالتوكل الشرعي هو الذي يجمع بين الأمرين: الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله، والتفويض إليه، وتعلق القلب به سبحانه وتعالى، هذا هو التوكل الشرعي الذي أمر الله به عباده، فالإنسان يتوكل على الله في دخول الجنة والنجاة من النار، ونجاح الأعمال والمقاصد، لكن مع قيامه بأعمال الجنة، وتركه أعمال النار، وأخذه بالأسباب المباحة من التجارة والزراعة وغير ذلك.

فمن تعلق على الله وتوكل عليه واعتمد عليه كفاه الله الهم ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] يعني كافيه، ومن تعلق على الأصنام والأوثان والتمائم وكله الله إليها ولا حول ولا قوة إلا بالله. =

....

= فهذا يوجب الحذر من التعلق على غير الله، ويوجب الثقة بالله والاعتماد عليه والتوكل عليه في كل الأمور، مع القيام بالأسباب، ومع الأخذ بالأسباب بطاعة الله وترك معاصيه، والأسباب الأخرى التي أباحها سبحانه من أكل وشرب وطب وغير ذلك، فالمؤمن يتوكل على الله.

ولكن لا يمنعه التوكل من الأخذ الأسباب، بل التوكل يخضع لأمرين؛ الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب، وهو يعتمد على الله في أموره كلها، ويأخذ بالأسباب الشرعية والأسباب الحسية، الشرعية كطاعة الله لدخول الجنة وترك المعاصي؛ لأنها من أسباب دخول النار، والحسية كالطب والعلاج والأكلات المباحة، وكالأكل ضد الجوع والشرب ضد الظمأ، هذه تعتبر أسباباً حسية.

فمن توكل على الله في حصول الحبوب والفواكه وحراث مزرعته، لكنه لم يحرثها ولم يسقها ولم يبذرها، فهو أشبه بالمجانين، ومن توكل على الله في دخول الجنة والنجاة من النار، وقد ضيع أوامر الله، وارتكب محارمه، فهو أشبه بالمجانين، وليس بمتوكل حقيقة. =

....

= وإنما المتوكل هو الذي يفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه مع قيامه بالأسباب الشرعية، وقيامه بالأسباب المباحة التي يحتاجها، وتركه للأسباب الأخرى التي تعارض تلك الأسباب التي جعلها الله موصلة*.

---

* س: ماذا عن الرقى الشرعية التي تكتب وتعلق؟

ج: الرقية الشرعية لا بأس بها، لكن المعنى الاعتماد على الله ﷻ والتوكل عليه.

س: أيعلقونها؟

ج: لا تعلق الرقى، يرقي مريضه ويتوكل على الله، أما التمائم فسبق الكلام فيها.

س: بعض الناس يترك العلاج ويقول: توكلت على الله؟

ج: ما في ذلك بأس، الطب ليس بلازم، وأن يعالج أفضل، لما قال رسول الله ﷺ: «يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء»[1] وقال: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام»[2]، وإن ترك العلاج وصبر على المرض فلا حرج. =

---

(١) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٣٨).

(٢) أبو داود: الطب (٣٨٧٤).

....

= س: ورد في حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم لا يسترقون... ؟

ج: قالوا: لا يسترقون فمثل هذا التمريض مخصوص ففيه الاسترقاء، والكي مستحب، ويسترقون ليس معناه التواكل هنا لقوله ﷺ: «لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[1] هذه أسباب مكروهة فتركها أولى؛ الاسترقاء: الطلب من الناس أن يقرؤوا عليه، هذا تركه أفضل، وإن فعله فلا بأس، ما ثبت أن الرسول ﷺ أمر أن يسترقى لأولاد جعفر[2]، فتركه أولى وإن دعت الضرورة إليه من نظر أو عين ونحوه فلا بأس.

كذلك الكي نوع من التعذيب، ولكن الأولى ألا يستعمل إلا عند الحاجة.

كذلك الطيرة نوع من الشرك فلا تستعملها، التشاؤم والاعتقاد بالسانح والبارح ونحو ذلك فهو من عمل الجاهلية فلا يجوز، ولأنها نوع من الشرك بالله ﷻ فلا تجوز.

والحاصل أن تلك الأشياء خاصة، أما بقية الأسباب فمشروع تعاطيها. =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠).

(٢) انظر مسلم: السلام (٢١٩٨).

....

= س: ما الشروط الثلاثة في الرقية؟

ج: الأول: أن تكون الرقية بلسان معروف المعنى ما فيه محذور، وليس مجهولاً، أي: بلغات معروفة.

والثاني: ألا تكون محظورة شرعاً، بذلك المعنى.

الثالث: ألا يعتمد عليها بذاتها.

س: ما يكتب من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو القراءة على شرب، ما حكم ذلك هل من الرقية أو يجب اجتنابه؟

ج: ورد في ذلك بعض الكلام عن أهل العلم، وروي عن ابن عباس ﷺ أنه كان يأمر بكتابة آيات من القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى للمريض[1] فالأولى عندي والأفضل ترك ذلك والاجتهاد بالرقية الشرعية، هذا هو الأفضل، أو يرقي الماء ويشربه.

أما أن يكتب فالأولى تركه، لأنه ما ورد عن الصحابة استعماله، وألا يستخدمه كثير من الناس على غير بصيرة، فالأولى عندي ترك ذلك والأفضل عندي وإن كان كثير من الناس لا يراه، لكنه الأولى والله أعلم. =

(١) انظر «عمل اليوم والليلة» لابن السني: (٦٢٠)، أخرجه الشافعي والجماعة ولكن لا يعرف صحة إسناده، (انظر: «زاد المعاد» لابن القيم: ٤/ ١٥٧ و«الآداب الشرعية» لابن مفلح: ٣/ ٩٨)

....

= س: ماذا لو علق آية من القرآن؟

ج: هذا من التمائم، هذا لا يثبت، والصحيح أن يقرأ؛ لأن التعليق وسيلة للشرك ووسيلة لتعليق التمائم الأخرى، ونهى الرسول ﷺ عن التمائم، وعمَّم ولم يخص شيئاً دون شيء.

س: نرى بعض الناس يصاب بالسحر فيذهب إلى إنسان يعالج هذه الأشياء لا يصنع شيئاً فيه شرك؟

ج: ما دام أنه معروف أنه ساحر أو يدعي الغيب يحرم سؤاله «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[1].

س: وإذا كان مسلماً؟

ج: ينظر في أمره ويسأل عن علاجه بماذا يعالج، فإن كان معروفاً أنه يدعي علم الغيب، وأنه عافى فلاناً وشفى فلاناً وكذا وكذا ما يؤكد أنه يدعي معرفة الغيب فلا يسأل ولا يجوز إتيانه، أما إذا كان يتعاطى أدوية تؤكل أو تشرب يسأل عنها فإن كانت مجربة ونفع الله بها فلا حرج.

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٣٠).

۞ ومَن تَعلَّق بغيره أو سَكَن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه، واعتمد على حَولِه وقوته، وَكَلَه اللهُ إلى ذلك وخذلَه، وهذا معروفٌ بالنصوص والتجارِبِ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا أبو سعيد المؤدبُ، قال: حدثنا مَن سمع عطاءَ الخُراسانيَّ، قال: لقيت وَهبَ بن مُنبِّه، وهو يطوف بالبيت، فقلت له: حدِّثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا، وأوجز، قال: نعم، أوحى اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ إلى داودَ: يا داودَ، أما وعِزَّتي وعَظَمتي لا يعتصم بي عَبدٌ مِن عبيدي دون خَلْقي، أعرِفُ ذلك مِن نيَّتِه، فتكيدُه السماواتُ السبعُ ومن فيهن، والأرضون السبع، ومن فيهن، إلا جعلتُ له من بينهنَّ مخرَجاً، أما وعِزَّتي وعَظَمتي لا يعتصم عبدٌ من عبيدي بمخلوق دوني، أعرفُ ذلك من نيته، إلا قطعتُ أسباب السماء مِن يديه، وأسَختُ الأرضَ من تحت قدميه، ثم لا =

= أُبالي بأي وادٍ هَلَكَ(١).(٢) [٨٦]

[شرح٨٦] هذا من أخبار بني إسرائيل التي تذكر للاعتبار والذكرى والعظة، عملاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»(٣). فهذه تذكر من باب الاعتبار والعظة والذكرى، وهذا وهب رحمه الله يحدث عن بني إسرائيل بأشياء كثيرة للعظة والذكرى، كما يحدث كعب وغيره، وعبد الله بن عمرو ابن العاص وغيرهم.

والأصل في هذا ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»؛ لأن فيهم الأعاجيب الكثيرة والغرائب المتنوعة.

وفي هذا السند إلى عطاء عن وهب فيه مبهم، وهو من سمع من عطاء، لكنه بكل حال من أخبار بني إسرائيل*.

* س: يعني المراد من قوله: «حدثنا من سمع»؟

ج: أي: مبهم.

(١) لم أجده في «الزهد» ولا «المسند»، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٦).

(٢) ص١١٠-١١١.

(٣) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٦١).

۞ وروى الإمام أحمدُ عن رُوَيفِع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رُوَيفِع، لعلَّ الحياةَ تطولُ بك، فأخبِرِ الناسَ أنَّ مَن عقدَ لحيتَه أو تقلَّد وَتَراً أو استنجَى برجيعِ دابَّةٍ أو عَظمٍ فإن محمداً بريءٌ منه»[1].[2] [٨٧]

[شرح٨٧] (رواه أحمد عن رويفع بن ثابت الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو بعظم فإن محمداً ﷺ بريء منه»).

هذا الحديث رواه أحمد من طريقين، أحدهما أحسن من الآخر، فهو جيد بالطريقين، ورواه أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بإسناد جيد أيضاً، ورواه أبو داود أيضاً[3]، فهو حديث جيد بطرقه، وفيه دلالة على أن عقد اللحى لا ينبغي ولهذا أخبر =

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠٨ و١٠٩)، وأخرجه النسائي: الزينة (٥٠٦٧)، وأبو داود: الطهارة (٣٦).

(٢) ص١١١.

(٣) أخرجه أبو داود: الطهارة (٣٧)، ولم يروه أحمد من طريق عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

....

= النبي ﷺ أن من فعل هذا فإن محمداً بريء منه.

قال بعضهم في عقد اللحى: هو تجعيدها ونفشها تعاظماً وتكبراً كفعل بعض الأعاجم، وقال بعضهم: عقدها هو أن يصففها كفعل أهل التأنيث والتخنث والتأنث إذ كان لهم هيئة معروفة يتشبه بهم، وقال بعضهم: هذا في الصلاة، واحتج بالرواية الأخرى: «من عقد لحيته في الصلاة»[1].

فالحاصل أن إطلاق عقد اللحى يقتضي أن يحذر المؤمن الصفات التي تذم إما من جهة نفشها وتعظيمها تكبراً، أو من جهة ما يراد التشبه به من أهل التخنث والصفات الذميمة، وكذلك العبث بها في الصلاة، فينبغي ألا يعبث بها في الصلاة، فتفسد الصلاة، ومعلوم أن الإنسان مأمور بالخشوع في الصلاة والإقبال عليها، فلا ينبغي له التشاغل بلحية ولا بغيرها، ولا ينبغي له أيضاً أن يعبث بلحيته كعبث أهل التكبر أو أهل التخنث، بل ينبغي له =

(١) أوردها السيوطي في «شرحه لسنن النسائي» ٨/ ١٣٦، وعزاها لمحمد بن الربيع الجيزي في كتاب «من دخل مصر من الصحابة».

....

= أن يرخيها ويعفيها على الطريقة الإسلامية التي فعلها رسول الله وأصحابه من غير تكبر ولا عجب، ولا تشبه بمن لا يرضى التشبه بهم من أهل التأنث والتخنث.

والحاصل من هذا أن الرسول ﷺ نهانا عن عقد اللحى؛ لأن في ذلك إما تشبه بأهل الكبر، أو تشبه بأهل التخنث، أو لأن في ذلك عبثاً على تقدير صحة رواية الصلاة، وإن كنت حتى الآن لم أراجع رواية زيادة «في الصلاة»، وتقدير هذه الزيادة قد لا يمنع المعاني الأخرى التي ذكرها بعض أئمة اللغة من جهة التشبه بأهل التخنث، أو من جهة مشابهة أهل التكبر.

فينبغي له أن يكون معفياً لها معتنياً بها، غير متشبه بمن لا يرضى التشبه بهم، وغير قاص ولا حالق لها، بل يعفيها ويلاحظها، ولكن يتجنب العبث بها في الصلاة، أو التشبه بأهل الفسق في عمله فيها من تجعيد ونفش، أو من صفة خاصة يشابه فيها من لا يرتضى.

(أو تقلد وتراً) هذا هو الشاهد (أو تقلد وتراً) تقليد الأوتار كلبس التمائم، وقد ذكر هنا بعد التمائم، لأن التمائم تعلق على =

....

= الأولاد، والأوتار تعلق على الدواب، والجامع بينهما قصد دفع العين، ولهذا حرما جميعاً على الدواب وعلى الأولاد.

التمائم والأوتار كلاهما محرمان لما في ذلك من التعلق على غير الله، وصرف القلوب إلى غير الله، فهذا مما منعه الرسول ﷺ لما فيه من التشبه بالجاهلية والسير على منهاجهم والتخلق بأخلاقهم، ولما في ذلك أيضاً من صرف القلوب ولفتها إلى غير الله ﷻ؛ لأن المعلق قد يتعلق به القلب ويرتبط به، فيضعف تعلقه بالله والتوكل عليه ﷻ.

وقد تقدم الكلام في التمائم وأنها محرمة مطلقاً من القرآن ومن غير القرآن في أصح أقوال العلماء، والأوتار مثل ذلك محرمة، وقد تكون من القسي أو من أشياء أخرى، وقد تعلق لمعنى آخر، لدفع العين أو لدفع الجن أو غير ذلك من المقاصد الرديئة، أما تقليد القلائد للزينة والجمال فقط في عنق الإبل أو الخيل فهذا لا بأس به، وأما المنهي عنه فتقليد الأوتار وأشباهها في المعنى بقصد دفع العين أو دفع الجن أو ما أشبه ذلك.

(أو استنجى برجيع دابة أو بعظم فإن محمداً بريء منه) هـذا =

....

= جاء في عدة أحاديث النهي عن الاستنجاء بالعظم والأرواث، رواه مسلم من حديث ابن مسعود، ورواه جماعة من أحاديث أخرى، فالاستجمار بالعظام والأرواث ممنوع ومحرم مطلقاً، فينبغي لأهل الإسلام تجنب ذلك، وفي حديث ابن مسعود عند مسلم: «فإنهما زاد إخوانكم من الجن»[1]. فإن الله جعل لهم فيها خيراً، فالعظم يكون لهم فيه خير فيعود كأوفر ما كان لحماً، والبعر لدوابهم.

فالمقصود أن العظم والروث لا يستنجى بهما للنهي عن ذلك، وفي هذا الحديث دلالة على أن من فعل بعض هذه الأمور فإنه يتوعد بالبراءة من المسلمين، وهذا يدل على تحريم هذا الشيء، وأن الواجب الحذر منه؛ لأن براءة النبي ﷺ من الشخص الذي يفعل هذا الشيء أمر عظيم وخطير.

---

(١) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٥٠).

۞ قال رحمه الله تعالى: قال: وعن سعيدِ بن جُبَير، قال: مَن قَطَع تميمةً من إنسانٍ كان كعدلِ رقبةٍ[1]، رواه وكيع. هذا عندَ أهلِ العلمِ له حكمُ الرفعِ؛ لأن مثلَ ذلك لا يُقال بالرأي، فيكون على هذا مرسلاً، لأن سعيداً تابعي[2]. [٨٨]

[شرح٨٨] وقوله: «من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة» ليس مما يقوله الإنسان برأيه؛ لأن هذا تقدير للجزاء والثواب، فهو إلى الله جل وعلا، فيكون في حكم المرسل؛ لأنه ليس صحابياً.

في هذا فضل قطع التمائم، وأنها تشبه عتق الرقاب، وما ذاك إلا لأن قطع التمائم إعتاق للشخص من رق الشرك، وعبودية الشيطان، ورقه، فإن هذا نوع من الشرك، والشرك فيه نوع من عبودية الشيطان، ونوع من الاستطالة على الله.

فقطع التميمة من رقبته، وبيان أن هذا مما حرمه الله عليه، وإعتاقه من هذا البلاء، يشبه عتق الرقاب، وقد يقال: إنه أفضل من عتق الرقاب؛ لأن العتق من الشرك أعظم وأكبر من عتق الرقاب. =

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٧٣).

(٢) ص١١٣.

....

= فالحاصل أن هذا المقام مقام عظيم، وأن هذا يدل على فقه سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ورحمه ـ إذا قدرنا أنه كان من اجتهاده ونظره وتأمله، فيحتمل أنه قاله من اجتهاده، لكن الأغلب في الظن أنه في حكم المرفوع.

وكما أن إعتاق الرقاب من الفضل ومن أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، فإعتاق العبيد من الشرك وصد وسائله، قد يكون مثل ذلك أو أعظم، فيكون هذا من باب التفقه والنظر في معاني الأمور ومقتضياتها، فإن عتق الرقاب إعتاق لها من الرق ـ الذي يجعل الإنسان ـ يشبه البهائم إلى الحرية التي ليس لأحد من المخلوقين عليها سلطان، من جهة الملك، وإن كان لولي الأمر سلطان من جهة الولاية.

فإذا كان هذا تخليصاً من رق يشبه به صاحبه البهيمة، فتخليص الإنسان من رق الشرك الذي هو فيه رقيق للشيطان وتحت سيطرة الشيطان، ويفضي به ذلك إلى سجن أعداء الله، وهي النار، يكون أعظم وأكبر من نفس عتق الرقاب. =

....

= وتشبيهه بعتق الرقاب هو على أقل تقدير؛ فمن تأمل المقام ونظر فيه قضى بأن إعتاق الإنسان من الشرك كبيره وصغيره أعظم في المعنى من عتق الرقاب.

وبهذا يعلم أن للرأي مجالاً عند التأمل في هذا المعنى، ويبين أن حمله على أنه سمعه أو تلقاه عن غيره من الصحابة، وأنه في حكم المرسل، له وجاهته.

۞ وفيه فضلُ قطعِ التمائمِ؛ لأنها من الشركِ، ووكيعٌ هو ابن الجراح الكوفي. ثقةٌ إمامٌ، صاحب تصانيف منها «الجامع» وغيرهُ، روى عنه الإمام أحمد وطبقته، مات سنة سبع وتسعين ومئة[1]. [٨٩]

[شرح٨٩] سعيد بن جبير تقدمت ترجمته في باب التوحيد، وهو مولى بني أسد، تابعي جليل، من أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه، قتل ظلماً بين يدي الحجاج بن يوسف سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين، رحمه الله. ووكيع وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ـ بضم الراء وهمزة ومهملة ـ أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة، مات في آخر سنة ست أو أول سنة سبع وتسعين وله سبعون سنة (الجماعة).

وهذا يدل على فضل قطع التمائم وإزالتها، وكذلك قطع الأوتار التي تقلد بها الدواب.

وقد ثبت في حديث أبي بشير الأنصاري أن النبي ﷺ بعث رسولا وأمره أن يقطع التمائم والأوتار وأشباهها التي علقها الناس =

---

(١) ص١١٣.

....

= في أعناق الإبل[١]، فهذا يدل على أن قطعها فيه فضل عظيم؛ لأن قاطعها قد أعتقه من الشرك، فهو أفضل ممن أعتق الرقاب التي فيها فضل عظيم، ولكن دون عتق الشرك، فإذا كان عتق الرقاب فيه فضل، فمن يقطع هذه الأوتار ويزيلها عن أخيه المسلم فقد أعتقه من رق الشرك، فإن ذلك يكون أفضل من عتق رقبة.

وهذا في حكم المرسل؛ لأن هذا لا يقال من جهة الرأي، فإذا كان قاله لا من جهة رأيه فهو في حكم المرسل، ويحتمل أن قاله باجتهاد، وأن عتق الرقاب له فضل، فإن عتق العبد من رق الشرك قد يكون من هذا الباب أو من جنسه أو أفضل منه، بل إن عتقه من الشرك أفضل وأعظم من عتق الرقاب.

فينبغي للمؤمن أن يجتهد في ذلك ولكن مع مراعاة الطريق الشرعي في إنكار المنكر، فلا يقدم على قطع هذه التمائم إلا على بصيرة؛ لئلا يترتب على قطعه إياه من غير بصيرة ما هو أنكر وأشد، من المضاربات والتقاتل ونحو ذلك. =

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٥)، ومسلم: اللباس والزينة (٢١١٥).

....

= فالمحتسب ينصح ويوجه إلى الخير ويشير حتى يحصل له بذلك إعتاق أخيه من هذا البلاء، فإذا لم يتيسر له ذلك بالنصيحة رفع أمره إلى من هو أقوى منه، فهذا يستطيع أن يزيله بقوة إذا لم تنفع النصيحة*.

---

* س: ما صحة سند هذا القول إلى سعيد؟

ج: ظاهر قول المؤلف والشارح أنه ثابت عنه.

۞ قال: وله عن إبراهيمَ: كانوا يكرهون التمائمَ كلَّها، من القرآنِ وغيرِ القرآن(١).

إبراهيم: هو إبراهيمُ بن يزيدَ النَّخَعيُّ الكوفيُّ يُكنَى أبا عمرانَ، ثقةٌ، إمامٌ من كبار فقهاء الكوفة.

قال الـمِزِّيُّ: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماع منها، مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنةً، ونحوها(٢). [٩٠]

[شرح٩٠] (قال: وله) يعني: وكيعاً رحمه الله، وقيل: له مؤلف سماه «الجامع» (قال وله عن إبراهيم) يعني: إبراهيم بن يزيد النخعي، وهو تابعي جليل معروف روى عن خاله عبد الرحمن بن يزيد، وعلقمة بن قيس النخعي وغيرهما (قال: كانوا يكرهون) يعني بذلك: أصحاب عبد الله بن مسعود.

(قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها من القرآن وغير القرآن) المعنى أن أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ ورحمه ـ وهكذا عبد الله ـ =

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٦٧).

(٢) ص١١٣.

....

= يكرهون هذه التمائم التي يعلقها الناس من القرآن ومن غير القرآن، سواء أكانت من القرآن؛ كأن يكتب آيات ويعلقها، أو بغير القرآن من أدعية أو غير ذلك، وإذا كانت من الودع أو العظام والطلاسم كانت أشد وأقبح.

وقد تقدم أن القول الصحيح أن التمائم ينهى عنها وتقطع، سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن، لعموم الأدلة الدالة على قطع التمائم مطلقاً، فالرسول ما فصل عليه الصلاة والسلام.

ولأمر ثان: وهو سد الذريعة؛ لأنه إذا فتح باب التعليق اشتبه الأمر، فلذلك وجب سد الذرائع، وقد جاء في الشريعة سد الذرائع لأدلة كثيرة، وهذا من ذاك الباب، والله ﷻ أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد*.

---

* س: يقول بعض الناس إن عمر بن الخطاب يقول: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا إلى كل من كان عنده زاد وراحلة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين[1]، ويستدلون بحديث =

---

(١) أورد الحافظ في «تلخيص الحبير»: (٢/ ٢٢٣).

....

= علي وأبي أمامة: (من ملك زاداً وراحلة ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً)؟[1].

ج: هذا من باب الوعيد، فهذا على خطر، الذي يؤخر الحج وهو قادر ينبغي له التوبة إلى الله، وحديث عمر ضعيف.

(١) أخرجه الترمذي: الحج (٨١٢) من حديث علي، وأخرجه الدارمي: المناسك (١٧٨٥) من حديث أبي أمامة بنحوه.

۞ قولُه: (كانوا يكرهون التمائمَ ...) إلى آخره مرادُه بذلك أصحابُ عبدِ الله بن مسعود كعَلقَمَة والأسودِ وأبي وائلٍ والحارثِ بن سُوَيدٍ وعَبيدةَ السَّلمانيِّ، ومسروقٍ، والرَّبيعِ بنِ خُثيمٍ، وسُويدِ بن غَفَلَة، وغيرهِم من أصحاب ابنِ مسعود، وهم من سادات التابعين[1]. [٩١]

وهذه الصيغةُ يستعملُها إبراهيمُ في حكاية أقوالهم كما بَيَّن ذلك الحفّاظُ كالعراقيِّ وغيرِه[2].

[شرح٩١] المعنى أنهم يرون تحريم تعليق التمائم مطلقاً، سواء أكانت من القرآن أم أكانت من غير القرآن؛ سداً للذريعة، وحسماً لمادة الشرك، وعملاً بالأحاديث العامة في النهي عن التمائم وتعليقها.

وقوله: (أصحاب ابن مسعود) هذا كقول إمامهم ومعلمهم ابن مسعود، وهو القول الصواب في هذه المسألة؛ لما تقدم من =

---

(١) ص١١٣.
(٢) ص١١٣.

....

= الأدلة، وأهمها أمران:

الأمر الأول: عموم الأدلة، وأنه ليس هناك استثناء في تعليق التمائم.

الأمر الثاني: قفل باب الشرك وسد الذريعة؛ لأنه متى أجزنا ما كان من القرآن أو من الأشياء المباحة فتحنا باب تعليق التمائم والتبس الأمر، وصار من أراد إنكار المنكر يلتبس عليه الأمر ويصعب عليه التمييز.

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

۞ كبُقعةٍ وغارٍ وعَينٍ وقبرٍ ونحو ذلك مما يعتقدُ كثيرٌ من عُبّاد القبورِ وأشباههم فيه البركةَ، فيقصدونه رجاءَ البركةِ.

ويعني بقوله: (تبرك) أي: طلبَ البركةَ ورجاها واعتقدَها، أي: ما حكمهُ؟ هل هو شركٌ أم لا؟

قال: وقولُ الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] الآيات.

هكذا ثبتَ في خط المصنفِ (الآيات) أي: إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

قال القُرطُبيُّ: لما ذَكَر الوحي إلى النبي ﷺ وذَكَر مِن آثارِ قدرته ما ذكر، حاجَّ المشركين إذ عبدوا ما لا يَعقل، وقيل: =

= أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها أَوْحَيْنَ[1] إليكم شيئاً كما أُوحِيَ إلى محمد ﷺ.

وكانت اللاتُ لثقيفٍ، والعُزَّى لقريشٍ وبني كِنانة، ومناةُ لبني هلالٍ.

وقال ابنُ هشام: كانت مناةُ لِهُذَيلٍ وخُزاعةَ.

ذكر صفة هذه الأوثان:

ليعرفَ المؤمنُ كيفيةَ الأوثان وكيفية عبادتها، وما هو شركُ العربِ الذي كانوا يفعلونه، حتى يُفرِّق بين التوحيد والإخلاصِ، وبين الشركِ والكفرِ.

فأما (اللات) فقرأ الجمهورُ بتخفيفِ التاء، وقرأ ابنُ عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورُوَيسٌ عن يعقوبَ (اللاتَّ) بتشديد التاء.

فعلى الأُولى قال الأعمشُ: سَمُّوا اللاتَ من الإلهِ، =

(١) «أوحين» مؤنثة، أي الآلهة، كما لو كان وقع من النساء.

= والعُزَّى من العزيز[١].

قال ابنُ جريرٍ: وكانوا قد اشتَقُّوا اسمَها من الله تعالى، فقالوا: اللاتُ، مؤنثةً منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. قال: وكذا العُزَّى من العزيزِ.

قال ابن كثير: وكانت صخرةً بيضاءَ منقوشةً، عليها بيتٌ بالطائف. له أستارٌ وسَدَنة، وحوله فناء معظَّم عند أهلِ الطائف، وهم ثقيفٌ ومن تابَعها، يفتخرون به على مَن عداهم من أحياء العربِ بعدَ قريشٍ[٢].

قال ابن هشامُ: وكانت في موضع مسجدِ الطائفِ اليُسرَى.

فلم يزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيفُ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ المغيرةَ بنَ شُعبة، فهدَمها، وحَرَقها بالنار[٣]. [٩٢]

[شرح٩٢] أي: على قراءة (اللات) بالتخفيف صخرة منقوشة =

---

(١) «تفسير الطبري» (١١/ ٥١٩)، تفسير الآية ١٩ من سورة النجم.

(٢) «تفسير ابن كثير» ٧/ ٤٥٥.

(٣) ص١١٣-١١٤.

....

= عليها بيت معظم؛ فقالوا: (اللات) بالتخفيف، أي: الصخرة، والمعنى بالتشديد لكن خففوها؛وهو اسم لرجل كان يلت عليها السويق، ويجعل معها السمن ويطعم الحجيج، فعظموه لأجل هذا لما مات.

۞ وعلى الثانية قال ابنُ عباس: كان رجلاً يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاج، فلما مات عكفوا على قبره. ذكره البخاري[1].

وقال ابنُ عباس: كان يبيع السَّوِيقَ والسَّمنَ عند صخرة، ويَلتُّه عليها، فلما مات ذلك الرجلُ، عبدَت ثقيفُ تلك الصخرةَ إعظاماً لصاحب السويقِ[2]. [٩٣]

۞ وعن مجاهدٍ نحوه، وقال: فلما ماتَ عبدوه. رواه سعيد ابن منصور، والفاكهي[3][4]. [٩٤]

[شرح٩٣] يقال «ثقيفٌ» بالتنوين؛ بالنسبة إلى الرجل، و«ثقيفُ» بدون تنوين إذا أردت القبيلة.

[شرح٩٤] هذا صاحب مؤلف في مكة وأحوالها وأخبارها، متأخر، أظنه في القرن الرابع، وهو غير الأزرقي[5].

---

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٨٥٩) دون قوله: فلما مات عكفوا على قبره.

(٢) ص١١٤.

(٣) أورد ذلك السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٣).

(٤) ص١١٤.

(٥) الفاكهي هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، مؤرخ من أهل مكة كان =

۞ وكذا روى ابنُ أبي حاتم عن ابنِ عباس أنهم عبدوه[١].

وقال ابنُ جُرَيج: كان رجلٌ من ثقيف يَلُتُّ السَّوِيقَ بالزيتِ، فلما تُوفِّي جعلوا إلى قبرهِ وثناً[٢]، وبنحوِ ذلك قال جماعةٌ من أهل العلم.

ولا تَخالُفَ بين القولين، فإن من قال: إنها صخرةٌ، لم ينفِ أن تكون صخرةً على هذا القبرِ أو حوالَيه، فعُظِّمَت، وعُبِدَت تَبعاً لا قَصداً، فالعبادةُ إنما أرادوا بها صاحبَ القبرِ، فهو الذي عبدوه بالأصالة، يدلُّ على ذلك ما روى الفاكهيُّ عن ابنِ عباس: أن اللاتَ لما مات قال لهم عَمرُو بن لُحَيٍّ: إنه لم يَمُت، ولكنه دخل الصخرةَ فعبدوها وبَنَوْا عليها بيتاً[٣]، فتأمَّل فِعلَ المشركين في هذا الوثن، ووازِن بينه وبين بناء القِبابِ على القبور، والعُكوفِ عندَها ودعائها، وجعلِها =

= معاصراً للأزرقي ـ محمد بن عبد الله (ت نحو ٢٥٠ هـ) ـ متأخراً عنه في الوفاة له «تاريخ مكة» توفي بعد ٢٧٢ هـ. «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٨).

(١) «الدر المنثور» (٦/ ١٦٣).

(٢) «الدر المنثور» (٦/ ١٦٣).

(٣) «الدر المنثور» (٦/ ١٦٣).

= ملاذاً عند الشدائد[1]. [٩٥]

[شرح٩٥] ما أشبه الليلة بالبارحة! وعمل هؤلاء أشد من عمل أولئك، عمل عباد القبور الآن من بناء القباب عليها، واتخاذهم عليها ما اتخذوا، يستصرخونها ويدعونها في الشدة والرخاء جميعاً، في جميع الأحوال، وأما ثقيف وقريش وأشباههم فشركهم في حال الرخاء، وإذا جاءت الشدائد أخلصوا لله العبادة، والله المستعان.

---

(١) ص١١٤-١١٥.

باب ما جاء في الذبح لغير الله

۞ أي: من الوعيد وهل يكون شركاً أم لا؟

قال: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الآيات [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢][(١)]. [٩٦]

[شرح٩٦] قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب ما جاء في الذبح لغير الله) أراد المؤلف ـ رحمه الله ـ بيان ما جاء في الذبح لغير الله من الدلائل على أنه شرك بالله ﷻ كما أن الذبح لله عبادة؛ فالذبح لغيره شرك، وهكذا أنواع العبادة الأخرى كالاستعاذة والنذر والخوف والرجاء والسجود والصلاة وغير ذلك.

فالذبح لغير الله من جملة القرب؛ فإذا فعلها لله فهي عبادة، والذبح لغير الله شرك به ﷻ، وهذا يشمل الذبح لله في الضحايا والأنساك والحج والعمرة؛ فالعبادة له ـ سبحانه ـ والذبح له، =

---

(١) ص١٢٢.

....

= للتطوع والتقرب والصدقة كله عبادة، والذبح باسمه ـ سبحانه ـ عبادة فإذا صرف هذا لغير الله، أي: ذبح باسم غير الله كأن قال: باسم المسيح أو باسم الزهرة أو باسم البدوي أو باسم الشيخ عبد القادر أو باسم الرسول، فهذا شرك بالله في الذبح، أو قصده بقلبه، أي: قصد بالذبيحة التقرب إلى غير الله من الأولياء والأنبياء أو الجن أو ما أشبه ذلك؛ فقد عبده بذلك؛ ولهذا قال ـ سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾؛ فالصلاة والذبح كلتاهما عبادة، فالصلاة عبادة بدنية، والذبح عبادة مالية يجب إخلاصها لله وحده ﷻ؛ ولهذا قال: (نسكي) وهو الذبح، وكذلك قوله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فالنحر قرين الصلاة.

وفي آية الأنعام ﴿وَنُسُكِي﴾ قيل في النسك: إنه أعم من ذلك، أي: أن معناه (العبادة) والذبح من جملتها، وقيل: معناه (ديني) والمشهور الأول من أن النسك هو الذبح، والمعنى: قل إن تعبدي بالصلاة، وتعبدي بالذبح لله وحده ﷻ، وهكذا محياي ومماتي، قل: إن حياتي وموتي لله، وما أفعله في حياتي، وما أفعله في موتي كله لله. =

....

= المقصود أن العبد تصرفاته كلها لله. المؤمن في حياته يتصرف لله جل وعلا وهو ملك لله ﷻ في نفسه، وتصرفاته لله، فهو لله حياً وميتاً، وتصرفاته لله حياً وميتاً؛ فهو في حياته يعبد الله وحده وينيب إليه ﷻ، وبعد وفاته هو بين يدي الله وفي ملكه ﷻ وجل وعلا؛ ولهذا قال: ومحياي ومماتي، أي: هو ملك لله، وفي قبضة الله، وفي تصرف الله ـ جل وعلا ـ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٣]، وهذا يبين أن من ذبح لغير الله فقد جعل له شريكاً، ثم إن من صلى لغير الله فقد جعل له شريكاً ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] يخبر أنه ﷺ أمر بهذا، والذي أمره يقول له هذا، ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام:١٦٣]، أي: أمرت أن في أخص صلاتي وذبحي لله وحده ﷻ.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣] أي: من هذه الأمة؛ لأن كل نبي إسلامه سابق لأمته؛ فنوح إسلامه سابق لأمته، وهود كذلك، وصالح كذلك، وإسماعيل كذلك، وهكذا فكل نبي بعثه الله إلى أمة هو سابق لها بإسلامه وطاعته لله ﷻ، وهو يدعوها إلى ما هداه الله إليه من الهدى والتوحيد والإخلاص. وفي هذه الآية الكريمة بيان =

....

= أن الذبح يكون لله عبادة؛ كما أن الصلاة لله عبادة، فإذا توجه العبادة هذه لغير الله، أي: ذبح للأصنام أو للأولياء أو للأشجار والأحجار فهو بمثابة من صلى لها وسجد لها، ونحو ذلك؛ إذ هما عبادتان عظيمتان بدنية ومالية.

فكما أن من صرف العبادة البدنية لغير الله فهو مشرك؛ فهكذا من صرف العبادة المالية؛ مثل: الذبيحة والصدقات يكون كذلك، وهكذا قوله ﷻ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢] لما أعطاه الله الكوثر أمره بالصلاة والنحر شكراً لله ﷻ، والكوثر نهر في الجنة عليه قباب اللؤلؤ أعطاه الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فلما أعطاه الله هذا الخير العظيم أمره بالصلاة والنحر له جل وعلا شكراً له ﷺ.

وهكذا ينبغي لكل مؤمن، كلما زاده الله من نعمه فينبغي أن يزداد شكره لله في طاعته وعبادته جل وعلا، وهكذا يكون العقلاء، وهكذا يكون الأخيار كلما زادت النعم عليهم والفضل من الله عليهم زادوا طاعة وعبادة وزادوا شكراً لله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّآ =

....

= ﴿أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ثم قال: ﴿فَصَلِّ﴾ رتب الصلاة والنحر على إعطاء الكوثر فالمعنى: اشكر الله على ذلك بهذه العبادة.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٢-٣] إذ هو المبتور المقطوع، فالشانئ المبغض، ومن أبغض رسول الله فهو المبتور، وكان المشركون يقولون لمحمد: أبتر ليس له ذرية؛ فبين الله سبحانه أنهم هم المبتورون وهم المقطوعون؛ لذهاب خيرهم وبطلان ما هم عليه من العمل، وشركهم بالله ﷻ؛ أما هو فالله وصل ذكره، وأحيا ذكره، وجعل الله له مثل أجور أمته عليه الصلاة والسلام.

فهو الموصول لا المبتور وإن مات أولاده لحكمة بالغة؛ لكن الله أبقى له الخير العظيم، وأبقى له الذكر الجميل، وأبقى له مثل أجور أمته إلى يوم القيامة؛ فكل من فعل حسنة فله مثلها؛ لأنه ﷺ الذي دعا وأرشد وعلم عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1]. =

---

(١) أخرجه مسلم: الإمارة (١٨٩٣).

....

= فهو الدليل للأمة على كل خير عليه الصلاة والسلام؛ فيكون له مثل أجورهم إلى يوم القيامة، ولاشك أن هذا خير عظيم وفضل كبير من الله عليه، وهكذا يكون الداعي إلى الله، وكل مرشد إلى الله يكون له مثل أجور من هداه الله على يديه إلى يوم القيامة.

ورزق الله الجميع التوفيق والهداية وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

۞ عن عليٍّ ﷺ قال: حدَّثني رسولُ الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ: «لعنَ اللهُ مَن ذبحَ لغيرِ الله، ولعنَ اللهُ مَن لعنَ والدَيهِ، ولعنَ اللهُ مَن آوَى مُحدِثاً، ولعنَ اللهُ مَن غيَّرَ مَنارَ الأرضِ». رواه مسلم(١).

قال: الحديث رواه مسلمٌ من طرقٍ بمعنى ما ذَكَره المصنِّف وفيه قصةٌ، ورواه الإمامُ أحمدُ كذلك(٢). [٩٧]

[شرح٩٧] حديث علي ﷺ هذا فيما يتعلق بالذبح لغير الله، أخرجه مسلم في «الصحيح» عن علي ﷺ، وهو أمير المؤمنين، الخليفة الراشد، رابع الخلفاء، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمير المؤمنين بعد عثمان ﷺ، وهو رابع الخلفاء، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

وهو المعروف بالعلم والفضل والشجاعة والإقدام رضي الله عنه ورحمه عن النبي عليه السلام، قال: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من =

---

(١) مسلم: الأضاحي (١٩٧٨).

(٢) ص١٢٣.

....

= غيَّر منار الأرض».

هذه أربع مسائل رواها علي ﷺ عن النبي ﷺ، ودعا على من فعلها، وهذا يدل على أنها من الكبائر؛ لأن أحد تعاريف الكبيرة: أنها ما جاء فيها لعن.

فهذه المسائل الأربع جاء فيها اللعن الثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، فيرى من ذلك أنها من كبائر الذنوب وأعظم المعاصي.

وأعظمها وأشدها الذبح لغير الله؛ لأنه من الشرك، والشرك أكبر الكبائر، كما قال النبي ﷺ في حديث أبي بكرة الثقفي: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ قالها ثلاثاً، ثم قال: ـ الإشراك بالله»[1] فأكبر الذنوب هو الشرك بالله.

وهكذا في حديث ابن مسعود عند الشيخين أن النبي ﷺ لما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تـجعل لله نداً وهو خلقك»[2] =

(١) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٤٧٧)، ومسلم: الإيمان (٨٦).

....

= فعلم بذلك أن الشرك هو أعظم الذنوب، وهو أكبر الكبائر، وأن من مات عليه غير تائب لا يغفر له، ويخلد به في النار، نعوذ بالله من ذلك.

والذبح لغير الله من جملة العبادات التي تجعل صاحبها مشركاً، إذا صرفها لغير الله، فالذبح عبادة وقربة كما تقدم في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام:١٦٢] الآية، وقوله جل وعلا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] فالذبح والنحر عبادة وقربة لله ﷻ كالهدايا والضحايا وغير ذلك.

فإذا صرف هذه العبادة لغير الله، كأن يتقرب بهذه الذبيحة للجن، للبدوي، لعبد القادر، لابن علوان، لغير ذلك، سواء كانت بدنة أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، فقد صرف العبادة لغير الله تبارك وتعالى فيكون هذا شركاً بالله ﷻ، وصاحبه ملعون.

«لعن الله من ذبح لغير الله» وهذا تنفير من الذبح لغير الله، وبيان بأنه منكر، ولا يجوز فعله؛ لأنه من عبادة غير الله، فوجب تركه، والحذر منه. =

....

= وقد هلك كثير فيه من عباد القبور، وعباد الجن، وكان من عادات أهل الجاهلية إذا استجدوا بئراً أو أرضاً أو بيتاً ذبحوا على أبوابها، أو على أطرافها، أو على أسسها للجن، ويقولون: نتقي شرهم بذلك، وهذا العادة بقيت إلى الآن في بعض الجهات، وبعض الناس يذبحون للجن، يتقون بذبيحتهم شرهم بزعمهم، ويلطخون بدماء الذبيحة مواضع معلومة، وهذا كله من بقايا الشرك بالله ﷻ عند بعض الناس.

وكذلك بعضهم لو سئل عن طب بعض الأمراض، يرشد السائل إلى أن يعالج المرض بأن يذبح شاة صفتها كذا، أو تيساً صفته كذا للجن، وأن هذا من أسباب شفائه من المرض، وهذا هو نفس ما فعله أهل الجاهلية نعوذ بالله من ذلك.

فالحاصل أن الذبح لغير الله، سواء كان للجن أو لغير الجن أو للأصنام أو إلى غير ذلك إذا تقرب به لغير الله، فإنه شرك بالله ﷻ، كمن استغاث بغير الله، أو استعاذ بغير الله، أو صلى لغير الله، أو ما أشبه ذلك. =

....

= أما الثانية: فهي لعن من لعن والديه، وهذا يدل على أن لعن الوالدين من الكبائر، وهو من أقبح العقوق ـ نعوذ بالله ـ أن يلعن والديه أو أجداده.

ويدخل في ذلك شتم والدي الناس، فمن يشتم والدي الناس، شاتم لوالديه، كما في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو في «الصحيحين»: أن النبي عليه السلام قال: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: وكيف يلعن الرجل والديه؟ ـ هذا مستقبح في الفطر، حتى عند الكفرة ما يسبون والديهم ـ قال: «يَسُبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»[1].

فهذا يدل على أن تعرضه لسب آباء الناس وأمهات الناس، معناه سب لوالديه؛ لأنهم متى سب والديهم سبوا والديه، هذه عادة الناس، إذا قال أحدهم له: لعن الله فلاناً، لعن الله أبوك، لعن الله أمك، قال: أنت الذي لعن الله أباك ولعن الله أمك، ويقاتله على ذلك. =

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم: الإيمان (٩٠).

....

= والحاصل أن من شتم والدي الناس شتموا والديه، وصار بهذا شاتماً لوالديه، فيكون متسبباً ومتعاطياً للأسباب التي تجلب السب على والديه، فهذا من الكبائر أيضاً.

فيجب الحذر من هذا الشيء، وأن يكون في غاية من البعد عن ما يسبب شتماً لوالديه، أو يسيء إلى والديه، بأي معنى من المعاني؛ لأن حقهما عظيم وبرهما من أهم الواجبات، فيجب الحذر مما يضاد ذلك، من أنواع الأذى، كما يجب عليه الإحسان إلى والديه وبرهما، حتى ولو كانا كافرين، فيجب عليه أن يعتني بالإحسان إليهما، ومصاحبتهما بالمعروف، ودعوتهما إلى الحق، وإرشادهما إلى الهدى، والحرص على إسلامهما؛ لأن هذا من أعظم البر بهما.

والثالثة: لعن الله من آوى محدثاً، والمحدث هو الذي يحدث حدثاً في الإسلام، فيؤويه حتى لا يُقام عليه حدُّ حَدَثِه، فيكون ملعوناً، نعوذ بالله.

كذا الذي يزني أو يسرق أو يقتل إنساناً بغير حق، ثم يؤويه إنسان، فيقول: لا تقيموا عليه الحد، ولا يمكنهم من القصاص، =

....

= فهذا ملعون؛ لأنه وقف ضد حد الله، وضد أمر الله، وشاق لله في الأرض، فيكون بذلك ملعوناً، بكونه قد تعاطى أمراً منكراً، يضاد شريعة الله، فالذي يمسك قاتلاً بغير حق، ويقول: لا يقتل، فهذا ملعون.

أما إذا آواه حتى يقام عليه الحد، ولا يعبث به، ولا يعامل بمعاملة الجاهلية، وحتى يقام عليه الحد الشرعي، ويقول: أمسكته، لا لمنعه من الحد الشرعي، ولكن ليقام عليه الحد الشرعي، لا يعبث به هذا، فهو محسن.

كذلك إذا سرق سارق، ثم آواه، وقال: آويته؛ لأجل أن يقام عليه الحد الشرعي، وحتى لا يعبثوا به بغير وجه شرعي، فآويته وأمسكته حتى يحضر عند الحاكم وتقام عليه البينة، وحتى يثبت عليه الحد، فأردت بهذا منع عبث الجهلة من أن يعبثوا به، وهذا واقع، يقع لبعض الناس أن يأخذه على غير بصيرة، فيقتله.

فالحاصل أن الإيواء للمحدث هو أن يؤويه ليمنع إقامة حد الله عليه، وليمنع الأمر الشرعي، فهو ملعون. =

....

= أما إذا آواه لأجل تسليمه للسلطة، ولأجل إثبات الحق عليه، ولأجل صيانته عن الفتنة التي تقع بينه وبين الناس الآخرين، فهذا نوع إحسان، وليس بداخل في الحديث.

ويروى «محدَثاً» بفتح الدال، وهو الأمر المبتدع، فالذي يؤوي المحدث: هو الذي ينصر البدعة ويؤيدها، فعلى هذه الرواية يكون ملعوناً نعوذ بالله، وهي، أي: بدعة تخالف الشريعة، سواء بدعة الموالد، أو بدعة البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها، أو أي بدعة كانت، فالذي يؤويها وينصرها ويحميها ويزعم أنها هي السنة، يكون داخلاً في المعنى.

لكن الرواية المشهورة ـ بالكسر «محدِثاً» اسم فاعل*.

---

* س: الذي يؤوي بعض المشركين ويؤجر لهم الفنادق والبيوت هل يدخل في هذا الحديث؟

ج: لا، لا يدخل فيه، لكن يخاف عليه، هو ما آواهم ليقيموا بدعتهم، أو معتقداً أنها حق، ولكن أجرهم بدراهم، فيخاف عليه أن يكون في فعله نوع من إقراره في الحرمين، وهو متلبس بكفر، والحرمانِ والجزيرةُ ليست =

....

= محلاً للشرك ولا محلاً للمشركين، وفيه تشجيع لهم على الحج، وحجهم يضر ولا ينفع، فالذي نرى أنه لا يجوز أن يؤجر لهم لأمرين:

أحدهما: أنهم مشركون، وهذا الغالب عليهم، والمشركون لا ينبغي استقدامهم إلى مكة، ولا ينبغي تشجيعهم للمجيء إلى مكة.

والأمر الثاني: أنهم يأتون ينشرون بدعهم وشرهم وسب الصحابة، فينبغي ألا يؤووا من هذه الحيثية، ولا يؤجر لهم من هذه الحيثية، والمؤجرون لا يرضون بدعتهم، لكن حب المال جعلهم يؤوونهم.

س: الحديث: (أو آوى محدثاً)؟

ج: إيواؤه يعني منعه من أن يقام عليه الحكم الشرعي، وهؤلاء لم يمنعوا من إقامة الحكم الشرعي، وإنما حملهم حب المال على تأجيرهم، والذي يظهر أن يمنع التأجير للأمرين السابقين.

س: من أي مأخذ من الحديث أخذ المنع من إقامة الحكم الشرعي؟

ج: من قوله: «آوى محدثاً» آواه: يعني صانه وحماه حتى لا يقام عليه الحد الشرعي، هذا معناه عند أهل العلم، أما إذا نزل عنده ولكنه ما آواه ولا منعه، بل مكن الناس من أخذه، فهذا لا يسمي مؤوياً له.

«لعن الله من غير منار الأرض» يعني: مراسيمها وحدودها، وهذا الذي يغيرها هو ظالم يفتن الناس، ويذهب بعض أموالهم على بعض، فيغير =

....

= المعالم حتى يفتن الناس ويتشاجروا ويتنازعوا وربما تقاتلوا بأسباب ذلك، فيكون ملعوناً لكونه سبب فتناً، وسبب ظلم بعضهم لبعض، وإن كان هو الآخذ صار ظالماً ملبساً على الناس سبباً للفتنه.

فالحاصل أن من غيَّر الحدود على كل حال يستحق اللعنة، سواء أكان غيرها لنفسه أم لغيره من الناس، فهو على كل حال قد فعل جريمة وسبب فتنة، فلهذا جاءت اللعنة له لما يترتب على عمله من الشرور الكثيرة، نسأل الله السلامة.

وتغيير منار الأرض يشمل الحدود التي بين الناس، ويدخل فيه عند جمع من أهل العلم منار الطرق التي توضح للناس طرق المياه والبلدان، فمن يعميها على الناس، ويغيرها ـ يدخل في العموم وظاهر المعنى؛ لأنه قد غير منار الأرض.

فإن كان أشجاراً، أو طريقاً يهتدى بها، أو رسوماً وضعت على الطريق، وبنايات تهدي الناس إلى الماء، أو إلى جهات معينة، ثم غيرها ـ فيخشى عليه أن يدخل في هذا الحديث.

س: هل في دفع الصائل إذا لم يدفع إلا بالقتل هل في ذلك قود أم لا؟

ج: هذا جائز في الصائل، فإن تعدى عليه إنسان يريد أهله، أو يريد نفسه، أو يريد ماله، ولا يندفع إلا بالقتل ـ فهو معذور في قتله. =

....

= س: ليس فيه قود؟

ج: إذا قتله فدمه هدر، وإذا قتل مظلوماً فهو شهيد، ففي الحديث الصحيح: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك» قال: فإن قاتلني؟ قال: «قاتله» قال: فإن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد» قال: فإن قتلته؟ قال: «هو في النار»[1].

س: إقراره لا يؤدي به إلى القود لأنه قتله دفعاً لشره؟

ج: إذا ثبت هذا، إذا ثبت أنه صال عليه بالبينات وبالقرائن الدالة على ذلك، فإنه معذور.

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٤٠).

۞ وعليٌّ بن أبي طالبٍ هو الإمامُ أبو الحسن الهاشميُّ، ابنُ عمِّ النبي ﷺ وزوجُ ابنتِه فاطمةَ الزهراءِ ـ واسم أبي طالبٍ عبدُ مَنافٍ بن عبد المطلب بن هاشمٍ القرشيُّ ـ كان من السابقين الأوَّلين إلى الإسلام، ومن أهل بدرٍ وبيعةِ الرضوان، وأحدَ العشرة المشهودِ لهم بالجنة، ورابعَ الخلفاء الراشدين، ومناقبُه كثيرةٌ رضي الله عنه، قتله ابن مُلجَم الخارجيُّ في رمضانَ سنةَ أربعين[1]. [٩٨]

[شرح٩٨] وهؤلاء الخوارج كانوا قد كفَّروا بالمعاصي والكبائر من كفَّروا، فاشتد بهم الأمر، واعتزلوا المسلمين، وصار لهم جماعات، وجيش كبير، واعتزلوا في حروراء، فبعث إليهم علي رضي الله عنه ابن عباس، فناظرهم، ودعاهم إلى الحق، فرجع منهم جم غفير، وبقي كثير، ثم إنهم تعدوا على المسلمين، فقاتلهم علي، وقتلهم، ووجد فيهم المخدج الذي من علاماته اليد مثل الثدي.

فلما قاتلهم وشردهم وجرى ما جرى من أمر الجمل وصفين، =

---

(١) ص١٢٣.

....

= لم يزل ببقيتهم حنق وشر على الصحابة وعلى المسلمين، ثم تمالأ جماعة منهم على أن يقتلوا علياً ومعاوية وعمرو بن العاص، وقالوا بزعمهم: هؤلاء هم أعيان الفتنة، فإذا قتلناهم اجتمع المسلمون.

وهذا من جهلهم وضلالهم، أما كفرهم فقد اختلف الناس في كفرهم، فالجمهور على عدم تكفيرهم، وأنهم أناس غلطوا في التأويل، وعصوا، وصاروا مبتدعة ضلالاً.

وقال قوم: بل هم كفار بذلك؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه»[1]. فانتدبوا ثلاثة لأمر هؤلاء الثلاثة، فعبد الرحمن بن ملجم انتدب لقتل علي، وآخر انتدب لقتل معاوية، وآخر انتدب لقتل عمرو في مصر، وتوجه الجميع وتواعدوا يوماً معيناً لتنفيذ هذا الأمر.

فأما عبد الرحمن فذهب إلى الكوفة، واحتال لهذا الأمر، وعمل ما عمل حتى أراد الله على يده قتل علي ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ =

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

....

= فهو شهيد، وقد أخطأ ابن ملجم ـ قبحه الله ـ فيما عمل.

وأما الذي توجه إلى معاوية فضربه، ولكنه لم يقتله، فقد ضربه في مقعدته، وأبرأه الله من ذلك.

وأما عمرو بن العاص فقدر أنه لم يصل الفجر ذاك الوقت، بل استناب خارجة بن حذافة، فظنه الخارجي عَمراً، فقتله في الصلاة، وفيها يقولون: «أردت عمراً، وأراد الله خارجة»، فتم أمر الله ونفذ في علي بالقتل، وسلم الآخران، ولم يتم فيهما القتل، وهذه من عجائب وغرائب الخوارج.

۞ قوله: (لَعَنَ اللهُ) قالوا: اللعنةُ: البُعْد عن مَظَانِّ الرحمةِ ومواطنها. قيل: واللَّعين والملعون: مَن حَقَّت عليه اللعنةُ أو دُعيَ عليه بها. قال أبو السَّعاداتِ: أصلُ اللعنةِ: الطردُ والإبعادُ من الله، ومن الخَلق: السبُّ والدعاءُ.

قولُه: (مَن ذبحَ لغير الله) قال النوويُّ: المرادُ به أن يذبحَ باسم غير الله تعالى، كمن يذبحُ للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم، أو للكعبة ونحو ذلك، وكل هذا حرامٌ، ولا تحلُّ هذه الذبيحةُ، سواء كان الذابحُ مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نصَّ عليه الشافعيُّ، فإن قَصَدَ مع ذلك تعظيَم المذبوحِ له غيرِ الله والعبادةَ له؛ كان ذلك كفراً، فإن كان الذابحُ مسلماً قَبلَ ذلك؛ صار بالذبح مُرتدّاً، ذكره في «شرح مسلم»، ونقلَه غيرُ واحدٍ من الشافعية وغيرِهم.

وقال شيخُ الإسلام: قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣] ظاهُره أنه ما ذُبِح لغيرِ الله، مثل أن يقال: =

= هذه ذبيحةٌ لكذا[1]. [٩٩]

[شرح٩٩] أي: هذه ذبيحة للحسين، هذه ذبيحة للمسيح، وهذه ذبيحة للبدوي، هذه ذبيحة لعبد القادر، على حسب مقاصدهم، حتى ولو قالوا: «باسم الله»، فما قصدوا بها غير الله، فهي شرك بالله عز وجل، وعبادة لغيره.

ولهذا استحق صاحبها أن يقال عنه: «لعن الله من ذبح لغير الله»[2]؛ لأنه تقرب بالذبح لغير ما شرع له الذبح، فتقرب بالذبح للشيخ عبد القادر أو للبدوي، أو للمسيح أو للزهرة أو لأي كوكب من الكواكب، أو لأي مخلوق من دون الله، أو لأي عبد من العبيد يتقرب إليه بالذبيحة، يرجو شفاعته، أو يرجو نفعه، أو يرجو دفع الضر أو يرجو شفاء المريض، أو يرجو رد الغائب، أو المدد، أو ما أشبه ذلك.

هذا هو الذبح لغير الله، الذي قال فيه الرب عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ =

---

(١) ص١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم: الأضاحي (١٩٧٨)، والنسائي: الضحايا (٤٤٢٢).

....

= [الأنعام:١٦٢]، وقال فيه: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣] وقال فيه النبي: «لعن الله من ذبح لغير الله».

والذابح على حالين:

فتارة يذبح ويسمي غير اسم الله، ويقصد غير الله، فيقول: باسم المسيح، أو باسم العزير، وينوي هذا، فهذا قد جمع بين الشرك القولي والقصدي جميعاً.

وتارة يسمي الله، وينوي بالذبيحة غير الله، كالبدوي، أو الرسول، أو الشيخ عبد القادر، أو المرسي، أو الشاذلي، أو غير ذلك، فهذا أشرك بالنية، وإن سمى بلسانه «باسم الله»، فالعبرة بالمقاصد*.

---

* س: إن تخاصم اثنان، وأشرفا على أن يقتتلا وتسابا وتشاتما، ثم قيل بعد ذلك: هجروا محل فلان، فلا بد أن تذبح ذبيحة مثلما تكلمتم، في مجلس فلان، أو في محل فلان، وعند باب المسجد حتى يجبر المسجد، فما الحكم في هذا؟

ج: هذه من عادات بعض الناس، فإن كان المقصود منها جمع الناس على ذبيحة حتى يصلحوا بينهم، أي: يجعلون وليمة ويدعون الناس من =

....

= الأصدقاء والأقارب والجيران والأعيان، حتى يصلحوا بين المتنازعين؛ بقصد الإصلاح وإكرام الضيوف، فلا بأس بهذا، مثل أن يذبح الإنسان لضيفه أو لأقاربه، أو يدعو بعض أصدقائه؛ إذا نزل منزلاً أو جاء من سفر أو ما أشبه ذلك، فهذه لحاجة، وليست مما ذبح لغير الله.

فهذه مسائل، تدعو الحاجة إليها؛ لإكرام الضيوف، أو للتوسط للإصلاح.

أما إذا كانت الذبيحة، مثل ما يفعله الناس، فتذبح عند بابه أو في الطريق لتعظيمه، فأفتى جماعة من أهل العلم أن هذه مما أهل لغير الله، أو أن تذبح في طريق الملوك؛ لتعظيمهم، لا للأكل، ولا لجمع الناس على وليمة، بل لتعظيمه، فهذا لا يجوز، بل هو تشبه بما يذبحه عباد الأصنام.

س: لكن المختصمين يحضرونها غصباً؟

ج: هناك فرق بين المقاصد، فإذا كان المقصد تعظيم الشخص بأن تذبح في طريقه تعظيماً له، لا لأجل جمع الناس على وليمة ليأكلوا ويصلحوا بين الناس ـ فهذه لا تجوز.

أما إذا كان المقصود تكليف هذا المجرم أو هذا الظالم أن يُحضِرَ ذبيحة، وأن يجمع الناس، فالكلفة عليهم، فيجعل وليمة ويجمع الناس حتى يصلحوا ما بينهم، وحتى يزيلوا ما بينهم من الشحناء، فلا بأس بهذا، وهم مشكورون، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١].

۞ وإذا كان هذا هو المقصودَ، فسواء لَفَظَ به أو لم يلفظ[(١)] وتحريمُ هذا أظهرُ من تحريم ما ذبحه للحمٍ، وقال فيه: باسمِ المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقرِّبين به إلى الله كان أزكى وأعظمَ مما ذبحناه للحمٍ، وقلنا عليه: «بسم الله».

فإن عبادةَ الله بالصلاة له والنُّسكِ له أعظمُ من الاستعانةِ باسمه في فواتح الأمورِ، فكذلك الشركُ بالصلاة لغيرِهِ والنُّسكِ لغيره أعظمُ من الاستعانة باسمِ غيرِهِ في فواتح الأمور.

فإذا حَرُم ما قيل فيه: باسم المسيح أو الزُّهرَة، فلأَن يحرُمَ ما قيل فيه: لأجل المسيح أو الزُّهرَة، أو قُصِد به ذلك، أولى، فإن العبادة لغير الله أعظمُ كفراً من الاستعانةِ بغير الله[(٢)]*.

*** س: ما توجيه قوله: «فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله»، ومن المعلوم أن الاستعانة عبادة؟** =

---

(١) هنا مداخلة للشيخ رحمه الله: عندكم: «أَوْ لَـمْ» أو: «أَمْ لَـمْ»، هما سواء: أَوْ لم، أو: أَمْ لم. وفي الخطية: أَوْ لَمْ.

(٢) ص١٢٤.

....

= ج: العبادة بالمقاصد أعظم من العبادة بالألفاظ، وكلها عبادة، لكن ذكر اسم المسيح أو اسم الزهرة أو اسم العزير على ذبيحة أقل من أن يذبح الذبيحة لأجلهم، فكونه يذبح لأجلهم ويتقرب إليهم أعظم.

فالعبادة بالمقاصد أعظم من العبادة بالألفاظ، التي هي استعانة بهم، فأن يقصد بالذبيحة التقرب أو يقصد بالصلاة التقرب هو أعظم من أن يسمي باسم بالمسيح في ذبحه أو قيامه أو جلوسه أو ما أشبه ذلك.

فأنت تعبد الله، وهم يعبدونهم بالصلاة لهم، والذبح لهم، والصلاة من أجلهم، والصدقات من أجلهم، ويرجون شفاعتهم، ويرجون شفاء المرضى منهم، وما أشبه ذلك.

۞ وعلى هذا فلو ذبحَ لغير الله متقرِّباً إليه لحَرُمَ، وإن قال فيه: «باسم الله»، كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقرَّبون إلى الكواكب بالذبح والنجوم[1].

وإن كان هؤلاء مرتدِّين، لا تُباح ذبيحتُهم بحالٍ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان[2]*.

---

* س: ما هما المانعان؟ يجتمع في الذبيحة مانعان؟

ج: الأول: الذبح لغير الله.

والثاني: كونها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته، ولو سمى الله، فإذا قصد بها غير الله، وهي من مرتد صار مانعاً.

---

(١) لعلها: «بالذبح والنذور»؛ فالنجوم لا يتقرب بها بل يتقرب إليها، وفي بعض النسخ المطبوعة: بالذبح والبَخُور. المعتني.

(٢) ص١٢٤.

۞ ومن هذا الباب ما يفعلُه الجاهلون بمكة من الذبح للجنِّ، ولهذا رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجنِّ[١].

قلت: هذا الحديثُ رواه البيهقيُّ، عن الزهريِّ مرسلاً، وفي إسناده عمر بن هارون[٢]، وهو ضعيف عند الجمهور، إلا أن أحمد بن سَيّار روى عن قُتيبة: أنه كان يوثِّقُه، ورواه ابن حبان في «الضعفاء» من وجهٍ آخرَ عن عبد الله بن أُذينةَ، عن ثور بن يزيدَ، عن الزهريِّ، عن حُميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً[٣]، قال ابن حبان: وعبد الله يروي عن ثورٍ ما ليس من حديثه[٤]. قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً، ذبحوا ذبيحةً؛ خوفاً أن تصيبهم الجن، فأضيفت =

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: الضحايا (٩/ ٣١٤).

(٢) صاحب حديث اللحية، متروك الحديث.

(٣) أخرجه أبو حاتم ابن حيان في «المجروحين» (٢/ ١٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٨٤).

(٤) «المجروحين» (٢/ ١٨).

= الذبائح إليهم[١]، لذلك قال النووي: وذكر الشيخ إبراهيم المروذي من أصحابنا أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله[٢]، وهذا صحيح[٣]. [١٠٠]

[شرح١٠٠] لأن كل ما يذبح أمامه وفي طريقه من باب التعظيم، مثل ما يذبح للنجوم والكواكب والأصنام وأشباه ذلك*.

---

* س: يقعون في أكبر من هذا، وذلك أنهم إذا قام قاموا، وإذا جلس جلسوا.

ج: لا، هذا ليس مثله، هذا شيء وهذا شيء، وما ضاعت الأحكام إلا بالجهل بمقاصدها، الذبح لغير الله شيء، والقيام شيء، جنس القيام جائز في مسائل كثيرة، وجنس الذبح غير جائز أبداً، فهذا ليس من هذا الباب.

المحرم أن يقف على الإنسان وهو جالس، أما أن يقوم له، فهذا يكره عند جمع من أهل العلم، ويحرم عند آخرين، ولكن إذا كان قام للمتابعة أو للمقابلة فلا بأس به، فيتبعه ويسير معه، أو للسلام عليه والمصافحة بيده.

---

(١) «الفائق» للزمخشري (٢/ ٤).

(٢) «روضة الطالبين وعمدة المفتين» للنووي (١/ ٣٥٤).

(٣) ص١٢٤-١٢٥.

۞ قال الرافعيُّ: هذا إنما يذبحونه استبشاراً بقدومِه، فهو كذبح العقيقةِ لولادةِ المولودِ[1]. [١٠١]

۞ قلتُ: إن كانوا يذبحون استبشاراً كما ذكره الرافعيُّ، فلا يدخل في ذلك، وإن كانوا يذبحونه تقرُّباً إليه فهو داخلٌ في الحديث[2]. [١٠٢]

[شرح١٠١] أي: خلافاً لما قاله أهل بخارى، فظاهر قصده أن الذبح لا يقصد به غير الله، وإنما هو من باب الاستبشار والفرح بقدومه، وهذا ليس بجيد، فقول أهل بخارى أولى وأظهر، سداً لباب الشرك.

[شرح١٠٢] مهما كانت الحال فالواجب أن يسد هذا الباب، فمنعه أولى، سواء كونه استبشاراً أو كونه تعظيماً، والغالب عليهم إنما هو التعظيم طلباً للدنيا، فيفعلونه تعظيماً وطلباً؛ لأن يكافؤوا على هذا بالمال، وهذا الغالب على الناس*.

---

* س: ما القول في ذبيحة تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً؟ =

---

(١) ص١٢٥.

(٢) ص١٢٥.

....

= ج: على حسب القول فيه، فإن قلنا: إنه كافر كفراً أكبر، فذبيحته لا تحل، وإن قلنا: إنه كفر دون كفر، فتحل ذبيحته.

فهناك خلاف بين أهل العلم على قولين:

أحدهما: أنه كافر كفراً أكبر، وهذا هو أصح القولين، فلا تحل ذبيحته إذا عرف.

والقول الثاني: لمالك والشافعي وأبو حنيفة والجماعة، أنه كفر أصغر، فتحل ذبيحته، والأرجح أنه كفر أكبر.

س: تقولون: إن القيام لا يدخل في هذا الباب، فما الحكم إن كان الإنسان يغضب ألا يقام له؟

ج: ولو، ففي القيام تفصيل، فهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: القيام عليه وهو جالس، فهذا منكر لا يجوز، وليس من الشرك، لكنه منكر، مثل الروم وأشباههم، وأنكرها النبي عليه الصلاة والسلام على أصحابه لما صلوا قياماً وهو يصلي قاعداً [(١)].

والنوع الثاني: أن يقوموا له تكريماً واحتراماً عند دخوله وخروجه، فهذا كان يكرهه الصحابة، ولا يفعلونه؛ لما يعلمون من كراهة النبي عليه الصلاة والسلام له. =

(١) أخرجه مسلم: الصلاة (٤١٣).

....

= والنوع الثالث: أن يقوم لمقابلته ومصافحته، أو لإنزاله عن دابته، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به؛ كما قام الصحابة لإنزال سعد بن معاذ لما جاء للحكم على بني قريظة[1]، وكما قام طلحة بن عبيد الله لكعب بن مالك لما بشر بالتوبة بما جاء النبي عليه الصلاة والسلام، فقام يهرول إليه، وصافحه، وهنأه بالتوبة[2] وكما كانت فاطمة تقوم لأبيها ويقوم لها.

فكل هذا من باب الإكرام للقادم والوافد، لا من باب التعظيم، سواء كان أباً أو ضيفاً أو غير ذلك.

س: المتعارف عليه الآن أنه يقوم في المجلس الواحد أكثر من عشر مرات؟

ج: هذا مكروه على كل حال، فيكره أن يقوم ويقف ويجلس، وهذا أقل أحواله الكراهة.

س: يروى أن بعض المدرسين إذا دخل الفصل ولم يقم له التلاميذ أنه يعاقبهم.

ج: كل هذا لا ينبغي.

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٤٣)، ومسلم: الجهاد والسير (١٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤١٨)، ومسلم: التوبة (٢٧٦٩).

۞ قال: وعن طارقِ بن شهاب، أن رسولَ الله ﷺ قال: «دخلَ الجنةَ رجلٌ في ذُبَابٍ، ودخل النارَ رجلٌ في ذبابٍ». قالوا: وكيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «مَرَّ رجلانِ على قومٍ لهم صنمٌ لا يجاوزُه أحدٌ حتى يُقَرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدِهما: قَرِّب. قال: ما عندي شيءٌ. قالوا له: قَرِّب ولو ذُباباً. فقرَّبَ ذباباً فخلَّوْا سبيلَه فدخل النار، وقالوا للآخرِ: قَرِّب. قال: ما كنت لأُقَرِّبَ لأحدٍ شيئاً دونَ الله عزَّ وجلَّ. فضربوا عنقَه فدخلَ الجنةَ». رواه أحمد[1].

هذا الحديثُ ذكَرَه المصنفُ معزوّاً لأحمدَ، وأظنه تبع ابنَ القيم في عزوِه لأحمدَ.

قال ابن القيم: قال الإمامُ أحمد: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمشُ، عن سليمانَ بن ميسرَةَ، عن طارقِ بن شهابٍ يرفعه قال: «دخلَ رجلٌ الجنةَ في ذُبَابٍ» الحديث. =

(١) في «الزهد» (٨٣) ط. دار الجيل، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٠٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٨٥) عن طارق بن شهاب، عن سلمان، موقوفاً.

= وقد طالعت «المسند» فما رأيتُه فيه، فلعل الإمامَ رواه في كتابِ «الزهد» أو غيرِه.

قولُه: (عن طارقِ بن شهاب) أي: البَجَليِّ الأَحْمَسِيِّ، أبو عبد الله، رأى النبي ﷺ وهو رجل، ويقال: إنه لم يسمع منه شيئاً.

قال البغويُّ: ونزل الكوفَة. قال أبو حاتم: ليست له صحبةٌ، والحديثُ الذي رواه مرسلٌ. قال أبو داود: رأى النبيَّ ﷺ، ولم يسمع منه شيئاً.

قال الحافظُ: إذا ثبت أنه لقي النبيَّ ﷺ فهو صحابيٌّ على الراجح، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسلُ صحابيٍّ، وهو مقبول على الراجح، وقد أخرج له النسائي عدة أحاديث وذلك مصير منه إلى إثبات صحبته، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين(١). [١٠٣]

[شرح١٠٣] على كل حال سواء كان مرسلاً أو متصلاً فهو مؤيد =

---

(١) ص١٢٦.

....

= بالأدلة، فمضمونه مؤيد بالأدلة بالآيات السابقات، وحديث علي وما جاء في معنى ذلك من الأدلة الدالة على وجوب إخلاص الفعل لله في أي شيء كان، وتحريم الشرك بالله في أي شيء كان سبحانه وتعالى.

وهذا السند جيد؛ فهو إما مرسل ـ مرسل صحابي ـ ومرسل الصحابي حجة، وإما متصل فيكون أعظم للحجة؛ فبكل حال هو مناسب للمقام وشاهد للباب*.

---

* س: كيف يكون السند جيداً وهو عن الأعمش؟

ج: لولا أن عنعن فيه.

ثم المدلس إذا شهدت له أصول كما قال الحافظ في «النخبة»: ومتى توبع سيئ الحفظ بمعتبر وكذا المستور والمرسل والمدلس، صار حديثهم حسناً لا لذاته بل بالمجموع. فإذا كانت رواية المدلس تنجبر بشيء من الأصول صارت معتبرةً للشواهد والمقام.

س: وهل ورد شاهد بهذا اللفظ؟

ج: الآيات المتقدمة، وحديث علي المتقدم: «لعن الله من ذبح لغير =

....

= الله»[1] وصرفه لله عبادةً وأن صرفه لغير الله شرك، فهذه أصول.

س: ألا يكون قد ذبح لأنه كان مكرهاً؟

ج: لعله محتمل؛ لكن ليس هو بإكراه ولا يسمى إكراهاً، وليس هو بعذر؛ فالعذر يكون من إكراه، قال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل:١٠٦] ولا يسمى من قيل له: تقرب مكرهاً حتى يهدد ويتوعد من قادر يظن أنه يفعل ما هدد به، فهذا الخوف ليس بعذر حتى يكون معه إكراه.

س: صفة الحديث تدل على أنه مكره.

ج: كلا؛ لأنهم قالوا له: قرب، قال: ما عندي شيء، ولم يقولوا: قرب وإلا قتلناك، وإنما قد يقال: إنه كان مكرهاً إذا كان بعد الذي قتل، فهذا قالوا له: قرب قال: ليس عندي شيء، فأجابهم، وما اعتذر بشيء، فظاهره أنه غير مكره، ثم لو فرضنا أنه مكره، فلعل في الشريعة الماضية في شرع من قبلنا عدم العذر بالإكراه وإن كان بعيداً، لكنه ممكن، لكن هذا ليس مكرهاً.

أما في شريعة محمد ﷺ فالإكراه عذر في الشرك وما دونه، وأما الشرائع السابقة، فقد يكون غير عذر لأن في شريعة التوراة آصاراً وأغلالاً، فقد يكون هذا من ذلك، ويحتمل أن يكون عذراً أيضاً في شريعة التوراة، ولكن هذا ليس بمكره؛ فمن قيل له: قرب فقال: ما عندي شيء، قالوا: قرب ولو =

---

(١) مسلم: الأضاحي (١٩٧٨).

....

= كذا فقربه فليس هذا بمكره، فإن هذا معناه الموافقة، فلو قالوا له: قرب بعيراً لقرب بعيراً إذا كان عنده؛ لكن العذر بعدم الوجود.

س: الأثر الذي جاء عن الإمام أحمد عن سليمان بن ميسرة؟

ج: في هذا محل نظر؛ فلم أقف عليه حتى الآن، فلعل فيه مسألة غير المسألة التي عثر عليها المؤلف، والمؤلف ظاهره أنه لم يقع على كتاب «الزهد»؛ لأنه قال: لعله خرج في «الزهد»؛ فكأن شيخ الإسلام لم يقف على كتاب «الزهد»[1].

س:وماذا بشأن طارق بن شهاب ؟

ج: طارق هذا كثيراً ما يروي عن أبي موسى الأشعري وعن غيره.

س: ألا يدل ما حدث للآخر أن الأول مكره ؟

ج: هذا الثاني كان بعده، فلم يؤثر على حكم الأول، فلو كان الأول هو المقتول لظن ما تقول؛ لكن المقتول هو الأخير.

س: عندنا في المنهج، يقول: (ليس عندي شيء أقرب) فكلمة (أقرب) زيادة أم ثابتة؟

ج: ثابتة تبقى على حالها.

س: هل يكون الإكراه بالقول والفعل أم بالقول فقط؛ يعني كمن أكره =

---

(١) هو في «الزهد»: ٨٣ المعتني.

....

= مثلاً على الزنى؟

ج: يكون في الفعل أكثر منه في القول على الصحيح، يكون في الفعل والقول.

س: يعني مثلاً أكره على فعل الزنى؟

ج: يعم كل شيء، الزنى أو اللواط أو غيره على الصحيح ـ نسأل الله العافية ـ أو في الخمر، وما شابه ذلك.

س:وما درجة سليمان بن ميسرة؟

ج: لا بأس به.

س: هذا باتفاق أو بناء على الراجح؟

ج: على الأصل؛ فإذا كان الإكراه في الكفر وهو أعظم الذنوب، فالزنى من باب أولى، وبعض العلماء توقف في اللواط وفي الزنى، ولكن قال بعضهم: لا تنتشر له شهوة مع الإكراه، فكيف يكون مكرهاً، فهذا محل نظر.

س:أليس فيه تدليس؟

ج: ليس فيه تدليس، فالتدليس شيء ثان، حملوه على «الصحيحين»، وما في غير «الصحيحين» فهو محل نظر، أما ما في «الصحيحين» فقد احتملوه؛ لأنه فتش عن أحاديثها في مرسلة «الصحيحين»، واعتنى بها الشيخان وخرجا منها الأحاديث التي ثبت لديهما سماعه واتصاله. =

....

= أما في غير «الصحيحين» فبعضهم يتحمل ذلك، ويكفي منهم تصحيحهم لهذا الإسناد، من غير نظر إلى تصريحهم بالسماع، وبعضهم يلاحظ فيه التدليس في غير «الصحيحين» ويجعله علةً وهو ظاهر؛ لأن القاعدة في المدلس أن حديثه معلول ما لم يصرح بالسماع؛ فهذه قاعدة معروفة عند أهل العلم بالحديث؛ لكن ما جاء في «الصحيحين» فهو محمول على السماع على رواة «الصحيحين».

۞ قولُه: (دخل الجنةَ رجلٌ في ذُبَاب) أي: من أجل ذباب.

قولُه: (قالوا: وكيف ذلك يا رسولَ الله؟) سألوا عن هذا الأمرِ العجيبِ؛ لأنهم قد علموا أن الجنةَ لا يدخلُها أحدٌ إلا بالأعمال الصالحة؛ كما قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢] وأن النارَ لا يدخلُها أحدٌ إلا بالأعمال السيئةِ؛ فكأنهم تَقَالُّوا ذلك وتعجبوا واحتقروه[1]. [١٠٤]

[شرح١٠٤] (فكأنهم تقالُّوا) لأن الواو هنا مع المشدد، مثل: ردوا جدوا تقالوا، وهكذا مع الحرف الصحيح تعاظموا تقاتلوا، خرجوا، جاؤوا، ذهبوا*.

---

* س: ما معنى قوله: (تقالُّوا ذلك وتعجبوا واحتقروه)؟

ج: يعني: احتقر الذباب أن يكون سبباً في أن يدخل بها واحد الجنة وواحد يدخل النار.

---

(١) ص١٢٦-١٢٧.

۞ فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ ما صيَّر هذا الأمرَ الحقيرَ عندهم عظيماً يستحقُّ هذا عليه الجنةَ، ويستحقُّ الآخرُ عليه النارَ، ولعل هذين الرجلين من بني إسرائيلَ؛ فإن النبيَّ ﷺ يحدثهم عن بني إسرائيلَ كثيراً.

قولُه: (قال: مرَّ رجلانِ على قوم لهم صنمٌ) الصنم ما كان منحوتاً على صورة(1). [١٠٥]

[شرح١٠٥] ويسمى وثناً أيضاً؛ كما قال إبراهيم لقومه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] أطلق عليها أوثاناً وهي أصنام عندهم، كان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام فلا تسمى أوثاناً، فالصنم يسمى وثناً وليس العكس، فكل صنم وثن، وليس كل وثن صنماً، فقد يكون شجرة، وقد يكون حجراً وليس مصوراً، أو نسخ صنم، كما قد يعبدون ما صور على صورة ملك أو إنسان أو صورة أسد أو نمر أو ما أشبه ذلك، فهذا يسمى صنماً ويسمى وثناً، فالوثن يطلق على ما عبد من دون الله بخلاف =

---

(1) ص١٢٧.

....

= الصنم فلا يطلق إلا على ما صور*.

*** س: هل جاء في العربية إطلاق الصورة على التمثال، أو التمثال على الصورة؟**

ج: جاء في أحاديث كثيرة، التمثال يسمى صورة، وتسمى الصورة تمثالاً، جاء في روايات صورة وفي بعضها تمثال، يعني: مثل الذي يمثل على صورة إنسان، فالتمثال إذا كان بنفسه فهو تمثال، وإذا كان مصوراً فهو تمثال وصورة، وإذا كان بنفسه مثل الأسد أو النمر أو ما أشبه ذلك، أو إنسان بنفسه من صورة إذا كان محنطاً، فهذا تمثال يقال له: إنسان أو يقال له: أسد يقال على حسب حاله، فإذا كان مصوراً يقال له: تمثال، ويطلق عليه صورة، لكن الغالب إذا كان له ظل يطلق عليه تمثال، وما ليس له ظل يطلق عليه صورة، هذا ظاهر ما ورد في الأحاديث.

س: هل الوثن يطلق على ما كان محسوساً أو يطلق على ما كان معنوياً مثل عبادة المبادئ؟

ج: الظاهر أن كل ما كان معبوداً من دون الله يسمى وثناً، والغالب عند أهل الجاهلية أنه محسوس.

س: الأشياء المنطبقة على واقعنا.

ج: الأصنام والأوثان أشياء محسوسة معبودة من دون الله، ومن حيث =

....

= المعنى إذا عبد شيئاً محسوساً أو شيئاً معنوياً في نفسه فهذا ينطبق عليه حكم الأوثان، فكل ما عبد من دون الله يسمى طاغوتاً ويسمى وثناً، ولو كان شيئاً في نفسه، يخيل له في نفسه، ويعظمه في نفسه، ويعبده ـ نسأل الله السلامة.

۞ قوله: (لا يجاوزه) أي: لا يمرُّ به ولا يتعدّاه أحدٌ حتى يُقرِّب له شيئاً وإن قَلَّ.

قولُه: (قالوا: قرِّب ولو ذُبَاباً، فقرب ذباباً، فخلَّوْا سبيله، فدخل النار) في هذا بيانُ عظمةِ الشِّركِ ولو في شيء قليلٍ، وأنه يوجبُ النَار، ألا ترى إلى هذا لما قرَّب لهذا الصنمِ أرذلَ الحيوانِ وأخَسَّه. وهو الذباب(1). [١٠٦]

۞ كان جزاؤه النارَ لإشراكِه في عبادةِ الله؛ إذ الذبحُ على سبيلِ القُربَةِ والتعظيمِ عبادةٌ، وهذا مطابقٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢](2). [١٠٧]

[شرح١٠٦] قوله: (أرذل) مضاف، و: (الحيوان) مضاف إليه، و(أخسه) معطوف على (أرذل).

[شرح١٠٧] وأيضاً المقصود هو الموافقة حتى وإن لم يقرب شيئاً، =

---

(١) ص١٢٧.

(٢) ص١٢٧.

....

= فقد وافق، ثم قرب ما هو مستطاع، فلو أن إنساناً لم يقرب شيئاً، لكن وافق على جواز التقريب للأصنام فهو من أهل الشرك، فمن أجاز أن يتقرب للأصنام بالذباب وبالبعير وبالشاة والبقر وما أشبه ذلك حتى وإن كان لم يقرب شيئاً، فنفس اعتقاده هذا وكونه جوز ذلك ـ كاف في الحكم عليه، فهذا الرجل قد جوز ذلك وقال: ليس عندي شيء، يعني: أنا موافق، ثم تقرب بشيء مستطاع له.

فالحاصل أن مجرد الإجازة والاستباحة يكفي، فلو أن إنساناً استباح مجرد الزنى، أو أنه يحل الخمر أو اللواط، أو استباح الربا أو ما أشبه ذلك، وإن كان لم يفعله، وإن كان من أعف الناس عن الزنى ـ فإن نفس كونه يجيز للناس هذا ردة عن الإسلام وكفر كاف.

كذلك إذا استجاز الخمر وإن لم يشربه لكنه أحله، أو استجاز الربا ولم يفعله، لكنه قال: حلال ولا بأس فيه وإن نهى الله عنه وإن توعد الله عليه فهو حلال، يعني: ليس عندنا اعتبار لكلام الله ولا لشرع الله، فهذا معناه كفر وردة، فالعقيدة لها شأن وإن لم يكن هناك عمل، فإذا كانت العقيدة مع العمل المطابق لها فالكفر أشد. =

....

= وهكذا في الواجبات كما في المحرمات، فلو قال: إن الصلاة لا بأس بتركها، ولا حرج في تركها، ولو كان من أعبد الناس، ولو كان يصلي الصلوات الخمس، ولو كان مع الناس في الصلوات، ولكنه يرى أنه لا حرج على من تركها، فهذا كافر ومرتد، ولو كان يصوم النهار ويقوم الليل، كذلك لو قال: الزكاة لا تجب، ولا بأس بترك الأموال من دون زكاة، ولا حرج على من لم يزك، وإن كان هو يزكي، وإن كان يعطي أكثر من الزكاة أيضاً، فهو كافر وإن زكى، وإن بذل أكثر من الزكاة.

وهكذا صوم رمضان، فلو قال: الصوم ليس بواجب، فمن شاء صام ومن شاء ترك، ولو بدون عذر، وإن صام هو، فقد ارتد عن الإسلام، وهكذا الحج، إذا قال: لا يجب ولو مع الاستطاعة، وإن كان هو يحج كل سنة فلو قال: لا يجب الحج ولو مع الاستطاعة، صار ردةً عن الإسلام لأنه مكذب لله، هذه أمور ينبغي أن ينتبه لها*.

---

* س: إقرار المعاصي ألا يعد إحلالاً؟

ج: كلا، لا يعد استحلالاً، فكون الإنسان يرى أشياء ولكن لا يبيحها ـ لا يعد استحلالاً لهذا الشيء.

۞ وفيه الحذرُ من الذنوب وإن كانت صغيرةً في الحُسبان، كما قال أنسٌ: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينِكم من الشَّعرِ كنا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقاتِ [١]. رواه البخاري[٢]. [١٠٨]

[شرح١٠٨] هذا يوجب للمؤمن ولا سيما طالب العلم الحذر من السيئات وألا يتساهل بها، فإن صغيرها يجر إلى كبيرها، نسأل الله السلامة.

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٩٢).

(٢) ص١٢٧.

۞ قال المصنفُ ما معناه: وفيه أنه دخل النارَ بسببٍ لم يقصده، بل فعله تخلُّصاً من شرِّهم[1]*.

* س: ما مدى صحة هذه العبارة التي ساقها عن المصنف؟

ج: على ظاهرها، يعني: ما قصده ابتداءً وإنما قصده أخيراً، فهو ما جاء إليه ليقرب، وإنما جاءه ماراً، ولهذا قال صاحب «فتح المجيد»: ما قصده ابتداءً وإنما قصده أخيراً لما شددوا عليه وقالوا: قرب.

س: لعل العلة أنه فعله تخلصاً من شرهم.

ج: حين طلبوا منه ذلك، فهو ما عرض عليهم شيئاً، ولا أراد أن يقدم للصنم، بل جاء ماراً، ولكن لما طلبوا منه قرب.

(١) ص١٢٧.

۞ وفيه أن الذي دخل النارَ مسلمٌ، لأنه لو كان كافراً لم يقل: «دخل النارَ في ذباب».

وفيه أن عملَ القلبِ هو المقصودُ الأعظمُ حتى عند عَبَدةِ الأوثانِ(١). [١٠٩]

[شرح١٠٩] لأنهم لما طلبوا منه وقال: ما عندي شيئاً، أرادوا أن يعرفوا الموافقة، فقالوا: قرب ولو ذباباً، فلما وافقهم على هذا عرفوا أنه موافق، وأنه قد أظهر الموافقة في قلبه، وهذا هو المقصود الموافقة، فليس الذباب هو المقصود، ولكن المقصود هو إظهار الموافقة في الظاهر، فأرادوا أن يعرفوا ما بقلبه بالتقريب الظاهري المحسوس.

(١) ص١٢٧.

۞ قولُه: (وقال للآخر: قرِّب، قال: ما كنت لأقرِّبَ لأحدٍ شيئاً دون الله عزَّ وجلَّ..) إلى آخره في هذا بيانُ فضيلةِ التوحيدِ والإخلاص.

قال المصنفُ: وفيه معرفةُ قدرِ الشركِ في قلوب المؤمنين، كيف صَبَرَ على القَتلِ ولم يوافقهم على طِلبَتِهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العملَ الظاهرَ[1]. [١١٠]

[شرح١١٠] يعني في استطاعته أن يتأول، وأن ينوي بقلبه خلاف ما أرادوا، وأن يكون بذلك متأولاً، ولكنه أبى إلا أن يعتذر إليهم بقوله: كلا، لا أقرب شيئاً لغير الله ـ عز وجل ـ لإيمانه بعظم الشرك، وأنه خطير، وأن قليله وكثيره عظيم، وكأن الإكراه لم يكن عندهم عذراً، أو كان عندهم عذراً، ولكنه أراد المقام الأفضل، وهو مقام الخروج من الشرك مطلقاً، وأن يكون إماماً لأمثاله في عدم الموافقة على الشرك مطلقاً، فهذا محتمل.

فهذا يحتمل أن الإكراه عندهم لم يكن عذراً، ولهذا لم يعذر، =

(١) ص١٢٧.

....

= ويحتمل أنه كان عذراً ولكنه لم يرض بالرضوخ لهم، كما فعل كثير من الصحابة، فقد كان الإكراه عذراً ومع ذلك كان كثير من الصحابة يرضى بالضرب والسحب على الرمل في مكة، ولا يوافق على الشرك، مع أنه مأذون له، لكن لكراهتهم للشرك وعظم توحيدهم لله سهل عليهم التعذيب في ذات الله فلم يبالوا بهؤلاء المشركين، مع أن لهم عذراً.

وكذلك من يمتحن من أهل العلم كما جرى لأحمد رحمه الله فإنه امتحن في خلق القرآن وضرب، ولم يترخص بالإكراه، وقد ترخص غيره من العلماء بالإكراه، واستجابوا باللسان دون القلب، أما أحمد رحمه الله فقد رضي بالضرب ولم يأخذ بالرخصة؛ لئلا يقع الناس في الشرك بسبب ذلك، فثبته الله رحمه الله، وصبر على الجهد الكثير، والتعب الكثير وكان هذا من مناقبه، فلم يأخذ بالرخصة كما أخذ بها ابن المديني ويحيى بن معين وجماعة أخذوا بالرخصة وتأولوا، لكنه أراد المقام الأفضل في هذا المقام الذي قد يغتر به الناس وقد يقع فيه الناس بالتساهل، فأراد أن يتصبر ويتحمل حتى =

....

= لا يكون هناك شبه إجماع على الأخذ بالرخصة في هذا المقام الخطير، وكل له اجتهاده رحمهم الله جميعاً*.

---

* س: ألم يصح أنه هجرهم أو هجر المدينة؟

ج: يروى هذا، يروى أنه هجرهم، فقالوا: إنا مكرهون، قال: ما أكرهتم، بل قيل لكم، فما هددتم ولا توعدتم. يروى أنه قال هذا لابن معين وغيره رحمهم الله.

۞ وفيه شاهدٌ للحديث الصحيح: «الجنةُ أقربُ إلى أحدِكم من شِراكِ نعلِه والنارُ مثل ذلك»[1][2]. [١١١]

[شرح١١١] يعني أن هذين الرجلين مرّا على الصنم، وفي لحظة دخل هذا الجنة ودخل ذلك النار، وما بينهما وبينهما إلا مدة يسيرة، وذلك لأن الجنة ليس بينك وبينها إلا خروج الروح على التوحيد والإيمان، والنار كذلك ليس بينك وبينها إلا خروج الروح على الكفر بالله والشرك به، وقد يكون هذا في لحظة أو دقيقة، فالجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك، فقد يكون أحدنا في حالة لو مات عليها لدخل الجنة، ولكنه بسبب موافقته لهذا الشرك دخل النار نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٨٨).

(٢) ص١٢٧.

۞ قلت: وفيه التنبيهُ على سَعَةِ مغفرةِ الله وشدَّةِ عقوبته، وأن الأعمالَ بالخواتيم(١). [١١٢]

[شرح١١٢] هذا دخل الجنة بإيمانه وإصراره على التوحيد وكراهته للشرك، وقد يكون له سيئات غفرها الله له بسبب صبره وإيمانه، وهذا لم يصبر فدخل النار بسبب تسرعه وتساهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) ص١٢٧.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

۞ أي: أن ذلك لا يجوزُ لما سيذكُرُه المصنفُ.

قال: وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ الآية [التوبة:١٠٨][1].[١١٣]

[شرح١١٣] أراد المؤلف من هذه الترجمة أنه لا يجوز للمسلم إحياء شعائر الكفر أو التشبه بالكفرة في أماكن عبادتهم وذبحهم؛لأن ذلك نوع من التسفيه على ما هم عليه، أو ربما أوهم غيره أنه موافق لهم في عقيدتهم، فلا ينبغي له أن يتشبه بهم ولا أن يتظاهر بشيء قد ظنوا به أنه موافق لهم.

«باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله» إذا كان لعباد الأوثان أو غيرهم محل يعبدون فيه آلهتهم بالذبح فلا ينبغي أن نذبح فيه؛ لأن في هذه الحالة، إما يكون مشجعاً لعملهم السيئ ومشابهاً لهم في أعمالهم السيئة، وإما أن يتهم بأنه وافقهم على =

---

(١) ص١٢٧.

....

= الباطل في الذبح لغير الله.

بل المكان المعد لغير الله ولعبادة غير الله ينبغي للمؤمن ألا يعبد فيه ربه ﷻ لئلا يكون مشابهاً للكفرة، أو لأنه يظن به أنه على اعتقادهم وعلى سيرتهم، ولا سيما بما يتعلق بالذبح وهو محل النص.

واستدل المؤلف على هذا بقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٨] وهذه الآية نزلت في مسجد الضرار، وقبلها قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة الآيتين: ١٠٧-١٠٨].

فالذين اتخذوا مسجداً ضراراً هؤلاء من المنافقين، لأن تقدير الآية: ومنهم من اتخذ مسجداً ضراراً، فالله ﷻ ذكر المنافقين وذكر أقسامهم ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبة: ١٠١] ثم ذكر ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢] ثم قال: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٠٦] ثم قال بعد ذلك: =

....

= ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة:١٠٧] أي: هم هؤلاء المنافقون اتخذوا مسجداً ضراراً، أي: مضارة بأهل قباء، وكفراً بالله ﷻ، وتفريقاً بين المؤمنين، فهؤلاء طائفة من أهل النفاق فعلوا ذلك.

وكانوا أقاموا مسجداً أعدوه لشخص يقال له: أبو عامر، وكان يقال له: الراهب في الجاهلية، ثم سماه الرسول عليه السلام الفاسق، وكان شرق بالإسلام لما هاجر النبي إلى المدينة، ونفر إلى مكة وانتقل إليها من أجل كراهته لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان أهل النفاق في آخر الهجرة بنوا مسجداً، وزعموا أنهم بنوه للفقراء وأهل الحاجة ولا سيما في الليلة المطيرة والباردة، وليكون أقرب لهم حتى لا يحتاجوا إلى السير إلى مسجد قباء لبعده عنهم، قد أظهروا هذا العطف وهذا الإحسان للفقراء والمساكين وبنوا هذا المسجد، وهم أرادوا بالمعنى والحقيقة غير ذلك، أرادوا أن يعدوه حصناً لأبي عامر ليجتمع بأهل مكة بالجنود والقوة لمحاربة النبي عليه الصلاة والسلام والصد عن سبيل الله.

وكان أبو عامر هذا يذهب إلى مكة ليأتي بجند من المشركين =

....

= لمحاربة النبي عليه الصلاة والسلام، فلما فتح الله مكة ذهب إلى الشام وإلى الروم وهلك هناك.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة:١٠٧] يعني: مضارة لأولياء الله لأهل قباء، ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: كفراً بالله ﷻ لأنهم أعدوه لمساعدة الكفرة، ولنعلم أن ما ظهر من لقاء المسلمين ومساعدتهم هو لإخفاء الردة عن الإسلام والكفر وأنهم لا يؤمنون بالله. أعوذ بالله. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يفرق بين المؤمنين وبينهم من جهة قباء، فطائفة في هذا المسجد وطائفة في مسجد آخر.

﴿وَإِرْصَادًا﴾ وإعداداً لمن حارب الله من قبل، وهو أبو عامر وأشباهه من الكفرة.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ أي: يقسمن، أي: هؤلاء الضالون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان. هذه عادة أهل النفاق، عندهم أقسام كثيرة والحلف الكثير على أنهم ما أرادوا إلا الخير، وما أرادوا إلا الإحسان =

....

= للتضليل والتلبيس والدفاع عن أنفسهم نعوذ بالله.

وهكذا كل فاسق ومجرم يتخذ اليمين عدة وجنة ليدافع بها عن نفسه، وعن ظلمه وكفره وفسقه وفساده، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بأيمان الفجرة وأيمان المتهم بالنفاق، بل يكون منهم على حذر، ويجتهد في معرفة كشف أحوالهم فيما ظهرت عليهم أمارة الشر والفساد.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ [التوبة:١٠٧] إن أردنا إلا نفع المسلمين ورحمة الفقراء وأهل الضعف في أيام المطر وأيام البرد، يكون هذا مستقرباً لهم، ويكون أسهل عليهم ليصلوا فيه.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧] الله جل وعلا يعلم كذبهم وكفرهم وضلالهم، وهو العالم بأحوالهم ﷻ، وكان هؤلاء أتوا النبي ﷺ عند خروجه إلى تبوك فقالوا: إنا بنينا مسجداً ونحب أن تصلي فيه ليلبسوا وليؤكدوا أنهم ما أرادوا أن يجعلوه شراً فقال النبي ﷺ: «نحن على سفر وإذا قدمنا أتيناكم إن شاء الله» فلما دنا من المدينة قافلاً من تبوك جاءه الخبر من السماء أي: الآيات في شأن =

....

= مسجدهم فبعث إليه من أحرقه وقضى عليه، عليه الصلاة والسلام[١].

أنزل الله فيه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٨] أي: لا تقم في هذا المسجد المؤسس على الفساد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة:١٠٨]، وهو مسجد قباء، أي: أحق بالصلاة فيه من هذا المسجد الذي أسس على الباطل والضلال والكفر: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

والمقصود أن هذا المسجد أسس على الباطل والضلال، فلا يجوز أن يصلي فيه ولا يصلي إلا لله ﷻ، لكن لما كان هذا حال المؤسس على الفساد والكفر والضلال نهي أن يقوم فيه عليه الصلاة والسلام.

فهكذا في المواضع الأخرى المؤسسة على الفساد والشر، ينبغي للمؤمن ألا يقوم فيها بالعبادة والصلاة، بل يبتعد عنها لئلا يحسن =

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢١٠-٢١٧.

....

= من أهلها، وألا يظن به أنه منهم وأنه على عقيدتهم، بل يبتعد عنهم، ويترك ما أسسوه من الباطل وما فعلوه من الباطل ويجتنب مكانهم؛ لئلا يكون في ذلك إحياء لشرهم وفسادهم، أو يتهم بأنه على ما هم عليه من الباطل.

فهذا هو وجه الترجمة فإذا كان الإنسان ينهى أن يصلي في محل معد للصلاة في الظاهر لما ظهر أن أهله أعدوه للباطل والشر، فكذلك المحل المعد للذبح لغير الله ينبغي ألا يذبح فيه لله، قاس هذا على هذا رحمه الله، هذا المحل أعد للصلاة، وأنه لا يصلي فيه لأن أهله عدوه للباطل والكفر والضلال.

فهكذا أنت إذا وجدت محلاً معداً للذبح لغير الله فلا يذبح فيه لله لأن هذا مثل هذا.

بخلاف ما إذا ألجئ الإنسان إلى الشيء، إذا دعت الحاجة إلى محل للمشركين غير محل العبادة غير محل الذبح، بل محل آخر مثل الكنائس أو بيع يحتاجها المسلمون لاتقاء البرد أو المطر أو ما أشبه ذلك، فلا بأس أن يصلوا فيها كما صلى الصحابة وكما فعل عمر، =

....

= المقصود أن هذا إذا دعتك الحاجة لا بأس به، لأنه ظاهر بين أنهم ما أرادوا مشابهتهم ولا أرادوا حيلهم، وإنما أرادوا أن يعبدوا الله في هذا المحل والذي اضطروا إليه واحتاجوا إليه.

أو غيّر المحل بأن كان محل عبادة الشرك فغير وهدم وأزيل آثار الشرك، مثل ما كان محل مسجد الرسول ﷺ كان فيه قبور، وكان فيه نخيل، وكان فيه خربات، فأزيل هذا كله وجعل هذا لعبادة الله وحده.

مثل مسجد الطائف يقال: إن مسجد الطائف الذي هو معروف الآن أنها كانت محلاً للات، اشتهر هذا، لأنها أزيلت اللات وهدمت وقضي عليها وزال حكمها، ووضع مكانها مكان لعبادة الله وحده ﷻ وغيرت الحال ولم يبق شيء على حاله وعلى طريقته وعلى صفته السابقة في الكفر. فزال المحذور وزال هذا الاسم وزالت الحقيقة التي بنى عليها أهل الشرك.

ومثل هذا لو هدمت الكنائس أو البيع وأنشئت محلها مساجد فلا حرج في ذلك لأن اسمها وحقيقتها قد زال وبقي محل العبادة =

....

= لعبادة الله وحده ﷻ*.

* س: الآن بعض المساجد فيها تسرب من البيارات، هل يجوز الصلاة فيها والجدران فيها التسرب؟

ج: لا حرج؛ لأنه ما يقطع بأنه نجاسة.

س: وإذا قطعنا بأنها نجاسة أحسن الله إليك؟

ج: إذا قطعنا بأنها نجاسة لا يجوز الصلاة فيها.

۞ عن ثابتِ بن الضَّحّاكِ الأنصاريِّ ﷺ قال: نذرَ رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ أن ينحرَ إبلاً بِبُوَانَةَ، فسأل النبيَّ ﷺ، فقال: «هل كان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهلية يُعبَدُ؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادِهم؟» قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «أَوفِ بنذرِكَ؛ فإنه لا وفاءَ لنذرٍ في معصيةِ الله، ولا فيما لا يملِكُ ابنُ آدم»(١). رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما(٢). [١١٤]

[شرح١١٤] (عن ثابت بن الضحاك الأنصاري) صحابي مشهور معروف.

(قال: ببوانة) بوانة: موضع معروف في أسفل مكة، وقيل: موضع في هضبة في ينبع، والمقصود أنه محل معروف، سأل هذا الرجل النبي ﷺ عن نذره أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ الصحابة: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال: «أوف =

---

(١) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٣١٣).

(٢) ص١٢٩.

....

= بنذرك؛ فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم».

هذا يبين لنا أن السائل إذا سأل عن شيء فيه احتمال ينبغي للمسؤول أن يستفصل؛ حتى يقع الجواب على الحقيقة المقصودة، وحتى لا يقع على خطأ، إذا كان السؤال فيه احتمال فينبغي للمسؤول أن يستفصل وأن يحتاط حتى يتضح السؤال فيكون على طبقه الجواب، ولهذا استفصل النبي ﷺ في هذا المقام، فدل ذلك على وجوب هذا الاستفصال عند احتمال السؤال احتمالات متنوعة.

وفيه من الفوائد أن ما كان فيه وثن من أوثانهم أو فيه عيد من أعيادهم يمنع الوفاء بالنذر فيه؛ لأن في ذلك إحياءً لسنة الجاهلية، فالرسول خاف لما خص الموضع أن يكون خصه لإحياء بدعة، أو إحياء عيد للجاهلية، أو إحياء شر؛ لأن هذا التخصيص قد يوهم شيئاً، فلهذا استفصل عليه الصلاة والسلام، وهذا الاستفصال يدلنا على أنه إذا كان في المكان وثن من أوثانهم أو عيد من أعيادهم يمنع المسلم أن يوفي بذلك، لأن في هذا إحياءً لطرائقهم ومشابهة لهم، فلا يجوز للمسلم أن يشابههم، ولا أن يحيي بدعهم الخبيثة =

....

= وعباداتهم الضالة الباطلة.

وكان هذا بعد الفتح، وجاء في رواية أحمد عن شخص يقال له كردم أن هذا السؤال كان في حجة الوداع[1]، وبكل حال فهو بعد الفتح، وبعد ما استأصل الله الشر، وقضى على الجاهلية وعلى شرك المشركين في الحجاز، فخشي النبي ﷺ أن يكون هناك مواضع من بقايا شركهم، فاستفصل عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على أن المواضع المعدة للشرك لا ينبغي للمسلم أن يعبد الله فيها، وهذا هو الشاهد للترجمة (باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله). هذا الشاهد لما استفصل، فدل ذلك على أن ما كان معداً لعبادة غير الله، من أعمال جاهلية لا يذبح فيه لله فإذا كان مجزرة معدة لشركهم وكفرهم، فلا يذبح فيها مسلم حتى تغير، أو ينتقل إلى محل آخر حتى لا يكون أحيا عملهم الخبيث، أو شابههم في ذلك، والقلوب لا يعلم ما فيها إلا الله ﷻ والنيات لا يعلمها إلا الله، فإذا ذبح في محلهم، قد يتهم بأنه قد أراد مرادهم، وقد يكون في هذا إحياء لما =

(١) انظر «مسند الإمام أحمد» ٦/ ٣٦٦، حديث ميمونة بنت كردم.

....

= هم عليه، فيمنع من ذلك لسد الباب والقضاء على ما يقع من تهمته بموافقتهم على باطلهم.

فلما قيل له: لا، قال: (أوف بنذرك) فدل ذلك على أن الوفاء من الواجب، ولكن بشرط أن لا يكون هناك محذور في النذر أو في المحل الذي عينه، فإذا كان نذر معصية فلا يوفي به، أو كان النذر في محل لا ينبغي الوفاء فيه فإن الوفاء فيه يكون معصية أيضاً؛ فلهذا قال بعده: (لا وفاء في معصية الله) فدل ذلك على أن نذر المعصية لا يفعل.

وفي الحديث الصحيح حديث عائشة عند البخاري: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[1]. فإذا قال: لله علي أن أصلي كذا، أو أصوم كذا، أو أتصدق على فلان بكذا، أو أعمل في سبيل الله في كذا، أو ما أشبه ذلك، أوفى بنذره؛ لأنه طاعة لله، وأما إذا قال: لله علي أن أزني أو أسرق أو أشرب الخمر أو ما أشبه ذلك فليس له الوفاء به؛ لأن هذه معاص ليس له الوفاء بها.

وقد اختلف العلماء فيما إذا كان في ذلك كفارة يمين إلى قولين: =

(١) أخرجه البخاري: الأيمان والنذور (٦٦٩٦).

....

= أحدهما: أن فيه كفارة يمين؛ لأنه جاء بذلك عدة أخبار، وإن كان فيها ضعف، وجاء عن ابن عباس أيضاً القول بكفارة اليمين[١].

وقال آخرون: أنه لا كفارة فيه؛ لأنه باطل لا ينعقد، ولا يوجب الكفارة.

والأحوط في هذا الكفارة؛ لأن فيها أحاديث، وإن كانت لا تخلو من مقال، ولكن يؤيدها حديث ابن عباس[٢]، وهو جيد، فالأولى لمن نذر معصية أن يكفر كفارة اليمين عن هذا النذر، ولا يجوز له الوفاء به، سواء كان هذا النذر يتعلق بخمر أو زنى أو غير ذلك، أو أن امرأة نذرت أن تصلي في حال حيضها أو في حال نفاسها أو ما أشبه ذلك.

وفيه من الفوائد أيضاً أن النذر فيما لا يملك ابن آدم لا يجوز ولا يصح، بل هو باطل، فلو قال: لله علي أن أعتق عبد فلان أو =

---

(١) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٣٢٢)، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٣٢٢)، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٨).

....

= أذبح ناقة فلان، فهو نذر باطل؛ لأنه ليس له ملك فيها، فليس له في هذا الوفاء.

وأما إذا قال: لله علي أن أعتق عبداً، أو لله علي أن أتصدق بكذا لزمه، وإن كان في ذلك الوقت ليس عنده ذلك الشيء، فيكون في الذمة؛ لأن هذا نذر شرعي، وإذا قال: لله علي أن أتصدق بمئة ريال، أو لله علي أن أصلي ركعتين في الضحى، أو في هذه الليلة، أو لله علي أن أصوم يوم الاثنين أو يوم الخميس أو ما أشبه ذلك، فهذه أمور شرعية عليه أن يوفي بها أو قال: لله علي أن أحج أو أعتمر، فيلزمه الوفاء مطلقاً عند جمهور أهل العلم.

وقال بعضهم: فيه تفصيل؛ إن كان جنسه واجباً بالشرع وجب الوفاء، كالحج والصيام، وإن كان جنسه لا يجب بالشرع، كالاعتكاف، فلا يجب الوفاء به وإن كان مستحباً، ويذكر هذا عن أبي حنيفة رحمه الله وجماعة، وهذا ضعيف، والصواب أنه يلزمه الوفاء به مطلقاً ما دام طاعة لله، سواء كان جنسه واجباً كالحج والصلاة، أو كان جنسه غير واجب، كالاعتكاف ونحو ذلك. =

....

= فالحاصل أن ظاهر الحديث وجوب الوفاء: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه». رواه البخاري ـ رحمه الله ـ وغيره[1].

وفيه من الفوائد أيضاً أنه ينبغي للمؤمن أن يحذر التأسي بالجاهلية أو العمل بأعمالها، والحذر من طرقها، وأن الواجب عليه أن يكون بعيداً عن كل ما يمت للجاهلية وعباداتها وأعمالها الخبيثة بصلة، تشبهاً بها أو موافقة أماكنها، بل يحذر أعمالها ويحذر موافقة أماكنها بعداً عن التشبه بأعداء الله في أعمالهم الشركية، وفي هذا سد باب الشرك وحسم الذرائع الموصلة للشرك.

وقد جاء الشرع بسد الذرائع في نصوص كثيرة منها هذا النص الذي فيه سد الذرائع التي قد تفضي إلى الشرك، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨] فنهى عن سب آلهة المشركين؛ لأنها قد تفضي إلى سب الله ﷻ. =

(١) أخرجه البخاري: الأيمان والنذور (٦٦٩٦).

....

= فهذا من باب سد الذرائع المفضية إلى ما لا ينبغي وما لا يجوز، والله جل وعلا أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه*.

*** س: نص الحديث: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» ولم ينص على كفارة اليمين، فما رأيكم؟**

ج: وردت زيادة كفارة اليمين أيضاً من طريق جماعة، ولكن فيها ضعفاً، رواها أبو داود[١] وغيره[٢]، وكفارة اليمين من باب الاحتياط، وقد ورد هذا عن ابن عباس بإسناد جيد[٣]، وقد يجبر بقول الصحابي.

* * *

---

(١) برقم (٣٢٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٢٤)، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٣٢٢)، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٨).

باب من الشرك النذر لغير الله

۞ وقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠][1]. [١١٥]

[شرح١١٥] هذا الشرك هنا هو الشرك الأكبر؛ لأن النذر عبادة، فإذا صرف لله فهو طاعة لله، وإذا صرف لغير الله فهو عبادة لغيره؛ ولهذا قال: باب من الشرك النذر لغير الله، ولم يقل: الشرك الأكبر ليتدبر الطالب ويتأمل حتى يستفيد.

فالشرك شركان أكبر وأصغر، والمراد هنا الشرك الأكبر؛ فإذا صرف العبادة لغير الله دخل هذا في الشرك الأكبر.

والنذر من العبادات؛ كالدعاء والاستغاثة والذبح والاستعانة وما أشبه ذلك؛ فإذا نذر للموتى أو الجن هو كمن استعان بهم واستغاث بهم ونحو ذلك.

والنذر المقصود به التعظيم للمنذور له، واستجلاب خير، وربما جعلوه من باب الدفاع عن أنفسهم، ويعتقدون أن النذور =

---

(١) ص١٣٢.

....

= تدفع عنهم ما يخشون شره أو تجلب لهم ما يقصدونه من الخير.

فمعنى ذلك أنهم اعتقدوا في هذا المنذور له أنه يعطيهم مطالبهم ويدفع عنهم ضررهم؛ كما يقول المريض: لله علي إن شفى الله مريضي؛ لأذبحن كذا أو لأصومن كذا؛ لاعتقاده أن هذا النذر من أسباب حصول مطلوبهم؛ فالواجب أن ينذر لله؛ لأنه الخالق ﷻ.

فإذا فعل هذا النذر لغير الله، فمعناه أنه طلب جلب الخير أو دفع الشر من هذا المخلوق أو من هذا الجني وما أشبه ذلك؛ فإذا قال: إن شفى الله مريضي فللشيخ فلان كذا أو للجني فلان كذا أو لشجرة معينة كذا؛ فقد عبده بذلك.

وهذا كما يقول الجهال في مصر وغيرها، يعني: من شيوخهم: إن شفي مريضي أو رد غائبي فلسيدي البدوي ذبيحة أو له كذا وكذا، أو لسيدي عبد القادر، أو لسيدي العيدروس، أو ما أشبه ذلك؛ فهذا هو النذر الذي يتقرب به الناذر للمنذور له، فمن تقرب به لله فهو طاعة لله ولكنه منهي عنه لما فيه من استخراج القربات بالإكراه؛ ولهذا قال النبي ﷺ «لا تَنذِروا؛ فإن النَّذرَ لا يُغني من =

....

= القدرِ شيئاً، وإنما يُستخرَج به من البخيل»(١).

فالنذر مكروه؛ لأنه يلزم النفس بأشياء قد لا تطيب بها نفساً، فلا يخرجها عن طيب نفس؛ فينبغي ألا يفعله المؤمن فينبغي أن يتقي النذر ولكن متى جعله طاعة لله وجب عليه الوفاء كما سيأتي.

فالحاصل أن النذر قربة وطاعة وتعظيم للمنذور له؛ فلا يليق إلا لله ﷻ ولكن لما كان فيه إلزام للنفس وتشديد، منع وكره للمسلم أن يفعله، لئلا يتعاطى العبادات وهو مكره وغير متقبل لها وغير متمسك بها؛ فأولى به أن يعرض عن ذلك، وأن تكون عباداته كلها عن اختيار وعن طيب نفس وعن رغبة، لا عن نذر عن وإلزام، فإذا فعله لغير الله من الأموات أو الغائبين أو من الجن أو الملائكة أو ما أشبه ذلك صار عبادة لمن دون الله؛ فيكون من قسم الشرك الأكبر نسأل الله العافية.

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. =

(١) أخرجه مسلم: النذر (١٦٤٠).

....

= المعنى فهو يجازيكم عليه، جعل النذر مع النفقة؛ فدل ذلك على أنه قربة وأنه يتقرب به إلى المنذور له، كما يتقرب بالنفقة، فمن تصدق فقد تقرب، سواء كان لله أو لغيره، فمن تصدق لله فقد تقرب إلى الله، ومن أخرج أمواله يتقرب بها إلى غير الله، صار ذلك عبادة لغير الله.

وهكذا النذر فمن نذر لله فهو عبادة لله، ومن نذر لغير الله فهو عبادة لغيره من جن أو إنس أو شجر أو حجر أو كوكب أو ما أشبه ذلك.

وكانت أعمال المشركين متفاوتة وعباداتهم متنوعة، منهم من يعبد الكواكب كالصابئة، ومنهم من يعبد الأموات والأشياء وأحداثها ككفار الجاهلية من قريش وغيرهم، ومنهم من يعبد غير ذلك كالملائكة أو الأنبياء أو غير ذلك، وهم متنوعون في شركهم وأصنامهم وفي كفرهم، ويجمعهم كلهم أنهم صرفوا العبادة لغير الله، هذا هو الجامع، ومن فعل هذا فقد أشرك بالله ﷻ، والواجب عليه أن تكون عبادته لله وحده، وأن يقصدها لله وحده، ويتقرب بها لله وحده؛ لأنه مستحق للعبادة جل وعلا، ومن جملتها النذر والنفقة. =

....

= وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في «صحيح البخاري»[1] عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

وهذا يدل على أن النذر عبادة وقربة، فمن نذره لله وجب عليه الوفاء، فإذا قال: لله عليه أن يصوم كذا أو يقرأ أو يصلي كذا أو يتصدق بكذا؛ وجب عليه الوفاء.

وأما إن كان معصية فلا؛ لأن المعاصي لا يتقرب بها إلى الله، فلا يجوز الوفاء بها؛ فإذا قال: لله عليه أن يشرب الخمر، أو يقطع رحمه، أو يظلم فلاناً بغير حق، أو يسب فلاناً أو ما أشبه ذلك؛ كان هذا نذر معصية، ليس له الوفاء به.

واختلف أهل العلم في الكفارة: هل عليه كفارة، أم لا، على قولين؟ والقولان مبنيان على صحة الحديث في الكفارة.

جاء في بعض الروايات عن عائشة «لا نذر في معصية وكفارته =

(١) برقم (٦٦٩٦).

....

= كفارة اليمين»[١] فمن صححها وحسنها أوجب هذه الكفارة، ومن ولم يصححها ولم يحسنها وجعلها ضعيفة لم يوجب عليه الكفارة؛ فالمقام يحتاج إلى العناية في نفس الأسانيد، والذي يظهر من نفس الأسانيد أنها تشد بعضها بعضاً ففيها ضعف، ويشد بعضها بعضاً، وتتأيد بقول ابن عباس فيما ثبت عنه في نذر المعصية أن على صاحبها كفارة يمين[٢]؛ فهذا هو الأولى أن تدفع كفارة اليمين احتياطاً وخروجاً من خلاف العلماء في هذا الباب.

فالحاصل إذا نذر معصية فليس له الوفاء ويكفر كفارة اليمين فهو الأحوط وهو الأولى عملاً بالأحاديث وإن كان فيها ضعف، وعملاً بقول ابن عباس المؤيد لها ﷺ*.

* س: أنا راعي سيارة فيها ركاب راحلين إلى القصيم ثم بنشر العجل =

(١) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٢٤)، والنسائي: الأيمان والنذور (٣٨٣٤)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٩٠)، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٣٢٢).

....

= الخلفي وانقلبت السيارة فمات ستة، يقول: هل علي كفارة قتل أم لا؟ يقول: أنا حريص على السيارة وأتفقدها ولكن البنشر الخلفي قلب السيارة يقول: اسأل لي الشيخ هو عليه كفارة أم لا؟

ج: ولم يكن على عجلة زائدة؟

س: يقول أبداً، أمشي مشياً عادياً طبيعياً ولكن السيارة محملة.

ج: حملاً عادياً أم زائداً؟

س: لم أستفسر.

ج: إذا كان الحمل عادياً والمشي عادياً فما عليه كفارة، أما إذا كان الحمل زائداً فهو تسبب في أنه بنشر العجل، وحصل ما حصل، أو كانت سرعته عالية، يعني إذا تسبب عليه الكفارة وإلا فلا.

س: ويقول: إذا كان علي كفارة فهل يجوز أن أوزعها على أقربائي يصوم عني بعضهم؟

ج: لا يصومون عنه، يصوم عن كل واحد شهرين متتابعين.

س: إذا ثبت عند القاضي تعويض مادي فهل ينبني على هذا أن صاحب السيارة عليه كفارة أم ليس عليه كفارة؟

ج: والله الأصل ما دام ثبتت عليه فعليه الكفارة.

س: لم تثبت عليه؛ ولكنها ثبتت على صاحب السيارة؛ لأن الذي لا =

....

= يسوق هو صاحب السيارة الذي كلفها، هو الذي يقول لي كم أدفع؟ أما السائق فلم يدفع شيئاً.

ج: نعم لم يدفع شيئاً عند القاضي فلم يثبت عليه شيء؛ فصاحب السيارة الذي كلفها هو الذي دفع وهو الذي يعمل عنده السائق.

س: لماذا تجب عليه الكفارة؟

ج: يمكن والله أعلم بسبب أن حملها حملاً زائداً، ويمكن على وجه صاحب السيارة حمل حملاً زائداً وليس من شأنه ذلك، وعلى السائق وقتها أن يقول: لا أقودها هكذا، ويحتمل أن السائق لا يفهم الحمل الزائد من الحمل الناقص، وهذا فيه حيطة للدماء، والأولى في مثل هذا أن يكفر؛ لأن ضبط السرعة العادية التي ليست فيها زيادة سرعة صعب.

س: يقول عندي مرض السكر مستمر ولا أتمكن من الصيام؟

ج: يبقى في ذمته حتى يتيسر، فإذا مات فيمكن أن يصام عنه بعده، وإلا فينتظر حتى يتيسر.

* * *

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

۞ وقولُ الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

عن خَولَةَ بنتِ حكيمٍ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن نَزلَ مَنزِلاً، فقال: أعوذُ بكلماتِ الله التّامّاتِ من شَرِّ ما خلقَ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يرحلَ مِن منزِلهِ ذلك»(١). رواه مسلم(٢). [١١٦]

[شرح١١٦] مثل ما تقدم؛ و«باب من الشركِ الاستعاذة بغير الله»: ما يكون لغير الله من باب الشرك الأكبر: الاستعاذة بغير الله، أي: في أمر لا يقدر عليه المخلوق؛ كأن يستعيذ بالأموات الذين ليس عندهم قدرة، أو بالجن، أو بالكواكب، أو بالأشجار والأحجار، أو بالأصنام أو ما أشبه ذلك؛ فهذا شرك بالله ﷻ، وهو شرك أكبر، وهذا هو المراد عند الإطلاق. =

---

(١) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨).

(٢) ص١٣٨.

....

= وأما الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه فهذا غير داخل في هذا الباب، وهكذا الدعاء والاستغاثة وأشباه ذلك؛ فالمراد بهذا: الاستغاثة بالأموات وأشباههم، أو بالجمادات ونحوها فيما وراء الأسباب الحسية؛ أما ما يتعلق بالأسباب الحسية من الحي الحاضر القادر فهو غير داخل في هذا الباب ولا في باب الاستغاثة كما يأتي.

فالمقصود من قوله: «باب من الشرك»، أي: الأكبر، الاستعاذة بغير الله؛ كالاستعاذة بالجن أو بالأموات أو بالجمادات، كالأصنام والأشجار والأحجار، وهذا من عمل الجاهلية، وهو من الشرك الأكبر، كما كان يقول العرب ـ إذا نزلوا وادياً ـ: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيستعيذون بالجن؛ فأنزل الله في ذلك ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] الآية [السادسة] من سورة الجن.

أي: زادوهم طغياناً وكبراً، أي: زاد الإنسُ الجنَّ طغياناً عليهم وعدواناً عليهم وتكبراً عليهم، على تفسيره الواو في ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ =

....

= بالإنس والهاء الجن، وقيل: معنى زادوهم أي: زاد الإنس الجن خوفاً وذعراً لما رأوهم يستجيرون بهم ويستعيذون بهم، أي: زادوهم ذعراً وإخافة لهم، وعمل أشياء تزيدهم ذعراً وتزيدهم خوفاً من الجن حتى يلهجوا بهم ويزدادوا في عبادتهم من دون الله ﷻ.

وعلى كلا التقديرين، فالمعنى ذم هذا العمل والتحذير منه، وأنه لا يليق بالمؤمن أن يفعل ذلك؛ بل يستعين بالله وحده؛ لأنه بيده أزمة الأمور، وبيده نواصي كل شيء ﷻ؛ فهو الذي يستطيع أن يمنع عنك وأن يجيرك ويحفظك مما تستغيثه منه، بخلاف الجن وغيرهم؛ فإنهم عاجزون ليس في قدرتهم أن يجيروك من كل شيء.

فالحاصل من هذا أن الاستعاذة بالله عبادة وقربة إلى الله ﷻ؛ فإذا صرفها العبد لغير الله كالاستعاذة بالجن أو بالأموات أو بالكواكب أو ما أشبه ذلك؛ فقد صرف العبادة لغير الله؛ فيكون هذا شركاً بالله ﷻ؛ أما إن كان هذا فيما يتعلق بالمخلوق الحي الحاضر؛ كأن تقول لزيد: أعذني من شر غلامك، أو من شر كلبك، أو زوجتك، بأن يمنعها، أو يتكلم عليها، أو ما أشبه ذلك، أو =

....

= تقول: أغثني من كذا؛ كما قال الله سبحانه: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

فاستغاثتك بالحي الحاضر في شيء يقدر عليه غير داخلة في الاستغاثة الممنوعة والاستعاذة الممنوعة أو ما أشبه ذلك.

فالمقصود أن ما يتعلق بالحي الحاضر القادر بالأسباب الحسية، غير داخل في العبادة، إنما العبادة هي ما يتعلق بما وراء الأسباب بالاستعاذة أو الاستغاثة أو الدعاء للأموات أو للجن أو للملائكة أو لغيرهم من الجمادات ومن الأحجار والأشجار والكواكب أو ما أشبه ذلك، هذا هو الذي ذكره الله في كتابه الكريم، وذكره الرسول ﷺ أنه شرك، وبينه وقرره أهل العلم أنه شرك وهذا هو المراد في هذا الباب.

وفي «الصحيح» عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[1]. =

(١) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨).

....

= «يضرُّه» بضم الراء والهاء، أو قال: «يضرَّه» بالفتح على الأصل؛ فالضم للإتباع، والفتح على الأصل؛ لأن المشدد يفتح عند الجزم؛ فنقول: لم يضرَّ، لم يحلَّ، لم يردَّ، فإذا جاءت الهاء المضمومة جاز الرفع إتباعاً؛ فجائز قولنا: لم يردُّهُ لم يضرُّهُ؛ من باب الإتباع.

وهذا يدل على أن كلمات الله من صفاته ﷻ؛ لأن أهل العلم قد أجمعوا على أنه لا يستعاذ بغير الله، فلما جاءت النصوص دالة على شرعية الاستعاذة بكلمات الله، علمنا أن كلمات الله من صفاته سبحانه، وأنها غير مخلوقة إذ المخلوق لا يستعاذ به، فلما جاءت النصوص بشرعية الاستعاذة بكلمات الله التامات؛ دل هذا على أن القرآن كلام الله، وعلى أن كلمات الله غير مخلوقة بخلاف ما يقوله أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ونحوهم.

وهذا يدل على شرعية الاستعاذة بكلمات الله، فيقول الإنسان: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، ومعنى «التامات»: الكوامل التي لا يعتريها نقص ولا عيب؛ بل هي كاملة في نفسها، تامة لا نقص فيها، وقد جاء في هذا الباب استعاذات أخرى، منها: =

....

= «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»(١)، و«أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»(٢) أي: النافذات.

فالحاصل أن كلمات الله تكون قدرية وهي النافذة، وتكون شرعية؛ كالقرآن وكلامه سبحانه التي جاءت به رسله، فهذا كلامه ﷻ الشرعي.

أما كلماته الكونية فهي ما يأمر به ويحكم به في عباده في قوله سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فكلماته الكونية هي التي لا راد لها ولا معقب لها؛ بل نافذة بكل حال؛ أما كلماته الشرعية فهي التي تكلم بها ﷻ وأمر بها عباده ونهى عنها عباده؛ فالكلمات الشرعية قد ينفذها العباد، وقد يعصونها ويخالفونها كما قال الله جل وعلا: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩).

....

= ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] فمنهم من أقام ومنهم من لم يقم ومنهم من زكى ومنهم من لم يزك وهكذا.

فالأمر الشرعي والكلمات الشرعية والإرادة الشرعية قد ينفذها العباد وقد لا ينفذونها، فهي بالنسبة إليه ﷻ غير الكلمات الكونية؛ أما الكلمات الكونية وهي ما حكم به جل وعلا، وأمر به أمر تكوين وأمر إيجاد، فهذه نافذة في عباد الله لا يردها راد ولا يصدها صاد ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] ﷻ.

وفي هذا دلالة على أن الاستعاذة بكلمات الله جل وعلا؛ كالاستعاذة به سبحانه فتقول: أعوذ بالله، أو أعوذ بكلمات الله، فهذا كله صحيح، وكله استعاذة بالله جل وعلا؛ إذ الاستعاذة بصفات الله وبأسمائه ﷻ استعاذة به ﷻوفي الحديث: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك»[1]؛ فهو تعوذ =

(١) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٨٦).

....

= برضاه وبعفوه.

وصفاته ﷻ كذاته ﷻ في كونها غير مخلوقة؛ بل صفات له ﷻ كاملة لا يعتريها نقص ولا عيب؛ فالتعوذ بها تعوذ به ﷻ ولجأ إليه ﷻ؛ فالمعنى: أنك تعوذت بصاحب الكلمات صاحب الرضا والغضب، الذي هو الله ﷻ؛ فالتعوذ بصفاته تعوذ به ﷻ، وليس داخلاً في التعوذ بالمخلوقات والله ﷻ أعلم*.

---

* س: هل القرآن داخل في كلماته ﷻ؟

ج: نعم، داخل؛ لأنه كلامه ﷻ.

س: إذا تسببت الأم في قتل ابنها، هل للأب أن يطالبها بدية ابنه؟

ج: نعم يطالب الأب وغير الأب، ويطالب الورثة.

* * *

۞ قال ـ رحمه الله ـ: وقولُه: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت:١٧] أمرَ اللهُ تعالى بابتغاءِ الرزقِ عندَه لا عندَ غيرِه ممن لا يملكُ رزقاً من الأوثان والأصنام وغيرِها، كما قال في أول الآية: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧].

قال ابنُ كثير: وهذا أبلغ في الحصر كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[1] [التحريم:١١][2]. [١١٧]

[شرح١١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ أداة حصر، أي: إنما معبودات المشركين أوثان، جعلوها آلهة، وهي باطل، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتقدرون إفكاً، وتزعمون أنهم آلهة، وليسوا بآلهة، بل هي كذب وإفك وباطل، فهذه آلهتهم، وهي أشياء تسمى أوثاناً، ويكذبون، ويسمونها آلهة كذباً وإفكاً، «تخلقون» تقدرون هذا.

فالمعنى: أن ما قدرتموه وزعمتموه من كونها آلهة تنفع عابديها =

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٦٩).

(٢) ص١٥٦.

....

= وتشفع لهم عند الله أو تجلب لهم كذا، أو تدفع عنهم كذا، كله باطل، فإنما هي أشياء تقع في مفكرتهم وفي أنفسهم بدون حجة ولا برهان.

فليس هناك إله يعبد بحق سوى الله عز وجل، وأما هذه الآلهة التي زعموها فهي أوثان وأشياء مكذوبة، ظنوها آلهة واعتقدوها آلهة باطلاً بلا حجة ولا برهان، سواء كان حجراً أو شجراً أو إنساناً أو ملكاً أو غير ذلك.

۞ ولهذا قال: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: لا عندَ غيرِه؛ لأنه المالكُ له، وغيرُه لا يملكُ شيئاً من ذلك ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادةَ وحدَه لا شريكَ له ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: على ما أنعم عليكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] أي: سيجازي كلَّ عاملٍ بعملِه(١).

قلتُ: في الآية الردُّ على المشركين الذين يَدعُون غيرَ الله ليشفعوا لهم عندَه في جَلبِ الرزقِ، فما ظنُّك بمن دعاهم أنفسَهم، واستغاثَ بهم ليرزُقوه وينصُروه كما هو الواقع من عُبّادِ القبور؟!(٢). [١١٨]

[شرح١١٨] أي: إذا كان هذا الذم والعيب بوصفهم أنهم عبدوهم ـ في حق من كان يعتقدها شفعاء أو وسطاء، لا أنهم يتصرفون بأنفسهم، بل يعتقدونهم وسطاء، ومع هذا كفرهم الله، وبين ضلالهم وضلال عابديهم ـ فما ظنك بمن زعم أن آلهته هي المتصرفة في الكون والمدبرة للعباد، وأنها تخلق وترزق وتدبر أمر من =

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٦٩).

(٢) ص١٥٦.

....

= دعاها، فيكون كفره أكبر، وشركه أعظم، ويكون قد زاد على كفر المشركين الأولين، نعوذ بالله.

۞ وقال المصنفُ: وفيه أن طلبَ الرزقِ لا ينبغي إلا مِن الله كما أن الجنةَ لا تُطلَب إلا منه[1]. [١١٩]

[شرح١١٩] قال: وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ [العنكبوت:١٧] بين أنهم لا يملكون الرزق، والذي يملك الرزق هو الله سبحانه وتعالى، سواء كان الرزق علماً أو عملاً صالحاً أو درهماً، أو ديناراً، أو طعاماً، فالأرزاق أنواع، أعظمها العلم النافع، والتوفيق للهدى، فليس شيء بيد غير الله، ولا يملكه غير الله، بل هو بيد الله سبحانه وتعالى.

هو المالك له، وهو سبحانه وتعالى، المَانُّ به على من يشاء، فالأصنام والأوثان والمخلوقات لا تملك الرزق، ولا تملك أن تعطي علماً، ولا تملك أن تعطي صحة، ولا تملك أن تكشف ضرّاً، ولا تملك أن تعطي ولداً، إلى غير ذلك، بل الله هو الذي يهب هذه الأشياء وبالأسباب التي يشاؤها ويقدرها سبحانه وتعالى.

---

(١) ص١٥٦.

۞ قال: وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦]، حاصلُ كلام المفسرين أن الله -تعالى- حكمَ بأنه لا أضلَّ ممن يدعو مِن دون الله، لا دعاءَ عبادةٍ، ولا دعاءَ مسألةٍ واستغاثةٍ من هذه حاله[1]. [١٢٠]

[شرح١٢٠] لا أضل ولا أتعس ولا أشر ممن هذه حاله، وهذا نص الآية، نسأل الله العافية.

---

(١) ص١٥٦.

۞ ومعنى الاستفهامِ فيه إنكارُ أن يكونَ في الضُّلّالِ كلِّهم أبلغَ ضَلالاً ممن عَبَدَ غيرَ الله، ودعاهُ، حيث يتركون دعاءَ السميعِ المجيبِ القادرِ على تحصيل كلِّ بُغيَةٍ ومرامٍ، ويدعون من دونه من لا يستجيبُ لهم، ولا قدرةَ به على استجابة أحدٍ منهم ما دام في الدنيا، وإلى أن تقومَ القيامةُ كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد:١٤].

وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥] أي: لا يشعرون بدعاءِ مَن دعاهُم؛ لأنهم إما عِبادٌ مُسخَّرون مشتغلون بأحوالهم كالملائكة، وإما أمواتٌ كالأنبياء والصالحين، وإما أصنامٌ وأوثانٌ.

وقولُه: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦] أي: ﴿وَإِذَا﴾ قامت القيامةُ و﴿حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ للحساب عادَوْهم ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ الدعاءِ وغيرِه من أنواع العبادة ﴿كَٰفِرِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ =

= ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

فليسوا في الدارَينِ إلا على نَكَدٍ ومَضرَّةٍ، لا تتولّاهم بالاستجابة في الدنيا، وتجحَدُ عبادتَهم في الآخرة، وهم أحوجُ ما كانوا إليها[1]. [١٢١]

[شرح١٢١] كما قد تقع بعض الاستجابات لبعض عباد القبور، فليست من المعبودين، فالمعبودون لا يشعرون بهم كما قال الله جل وعلا، ولكنه شيء قد يقع من شياطينهم، التي تغويهم وتضلهم، فيظنون أن هذا الشيء من نفس المعبود من دون الله، من النبي أو من البدوي أو من عبد القادر أو من فلان، وإنما هي الشياطين التي توسطت بينهم، وصارت تغويهم وتضلهم وتأخذهم إلى الكفر.

فربما قضت لهم بعض الحوائج، فظنوا أن الولي أو النبي قد قام من قبره ومن محله فقضى لهم هذه الحاجة، وإنما هي الشياطين التي تضلهم كما كان للعزى ومناة واللات من هذه الأشياء الكثير، وكما هو مشاهد من عباد القبور إلى يومنا هذا، فيسمعون منها الصوت، =

---

(١) ص١٥٦-١٥٧.

....

= ويسمعون منها الإجابة في بعض الأشياء، وهي جماد، ولكن الشياطين تلتبس بها، وتدخل فيها، وتكون حولها حتى تغويهم، وحتى تقضي لهم بعض الحاجات، فقد تأتي لهم بمال، وقد تأتي لهم بشيء من المطالب، فالشياطين هي التي تغوي من عبدها من دون الله، نعوذ بالله من هذا*.

---

* س: بعضهم يدعو بنزول المطر فينزل مطر وافر.

ج: هذا قد يوافي القدر، فقد يقع شيء مما يوافق القدر، أو يكون فيهم مضطرون، يدعون الله دعوة مضطر، فيجاب، وهم لا يشعرون أن هذا من أجل هذا، بل يظنون أن هذا من أجل الولي وكرامته، والله المستعان.

۞ وفي الآيتين مسائلُ نبَّه عليها المصنفُ:

أحدُها: أنه لا أضلَّ ممن دعا غيرَ الله.

الثانية: أنه غافلٌ عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثالثة: أن تلك الدعوةَ سبب لبغضِ المدعوِّ للداعي وعداوتِه له.

الرابعة: تسميةُ تلك الدعوة عبادةً للمدعوِّ.

الخامسة: كُفرُ المدعوِّ بتلك العبادةِ.

السادسة: أن هذه الأمورَ هي سببُ كونِه أضلَّ الناسِ[1]. [١٢٢]

[شرح١٢٢] والسابعة أيضاً: أن هذه الاستجابة منتفية إلى يوم القيامة.

وأيضاً فائدة أخرى عظيمة: وهي أن هؤلاء الآلهة المدعوين من دون الله لا يستجيبون إلى يوم القيامة، فليس عن وقت قريب، أو بوقت دون وقت، بل هو منتف إلى يوم القيامة انتفاءً تاماً، ليس له نهاية.

---

(١) ص١٥٧.

۞ قال: وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢] يقرِّر تعالى أنه الإلهُ الواحدُ الذي لا شريكَ له ولا معبودَ سواه؛ مما يشترك في معرفته المؤمنُ والكافرُ؛ لأن القلوبَ مفطورةٌ على ذلك، فمتى جاء الاضطرارُ رجعتِ القلوبُ إلى الفطرةِ، وزال ما ينازعها، فالتجأت إليه، وأنابت إليه وحدَه لا شريكَ له، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣-٥٤](١). [١٢٣].

[شرح١٢٣] هذه حال المشركين الأولين؛ لأنهم إلى الفطرة أقرب من هؤلاء المتأخرين، إذا جاءت الشدائد لجؤوا إلى الله ودعوه سبحانه وتركوا آلهتهم، وإذا جاء الرخاء أشركوا بالله.

هذه حال الأولين أما حال الآخرين فشرك الآخرين شرك أشد من هذا وأفظع، فإذا جاءت الشدائد أخلصوا لمعبوديهم من دون =

---

(١) ص١٥٧-١٥٨.

....

= الله وتعلقوا بهم، وطلبوا حوائجهم منهم، واضطروا إليهم، وتضرعوا إليهم كما هو مشاهد من عباد البدوي والحسين والرسول ﷺ وغير ذلك، فإذا جاءت الشدائد رأيتهم يلهجون ويصرخون لهذه المعبودات من دون الله، يعني: هم أسوأ حالاً من الأولين، وأشر من الأولين، وأردأ فطرة، وأقل بصيرة. نسأل الله العافية.

يقول من شاهدهم في المراكب في البحار عندما تشتد الرياح يسمعونهم يصيحون ويقولون: يا سيدي عبد القادر، وهذا يقول: يا سيدي العيدروس، وهذا يقول: يا سيدي البدوي وهذا يقول... هكذا يلهجون بهذه الآلهة المعبودة من دون الله وينسون الله. نسأل الله العافية.

۞ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨]، ومثلُ هذا كثيرٌ في القرآن، يبيِّنُ تعالى أنه المدعوُّ عند الشدائد، الكاشفُ للسوء وحدَه، فيكون هو المعبودَ وحدهَ، وكذا قال في هذه الآية: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] أي: مَن هو الذي لا يَلجأُ المضطرُّ إلا إليه، والذي لا يكشف ضُرَّ المضطرين سواه.

ومن المعلومِ أن المشركين كانوا يعلمون أنه لا يقدِرُ على هذه الأمورِ إلا اللهُ وحدَه، وإذا جاءتْهم الشدائدُ أخلصوا الدعاءَ لله، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

فتبيَّنَ أن مَن اعتقدَ في غيرِ الله أنه يكشف السوءَ أو يُجيبُ دعوةَ المضطرِّ، أو دعاه لذلك فقد أشركَ شِركاً أكبرَ مِن شِركِ العرب كما هو الواقعُ من عُبّادِ القبورِ. =

= قال: وروى الطبرانيُّ بإسناده: أنه كان في زمنِ النبيِّ ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافقِ، فقال النبيُّ ﷺ: «إنه لا يُستغاثُ بي وإنما يُستغاثُ بالله»[(١)].

قوله: «روى الطبراني» هو الإمامُ الحافظ الثقةُ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَيرِ اللَّخميُّ الطبرانيُّ صاحب «المعاجم الثلاثة» وغيرِها، روى عن النَّسائيِّ وإسحاقَ بن إبراهيم الدَّبَريِّ وخَلْقٍ كثير. ومات سنة ستين وثلاث مئة[(٢)]. [١٢٤]

[شرح١٢٤] إنما هو «إسحاق بن إبراهيم الدبري»، بالباء الموحدة نسبةً إلى محل باليمن يقال له دَبَر، ذكره الجماعة.

يكنى أبا القاسم رحمه الله، وقد متع وعمر مئة عام، ولد في =

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وعزاه للطبراني، وقد رواه أحمد (٥/ ٣١٧) ولفظه: أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «لا يُقام لي، إنما يُقام لله».

(٢) ص١٥٨.

....

= مئتين وستين ومات سنة ثلاث مئة وستين، فعاش مئة عام رحمه الله، ووفق لجمع كثير من العلم، وأدرك مشايخ كثيرين رحمه الله، فألحق الأحفاد بالأجداد، وألحق الجماعات الكثيرة بأسلافهم وأجدادهم في الرواية.

۞ وقد بيَّضَ المصنفُ لاسم الراوي وكأنه ـ والله أعلم ـ نقلَه عن غيرِه أو كَتَبَه من حِفظه، والحديثُ عن عبادةَ بن الصامتِ رضي الله عنه[1]*.

* س: ما درجة الحديث؟

ج: فيه ضعف؛ لأنه من رواية ابن لهيعة، ولكن له شواهد في المعنى فيما يتعلق بتحريم الاستغاثة بغير الله، في الأمور التي من خصائص الله سبحانه وتعالى ويأتي توجيه المؤلف لهذا.

(١) ص١٥٨.

۞ قولُه: (أنه كان في زمنِ النبيِّ ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنينَ) هذا المنافق لم أقِف على تسميته، ويُحتمل أن يكونَ هو عبدَ الله ابنَ أُبيٍّ فإنه معروفٌ بالأذى للمؤمنين بالكلام في أعراضِهم ونحوِ ذلك، أما أذاهم بنحوِ ضربٍ أو زجر، فلا نعلمُ منافقاً بهذه الصفة[1]. [١٢٥]

[شرح١٢٥] لأنهم لا يتمكنون من ذلك؛ لأنهم لو أظهروا هذا لأُخِذوا وعُوقبوا أو قُتلوا، لكن يحصل منهم الأذى باللسان واللمز والهمز والسخرية والإشارات الخبيثة، فإذا فُطِن لهم أنكروا أو تأولوا حتى لا يُفطَن لأعمالهم.

---

(١) ص١٥٨.

۞ قولُه: (فقال بعضُهم) أي: بعضُ المؤمنين، وهذا البعض القائل لذلك يحتمل أن يكون واحداً وأن يكون جماعةً، والظاهر أنه واحد، وأظن في بعض الروايات أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه(1).(2) [١٢٦]

[شرح١٢٦] نعم هكذا جاء في الرواية أنه أبو بكر الصديق.

---

(١) كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩)، وأحمد (٥/ ٣١٧).

(٢) ص١٥٨.

۞ قولُه: (قوموا بنا نستغيثُ برسولِ الله ﷺ) مرادُهم الاستغاثةُ به فيما يقدرُ عليه، بكفِّ المنافقِ عن أذاهم، بنحو ضربِه أو زجرِه، لا الاستغاثةُ فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قولُه: (إنه لا يُستغاثُ بي وإنما يُستغاثُ بالله) قال بعضُهم: فيه التصريُح بأنه لا يُستغاثُ بالنبيِّ ﷺ في الأمورِ، وإنما يُستغاثُ بالله، والظاهرُ أن مرادَه ﷺ إرشادُهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ؛ لأن استغاثَتَهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدِرُ عليها، إما بزجره أو تعزيرِه ونحوِ ذلك، فظهر أن المرادَ بذلك الإرشادُ إلى حُسنِ اللفظِ، والحمايةُ منه ﷺ لِجَنابِ التوحيد، وتعظيمُ الله تبارك وتعالى.

فإذا كان هذا كلامَه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدرُ عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيرِه في الأمورِ المهمةِ التي لا يقدرُ عليها أحدٌ إلا الله، كما هو جارٍ على ألسنة كثيرٍ من الشعراء وغيرِهم، وقَلَّ مَن يعرفُ أن ذلك منكرٌ، فضلاً عن معرفةِ =

= كونه شِركاً(١). [١٢٧]

[شرح١٢٧] وقال بعضهم في هذا المعنى: ولعله إنما أنكر عليهم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا يستطيع ذلك؛ لأنه ممنوع من قتل المنافقين لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، أو لأن هذا المنافق هو عبد الله ابن أُبيّ الذي إذا قُتِل ربما ترتب على قتله مفاسد كثيرة، وخُشِي من شر كثير، فكان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله جل وعلا في هذا المعنى.

فلهذا قال: «إنه لا يستغاث بي»؛ لأنه لم يؤذن لي بقتله ونحوه، فيكون ذلك من باب الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله جل وعلا من أجل الملابسات التي تتعلق بهذا الشخص المعين، وأن قتله قد يترتب عليه ما لا تحمد عقباه، فيكون هذا من باب الأمور الأخرى التي ليست من مقدورات المخلوق ولهذا قال: «لا يستغاث بي» لمثل هذا.

هذا بخلاف الأمور المقدور عليها، فإنه لا بأس أن يستغاث به فيها كما استغاث به الصحابة فيما يتعلق بطلب الغوث من الله =

---

(١) ص١٥٩.

....

= عز وجل عند الجدب والقحط: استسق لنا، وكما سيكون يوم القيامة حين يأتونه يطلبون منه الشفاعة ليريح الناس من كرب الموقف يوم القيامة؛ لأنه حي قادر على أن يتعاطى أسباب الشفاعة من سجوده بين يدي الله جل وعلا وخضوعه بين يديه حتى يؤذن له في الشفاعة.

ومن هذا قصة موسى، فإن الإسرائيلي استغاث به، وموسى دون محمد ﷺ في الفضل، قال: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥] فإذا كان موسى يستغاث به في الأمور الجائزة المقدور عليها، فمحمد من باب أولى في الأمور المقدور عليها، وإنما الممنوع الأمور التي لا يقدر عليها، بل هي من خصائص الله، كالاستغاثة به في السلامة من النار وفي دخول الجنة ونحو ذلك بغير الطريق الشرعي وهو متابعته والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام.

۞ فإن قلتَ: ما الجمعُ بين هذا الحديثِ وبين قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

فإن ظاهِرَ الحديث المنعُ من إطلاق لفظِ الاستغاثةِ على المخلوقِ فيما يقدرُ عليه، وظاهرُ الآيةِ جوازُه، قيل: تُحمل الآيةُ على الجوازِ، والحديثُ على الأدبِ والأولى؛ والله أعلم(١). [١٢٨]

[شرح١٢٨] لكن هذا فيه نظر، والأولى مثلما تقدم أن هذا إن صح؛ لأن في سنده ضعفاً، فعلى تقدير صحته يكون هناك أشياء قد منع منها عليه الصلاة والسلام، فإنه قيل له في قتل عبد الله بن أبي قال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»(٢).

---

(١) ص١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٩٠٥)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٨٤).

۞ وقد تبيَّن بما ذُكِر في هذا الباب وشرحِه من الآيات والأحاديثِ وأقوالِ العلماء أن دعاءَ الميتِ والغائبِ والحاضرِ فيما لا يقدرُ عليه إلا الله، والاستغاثةَ بغير الله في كشف الضُّرِ أو تحويله: هو الشركُ الأكبرُ، بل هو أكبرُ أنواعِ الشركِ؛ لأن الدعاءَ مُخُّ العبادةِ؛ ولأن من خصائص الإلهيةِ إفرادُ الله بسؤالِ ذلك، إذ معنى الإله هو الذي يُعبَد لأجل هذه الأمور؛ ولأن الداعي إنما يدعو إلهه عند انقطاعِ أملِه مما سواه.

وذلك هو خلاصةُ التوحيد، وهو انقطاعُ الأملِ مما سوى الله، فمن صرفَ شيئاً من ذلك لغير الله فقد ساوى بينه وبين الله، وذلك هو الشركُ؛ ولهذا يقول المشركون لآلهتهم وهم في الجحيم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء الآيتين: ٩٧- ٩٨][1]. [١٢٩]

[شرح١٢٩] هذا يسمى الشرك التنفيذي.

خالق الخلق وبارئ العباد يعلم هذا، لكن بالنسبة إلى مسألة =

---

(١) ص١٥٩.

....

= الدعاء والاستغاثة واللجء ونحو ذلك قد ساووهم به، وليس في اعتقادهم أنهم يخلقون أو يرزقون، هذا بالنسبة إلى الجاهلية الأولى*.

---

* س: أليس ما ذكر بأن «الدعاء مخ العبادة»(١) حري بهذا؟

ج: فيه ضعف، وإن كان صحيحاً من جهة مراعاة المعنى؛ لأن من عادة العبد الفزع إلى معبوده عند الضرورات، فيعطي ما في قلبه ويرجع إلى معبوده، فيعطي كل ما في نفسه ويلجأ إليه، فيحصل من ذلك أن هذا مخ الشيء الخالص، حيث جعل كل ما في نفسه لهذا المعبود، وطرحه بين يديه، والتجأ به إليه، فصار بهذا المعنى مخاً خالصاً.

س: وما اللفظ الصحيح؟

ج: «الدعاء هو العبادة»(٢)، وفيه هذا المعنى السابق؛ لأن فيه الحصر الادعائي.

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٣٧١).

(٢) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وأبو داود: الصلاة (١٤٧٩)، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٢٨).

۞ ولكن لِعُبّادِ القبورِ على هذا شُبهات، ذكر المصنفُ كثيراً منها في «كشف الشبهات» ونحن نذكر هنا ما لم يذكره:

فمن ذلك أنهم احتجوا بحديثٍ رواه الترمذيُّ في «جامعه» حيث قال: حدَّثنا محمودُ بنُ غَيلانَ قال: حدَّثنا عثمانُ بن عُمرَ قال: حدَّثنا شُعبةُ، عن أبي جعفرٍ، عن عُمارةَ بنِ خُزَيمةَ بن ثابتٍ، عن عثمانَ بنِ حُنَيفٍ: أن رجلاً ضريرَ البصرِ أتى النبيَّ ﷺ فقال: ادعُ اللهَ أن يعافِيني، قال: «إنْ شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لك». قال: فادعُهْ.

فأمرَه أن يتوضَّأَ ويُحسِنَ وُضُوءَه ويدعُوَ بهذا الدعاء: «اللهمَّ إني أسألُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمدٍ نبيِّ الرحمةِ، إني توجَّهتُ بهِ إلى رَبِّي في حاجتي هذه لِتُقضَى، اللهمَّ فشفِّعهُ فِيَّ»[1].

قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلا من =

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٧٨)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٥).

= رواية أبي جعفرٍ، وهو غيرُ الخَطميِّ[١]. هكذا رواه الترمذيُّ، ورواه النسائيُّ وابنُ شاهين والبيهقيُّ كذلك، وفي بعض الروايات: يا محمد إني أتوجه ... إلى آخره[٢].

وهذه اللفظةُ هي التي تعلَّق بها المشركون، وليست عندَ هؤلاء الأئمة، قالوا: فلو كان دعاءُ غيرِ الله شِركاً لم يُعلِّم النبيُّ ﷺ الأعمَى هذا الدعاءَ الذي فيه نداءُ غيرِ الله.

والجوابُ من وجوهٍ:

الأول: أن هذا الحديثَ من أصله وإنْ صحَّحه الترمذيُّ فإن في ثبوته نظراً؛ لأن الترمذيَّ يتساهل في التصحيح كالحاكم، لكن الترمذيَّ أحسنُ نقداً، كما نصَّ على ذلك الأئمةُ، ووجهُ عدمِ ثبوته أنه قد نصَّ أنَّ أبا جعفرٍ الذي عليه مدارُ هذا الحديث هو غيرُ الخطميِّ، وإذا كان غيرَه فهو لا يُعَرف. =

---

(١) وفي بعض نسخ الترمذي: وهو الخطمي، باسقاط لفظة «غير» ولعله الصواب، كما ذكر في إحدى الروايات عند أحمد (٤/ ١٣٨)، وهو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري، أبو جعفر الخطميُّ.

(٢) أخرجه ابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٥).

= ولعلَّ عُمدةَ الترمذيِّ في تصحيحه أن شعبةَ لا يروي إلا عن ثقةٍ، وهذا فيه نظرٌ؛ فقد قال عاصمُ بن عليٍّ: سمعتُ شعبةَ يقول: لو لم أُحدِّثكم إلا عن ثقةٍ لم أحدِّثكم إلا عن ثلاثة، وفي نسخة: عن ثلاثين، ذكره الحافظ العراقي، وهذا اعترافٌ منه بأنه يروي عن الثقةِ وغيرِه، فيُنظَر في حاله، ويَتوقَّف الاحتجاجُ به على ثبوتِ صحته[1]*.

---

* س: في بعض نسخ الترمذي: هو الخطميُّ، وفي بعضها: هو غير الخطمي؟ وفي «التقريب»:

عثمان بن عمرو بن ساج بمهملة وآخره جيم، الجزري، مولى بني أمية، وقد ينسب إلى جده، فيه ضعف من التاسعة.

ج: ينظر غيره.

س: عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن مَعمَر التيمي، المدني قاضيها، مقبول من السادسة، مات في خلافة المنصور. البخاري تعليقاً وأبو داود وابن ماجه.

ج: غيره.

س: عثمان بن عمر بن فارس العبدي بصري أصله من بخارى، ثقة، =

---

(١) ص١٥٩-١٦٠.

....

= قيل: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه، من التاسعة، مات سنة تسعين ومائتين...

ج: تسعين ومائة، يراجع التهذيب، أما «مائتين» فسبق قلم[(١)].

هكذا في «التقريب»: عثمان بن عمر بن فارس العبدي بصري، بدون واو والواو خطأ، وهو المقصود هنا.

(١) الصواب: تسع ومائتين، كما في «التهذيب». المعتنى.

۞ الثاني: أنه في غير محلِّ النزاع؛ فأين طلبُ الأعمى من النبيِّ ﷺ أن يدعوَ له، وتوجّهُه بدعائه مع حضورِه، مِن دعاءِ الأمواتِ، والسجودِ لهم ولقبورِهم، والتوكلِ عليهم، والالتجاءِ إليهم في الشدائدِ، والنذرِ والذبحِ لهم، وخطابِهم للحوائج من الأمكنة البعيدة: يا سيدي يا مولاي افعل بي كذا؟! فحديث الأعمى شيءٌ ودعاءُ غيرِ الله تعالى والاستغاثةُ به شيءٌ آخر[1]. [١٣٠]

[شرح١٣٠] هذا هو المعتمد سواء صح الحديث أو لم يصح، فمسألة التوسل بدعاء النبي أو بذات النبي أو بجاه النبي شيء، ودعاء الأموات والاستغاثة بالأموات شيء آخر، دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات شرك أكبر، وهذا هو عبادة الله وحده ﷻ إذا صرف له، وإذا صرف لغيره صار شركاً أكبر، وأما التوسل بحق فلان أو بجاه فلان أو بالنبي فلان أو بدعاء فلان فهذا شيء آخر، والمعتمد عند أهل العلم وعند جماهيرهم أنه لا يتوسل بحق فلان ولا بجاه فلان ولا بذات فلان؛ لأن الرسول ﷺ ما فعل ذلك ولا أصحابه. =

---

(١) ص١٦٠.

....

= وأما هذه الرواية فليس فيها حجة لأنه توسل بدعائه في حياته ﷺ؛ ولذلك قال: اللهمَّ شفِّعه فيَّ، فالرسول داع، وهو توسل بدعاء النبي ﷺ، ولهذا لما استسقى المسلمون في وقت عمر استسقوا بدعاء العباس[1] ولم يستسقوا بالنبي ﷺ، وهم يعلمون أن ذاته محترمة، وأن فضله باق حياً وميتاً عليه الصلاة والسلام، ولكن علموا أن الاستسقاء به في حياته استسقاء بدعائه وشفاعته عليه الصلاة والسلام، فهو يدعو وهم يؤمنون، وبعد وفاته انقطع هذا، ولهذا استسقوا بالعباس ليدعو لهم وهو حي بين أظهرهم، فدعا ودعوا، هذا شيء وذلك شيء.

والمقصود أن الواقع هنا من باب التوسل بالدعاء والشفاعة من الحي الحاضر، وليس له تعلق بالأموات ولا بدعاء الأموات لو كان أهل الشرك يعقلون ويفهمون، ولكن من عادة المبطل والظالم نفسه أن يتشبث بما لا ينفعه، ويتعلق بخيط العنكبوت الذي يضره.

وإن ثبت فإنما فيه توسل بالدعاء، والتوسل يكون بأمور: =

---

(١) أخرجه البخاري: الجمعة (١٠١٠)، وانظر «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

....

= بأسماء الله وصفاته، وبالأعمال الصالحات، وبدعاء الحي؛ كأن يقول: يا أخي، ادع الله لي، أو: اللهم شفع في فلاناً، اللهم إني أسأل بفلان بدعائه وشفاعته لا بذاته وحقه.

۞ فليس في حديثِ الأعمى شيءٌ غيرَ أنه طلب من النبيِّ ﷺ أن يدعوَ له، ويشفعَ له، فهو تَوَسُّلٌ بدعائه وشفاعته، ولهذا قال في آخره: «اللهم فشفِّعه فيَّ» فعُلمَ أنه شَفَعَ له، وفي رواية: أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعوَ له، فدلَّ الحديثُ على أنه ﷺ شَفَع له بدعائه، وأن النبيَّ ﷺ أمرَه هو أن يدعوَ الله ويسألَه قَبولَ شفاعته.

فهذا من أعظم الأدلَّة على أن دعاءَ غيرِ الله شِركٌ؛ لأن النبي ﷺ أمره أن يسألَ الله قَبولَ شفاعته، فدلَّ على أن النبيَّ ﷺ لا يُدعَى، ولأنه ﷺ لم يَقدِر على شفائه إلا بدعاء الله له، فأين هذا من تلك الطوامِّ؟

والكلام إنما هو في سؤال الغائب أو سؤال المخلوق فيما لا يقدرُ عليه إلا الله، أما أن تأتي شخصاً يخاطبُك وتسألُه أن يدعوَ لك فلا إنكارَ في ذلك على ما في حديث الأعمى.

فالحديثُ سواء كان صحيحاً أو لا، وسواءٌ ثبتَ قولُه فيه: يا محمد، أو لا ـ لا يدلُّ على سؤالِ الغائبِ، ولا على =

= سؤالِ المخلوقِ فيما لا يقدرُ عليه إلا الله بوجهٍ من وجوهِ الدلالاتِ، ومن ادَّعَى ذلك فهو مُفترٍ على الله وعلى رسوله ﷺ؛ لأنه إن كان سألَ النبيَّ ﷺ نفسَه فهو لم يسأل منه إلا ما يقدِرُ عليه، وهو أن يدعُوَ له، وهذا لا إنكارَ فيه، وإن كان تَوَجَّهَ به من غيرِ سؤالٍ منه نفسِه، فهو لم يسأل منه، وإنما سأل من الله به، سواء كان متوجهاً بدعائه كما هو نصُّ أوَّلِ الحديثِ وهو الصحيح، أو كان متوجهاً بذاته على قولٍ ضعيفٍ[1]. [١٣١]

[شرح١٣١] إن كان سأله نفسه فإنما سأل منه الشفاعة، وإن كان لم يسأله وإنما توجه به فهو في المعنى شفاعة به فقط، أي: توسل به، والمسؤول هو الله وحده.

يتوسل بالذات على قول، وهو قول ضعيف.

---

(١) ص١٦٠-١٦١.

۞ فإن التوجُّهَ بذواتِ المخلوقَين، والإقسامَ بهم على الله بدعةٌ منكرةٌ، لم تأتِ عن النبيِّ ﷺ، ولا عن أحدٍ من أصحابِه والتابعين لهم بإحسان، ولا الأئمةِ الأربعةِ ونحوِهم من أئمةِ الدِّينِ؛ قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحدٍ أن يدعُوَ الله إلا به. وقال أبو يوسف: أكرَهُ بحقِّ فلان، وبحقِّ أنبيائك ورسلِك، وبحقِّ البيتِ والمشعرِ الحرام.

وقال القُدُوري[1]: المسألةُ بحقِّ المخلوقِ لا تجوزُ، فلا يقول: أسألُك بفلان أو بملائكتِكَ أو بأنبيائِكَ ونحوِ ذلك؛ لأنه لا حَقَّ للمخلوق على الخالق، واختارَه العزُّ ابنُ عبد السلام، إلا في حقِّ النبيِّ ﷺ خاصَّةً إن ثبتَ الحديثُ[2]. [١٣٢]

[شرح١٣٢] هذا اختيار العز بن عبد السلام ـ وهو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد السلمي أحد فقهاء الشافعية ـ اختار المنع بالتوسل بالذوات والحقوق إلا في حق النبي ﷺ إن ثبت حديث =

---

(١) قال الشيخ: القدور محلة في بغداد يقال لها قدور.

(٢) ص١٦١.

....

= الأعمى، فلا بأس بالتوسل به خاصة لحديث الأعمى، وغاب عن ابن عبد السلام أن حديث الأعمى ليس توسلاً بالذات وإنما توسل بدعاء النبي وشفاعته عليه الصلاة والسلام، فعلى هذا يكون المعنى للجميع واحد*.

---

* س: ما قولكم في حديث: أسألك بحق السائلين[1]؟

ج: هو ضعيف، ثم لو صح فهو توسل بصفات الله، وليس توسلاً بحق المخلوقين، فحق السائل هو الإجابة، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ فإني أستجيب لكم، وحق الماشي في طاعة الله الإجابة، ولكن الحديث كما قلنا: ضعيف، بل يقول: اللهم أسألك بأسمائك وصفاتك ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] هذا هو المعتبر: اللهم إني أسألك بأسمائك وصفاتك، اللهم إني أسألك بإيماني بك وبأنبيائك وبمحبتي لك... فهذه أعمال صالحة يتوسل بها، فالإيمان والمحبة عمل صالح.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: المساجد (٧٧٨).

ﷺ يشير إلى حديثِ الأعمَى وقد تقدَّم أنه على تقديرِ ثبوتِه ليس فيه إلا أنه توسُّلٌ بدعائِه لا بذاته، وقد ورد في ذلك حديثٌ رواه الحاكم في «مستدركه» فأبعَد(١) النُّجعَةَ من طريقِ عبدِ الرحمن بن زيدِ بنِ أسلمَ: لما أذنَبَ آدمُ الذنب الذي أذنَبهُ، رفعَ رأسَه إلى العرشِ فقال: أسألُك بحقِّ محمدٍ إلا غفرتَ لي... الحديث(٢)، وهو حديث ضعيفٌ، بل موضوعٌ؛ لأنه مخالفٌ للقرآنِ؛ قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

فهذا هو الذي قالَه آدمُ، قال الذهبيُّ في هذا الحديثِ: أظنُّه موضوعاً، وعبد الرحمنُ بن زيد متفقٌ على ضعفِه، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء(٣). [١٣٣]

[شرح١٣٣] ذكر أبو العباس بن تيمية هذا الحديث في الموضوعات؛ =

---

(١) أبعد: يعني ما أقدم عليه، يعني: نجع بعيداً، ونجع إلى كذا: سافر إلى محل كذا وكذا، والمقصود أنه أبعد عن الصواب، يعني: ذهب بعيداً عن الصواب.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٥)، وقال الذهبي في «التلخيص»: موضوع.

(٣) ص١٦١.

....

= كما ذكره جماعة آخرون؛ حديث أن آدم توسل بمحمد ووجده مكتوباً بساق العرش، فقال: ما الذي عرفك بمحمد؟ قال: إني رأيته مكتوباً على ساق العرش، فعرفت أنك لا تقرن باسمك إلا أحب الخلق إليك. فهذا رواه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، فهو عند أهل العلم موضوع؛ لأن عبد الرحمن ليس بشيء في الرواية وإن كان له شأن في التفسير*.

---

* س: هل عبد الرحمن لا تصل درجة حديثه إلى الوضع؟

ج: تصل إذا صار المعنى بعيداً عن الصواب، وأحاديثه ضعيفة، فليس من الأثبات، وقد يغلط ويروي أحاديث موضوعة؛ فالوضع له أسباب كثيرة ودلائل كثيرة.

۞ الثالث: أن قولَه: (يا محمد، إني أتوجه...) إلى آخره لم تثبت في أكثر الروايات، وبتقدير ثبوتها لا يدل على جواز دعاء غير الله؛ لأن هذا خطابٌ لحاضرٍ معيَّنٍ يراه ويسمع كلامَه، ولا إنكارَ في ذلك، فإن الحيَّ يُطلَب منه الدعاءُ كما يُطلَبُ منه ما يقدرُ عليه، فأين هذا من دعاءِ الغائبِ والميتِ لو كان أهلُ البدعِ والشركِ يعلمون؟!»[1].

* * *

(١) ص١٦١.

باب

۞ قولُ الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية [فاطر:١٣].

وفي «الصحيح» عن أنس، قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ فقال: «كيفَ يُفلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهم؟» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»[1].[2] [١٣٤]

[شرح١٣٤] قال المؤلف رحمه الله: باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢].

ترجم المؤلف بهذه الآية الكريمة؛ لأنها تدور على بطلان عبادة =

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل الحديث (١٠٦٩)، وأخرجه موصولاً مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١).

(٢) ص١٦٤-١٦٦.

....

= غير الله، وأن ما عبده المشركون من دون الله فهو باطل؛ لأنه موصوف بهذه الصفات الأربع: لا يخلق شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، وهو مخلوق، ولا يستطيع لغيره نصراً، ولا ينصر نفسه، فجميع المعبودات من دون الله كلها بهذه الصفة، لا تخلق وهي مخلوقة أيضاً موجدة مربوبة، ومع ذلك أيضاً لا تستطيع لغيرها نصراً ولا لنفسها نصراً، فكيف تعبد من دون الله؟ وكيف تصلح أن تعبد من دون الله؟ فالأصنام والأوثان والملائكة والأنبياء والجن وغير ذلك كلهم بهذه الصفة، كلهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠].

فكلهم مربوبون ليس بأيديهم اختراع ولا إيجاد، كل شيء بيد الله تبارك وتعالى خلقهم وخلق أعمالهم، وكذلك لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر غيرهم إلا بإذن الله عز وجل، إن مكنهم من ذلك وإلا فهم عاجزون.

فإذا كان المخلوق بهذه الصفة، والكل يعلم ذلك، الكل يعلم أن المخلوق هكذا ضعيف ليس بيده حل ولا ربط إلا بيد الله عز وجل، فمن كان بـهذه الصفة فهو لا يصلح أن يعبد من دون الله عز وجل، =

....

= فالعبادة حق الله وحده ﷻ لأنه القادر المحيي المميت الرزاق الخلاق بيده تصريف الأمور ﷻ، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويخاف ويعبد وحده ﷻ.

ففي هذا الرد على جميع من عبد غير الله، سواء كان المعبود صنماً أو نبياً أو ملكاً أو شجراً أو حجراً أو كوكباً أو غير ذلك تنطبق عليه هذه الصفات.

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

فجميع المعبودات هكذا أيضاً؛ فالله هو المالك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الزمر:٦] هو المالك لكل شيء ﷻ؛ هو المالك للعباد وبيده تصريف أمورهم وتدبيرها ﷻ.

والمعبود من دون الله له هذه الصفات ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣] لا يملك من قطمير، فلا يملك شيئاً لا قليلاً =

....

= ولا كثيراً، حتى القطمير وهو اللفافة التي على النواة يقال لها: القطمير، ويقال للشق الذي فيها: نقير، والخيط الذي في الشق يقال له: الفتيل.

والمقصود أن المعبودون من دون الله كلهم عاجزون لا يملكون شيئاً بل هم مخلوقون مربوبون فقراء إلى الله ﷻ.

ثم هم مع هذا: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر:١٤] يعني: ما بين جماد ليس له إحساس وما بين ميت ليس له شعور بما يطلب منه ويدعا به.

ثم أمر ثالث: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، لا يستطيعون أن يجيبوا، فتقول: اشف مريضي، أو رد غائبي، أو انصرني على عدوي، لا يستطيع أن يجيبك ولا يعطيك مطلوبك.

ثم أمر رابع: وهو يوم القيامة يكفر بهذا العمل وينكره عليك ويتبرأ منك، كما في الآية الأخرى يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ أي: إذا جمع الناس ﴿كَانُوا لَهُمْ =

....

= ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

فالمعبودون من دون الله هذه صفتهم لا يسمعون دعاء الداعي ولو سمعوا ما استجابوا، ويوم القيامة يكونون لعابديهم أعداءً كافرين بشركهم منكرين له متبرئين منه، فجدير بالعاقل أن يربأ بنفسه عن هذا.

فإن أكثر الناس سخطاً ومن أسوئهم عاقبة من كان بهذه المثابة يضيع مرضاته في عبادة من لا يصلح للعبادة، ومن لا ينفعه من دون الله ولا يعطيه نفعاً في الدنيا ولا في الآخرة، ولو وجد نفع في الدنيا لبعض المشركين من آلهتهم بواسطة الجن والشياطين فإن هذا النفع لا يوازي شيئاً، هو نفع يسير قليل دنيوي في جنب المضرة العظيمة التي هي العاقبة الوخيمة في النار، نعوذ بالله، وإلا فأهل الشرك قد يحصل لهم نفع من بعض معبوداتهم بواسطة الجن، فقد يطلبون شيئاً من دراهم أو طعام أو ما أشبه هذا، قد تأتي به الجن لإغرائهم بالشرك؛ سرقةً من أموال الناس أو غير ذلك.

فالحاصل أن ما يقع لبعض المشركين شيء من مطلوباتهم =

....

= بواسطة الجن والشياطين أو المتحيلين الذين يريدون أن يصدوهم عن الحق وأن يغروهم بالباطل، لكن هذا النفع الذي قد يقع لبعضهم هو نفع يسير دنيوي عاجل، وقد يكون مسروقاً مأخوذاً ظلماً من بعض الناس لكنه في مقابل خسارتهم العظيمة ومصيرهم إلى النار، والعياذ بالله وغضب الجبار.

فأكثر الناس سخطاً وأسوأهم عاقبة هم أهل الشرك بالله ﷻ، الذين يعبدون من دون الله مَن لا يسمع دعاءهم ولا يملك شيئاً ولا ينفعهم ولا يضرهم، ويوم القيامة يكفر بشركهم وينكره ويتبرأ منه، ويعلن أمام الله وأمام عباده أنه بريء من ذلك كافر بذلك، هذه هي الخسارة العظيمة والمصير المظلم الخبيث السيئ.

وجدير بالمؤمن، وجدير بالعاقل أن يترفع عن هذا الشيء ويبتعد عنه؛ لأنه باطل ضار ليس بنافع.

وهذه حال المشركين جميعاً هم بهذه المثابة، يعبدون ما لا يسمعهم ولا يجيبهم ولا ينفعهم ولا يقيهم عذاب الله يوم القيامة، نسأل الله العافية. =

....

= قوله: (في «الصحيح») أي: «صحيح البخاري» عن أنس ﷺ أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوم أحد لما جرى عليه ما جرى قال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟!»(١).

هذا يوم أحد فقد كسروا رباعيته، وشجوا رأسه، وقد كسر المغفر على رأسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصابه شدة في ذلك اليوم، مع أنه رسول الله، ومع أنه سيد عباد الله، وأفضل خلق الله، يدعو إلى الله ويجاهد في سبيل الله، ومع هذا ابتلي يوم أحد بما جرى، وقد سقط في بعض الحفر التي هناك.

كل هذا في سبيل الله ﷻ، فإذا كان سيد ولد آدم وأفضل خلق الله صابر فكيف بغيره؟ وأشد الناس بلاء «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»(٢) كما جاء في الحديث الآخر.

وهذا دليل على أنه مخلوق مربوب يصيبه ما يصيب البشر من =

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل الحديث (٤٠٦٩)، وأخرجه موصولاً مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١).

(٢) أخرجه الترمذي: الزهد (٢٣٩٨)، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٣).

....

= الأذى ومن الجراحات ومن تسليط الأعداء إلى غير ذلك، وإذا كان بهذه المثابة علم يقيناً بأنه لا يصلح أن يعبد من دون الله، وأن الذين عبدوه من دون الله قد خسروا وضلوا عن سواء السبيل.

وقد قتل كثير من الأنبياء، فعلم بذلك أنهم لا ينفعون أنفسهم وأنهم مخلوقون، ليسوا بآلهة وليسوا بمعصومين عن ما يقع للناس من أمور البشر، هم معصومون فيما يبلغونه عن الله، فيما يؤدونه من الشرائع.أما ما يصيب البشر من مرض أو شبهه فليسوا معصومين عن هذا الشيء يصيبهم ما يصيب البشر، ينسون ويبولون ويتغوطون ويصيبهم الأذى من الحر والبرد كما يصيب الناس، فعلم بذلك أنهم لا يصلحون للعبادة من دون الله، بل هم عباد مخلوقون مربوبون ليسوا بآلهة وليسوا بمعبودين من دون الله، ومن عبدهم فقد خسر وضل عن سواء السبيل.

ولذلك جرى عليهم في أحد ما جرى بسبب إخلال الرماة بموقفهم، لما أخلوا بالموقف، وعصوا ما أمروا به، وحصل الفشل والنزاع، دخلت خيول المشركين، وجرى ما جرى من الجراحات =

....

= والقتل والهزيمة على المسلمين بأسباب المعاصي والاختلاف والنزاع: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ الآية [آل عمران:١٥٢].

المقصود أن الرسل يصيبهم ما يصيبهم من الأذى في سبيل الله، حتى القتل قد يصيبهم؛ فقد قتل جماعة من الأنبياء قتلهم اليهود كما قال الله: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١٨١] ومنه أصاب النبي ما أصابه في مكة من الشدة والأذى من قريش، وفي يوم أحد أصابه ما أصابه من الجراحات والأذى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعلم أنه بشر، وأنه لا يصلح للعبادة، وإذا كان النبي لا يصلح للعبادة فغيره من باب أولى، إذا كان سيد ولد آدم، وأفضل الرسل وخاتمهم لا يصلح لأن يعبد من دون الله، فغيره من الأنبياء وغيره من البشر أولى وأولى بألا يصلح للعبادة من دون الله ﷻ، وفق الله الجميع وصلى الله على محمد*.

*** س: هل يدل هذا على وجوب الجهاد ولو كان يحصل ضرر على القائد أو غيره؟** =

....

= ج: نعم يدل على وجوب الجهاد والقتال في سبيل الله ولو خشي أن يقتل قائد أو يصاب بعض المسلمين، لكن على الطريقة الإسلامية الطريقة الشرعية التي يستطيعها المسلمون.

س: هل يجوز السؤال بوجه الله الجنة؟

ج: ورد في بعض الأحاديث التي فيها بعض الضعف[1]؛ فالأحاديث التي فيها السؤال بوجه الله الجنة فيها بعض الضعف، فإذا تركها الإنسان من باب الحيطة، حسن حين يسأل بوجه الله الجنة وما يقربه إليها من الأعمال الصالحات، أما أن يسأل بوجه الله زوجة صالحة أو عملاً طيباً، أو كذا الأولى ترك ذلك من أمور الدنيا.

س: والجنة؟

ج: يسأل بوجه الله الجنة.

س: هل ورد في الصحيح؟

ج: فيه بعض الضعف اليسير؛ لكن يستشهد به.

س: يستشهد به من أي باب؟

ج: من باب الحيطة؛ لأن فيه بعض الضعف اليسير، والجنة أعلى السلع وأعظمها فلا يسأل بوجه الله إلا ما يقرب إليها: اللهم إني أسألك بوجهك =

(١) أخرجه أبو داود: الزكاة (١٦٧١).

....

= الكريم دخول الجنة والنجاة من النار، وأن تحييني حياة طيبة أو تميتني على الإسلام! أو ما أشبه ذلك، لأن الجنة وما يقرب إليها هي عمل عظيم.

فإذا سأل بوجه الله فلا بأس، بخلاف إذا قال: اللهم إني أسألك بوجهك أن ترزقني كذا وكذا، أو تيسر لي بناء بيت أو كذا أي: من أمور الدنيا؛ فالحديث قد بوب فيه الشيخ محمد في «كتاب التوحيد» السؤال بوجه الله الجنة، فاعتقد ـ رحمه الله ـ أن سنده قائم، وأن ليس فيه شيء، وبالمراجعة وجد أن فيه بعض الشيء.

س: من روى هذا الحديث يا شيخ؟

ج: ذكره المؤلف وعزاه لأبي دواد[١].

س: وغير أبي داود؟

ج: ما أتذكر الآن يأتي إن شاء الله الكلام عليه.

س: ما حكم من مازح أهله في رمضان ثم أنزل، أو مازحهم بدون إنزال؟

ج: إذا أنزل المني يقضي اليوم الذي أنزل فيه، وليس عليه كفارة، لكن عليه القضاء، وينبغي له الحذر في المستقبل ويحذر في المستقبل لئلا يفعله؛هذا إذا أنزل المني، أما المذي فلا قضاء عليه على الصحيح، أما المني فإن عليه قضاء عند أهل العلم جميعاً. =

(١) برقم (١٦٧١).

....

= س: ولا يعود إلى مزاحهم؟

ج: إذا كان يخشى من هذا الشيء من الملامسة والمضاجعة، والشيء الذي يخرج بسببه المني عليه أن يبتعد عنه؛ أي: الشيء الذي يخشى منه نزول المني يتركه.

* * *

۞ وفيه عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول إذا رفع رأسَه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهمَّ العَن فلاناً وفلاناً» بعدما يقول: «سمعَ اللهُ لمن حمدَه، ربَّنا ولكَ الحمدُ» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية [آل عمران:١٢٨][1].

وفي رواية: كان يدعو على صفوانَ بنِ أميةَ، وسُهيلِ بنِ عَمرٍو والحارثِ بنِ هشامٍ، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨][2].

وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزلَ اللهُ عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] قال: «يا معشرَ قريشٍ ـ أو كلمةً نحوَها ـ اشترُوا أنفسَكُم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ ابنَ عبدِ المطلبِ لا أُغني عنكَ من الله شيئاً، يا صَفيَّةَ عمَّةَ رسولِ الله ﷺ لا أُغني عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ سَلِيني من =

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري: المغازي (٤٠٧٠).

= مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً»[1][2]. [١٣٥]

[شرح١٣٥] يقول المؤلف رحمه الله: «وفيه» يعني في «الصحيح»: «عن ابن عمر» هو عبد الله بن عمر، إذا أطلق فهو عبد الله بن عمر ابن الخطاب، كما إذا أطلق ابن عباس فهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» بعد أن يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨][3].

وفي رواية: «كان يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام؛ فأنزل الله الآية»[4].

هذا دليل على أنه يجوز القنوت في الدعاء على المشركين في ظلمهم وعدوانهم على المسلمين، ولكنه ﷺ نهي عن ذلك بعد ذلك وقيل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] . لأن =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم: الإيمان (٢٠٦).

(٢) ص١٦٧-١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري: المغازي (٤٠٦٩).

(٤) أخرجه البخاري: المغازي (٤٠٧٠).

....

= الأمر بيد الله ﷻ هو الذي يتصرف به ﷻ.

وقد دعا على جماعة من المشركين، فقد دعا على رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله[١]، ودعا على أقوام آخرين اعتدوا على المسلمين كما دعا على هؤلاء الذين تعدوا على القراء وقتلوهم[٢]؛ فالحاصل أنه ﷺ كان في قنوته ـ قنوت النوازل ـ يدعو على من تعدى الحدود وقام في المسلمين بقتل أو غيره، ثم يبين الله ﷻ أنه ليس له من الأمر شيء في عباد الله، فإنه ﷻ إن شاء تاب عليهم، وإن شاء عذبهم جل وعلا: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

وهذا فيه تسلية وتعزية للنبي ﷺ، وأن الأمر بيد الله ﷻ هو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء ﷻ.

فقد يتعدون ويظلمون ثم يتوب الله عليهم ويهتدون، كما جرى لهؤلاء الثلاثة، صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن =

---

(١) أخرجه البخاري: الجمعة (١٠٠٣)، ومسلم: المساجد (٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٧٠)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٧).

....

= هشام فكلهم أسلموا، فصفوان بن أمية أسلم عام الفتح بعد الفتح بقليل، وكذلك سهيل بن عمرو أسلم وكان من أئمة المسلمين ومن الدعاة إلى الله ﷻ وكان له موقف عظيم، يوم مات النبي ﷺ، كذلك الحارث بن هشام بن المغيرة أخو أبي جهل أسلم وهداه الله.

فالحاصل أن الله ربنا جل وعلا حكيم عليم وهو أعلم بأحوال عباده، فالأحاديث الواردة في هذا الباب تدل على أن قنوت النوازل أمر جائز؛ لأن الرسول ﷺ فعله كثيراً ولكن مع الإيمان واليقين بأن الله ﷻ هو مدبر الأمور وهو مصرف الأشياء جل وعلا، فقد يستجيب للداعي، وقد لا يستجيب له.

فإذا دعا على قوم في النوازل في صلاة الفجر أو غيرها فلا بأس، فقد جاءت الأحاديث في الدعاء في جميع الصلوات الخمس، قد جاء أنه دعا في الفجر و دعا في المغرب و دعا في العشاء و دعا في الظهر ودعا في العصر، وهذه كلها جاءت في الأحاديث الصحيحة.

ولكن أكثر ما كان قنوته ﷺ في النوازل في الفجر، وفي هذا =

....

= دلالة على أنه ـ وإن كان هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ فإن دعوته قد تستجاب وقد لا تستجاب؛ لأن الله حكيم عليم ﷻ فهو أعلم بأحوال عباده، فقد يستجيب دعاءه، وينجز له ما طلبه، وقد لا يستجيب دعاءه لحكمة بالغة كما هنا، فقد دعا عليهم عليه الصلاة والسلام ولم يستجب له فيهم، بل هداهم الله وأسلموا رضي الله عنهم وأرضاهم.

فدل ذلك على أنه بشر يقول ويدعو، وقد يحصل ما يريد وقد لا يحصل ما يريد، فدل على أنه لا يعبد من دون الله ولا يستحق العبادة، وهذا هو الشاهد، كونه دعا يوم أحد، كونه دعا على هؤلاء ولعنهم، ومع ذلك لم يستجب له في ذلك بل هداهم الله.

دل ذلك على أنه بشر لا يستحق أن يعبد من دون الله، فالعبادة حق لله وحده ﷻ، وهو الذي يدعى، وهو الذي يرجى، وهو الذي بيده تصريف الأمور وتدبيرها ﷻ، فقد يملي للظالم ثم يأخذه، وقد يملي له ثم يتوب عليه ﷻ.

وهكذا حديث أبي هريرة ﷺ في أن النبي ﷺ صعد الصفا =

....

= لما أنزل الله عليه قوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام عليه الصلاة والسلام فأنذرهم، وفي اللفظ الآخر أنه صعد الصفا وقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش فقال: «يا معشر قريش» أو كلمة نحوها ـ جاء عنه ألفاظ متعددة ـ: «يا بني كعب بن مالك، يا بني قصي، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف»[1]، بألفاظ متعددة ناداهم بها عليه الصلاة والسلام.

والخلاصة أنه ﷺ دعاهم وجمعهم ثم قال: «اشتروا أنفسكم» أي: اشتروها بالإيمان والتوحيد واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام.

«لا أغني عنكم من الله شيئاً» المعنى: لا تظنوا أن قرابتي منكم تنفعكم مع التكذيب والإنكار.

«اشتروا أنفسكم» وذلك بتوحيده وطاعته واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام والتوبة من الكفر بالله والمعاصي. =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٥٣)، والتفسير (٤٧٧١) و(٤٩٧٢)، ومسلم: الإيمان (٢٠٤) و(٢٠٦) و(٢٠٨).

....

= «لا أغني عنكم من الله شيئاً»، يبين لهم عليه الصلاة والسلام أن قرابته منهم لا تغني عنهم من الله شيئاً إلا أن يتوبوا ويرجعوا عن الكفر بالله وينيبوا إليه ﷻ.

هذا هو طريق النجاة وطريق السعادة، أما تعلقهم بقرابة، هذا لا ينفعهم عند الله شيئاً، ولهذا خص بالأمر الأقرب إليه من قريش فقال: «يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً»[1]؛ وهذا عمه و هذه عمته فهما من أقرب الناس إليه، فبين لهما عليه الصلاة والسلام أنه لا ينفعهما عند الله إذا لم يسلما ولا يغني عنهما من الله شيئاً إلا إذا أسلما واشتريا نفسيهما من الله بتوحيده والدخول في دينه.

ثم خص بالذكر أقرب الناس إليه فقال: «يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً»[2].

فدل ذلك على أن قرابته ﷺ منها لا تغني عنها من الله شيئاً ولا =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم: الإيمان (٢٠٦).

(٢) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٥٣).

....

= تنقذها من عذاب الله إذا لم تسلم ولن تفيد من الله ﷻ، وهكذا الأنبياء والرسل كلهم، لا يغنون عن قراباتهم شيئاً، فهذا إبراهيم لم يغن عن أبيه آزر شيئاً فصار في النار؛ لأن آزر لم يدخل في الإسلام، ولم يتابع ابنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وهكذا نوح بالنسبة لولده الذي خرج عن رأيه وعن دعوته ولم يركب معه في السفينة وقال: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٤٣] صار مع الهالكين؛ لأنه لم يتابع والده نوح عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود أن قرابة الناس من الأنبياء والرسل أو من الصلحاء والعلماء والأخيار لا تخلصهم من عذاب الله ولا تنجيهم من النار إن لم يستقيموا على دين الله وإن لم يحذروا محارمه ﷻ، فطريق الجنة واضح وطريق السعادة واضح وهو اتباع الرسل والانقياد لما جاؤوا به.

وفي حق أمة محمد ﷺ تبين أنه لا سبيل لهم بالنجاة إلا باتباع رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام، والأخذ بما جاء به، والسير على منهاجه في القول والعمل. =

....

= هذا هو طريق النجاة، أما التعلق بالأنساب أو بالأموال أو بالأولاد فليس من شأن الإسلام بل من شأن الكفرة؛ قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ:٣٧].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١]، وفي الحديث الصحيح: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(١).

فالحاصل أن الأنساب والأموال والأولاد والجاه ونحو ذلك لا ينفع أهله يوم القيامة ولا ينجيهم من عذاب الله، إنما يخلصهم اتباعهم للرسول ﷺ وانقيادهم له؛ وأمة محمد ﷺ بعث الله إليها أفضل الرسل وخلاصتهم وإمامهم محمداً عليه الصلاة والسلام.

فلا سبيل لنجاة هذه الأمة وسعادتها ونصرها على أعدائها في =

(١) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، والترمذي: القراءات (٢٩٤٥)، وابن ماجه: المقدمة (٢٢٥).

....

= الدنيا ونجاتها في الآخرة إلا باتباعه ﷺ والتمسك بما جاء به والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام، والله ﷻ أعلم*.

* س: رجل يقول بإسبال اليدين بعد الرفع من الركوع؟

ج: هذا خلاف السنة، فالسنة أن يضمهما؛ لأن الرسول ﷺ كان يضع يده اليمنى على يده اليسرى وهو قائم؛ لحديث وائل بن حجر ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ إذا كان قائماً في الصلاة قبض بيمينه على شماله[1]، وحديث سهل في «البخاري»[2]: كانوا يؤمرون بوضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة؛ ولم يستثن القيام بعد الركوع بل عم الصلاة كلها، فخرج من ذلك محل الركوع، يضع يديه على ركبتيه وأثناء السجود يضعهما على الأرض وأثناء الجلوس على فخذيه، بقي حال القيام بعد الركوع وحال القيام قبل الركوع يضعهما على صدره يضع هذه على هذه.

س: والقنوت إذا كان النبي ﷺ قنت بعد الركوع، لكن القنوت في رمضان هل هو بعد الركوع كذلك؟

ج: بعد الركوع كذلك، ثبت عن النبي ﷺ[3]. =

(١) أخرجه النسائي: الافتتاح (٨٨٧).

(٢) برقم (٧٤٠).

(٣) أخرجه البخاري: الجمعة (١٠٠١)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٧).

....

= س: ناس يقنتون في صلاة الفجر يقولون: إن الرسول ﷺ قنت دائماً في الفجر؟

ج: ورد في بعض الأحاديث لكنها ضعيفة،وكونه ﷺ استمر ومضى في قنوته دائماً فهو رأي ضعيف ليس بثابت، إنما الثابت ونحوه قنوته في النوازل خاصة وفي أوقات معينة ثم ينتهي.

س: والقنوت قبل الركوع؟

ج: ورد في بعض الأحاديث عن أنس القنوت قبل الركوع[1]، ولكن أكثرها بعد الركوع، ومن دعا قبله فلا بأس؛ لأن هذا وهذا صحيحان.

س: إذا كانت الجنازة أطول من قطعة القماش، فهل يجوز أن توصل بأخرى؟

ج: يوصل بعضها ببعض، قطعة بقطعة حتى تكفي.

س: حديث حرمة الأشهر الحرم هل هو منسوخ أم غير منسوخ؟

ج: الجمهور على أنه منسوخ[2] والأقرب والأرجح ـ والله أعلم ـ أنه غير منسوخ، والأدلة على أنه غير منسوخ، وأن حرمتها أشد من بقية الشهور، وذهب الجمهور إلى النسخ ولكن أدلتهم غير واضحة. =

---

(١) أخرجه البخاري: الجمعة (١٠٠٢).

(٢) انظر «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ في الحديث» باب: النهي عن قتال المشركين في الأشهر الحرم ونسخ ذلك، الحديث (٣٦٣).

....

= س: حتى في حال قتال المسلمين مع الكفار ؟

ج: نعم؛ فالأدلة عندهم في هذا غير واضحة كالنسخ؛ والأصل عدم النسخ، وابن القيم ـ رحمه الله ـ رجح هذا القول وهو أظهر.

س: إذا كنت في أهل بلد وهم لا يصلون معك إلا إذا كنت تقنت في الفجر فهم مصرون؛ لأنهم جاهلون عن هذا فما هو الحل، هل يقنت في صلاة الفجر أم لا يساعدهم على هذه العادة التي هم مستمرون عليها؟

ج: هذا محل نظر، و الأصل الراجح أنه لا يستحب.

عن سعد بن طارق بن أشيم قال: قلت لأبي: يا أبت إنك قد صليت خلف رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي هل قنتوا في الفجر ؟ فقال: أي بني محدث[1]. لكن قد يقال: إذا كان يريد تخليصهم من الشرك، وأنهم على طريقة فاسدة ولا يتيسر له ذلك إلا بصلاتهم، قد يقال: ركوب هذه المفسدة وإن كان يعتقد أنها مرجوحة، ركوبها من أجل دعوتهم إلى الله لكن فيه شك وفيه نظر ومحل نظر وفيه تأمل.

س: إذا كان إمام في مسجد ثم استخلف بعده واحداً وأتى وهو بالصلاة، هل هذا يتأخر ويتقدم الإمام؟

ج: الإمام لو صلى مع الناس هو الأفضل، ما دام قدم واحداً صلى =

(١) أخرجه ابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة (١٢٤١).

....

= ركعتين أو أكثر فلا داعي للتقدم، أما إذا كان في أول ركعة هذا يختلف إن شاء تقدم وإن شاء تأخر كما فعل الرسول ﷺ[1]، أما إذا كان الإمام صلى ركعة أو أكثر فالأفضل ألا يتقدم؛ لأن الرسول ﷺ لما جاء فصلى ركعة ما تقدم، صلى مع الناس وقضى ما كان عليه عليه الصلاة والسلام[2].

س: بالنسبة لبيعتين في بيعة، لنا وقفة معك لعل الله يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه؛ فقد ورد عن العلماء صور كثيرة في تصوير هذا البيع، فما الذي ترجحونه في هذا الموضع؟

ج: أقرب ما قيل فيه شيئان:

أحدهما: شرع عقد في عقد يقول: أبيعك هذا على أن تبيعني هذا، أو على أن تؤجرني هذا، هذا النوع يدل عليه «لا يحل سلف وبيع»[3].

والآخر: عقد العينة، أن يبيعه إلى أجل ثم يأخذه بأقل منه، جاء في الرواية الأخرى «فله أوكسهما أو الربا»[4] ويبين أنه بعقد العينة حيث يشتري السلعة بثمن مؤجل ثم يأخذها بأقل من ذلك؛ ليكون وسيلة للربا =

(١) انظر: البخاري: الأذان (٦٨٤)، ومسلم: الصلاة (٤٢١).

(٢) أخرجه مسلم: بإثر الحديث (٤٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي: البيوع (١٢٣٤)، والنسائي: البيوع (٤٦١١)، وأبو داود: البيوع (٣٥٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود: البيوع (٣٤٦١).

....

= ببيع شيء كثير بشيء قليل، فإذا باع السلعة بمئة ثم اشتراها بثمانين فهذا وسيلة من وسائل الربا، فهذه هي العينة الملعونة ولها عقدان: أحدهما أوكس من الآخر، هذا أحسن ما قيل فيها، أما أقوال من قال: أن يبيع السلعة بثمنين أحدهما حاضر والآخر مؤجل، هذا بيعتين في بيعة هذا ليس بشيء، هذا بيعة واحدة.

س: أنتم تعرفون أن راوي الحديث[1] سماك وأن سماكاً راوي الحديث عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن ابن مسعود رضي الله عنه ذكر: أنك تقول للرجل: هذا المتاع هو نساء بكذا وكذا وهو نقداً بكذا، وأن راوي الحديث أدرى بما يروي.

ج: الظاهر أن حديث ابن مسعود غير صحيح وروايته غير صحيحة.

س: لكن الإنسان الذي يتتبع الروايات يجد أن هذه الروايات يعضد بعضها بعضاً، ثم إننا لا نتناقش في صحته عن ابن مسعود، ولكن أنتم أوردتم في النشرة التي نشرت عنكم أنه شذ بعض أهل العلم، فأردت أن أقف وقفة عند هذا، فأول القائلين مثل هذا سماك والقائل في ذلك الشافعي.

ج: هذا ليس بيعتين في بيعة مهما كان القائل، سواء قاله الشافعي أو =

---

(١) يعني حديث: نهى رسول الله ﷺ عن صفقتين في صفقة واحدة ـ أخرجه أحمد: ١/ ٣٩٨ـ.

....

= سماك أو غيرهما، فمثل هذه ليست بيعتين في بيعة هذه بيعة واحدة، إذا قال: هذه السلعة بمئة ريال نقداً وبمئة وخمسين نسيئة، فإذا انصرف على واحد منهما فليس هذا بيعتين في بيعة.

س: بماذا تجدون العلة في ذلك؟

ج: ليس فيه محذور ولا جهالة ولا ضرر، إذا أخذ بمئة نقداً فهو واضح، وإذا أخذ بمئة وخمسين أجلاً فهو واضح، ولكن ليس من بيعتين في بيعة هذه بيعة واحدة لكن ثمنها مختلف، إن كان البيع نقداً فهذا بيع حال، وإن كان أجلاً فبيع إلى أجل، ولكن المحذور أن ينصرف من دون تفصيل، فإذا انصرف على واحد منهما فليس بيعتين في بيعة بل بيعة واحدة.

س: الرسول ﷺ ماذا ترون أنه عنى بعلة بيعتين في بيعة؟

ج: ثم قال: «فله أوكسهما أو الربا»[1].

س: إذن ترون هذا الربا؟

ج: إذا أخذ بأكثر صار رباً، من أخذ ربا العينة، أما إذا جزم بأحد الأمرين لم يصر فيه رباً فالأمر مختلف، فإذا قال: هذه السلعة بمئة وخمسين إلى أجل فلا بأس، وأن يأخذ به من المداولات إلى آجال، فإذا أخذ بالحاضر بمئة حاضرة وتم الأمر على ذلك فبيع الحاضر فلا إشكال فيه، وبريرة =

---

(١) أبو داود: البيوع (٣٤٦١).

....

= بيعت، باعها أهلها بسعر استعواض مقسط ما ضر في البيع عليه الصلاة والسلام على القاعدة.

أعد هذا.

بريرة باعها أهلها بأقساط في كل عام أوقية كما في «الصحيحين» عن عائشة: أن بريرة باعها أهلها باستعواض أي: مؤجل في كل عام أوقية تسعة أقساط[1].

س: نحن لا نختلف على التأجيل إنما نختلف على زيادة الثمن من أجل الأجل ليس غير.

ج: بإجماع المسلمين يجوز هذا، بإجماع أهل العلم يجوز البيع إلى أجل بزيادة الثمن.

س: هذا لا يجيزه الكثير من العلماء.

ج: لا هذا خطأ، ذاك إذا قال كذا وكذا، فمثل هذا بعض أهل العلم يتوقف فيه؛ إذا قال: بهذا كذا قالوا: هذا بكذا حاضر وبهذا مؤجل، إذا كان أصلاً باعه بعيراً يساوي مئة بمئة وعشرين إلى أجل، أو باعه بيتاً يساوي مئة بمئتين إلى أجل هذا جائز عند جميع أهل العلم.

س: لو باعه ديناراً إلى أجل بدينار ونصف. =

(١) البخاري: الشروط (٢٧٢٩)، ومسلم: العتق (١٥٠٤).

....

= ج: هذا لا يجوز، هذا صار فيه رباً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فالأجل هو حالة المداينة، والدين لا يكون مثل النقد الحال إن النقد يكون سعره أخف وأقل، فإذا باعه إلى أجل فمن عادة الناس أن يزيد هذا الثمن وهذا في الأجل، والأجل يكون في مقابل الزيادة، أيرجع الناس سلعهم الحاضر والآجل له سواء بسواء؟ لا فالحاضر له سعر والآجل له سعر هذه سنة الله في عباده، الفائدة ليس لها حد، ثم عمل الصحابة كذلك، و النبي ﷺ كان يشتري البعير بالبعير إلى أجل.

س: الحديث في هذا منسوخ لنهي الرسول ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة[1]؟

ج: ليس منسوخاً هذا خطأ، ليس بمنسوخ بل صحيح باق.

س: ماذا ترون في نهي رسول الله ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة؟

ج: إذا كان كلاهما نسيئة، أما إذا كان واحد نسيئة وواحد حاضراً، فليس هو بنسيئة[2].

س: لكن هذا عموم وأنت احتججت قبل قليل بالعموم وأنا أحتج =

(١) أخرجه الترمذي: البيوع (١٢٣٧)، والنسائي: البيوع (٤٦٢٠)، وأبو داود: البيوع (٣٣٥٦)، وابن ماجه: التجارات (٢٢٧٠).

(٢) انظر: الترمذي: البيوع (١٢٣٨)، وابن ماجه: التجارات (٢٢٧١).

....

= الآن في العموم.

ج: العموم جاء صريحاً إلى أجله جاء حاضر بغائب، أما بيع حيوان بحيوان نسيئة مع أنه جاء من طرق ضعيفة أيضاً؛ لأنه من رواية الحسن عن سمرة، ورواية الحسن عن سمرة ضعيفة، وإنما الذي يباع إذا كان نسيئة كلها، أي: هذا الحيوان أبيعك حيواناً بذمتي بعد شهرين بحيوان بذمتك بعد ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، هذه كلها نسيئة بيع دين بدين، هذا الذي ينهى عنه.

س: لكن النبي ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيوان؛ مما يدل على أن هذا كان يجري على عهد الصحابة.

ج: لكن جاء عن النبي ﷺ بيع الحيوان الحاضر بالنسيئة.

س: هذه حادثة فعل وذاك قول والقول مقدم وأقوى من الفعل.

ج: لا يصح، القول والفعل يفسر أحدهما الآخر؛ القول يفسر الفعل والفعل يفسر القول لا يضرب بعضهم البعض.

س: في «زاد المستقنع» يقول: لا ينقض لحم الإبل إلا الكبد، هل هذا القول صحيح؟

ج: فيه نظر بعضهم يرى الكبد وبعضهم يرى الشحم، لكن الأولى الوضوء منها جميعاً الأحوط الوضوء منها جميعاً، ومن قال: لا يتوضأ نقول =

....

= له: إن النبي ﷺ قال: «توضؤوا من لحم الإبل»[1] فاللحم هو الهبر، أما الكبد والأمعاء والشحم هذه لا تسمى لحماً عند الإطلاق، بل تسمى بعينها كبداً، أمعاء، رئة لها أسماء خاصة؛ فلهذا قال بعضهم: إنها لا تنقض لأنها لا تسمى لحماً عند الإطلاق، فالعرب إذا قالوا: لحم، فالمراد منه الهبر الذي يكون على العظام، بخلاف هذه لا تسمى لحماً ولكن قد تسمى لحماً بالتجوز والتسامح، فإذا توضأ من ذلك فهو الأحوط إن شاء الله.

س: تكلمنا في بداية الدرس عن الزكاة، فبعض العلماء في زكاة حلي المرأة أباحوه، وفي قول المجتهدين قالوا: إنه ما عليه زكاة؟

ج: على كل حال هي مسألة خلاف بين العلماء، منهم من رأى عدم الزكاة لأنها تستعمل، وجاء في أحاديث ضعيفة «ليس في الحلي زكاة»[2] ومنهم من رأى أنه فيها زكاة، لأنه ورد أحاديث صحيحة تدل على الزكاة فيها وهذا أرجح، فالحلي إذا بلغت النصاب فالأرجح أن فيها الزكاة.

س: حتى وإن كانت للزينة؟

ج: وإن كانت للزينة أو للاستعمال هذا هو الأرجح: إذا بلغت =

---

(١) أخرجه الترمذي: الطهارة (٨١)، وأبو داود: الطهارة (١٨٤)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٤٩٤).

(٢) أخرجه الدارقطني: (١٩٥٥).

= النصاب وجبت فيها الزكاة؛ لأن النبي ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار»[1] هذا يعم الجميع، وقال ﷺ لما دخلت امرأة وعليها مسكتان من ذهب قال: «أتؤدين زكاتها؟» قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار، فألقتهما»[2].

ومعنا أحاديث أخرى في الباب تدل على أن الزكاة في الحلي واجبة ومتعينة، وأما من قال بعدم الزكاة فهم مجتهدون لهم أجرهم إن شاء الله، لكن الصواب مع من قال بالزكاة، إذا بلغ النصاب.

س: الدولة الآن تعطي نقوداً لأهل الزكاة لا سيما أهل الأموال أي: الماشية، ويجيء الحول الثاني والمبلغ كان معهم، فهل يجوز أن يدفعوا الزكاة؟ نيابة عن الحكومة؟

س: الحكومة تعطي خاصة أهل المواشي تعطيهم مالاً وفلوساً ويقولون: يأتي الحول وهذه الأموال معهم فيسألون.

ج: يزكون إذا حال الحول عليها يزكون مثل الأموال الأخرى سواء بسواء. =

---

(١) أخرجه مسلم: الزكاة (٩٨٧).

(٢) أخرجه النسائي: الزكاة (٢٤٧٩)، وأبو داود: الزكاة (١٥٦٣).

....

= س: من هم الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؟

ج: هم المنافقون ومن تشبه بهم، فالمنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام، في الباطن الكافر يكذب الله ورسوله وفي الظاهر يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

* * *

۞ قال: وعن النوّاس بن سِمْعان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد اللهُ تعالى أن يُوحيَ بالأمر تكلَّم بالوَحي، أخذتِ السماواتِ منه رجفةٌ ـ أو قال: رِعدَةٌ ـ شديدةٌ خوفاً من الله ﷻ، فإذا سمع ذلك أهلُ السماواتِ صَعِقُوا، وخَرُّوا لله سُجَّداً، فيكونُ أولَ مَن يرفع رأسَه جبريلُ، فيكلِّمُه الله من وَحيِهِ بما أراد، ثم يَمرُّ جبريلُ على الملائكة، كلَّما مرَّ بسماءٍ، يسألُه ملائكتُه: ماذا قال ربُّنا يا جبريلُ؟ فيقول جبريلُ: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ، قال: فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريلُ، فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيثُ أمرَه الله ﷻ»(١).(٢) [١٣٦]

[شرح١٣٦] عن النواس بن سمعان ـ يقال: سَمعان وسِمعان بالفتح والكسر ـ الكلابي صحابي مشهور ﷺ، عن النبي ﷺ أنه =

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨٨٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٢٠٣، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٥١٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن خزيمة.

(٢) ص١٧٨.

....

= قال: «إذا أراد أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي» إذا أراد الله جل وعلا أن يوحي بأمر من الأمور في شأن عباده، من صلاة أو صوم أو معاملات أو غير ذلك ـ تكلم بالوحي.

«فإذا تكلم بالوحي أخذتِ السماواتِ رجفةٌ شديدة، أو قال: رعدة شديدة؛ خوفاً من الله ﷻ» فعند سماع كلامه ﷻ تصاب السماوات برعدة شديدة أو رجفة شديدة خوفاً من الله ﷻ.

«فإذا سمع ذلك أهل السماوات» كلام ربهم «خروا لله سجداً» خوفاً من الله سبحانه تعالى وخضوعاً له ﷻ، وأول من يخفض رأسه جبرائيل، وهو أشرف الملائكة وأفضلهم والسفير بين الله وبين الرسل، فيكلم الله جبرائيل بالوحي، فيوحي الله إليه بما أراد ﷻ من الكلام، فيأمره وينهاه بما يريد ﷻ، ويقول له: اذهب إلى كذا، وافعل كذا، واتصل بكذا، فيمر جبرائيل على الملائكة بعد ذلك، وكلما مر بسماء، سأله ملائكتها: ماذا فعل ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق، وهو العلي الكبير، قال: كذا وكذا.

وتقدم في حديث أبي هريرة ما يدل على أنه يخبرهم ببعض =

....

= الأشياء التي قالها الرب ﷻ، من الأشياء التي ليس فيها سر، ولم يؤمر عليه الصلاة والسلام بكتمها.

لا يسمعها مسترقو السمع كما تقدم، الذين حول السماء الدنيا، يسمعون ما يدور في السماء بين الملائكة وجبرائيل، فيسترقون بعض الكلمات التي يصدق بها السحرة والكهنة دون نفي أسبابها، فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل، أي: قال الحق، وهو العلي الكبير ﷻ فينتهوا إلى جواب الوحي بما أمر الله عز وجل.

هذا الحديث والذي قبله(١) فيه الدلالة على فوائد:

منها أن الله ﷻ يتكلم، ويتكلم إذا شاء جل وعلا.

وبأن له الإرادة، وأنه يريد، وإرادته ﷻ موجودة في القرآن الكريم: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥] إلى غير ذلك، فلم يهمل القرآن الإرادة والمشيئة.

والله ﷻ له إرادة وله مشيئة كما يشاء ﷻ، لا يشابه إرادة خلقه، =

(١) يعني حديث أبي هريرة ـ أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٧٠١، ٤٨٠٠) ـ وقد ذكر في «تيسير العزيز الحميد» ص١٧٤ طبعة دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.

....

= ولا مشيئة خلقه ﷻ، فالإرادة والمشيئة مثل بقية الصفات، فله إرادة، وله مشيئة كما يشاء ﷻ، ولا يشابه بها الخلق جل وعلا.

كما أن له علماً، وسمعاً، وبصراً، وكلاماً، وغضباً، ورضاً، وأمراً، ونهياً، إلى غير ذلك، فكل هذه صفات له سبحانه تعالى تليق به ﷻ، ولا يشابه بها صفات خلقه ﷻ.

وفيه من الفوائد: أن الملائكة تعظم الله ﷻ كثيراً، وتخافه كثيراً؛ كما قال ﷻ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨] فهم يخافون الله كثيراً، ويعظمونه كثيراً، ولهذا ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] عليهم الصلاة والسلام.

فهم أشد الناس خشية لله، وأعظمهم خوفاً منه ﷻ، وإن كان الأنبياء أفضل منهم، فإن الأنبياء لكمال علمهم بالله، وكمال خوفهم منه ﷻ، فهم يخشونه جل وعلا، والملائكة كذلك.

والشاهد من هذا أنهم يخافون ربهم ويخشونه، فإن كانت هذه حالهم، فكيف يدعون مع الله، وكيف يعبدون مع الله، وهم عبيده =

....

= يخافونه ويراقبونه ويخشونه سبحانه، ويصيبهم الصعق والفزع عند سماع كلامه، فهذا يدلنا على أنهم لا يستحقون أن يعبدوا.

فالملائكة مع كمال فضلهم، ومع ما أعطاهم الله من القدرة والعلم ـ يخافون الله، ويخشونه، ويفزعون عند سماع كلامه، فدل ذلك على أنهم لا يعبدون من دون الله، وأن العبادة حق الله وحده، وهكذا الرسل مع كونهم أفضل الناس ومقدمين على الخلق لا يستحقون أن يعبدوا من دون الله، بل يخافون الله ويخشونه.

وأكثر الناس خوفاً من الله أعلمهم بالله، والرسل أعلم الناس بالله، وكذلك الملائكة أعلم الخلق بالله، ولهذا كانوا أخشى الناس لله، وأعظمهم منه خوفاً ﷺ، وبهذا يعلم أن الخلق وإن كانوا في غاية من الفضل لا يستحقون أن يعبدوا من دون الله، فالعبادة حق الله وحده ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] .

وإذا كان الرسل يخشونه، والملائكة تخشع وتخاف وتفزع عند سماع كلامه، فعلم بذلك أنهم لا يستحقون أن يعبدوا من دون الله، =

....

= وأن العبادة حق الله وحده، ولا تصرف لغيره ﷻ، وهذا هو الشاهد.

وبهذا فضل جبرائيل، وأنه مقدم الملائكة، وأنه أشرفهم.

وفي هذا فضل الملائكة، وأنهم يخشون الله، ويراقبونه ﷻ، ويقرون بأنه الحق، وأنه يقول الحق جل وعلا.

وفي هذا أيضاً دلالة على أن جبرائيل ينتهي بالوحي كما أمر، وأنه يبلغ رسالات الله، ويبلغ أمر الله كما أمره الله ﷿، وعليه من ربه الصلاة والتسليم، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد.

* * *

۞ وعن ابنِ عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لعنَ رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ، والمتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج. رواه أهل السنن[1]. [١٤٠]

[شرح١٤٠] حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لعن رسول الله ﷺ زائرت القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وهذا الحديث رواه ابن عباس[2]، ورواه أبو هريرة ﷺ[3]، ورواه حسان بن ثابت الأنصاري[4] عن النبي ﷺ، وهذه الأسانيد يشد بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها بعضاً.

وهي دالة على تحريم زيارة النساء للقبور، وأن الواجب عليهن الكف عن ذلك، والحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ أنهن فتنة، فلو زرن القبور لـخالطن الرجال، وجرى من ذلك ما يضر الناس، =

---

(١) ص٢٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي: الصلاة (٣٢٠)، والنسائي: الجنائز (٢٠٤٣)، وأبو داود: الجنائز (٣٢٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي: الجنائز (١٠٥٦)، وابن ماجه: الجنائز (١٥٧٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه: الجنائز (١٥٧٤).

....

= وأيضاً هن قليلات الصبر في الغالب، فصبرهن قليل عند تذكرهن أقاربهن، من الآباء والأزواج والأولاد، وربما حصل من النياحة أو شق الثياب، أو لطم الخدود، أو ما أشبه ذلك، مما يحصل عند قربهن من القبور.

فكان من رحمة الله ـ جل وعلا ـ أن منعهن زيارة القبور، قالت أم عطية: «نهينا عن اتباع الجنائز»[1]. أي: نهينا عن اتباع الجنائز في الدفن، ونهينا عن زيارة القبور للذكرى؛ للحكمة البالغة، وهي حسم مادة الفتنة للنساء.

وذهب بعض أهل العلم إلى جواز الزيارة، لكن من غير إكثار، واحتج ببعض الروايات «زوارات» بالتشديد، ولا حجة في ذلك، لأن «زوارات» جاء في لفظ «زائرات»، فدل ذلك على منع القليل والكثير، ولأن الفتنة بهن قائمة، ولأن الصبر منهن قليل.

فلهذا ـ والله أعلم ـ جرى ما جرى من النهي والتحذير بصيغة اللعن، واللعن أشد ما يكون تحذيراً، وهو يدل على أن الملعون عليه =

(١) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٧٨).

....

= كبيرة، كما لُعِنت الواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة، والواشمة والمستوشمة، من غير داء[1]، وقرر العلماء أنها كبائر بسبب اللعن، كما لعن من اتخذ المساجد على القبور، فعرف أنه من الكبائر، وهكذا، فمن دلائل الكبيرة: اللعن.

أما حديث عائشة: كيف أقول لهم؟[2] أي: عند زيارة القبور. فقال: قولي كذا وكذا، فأجاب عنه العلماء بأجوبة: إما أن هذا كان قبل النهي، أو كان حين أذن للجميع من الرجال والنساء، وإما أن هذا للتعليم، والمعنى: كيف أقول إذا زرت القبور، أي: كيف يقول الزائر؟ وليس المراد نفسها، ولكن المراد إخبار تعليم الزائر كيف يقول.

وأحسن ما قيل في هذا: إن هذا كان حين عموم الإذن للرجال والنساء، فلما جاء الحديث باللعن دل ذلك على أن الإذن خاص بالرجال وأن النساء منعن من ذلك لحكمة بالغة كما تقدم. =

---

(١) أخرجه أبو داود: الترجل (٤١٧٠).

(٢) أخرجه مسلم: الجنائز (٩٧٤)

....

= وأما قوله ﷺ: «زوروا القبور»(١). فهو خطاب للرجال فقط، وليس للنساء، بل هو خاص بالرجال، والصيغة في الأغلب تكون مستعملة للرجال، ولو قلنا بالعموم وأنها تعم الرجال والنساء، لخرج منها النساء بحديث اللعن هذا.

واتخاذ المساجد والسرج يتعلق بالقبور مطلقاً، سواء أكان من الرجال أم أكان من النساء، فلا يجوز اتخاذ المساجد قبوراً، لا من الرجال ولا من النساء، ولا السرج عليها.

والحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ أنها وسيلة للشرك بها، وعبادة أهلها، فإنها متى أسرجت وبني عليها المساجد صار هذا من أسباب تعظيم العامة لها، وظنهم أنها تنفع للداعين والمقيمين عندها، فيقع الشرك، فحرم الرسول ﷺ اتخاذ المساجد عليها والبناء عليها حسماً لمادة الشرك، ومنع من إسراجها لذلك.

والحديث وإن كان في سنده بعض المقال لأنه من رواية أبي صالح عن عباس، لكن تقدم لك أن الأحاديث الكثيرة الدالة على =

---

(١) أخرجه ابن ماجه: الجنائز (١٥٦٩).

....

= لعن المتخذين المساجد على القبور في «الصحيحين» وغيرهما، وكذلك لعن الزائرات كما في حديث حسان وأبي هريرة.

وأما اتخاذ السرج فجاء في حديث ابن عباس، والحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ أن اتخاذ السرج فيها قد يفضي إلى كثرة الإقامة فيها أو الأنس بالإقامة فيها أو كثرة التردد إليها ليلاً، فيقع ما يحذر من الشرك والفساد، والله ﷻ أعلم*.

---

* **س: حديث: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[1]، ما مدى صحة طرقه؟**

ج: إما أن يقال: إنه شاذ كما هو معروف من القاعدة أنه إذا جاء حديث يخالف الأحاديث الصحيحة ولو صح سنده فيسمى شاذاً، أو يقال: إن هذا أخبر به النبي ﷺ قبل أن يعلم فضل القرن الأول، ثم علم بعد ذلك فضل القرن الأول فزال الإشكال، والقول الأول حكم عليه بالشذوذ وأنه لا صحة له؛ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي: الأمثال (٢٨٦٩).

فهرس الموضوعات